

# شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

محمّد بن  
محمّد بن الفضل بن حسين

دار النشر: دار الفکر للطباعة  
بيروت - لبنان

# شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



الجزء الثاني

دار النشر: المكتبة العربية  
ميسى البابي الحلبي وشركاه



مرکز تحقیقات کتاب و اسناد اسلامی

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

منشورات مکتب آية الله العظمى المرعشي النجفي  
قم - إيران ١٤٠٢ هـ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[ بَسْتُ معاويةَ بُسْرَ بنِ أَرْطاةَ إِلَى الحِجَازِ وَالْيَمَنِ ]

فَأَمَّا خَيْرُ بُسْرٍ بنِ أَرْطاةَ التَّامِرِيُّ ؛ مِنْ بَنِي عَامِرِ بنِ لُؤَيٍّ بنِ غَالِبٍ ، وَبَسْتُ معاويةَ لَهُ لِيُغَيِّرَ عَلَى أَعْمَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَا تَحِلُّهُ مِنْ سَفَكِ الدِّمَاءِ وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ ، فَقَدْ ذَكَرَ أَرْبابُ السِّيَرِ أَنَّ الَّذِي هَاجَ معاويةَ عَلَى تَسْرِيعِ بُسْرِ بنِ أَرْطاةَ - وَيُقَالُ ابْنُ أَبِي أَرْطاةَ - إِلَى الحِجَازِ وَالْيَمَنِ ، أَنَّ قَوْمًا بِصَنْعَاءَ كَانُوا مِنْ شِيعَةِ عُمَانَ ، يُعْظِمُونَ قِتْلَهُ ، لَمْ يَكُنْ لَهُمْ نِظَامٌ وَلَا رَأْسٌ ، فَهَاجُوا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمْ ؛ وَطَامَلُوا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى صَنْعَاءَ يَوْمَئِذٍ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ <sup>(١)</sup> وَطَامَلَهُ عَلَى الْجَنْدِ سَعِيدُ بنُ نُمَيْرَانَ <sup>(٢)</sup> .

فَلَمَّا اخْتَلَفَ النَّاسُ عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْعِرَاقِ ، وَقُتِلَ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي بَكْرٍ بِمِصْرَ ، وَكَثُرَتْ غَارَاتُ أَهْلِ الشَّامِ ، تَكَلَّمُوا وَدَعَوْا إِلَى الطَّلَبِ بِدَمِ عُمَانَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَى نَاسٍ مِنْ قُرْبَاهُمْ ، فَقَالَ : مَا هَذَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكُمْ ؟ قَالُوا : إِنَّا لَمْ نَزَلْ نُشْكِرَ قِتْلَ عُمَانَ ، وَنَرَى مُجَاهِدَةً مَنْ سَمِيَ عَلَيْهِ . فَكُتِبُوا إِلَى مَنْ بِالْجَنْدِ مِنْ أَصْحَابِهِمْ ، فَتَارُوا بِسَعِيدِ بنِ نُمَيْرَانَ ، فَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْجَنْدِ ، وَأَظْهَرُوا أَمْرَهُمْ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مَنْ كَانَ بِصَنْعَاءَ ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِمْ كُلُّ مَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِمْ ، وَلَحِقَ بِهِمْ قَوْمٌ لَمْ يَكُونُوا عَلَى رَأْيِهِمْ ؛ لِإِرَادَةِ أَنْ يَتَمَتَّعُوا بِالصَّدَقَةِ ، وَالتَّقَى عُبَيْدُ اللَّهِ بنَ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بنَ نُمَيْرَانَ ، وَمَعَهُمَا شِيعَةُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِابْنِ نُمَيْرَانَ : وَاللَّهِ لَقَدْ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ ، وَإِنَّهُمْ لَنَا

(١) عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ ؛ كَانَ أَحَدًا مِنْ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بِسْتًا ، رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَسَمَ مِنْهُ ، وَحَفِظَ مِنْهُ . الْإِسْتِجَابَ ٤ - ٤ .

(٢) سَعِيدُ بنُ نُمَيْرَانَ الْقُدْسِيُّ ؛ كَانَ كَاتِبًا لِعَلِيٍّ ؛ وَأَمَرَكَ مِنْ حِبَاةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْوَامًا . الْإِسْتِجَابَ ٤٤٢ .

لِقَارِبُونَ ، وَإِنْ قَاتَلْنَاهُمْ لَا نَعْلَمُ عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّائِرَةُ ؛ فَهَلْ لِنَكْتُبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(١)</sup> بِخَبْرِهِمْ وَقَدْ حَمَلَهُمْ ، وَبِمَنْزِلِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ .  
فَكْتُبْنَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(٢)</sup> :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّا نَخْبِرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَّ شَيْعَةَ عُثْمَانَ وَثَبُوا بِنَا ، وَأَغْلَبُوا أَنَّ مَعَاوِيَةَ قَدْ شَهِدَ أَمْرَهُ ، وَاتَّسَقَ لَهُ أَكْثَرُ النَّاسِ ، وَأَنَّا سِرْنَا إِلَيْهِمْ بِشَيْعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ كَانَ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ أَخْشَاهُمْ<sup>(٣)</sup> وَأَلْبَهُمْ ، فَعَبَثُوا<sup>(٤)</sup> لَنَا ، وَتَدَاعَوْا عَلَيْنَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ، وَنَصَرَمُ عَلَيْنَا مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ رَأْيٌ فِيهِمْ ، إِرَادَةً أَنْ يَمْنَعَ حَقُّ اللَّهِ لِلْفُرُوضِ عَلَيْهِ ؛ وَلَيْسَ يَمْنَعُنَا مِنْ مُتَاجِرَتِهِمْ إِلَّا ائْتِظَارُ أَمْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ وَأَبْدَهُ ، وَفَضَى لَهُ بِالْأَقْدَارِ الصَّالِحَةِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ . وَالسَّلَامُ .

فَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُهُمَا ، سَاءَ عَلَيْهِمَا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَغْضَبَهُ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِمَا :

مِنْ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(٥)</sup> وَاسْمُهُ بْنُ عُمَرَ : سَلَامٌ اللَّهُ عَلَيْكُمَا ، فَإِنِّي أَحَدُ إِلَيْكُمَا الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ؛ أَنَا بَعْدُ ؛ فَإِنَّهُ أَنَا كِتَابُكَ تَذَكُّرًا فِيهِ خُرُوجَ هَذِهِ الْخَارِجَةِ ، وَتَعَطُّلًا مِنْ شَأْنِهَا صَغِيرًا ؛ وَتَكْثُرًا مِنْ عِدْدِهَا قَلِيلًا ؛ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ نَجَبَ<sup>(٦)</sup> أَفْتَدَتْكَ ، وَصِفَرُ أَنْفُسِكَ ، وَشَتَاتِ رَأْيِكَ ، وَسُوءِ تَدْبِيرِكَ ، هُوَ الَّذِي أَفْسَدَ عَلَيْكَ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ فَاسِدًا ، وَجَزَأَ عَلَيْكَ مَنْ كَانَ عَنْ لِقَائِكَ جَبَانًا ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ ، فَامْضِ إِلَى الْقَوْمِ حَتَّى تَقْرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابِي إِلَيْهِمْ ، وَتَدْعُوَاهُمْ إِلَى حُظْمِهِمْ وَتَقْوَى رَبِّهِمْ ؛ فَإِنْ أَجَابُوا أَحَدَنَا لِلَّهِ وَقَبْلَتِنَا ، وَإِنْ حَارَبُوا اسْتَعْنَا بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ ؛ وَنَابِذْنَاهُمْ عَلَى سِوَاهِ ؛ إِنْ اللَّهُ لَا يَحِبُّ الْخَائِنِينَ .

قَالُوا : وَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَزِيدَ بْنِ قَيْسِ الْأَرْحَاقِيِّ : أَلَا تَرَى إِلَى مَا صَنَعَ قَوْمُكَ ؟

(١ - ١) سَالِطٌ مِنْ

(٢) أَحْمَسُهُمْ : هَاجَهُمْ وَأَغْضَبَهُمْ .

(٣) ب : « نَجَبُوا » .

(٤) التَّجَبَّ : الْخَلَبُ وَطَفَ الْقَلْبَ .

فقال : إن ظني يا أمير المؤمنين بقومي تحسن في طاعتك ، فإن شئت خرجت إليهم فكفيتهم ، وإن شئت كتبت إليهم فنظر ما يحببونك . فكتب علي عليه السلام إليهم<sup>(١)</sup> :

من عبد الله على أمير المؤمنين ، إلى من شاق وغدر من أهل الجند وصنعا . أما بعد ، فإن أحد الله الذي لا إله إلا هو ، الذي لا يقب له حكم ، ولا يرذ له قضاء ، ولا يرد بأمره عن القوم المحرمين .

وقد بلغتكم خبري وكم وشقاكم وإعراضكم عن دينكم ، بعد الطاعة وإعطاء البيعة ، فسألت أهل الدين الخالص ، والورع الصادق ، واللب الراجح ، عن بدء تحرككم ، وما نويتم به ، وما آتاكم له ؛ فحدثت عن ذلك بما لم أر لكم في شيء منه عذرا مبيها ، ولا مقالا جيلا ، ولا حجة ظاهرة ؛ فإذا أناكم رسول خرقوا وانصرفوا إلى رجالكم أشف عنكم ، وأصغح من جاهلكم ، وأحفظ قاصدكم ، وأعمل فيكم بحكم الكتاب ؛ فإن لم تفعلوا ، فاستعدوا لقدم جيش جم الفرسان ، عظيم الأركان ، يقصد لن طاني وعصى<sup>(٢)</sup> ، فتطحنوا كلهم الرضا ؛ فن أحسن قلنفسه ، ومن أساء قلبها ، وماربك بظلام العبيد . ووجه الكتاب مع رجل من همدان ، قديم عليهم بالكتاب فلم يحبوه إلى خير ، فقال لهم : إني تركت أمير المؤمنين يريد أن يوجه إليكم يزيد بن قيس الأرحبي في جيش كثيف ، فلم يمنعه إلا انتظار جوابكم . قالوا : نحن سامعون مطيعون ، إن عزل عنا هذين الرجلين ؛ عبيد الله وسعيدا .

فرجع الهمداني من عندهم إلى علي عليه السلام فأخبره خبر القوم . قالوا : وكتبت تلك المصابة حين جاءها كتاب علي عليه السلام إلى معاوية يخبرونه ، وكتبوا في كتابهم :

معاوية ألا تسرع السير نحونا نبايع عليا أو يزيد الجاني

فلما قديم كتابهم ، دعا بشر بن أبي أرطاة - وكان قاسى القلب فظاً سفاكاً للدماء ، لا رافة عنده ولا رحمة - فأمره أن يأخذ طريق الحجاز والمدينة ومكة حتى ينتهى إلى اليمن ، وقال له : لا تنزل على بلد أهل على طاعة على ، إلا بسطت عليهم لسانك ؛ حتى يروا أنهم لا نجاء لهم ، وأنتك محيط بهم . ثم اكففت عنهم ، وادعهم إلى البيعة لى ، فن أبى فاقضه ، واقتل شيمة على حيث كانوا .



وروى إبراهيم بن هلال الثقفى فى كتاب " الفارات " عن يزيد بن جابر الأزدي ، قال :

سمعت عبد الرحمن بن مسعدة الفزارى يحدث فى خلافة عبد الملك ، قال : لما دخلت سنة أربعين ، تحدثت الناس بالشام أن علياً عليه السلام يستغفر الناس بالعراق فلا يتفرون منه ، وتذاكروا أن قد اختلفت أهواؤهم ، ووقعت الفرقة بينهم ، قال : فقصت فى نحر من أهل الشام إلى الوليد بن عتبة ، فقلنا له : إن الناس لا يشكون فى اختلاف الناس على على عليه السلام بالعراق ، فادخل إلى صاحبك فمره فليسير بنا إليهم قبل أن يمتسوا بعد تفرقهم ، أو يصلح لصاحبهم ما قد فسد عليه من أمره . فقال : بلى ، لقد قاوت فى ذلك وراجسته وطابته ، حتى لقد برم بى ، واستنقل طلعتى ، وإيم الله على ذلك ما أدم أن أبلفه ما مشيتم <sup>(١)</sup> إلى فيه .

فدخل عليه نحره بمجئتنا إليه ، ومقاتلتنا له ، فأذن لنا ، فدخلنا عليه ، فقال : ما هذا الخبر الذى جاءنى به عنكم الوليد ؟ قلنا : هذا خبر فى الناس سائر ، فشر للعرب ، وناهض الأعداء ، واحتبل القرصة ، واغتم الفرة ، فإنك لا تدري متى تقدر على صدوك على مثل حالهم التى لم عليها ؛ وأن نسير إلى صدوك أمر لك من أن يسيروا إليك . واعلم



والله أنه لو لا تفرق الناس عن صاحبك لقد نهض إليك . فقال لنا : ما استغنى عن رأيكم ومشورتكم ، ومتى أحتج إلى ذلك منكم أذعكم . إن هؤلاء الذين تذكرون تفرقهم على صاحبهم ، واختلاف أهوائهم ، لم يبلغ ذلك عندي بهم أن أكون أطمع في استئصالهم واجتياحهم ، وأن أسير إليهم مخاطرا يجتدي ، لا أدري على تكون الدائرة أم لي ! فإني آخذ بهم في وجد هو أرفق بكم ، وأبلغ في هلكتهم . قد شئت عليهم للغارات من كل جانب ؛ فغلب مرة بالجزيرة ، ومرة بالحجاز ؛ وقد فتح الله فيما بين ذلك مصر ، فأعز بفتحها ولينا ، وأذل به عدونا ، فأشراف أهل العراق لما يرون من حسن صنيع الله لنا ، باتونا على قلائصهم في كل الأيام ، وهذا مما يزيدكم الله به ويتقصمهم ، ويقوئكم ويضعفهم ، ويبرئكم ويذلهم ؛ فاصبروا ولا تمجلوا ، فإني لو رأيت فرصتي لأحتببها .



نخرجنا من عنده ونحن نعرف **الفصل (١)** فيما ذكر ، فلبسنا ناحية ، وبث معاوية عند خروجنا من عنده إلى بسر بن أبي أرطاة ، فبثه في ثلاثة آلاف ، وقال : سر حق تمر بالمدينة ، فاطرد الناس ، وأخف من مررت به ، وأهبط أموال كل من أصبت له مالا ؛ ممن لم يكن دخل في طاعتنا ، فإذا دخلت المدينة ، فأرهم أنك تريد أنفسهم ، وأخبرهم أنه لا براءة لهم عندك ولا عذر ؛ حتى إذا ظنوا أنك موقع بهم فاكف عنهم ، ثم يمر حتى تدخل مكة ، ولا تعرض فيها لأحد ، وأرهب الناس عنك فيما بين المدينة ومكة ، واجعلها شرداً ؛ حتى تأتي صنعاء والحند ، فإن لنا بهما شيعة ، وقد جاءني كتابهم .

نخرج بسر في ذلك البعث ؛ حتى أتى دير مروان ، فعرضهم فسقط منهم أربعائة ، ففى في القين وسفانة ، قال الوليد بن عقبة : أشرتنا على معاوية برأينا أن يسير



إلى الكوفة ، فبعث الجيش إلى المدينة ، فثقلنا ومثله ، كما قال الأول : أريها الشها  
وتريي القمرا<sup>(١)</sup> .

فبلغ ذلك معاوية ، فغضب وقال : والله قد هممت بمساءة هذا الأحمق الذي لا يحسن  
التدبير ، ولا يدري سياسة الأمور . ثم كفت عنه .

• • •

قلت : الوليد كان لشدة بغضه علياً عليه السلام القديم الثالث ، لا يرى الأناة  
في حربه ، ولا يستلح الفارات على أطراف بلاده ، ولا يشفي غيظه ولا يُبرِد حزازات  
قلبه ؛ إلا باستئصاله نفسه بالجيش ، ونسييرها إلى دار مُلكه ، وسرير خلافة ، وهي الكوفة ،  
وأن يكون معاوية بنفسه هو الذي يسير بالجيش إليه ؛ ليكون ذلك أبلغ في هلاك  
علي عليه السلام ، واجتاث أصل سلطانه . ومعاوية كان يرى غير هذا الرأي ، ويعلم  
أن السير بالجيش لقاء علي عليه السلام خطر عظيم ؛ فاحتضت للصلحة عنده وما يقاب  
على ظنه من حُسن التدبير ، أن يثبت بمركزه بالشام في جمهور جيشه ، ويسرّب الفارات  
على أعمال علي عليه السلام وبلاده ، فتحسوس خلال الديار وتضعفها ، فإذا أضعفتها أضعفت  
بيضة ملك علي عليه السلام ؛ لأن ضعف الأطراف يُوجب ضعف البيضة ، وإذا أضعفت  
البيضة كان على بلوغ إرادته ، والسير حيثنذ - إن استصوب المسير - أقدر .

ولا يلام الوليد على ما في نفسه ؛ فإن علياً عليه السلام قتل أباه عقبة بن أبي مُعيط  
صبراً<sup>(٢)</sup> يوم بدر ، وسمى الفاسق<sup>(٣)</sup> بعد ذلك في القرآن ، انزعاق وقع بينه وبينه ،

(١) السها : كوكب صبر غني الضوء في بنات نكح الكبرى ، والناس يمتحنون به أبحارهم . والمثل  
في الحسن ١٩ : ١٣٣ والنظر الليناني ١ : ٢٩١ .

(٢) القتل صبراً : أن يحبس الإنسان ويرمى به حزموت .

(٣) يشير إلى ما ذكره من سبب نزول قوله تعالى في سورة المجرات : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ . والنظر الإصابه ٦ : ٦٣١ ، وأسباب النزول للواحدى ٢٩١ .

ثم جلده الحد في خلافة عثمان ، وعزله عن السكوة ، وكان عاملها . وبمض هذا عند العرب أرباب الدين والتقى تستحل الحرام ، وتُتباح الدماء ، ولا تبقى مراقبة في شفاء النبط لدين ولا لعقاب ولا لثواب ، فكيف الوليد للشتمل على الفسوق والفجور ، مجاهرا بذلك ! وكان من المؤلفة قلوبهم ، مطمونا في نسبة<sup>(١)</sup> ، مرميا بالإلحاد والزندقة .

• • •

قال إبراهيم بن هلال : روى عوانة عن الكلبي ولوط بن يحيى أن بُسرا لما أسقط من أسقط من جيشه ، سار بمن تخلف معه ، وكانوا إذا وردوا ماء أخذوا إبل أهل ذلك الماء فركبوها ، وقادوا خيولهم حتى يردوا الماء الآخر ، فيردون تلك الإبل ، ويركبون إبل هؤلاء ، فلم يزل يصنع ذلك حتى قرب إلى المدينة .

قال : وقد روى أن قضاة استقبلتهم : ينحرون لهم الجزر ، حتى دخلوا المدينة قال : فدخلوها ، وعامل على عليه السلام عليها أبو أيوب الأنصاري ، صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله ، نفرج عنها هاربا ، ودخل بئر المدينة ، فخطب الناس وشمهم وتهذم يومئذ وتوعدهم ، وقال : شامت الوجوه ! إن الله تعالى يقول : ﴿ وَخَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قُرْبَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا ... ﴾<sup>(٢)</sup> الآية ، وقد أوقع الله تعالى ذلك المثل بكم وجعلكم أهله ! كان بلدكم مهاجرا الذي صلى الله عليه ومُنزله ، وفيه قبره ومنازل الخلفاء من بعده ؛ فلم تشكروا نعمة ربكم ، ولم ترعوا حق نبيكم ، وقتل خليفة الله بين أظهركم ، فكنتم بين قاتل وخاذل ، ومتربص وشامت ، إن كانت للمؤمنين ، قلم : ألم تكن معكم ! وإن كان للكافرين نصيب ، قلم : ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من

(١) : د ديه .

(٢) سورة النحل ١١٢ ، وبجئها : ﴿ رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرْتَ بِآثِمٍ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَعْتَمُونَ ﴾ .

للمؤمنين ١ ثم شتم الأنصار ، فقال : يا معشر اليهود وأبناء العبيد : بنى ذُرَيْقٌ ، وبنى  
النجار ، وبنى سلمة ، وبنى عبد الأشهل ؛ أما والله لأوقعن بكم وقعة تشق غليل صدور  
المؤمنين وآل عثمان ؛ أما والله لأدعنكم أحاديث كالأم السالفة <sup>(١)</sup> .

فهددهم حتى خاف الناس أن يوقع بهم ، فخرجوا إلى حُوَيْطِيب بن عبد المَرِي  
- ويقال إنه زوج أمه - فصعد إليه المنبر ، فناشده ، وقال : عترتك وأنصار رسول الله ،  
وليسوا بقتلة عثمان ؛ فلم يزل به حتى سكن ، ودعا الناس إلى بيعة معاوية فبايعوه . ونزل  
فأحرق دورا كثيرة ، منها دار رُدَارَةَ بن حَرُون ، أحد بني عمرو بن عوف ، ودار رفاعه  
ابن رافع الزُرَيْقِي ، ودار أبي أيوب الأنصاري . وتنفذ جابر بن عبد الله ، فقال : مالي  
لا أرى جابرا يا بني سلمة إلا أمان لكم عندي ، أو تأتونى بجابر ؛ فهاذ جابر بأمر سلمة  
رضي الله عنها ، فأرسلت إلى نُسْرَى أُرطاة ، فقال : لا أؤمنه حتى يبايع ، فقالت له  
أم سلمة : اذهب فبايع ، وقالت لابنها عمر : اذهب فبايع ، فذهب فبايعاه <sup>(٢)</sup> .

قال إبراهيم : وروى الوليد بن كثير عن وهب بن كيسان ، قال : سمعت جابر  
ابن عبد الله الأنصاري يقول : لما خِفْتُ نُسْرَى وتواريت عنه ، قال لقومي : لا أمان  
لكم عندي حتى يحضر جابر ، فأتوني وقالوا : نَفْسُكَ اللهُ لما انطلقت معا فبايعت ،  
لحققت دَمَك ودماء قومك ؛ فإنك إن لم تعمل قُلتَ مُقاتِلينا ، وسببت ذرارينا .  
فاستنظتُهم الليل ، فلما أمسيت دخلت على أم سلمة فأخبرتها الخبر ، فقالت : يا بني ،  
انطلق فبايع ، احقن دَمَك ودماء قومك ؛ فإنى قد أمرت ابن أخى أن يذهب فبايع ،  
وإني لأعلم أنها بيعة خلافة .

(١) أصل تاريخ الطبري ٥ : ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٢) في تاريخ الطبري : « فقال لها : ماذا تترين ؟ إنى قد حببت أن أقتل ؛ وهذه بيعة خلافة ،  
فقلت : « أرى أن تأمر ابن عمر بن الخطاب سلمة أن يبايع ، وأمرت حتى عبد الله بن زبعة .. » .

قال إبراهيم : فأقام بُسر بالمدينة أياماً ثم قال لهم : إني قد عفوت عنكم ؛ وإن لم تكونوا لذلك بأهل ؛ ما قوم قتل إمامهم بين ظهرائيهم بأهل أن يسكنهم عنهم العذاب ؛ ولئن نالكم العفو مني في الدنيا ؛ إني لأرجو ألا تنالكم رحمة الله عز وجل في الآخرة ، وقد استخلفت عليكم أبا هريرة ؛ فبإياكم وخلافه ثم خرج إلى مكة .

• • •

قال إبراهيم : وروى الوليد بن هشام ، قال : أقبل بُسر ، فدخل المدينة ، فاصعد منبر الرسول صلى الله عليه وآله ، ثم قال : يا أهل المدينة ، خضبتم لحاكم ، وقتلتم عثمان مخضوباً ، والله لا أدع في المسجد مخضوباً ، لا قتله ، ثم قال لأصحابه : خذوا بأبواب المسجد - وهو يريد أن يستمرضهم - فقام إليه عهد الله بن الزبير وأبو قيس أحد بني عامر بن لؤي ، فطلبوا إليه حتى كف عنهم وخرج إلى مكة ، فلما قرب منها هرب قثم ابن العباس - وكان عامل على عليه السلام - ودخلوا بُسر ، فشم أهل مكة وأنهبهم . ثم خرج عنها ، واستعمل عليها شيبة بن عثمان .

قال إبراهيم : وقد روى عوانة عن السكبي أن بُسراً لما خرج من المدينة إلى مكة قتل في طريقه رجالاً ، وأخذ أموالاً ، وبلغ أهل مكة خبره ، ففتق عنها عامة أهلها ، وتراضى الناس بشيعة بن عثمان أميراً لما خرج قثم بن العباس عنها ، وخرج إلى بُسر قوم من قريش ، فلقوه ، فشتهم ، ثم قال : أما والله لو تركت ورأيي فيكم لركنكم وما فيكم روح تمشي على الأرض ، فقالوا : كشدك الله في أهلك وعترتك أفسكت ثم دخل وطاف بالبيت ، وصلى ركعتين ، ثم حطهم ، فقال :

الحمد لله الذي أعز دعوتنا ، وجمع ألفتنا ، وأذل<sup>(١)</sup> عدونا بالقتل والتشريد ، هنا ابن أبي طالب بناحية المراق في ضنك وضيق ، قد ابتلاه الله بخطيئته ، وأسله بحريرته ؛

ففرق عنه أصحابه نافرين عليه ، وولى الأمر معاوية الطالب بدم عثمان ؛ فبايسوا ولا تجعلوا  
على أشكم سبيلا . فبايسوا .

وتفقد سعيد بن الناصر قطبته فلم يجد ، وأقام أياما ثم خطبهم فقال :  
يا أهل مكة ، إني قد صنعت عنكم ، فليأكم والخلاف ، فوالله إن قلتم لأقصدن منكم  
إلى القى تبهر الأصل ، ومحروب السال ، ومحروب البحار .

ثم خرج إلى الطائف ، فكتب إليه للنخعة بن شعبة حين خرج من مكة إليها :  
أما بعد ، فقد بلغني مسودك إلى الحجاز ، ونزولك مكة ، وشيئتك على الرب ،  
وحقوق من السوء ، وإكرامك لأولى الناس ، فحدثك رأيتك في ذلك ، فقدم على صالح  
ما كنت عليه ، فإني والله عز وجل لن يزيد بالخير أهله إلا خيرا ؛ جعلنا الله وإياك من  
الأميرين بالمعروف ، والقاصدين إلى الحق ، والله أكبرين الله كثيرا .

قال : ووجه رجلا من قريش إلى ثبالة ، وبها قوم من شيعة علي عليه السلام ، وأمره  
بقتلهم . فأخذه ، وكلم فيهم وقيل له : هؤلاء قومك ، فكف عنهم حتى تأتيك بكتاب  
من يسر بأمانهم ؛ فحبسهم . وخرج منيع الباهل من عتدم إلى يسر وهو بالطائف يستشفع  
إليه فيهم ، فتعجل عليه بقوم من الطائف ، فكلّموه فيهم ، وسألوه الكتاب بإطلاقهم ،  
فوعدهم ، ومطّلهم بالكتاب حتى ظن أنه قد قتلهم القرشي المبعوث لقتلهم ، وأن كتابه  
لا يصل إليهم حتى يقتلوا . ثم كتب لهم ، فأتى منيع منزله ، وكانت قد نزل على امرأة  
بالطائف ورّخته عندها ، فلم يجدها في منزلها ، فوطئ على ناقته بردائه ، وركب فصار يوم  
الجمعة وليلة السبت لم ينزل عن راحلته قط ، فأثام ضعوة ، وقد أخرج القوم ليقتلوا ،  
واستبطن كتاب يسر فيهم ، فقدم رجل منهم فضر به رجل من أهل الشام ، فاقطع  
سيفه ، فقال الشاميون بعضهم لبعض : نئسوا سيوفكم حتى تلين فمزوها . وتبصر منيع

الباهل بريق السيوف ، فألمع بثوبه ، فقال القوم : هذا راكب عنده خير ، فكفوا ،  
وقام به بعيره فزل عنه ، وجاء على رجليه يشتد فدفع الكتاب إليهم فأطلقوا . وكان الرجل  
المقدم - الذي ضرب بالسيف فانكسر السيف - أخاه .

• • •

قال إبراهيم : وروى علي بن مجاهد ، عن ابن إسحاق أن أهل مكة لما بلغهم  
ما صنع بسر ، خافوه وهربوا ، فخرج ابن عبيد الله بن العباس ، وها سليمان وداود ،  
وأما جوثيرة ابنة خالد بن قرظ الكنانية ، وتكنى أم حكيم ، وهم حلفاء بني زهرة  
- وها غلامان - مع أهل مكة ، فأضلوها عند بثر ميمون بن الحضرمي - وميمون هذا هو  
أخو العلاء بن الحضرمي - وهم عليهما سر ، فأخذها وذبحهما ، فقالت أمهما<sup>(١)</sup> :

هَامِنْ أَحْسَ يَابْنَ الذِّبْنَ هَا	كَالذِّبْنِ تَشْطَىٰ عَنْهُمَا الْعَدَفُ <sup>(٢)</sup>
هَامِنْ أَحْسَ يَابْنَ الذِّبْنَ هَا	سَمِيَّ وَقَلْبِي ؛ فَعَلَى الْيَوْمِ مُحْتَطَفُ <sup>(٣)</sup>
هَامِنْ أَحْسَ يَابْنَ الذِّبْنَ هَا	مُخِ الْمِظَامِ ، فَخَى الْيَوْمِ مَزْدَهْفُ <sup>(٤)</sup>
نُبِشْتُ بَسْرًا وَمَا صَدَقْتُ مَا زَعَمُوا	مَنْ قَوْلِهِمْ وَمَنْ الْإِفْكَ الَّذِي اقْتَرَفُوا
أَنْحَى عَلَى وَدَجِي إِمْنِي مُرْهَفَةٌ	مَشْهُودَةٌ بِكَذَلِكَ الْإِثْمِ يُقْتَرَفُ <sup>(٥)</sup>
مَنْ دَلَّ وَالْهَلَةَ حَرَمِي مُسَلِّبَةٌ <sup>(٦)</sup>	عَلَى صَبِيْنٍ ضَلَّ إِذْ مَضَى السَّلَفُ <sup>(٧)</sup>

(١) الأبيات في الكامل - يشرح للرسن ٨ : ١٥٨ ، وهي أيضاً مع الخبر في الأغاني ١٥ : ٤٥  
(طبعة الساسي) .

(٢) الكامل والأغاني : « يامن أحسن مني » . ونشطى : هرق .

(٣) مزدهف : ذهب به .

(٤) الكامل : « على ودجى ظلل » ، وبعد هذا البيت في رواية الأغاني :

حَتَّى لَقِيتُ رَجَالًا مِنْ أَرْوَعِهِ شَمَّ الْأَنْوَفِ لَمْ فِي قَوْمِهِمْ شَرَفُ  
فَالْآنَ الْعَنْ بَسْرًا حَقَّ لَمَنْتِهِ هَذَا لَعَمْرُ أَبِي بَسْرٍ هُوَ الشَّرَفُ

(٥) الكامل : « مفضة » والأغاني : « مولة » .

(٦) الكامل : « على صبيين غابا » ، والأغاني : « إذ هما السلف » .

وقد روى أن اسمهما قُثم وعبد الرحمن، وروى أنهما ضلّا في أخوالهما من بني كنانة، وروى أن بُسراً إنما قتلها باليمن، وأنهما ذبحا على درّج صنعاء (١).



وروى عبد الملك بن نوفل بن مُساحق عن أبيه، أن بُسراً لما دخل الطائف، وقد كلّمه الخيرة، قال له: لقد صدقتني ونصحتني؛ فبأت بها وخرج منها، وشيعة الميرة ساعة، ثم ودّعه وانصرف عنه، فخرج حتى مرّ بيني كنانة، وفيهم ابنا عبيد الله بن العباس وأُمّهما. فلما انتهى بُسر إليهم، طلبهما، فدخل رحل من بني كنانة — وكان أبوهما أوصاه بهما — فأخذ السيف من يده وخرج، فقال له بُسر: ثكلتك أمك! والله ما كنا أردنا قتلك، فلمْ مرّضت نفسك للقتل! قال: أقتل دون جليزي أعدري لي عند الله والناس. ثم شدّ على أصحاب بُسر بالسيف حاسراً، وهو يرتجز:

آليتُ لا يجمع حاطبُ الله أَرْزُومَ ولا يموت مصيباً دونَ الجارِ (٢)

• إلّا فتي أَرْزُومَ غيرَ خَدَّارَ •

فضارب بسيفه حتى قُتل، ثم قدّم الغلامان قتلاً. فخرج نسوة من بني كنانة، فقالت امرأة منهن: هذه الرجال يقتلها، فما بال الوعدان! والله ما كانوا يقتلون في جاهلية ولا إسلام، والله إن سلطاناً لا يشتدّ إلا بقتل الضرع للضعيف، والشيوخ الكبير، ورفع الرحمة، وقطع الأرحام لسلطان سوء؛ فقال بُسر: والله أهماستُ أن أضع فيمكن السيف، قالت: والله إنه لأحبّ إليّ إن فعلت!



قال إبراهيم: وخرج بُسر من الطائف، فأتى تَجْران، فقتل عبد الله بن عبد اللدان وابنه مالكاً وكان عبد الله هذا سهراً لسبيد الله بن العباس — ثم جمعهم وقام فيهم، وقال:

(٢) اللص: المزد سبه.

(١) الدرّج: الطريق.



يأهل نجران ، يامعشرَ النصارى وإخوان القروء : أما والله إن بلغنى عنكم ما أكره  
لأموذن عليكم بالتي تقطع النسل ، ونهيك الحرت ، وتخرب الديار ،  
وتهددم طويلاً ، ثم سار حتى [جمع] أرحب ، فقتل أبا كريب وكان يتشيع ويقال : إنه  
سيد من كان بالبادية من همدان ، فقدمه فقتله .



وأتى صنعاء وقد خرج عنها عبيد الله بن العباس وسعيد بن نجران ، وقد استخلف  
عبيد الله عليها عمرو بن أراكة التقي ، فمعه بئراً من دخولها وقائمه ، فقتله بئراً ، ودخل  
صنعاء ، فقتل منها قوماً ، وأتاه وفد مأرب فقتلهم ، فلم ينج منهم إلا رجل واحد ، ورجع  
إلى قومه ، فقال لهم : « أنى قتلنا ، شيوخنا وشباننا » .

قال إبراهيم : وهذه الأبيات المشهورة لعبيد الله بن أراكة التقي : يروى بها ابنه حماد<sup>(١)</sup> :  
لَمَمَرِي لَقَدْ أَرَدَيْتُ ابْنَ أَرْطَاءَ فَارِسًا      بِصَنْعَاءَ كَالثِيثِ الْهَزِيرُ ابْنُ الْأَجْرِ<sup>(٢)</sup>  
تَزَرٌّ فَإِنْ كَانَ الْبَكَاءُ رَدًّا هَالِكًا      عَلَى أَحَدٍ ، فَاجْهَدْ بِكَأَكِّ عَلَى عَمْرٍو<sup>(٣)</sup>  
وَلَا تَبْكُ مَتِيًّا بِمَسَدٍ مَمْتَرٍ أَجْتَهُ      عَلَى وَعْبَاسٍ وَآلِ أَبِي بَكْرٍ  
قال : وروى نعيم بن وهبة ، عن أبي وداعة<sup>(٤)</sup> ، قال : كنت عند علي عليه السلام لما  
قدم عليه سعيد بن نجران الكوفة ، فغضب عليه وعلى عبيد الله ألا يكونا قاتلاً بئراً ،

(١) الأبيات في الكامل - بصرح الرضوي ٨ : ١٥٧ ، وفيها في روايته :

لَمَمَرِي لَئِنْ أَتَيْتَ عَيْنَكَ مَأْمُضِي      بِهِ الدَّهْرُ أَوْ سَاقِ الْجَمَامِ إِلَى الْقَبْرِ  
لَتَسْتَفِيدَنَّ مَاءَ الشُّنُونِ بِأَسْرِهِ      وَلَوْ كُنْتَ كَمُزَيَّيْنٍ مِنْ قَبْجِ الْبَحْرِ

(٢) في الكامل : « أبي أجرة » ، وأجر : جمع جرو ، وهو ما اسم لولة الأسد ، ويجمع على أجراء أيضاً .

(٣) رواية الكامل :

تَبَيَّنَ فَإِنْ كَانَ الْبَكَاءُ رَدًّا هَالِكًا      عَلَى أَهْلِهِ فَاشْدُدْ بِكَأَكِّ عَلَى عَمْرٍو

(٤) هو جبر بن نوف الهمداني ، أبو الوفاك ، بفتح الواو وتشديد الهاء . التخریب ٤١ .

فقال سعيد : قد والله قاتلت ، ولكن ابن عباس خذني وأبي أن يقاتل ، ولقد خلوتُ به حين دنا منا بُسر ، فقلت : إن ابنَ حنك لا يرضى مني ومنك بدون الجِدِّ في قتالهم ، قال : لا والله ما لنا بهم طاقة ولا يدان ، فممت في الناس ، فمَدَّ الله ثم قلت : يا أهل اليمن ، مَنْ كان في طاعتنا وعلى بيعتنا مير للؤمنين عليه السلام فإلى آلِي . فأجابني منهم عصابة ، فاستقدمت بهم ، فقاتلت قتالا ضئيلا ، وتفرق للناس عني وانصرفت .

قال : ثم خرج بُسر من صنعاء ، فأبى أهل جيشان<sup>(١)</sup> يوم شِيعَة لعل عليه السلام . فقاتلهم وقتلوه ، فهزموهم وقتلهم قتلاً ذريعا ، ثم رحل إلى صنعاء ، فقتل بها مائة شيخ من أبناء فارس ، لأن ابني عبيد الله بن المباس كآما مستترين في بيت امرأة من أبنائهم ، تعرف بابنة بُزرج .



وقال الكلبي وأبو مخنف : فغلب على عليه السلام أصحابه ليث سرية في إثر بُسر . فتتأقلا ، وأجابه جارية بن قدامة البُهدلي ، فمِتْهُ في أثنين ، فتنحس إلى البصرة ، ثم أخذ طريق الحجاز حتى قدم اليمن ، وسأل عن بُسر فقبل : أخذ في بلاد بني تميم ، فقال : أخذ في حوار قوم يسمون أخصهم . وبلغ بُسراً مسيراً جارية ، فأنحدر إلى الهيماء ، وأخذ جارية بن قدامة السور ، ما بلغت إلى مدينته مرَّ بها ولا أهل حصن . ولا يخرج على شيء إلا أن يُزِيلَ<sup>(٢)</sup> بعض أصحابه من الزاد فيأمر أصحابه بمواساته ، أو يسقط به رجل أو تنحني دابته ، فيأمر أصحابه بأن يُنْقَبَوْهُ ، حتى انتهوا إلى أرض اليمن ، فهربت شِيعَة عثمان حتى لحقوا بالجهال ، واتبعهم شِيعَة علي عليه السلام ، وتداخت عليهم من كل جانب ، وأصابوا منهم ، وصعد<sup>(٣)</sup> نحو بُسر ، وبُسر بين يديه يفر من جهة إلى جهة أخرى ، حتى أخرجه من أعمال علي عليه السلام كلها .

فلما فعل به ذلك ، أقام جارية بحر من محوا من شهر ، حتى استراح وأراح أصحابه ، ووثب الناس ببُسر في طريقه لما انصرف من بين يدي جارية ، لسوء سيرته وفضائلته وظلمه وغشيه وأصاب جو تميم قتلان قتل في بلاده ومحبته إلى معاوية ليأصمه على الطاعة ابنُ تَجَاعَة

(١) جيعان : غلال باليمن ، فقال عجم (٢) يخال : أرسل القوم ؛ إذا تعد زادهم .

(٣) صعد : قعد .

رئيس اليمامة ، فلما وصل بُسر إلى معاوية قال : يا أمير المؤمنين ، هذا ابن جماعة قد أتيتك به فاقله ، فقال معاوية : تركته لم تقفه ، ثم جئتني به فقلت اقضه ! لا لعمري لا أقله . ثم بايعه ووصله ، وأعادته إلى قومه .

وقال بُسر : أحذ الله يا أمير المؤمنين أي سرت في هذا الجيش أقتل عدوك ذاهبا جاثيا لم يَنْكَب رجل منهم نكبة ، فقال معاوية : الله قد فعل ذلك لا أنت . وكان الذي قتل بُسر في وجهه ذلك ثلاثين ألفا ، وحرق قوما بالنار ، فقال يزيد ابن مفرغ :

تَمَلَّقَ مِنْ أَسْمَاءَ مَا قَدْ تَعَلَّقَا      وَمِثْلُ أَقْدَى لَاقَى مِنَ الشَّوْقِ أَرْقَا<sup>(١)</sup>  
سَقَى هَزِيمُ الْأَرْعَادِ مِنْبِجَ الْكَلَى      مَنَادَلَهَا مِنْ مَسْرُقَانِ فَسُرْقَا  
إِلَى الشَّرَفِ الْأَعْلَى إِلَى رَأْسِهِ مُرِيرٍ      إِلَى قُرَيَّاتِ الشَّيْخِ مِنْ نَهْرِ أَرْبَقَا  
إِلَى دُشْتِ بَارِينَ إِلَى الشَّطْرِ كَلَى      إِلَى مَجْمَعِ السُّلَانِ مِنْ طَلْعِ دَوْرَقَا<sup>(٢)</sup>  
إِلَى حَيْثُ بَرَقَ مِنْ دُجَيْلٍ سَفِيهُ      إِلَى مَجْمَعِ النَّهْرَيْنِ حَيْثُ تَفَرَّقَا  
إِلَى حَيْثُ سَارَ الْمَرْءُ بُسْرٌ بِحَيْثُ      قَتَلَ نُسْرٌ مَا اسْتَطَاعَ وَحَرَّقَا

• • •

وروى أبو الحسن المدائني ، قال : اجتمع عبيد الله بن العباس ونُسر بن أرطاة يوما عند معاوية بعد صلح الحسن عليه السلام ، فقال له ابن عباس : أنت أمرت العيين السقي للهذم أن يقتل ابني ؟ فقال : ما أمرته بذلك ، ولوددت أنه لم يكن قتلها ، ففضب بُسر ونزع سيفه فالتقاء وقال لمعاوية : أقبض سيفك ، قلدكني وأمرني أن أخيط به الناس ففعلت ، حتى إذا بلغت ما أردت قلت : لم أهو ولم آمر ! فقال : خذ سيفك إليك ، فله مري

(١) وردت هذه الأبيات في الأعيان ٩٧ : ٦٩ (سأسي) ، ومجمع ما استجمع ٢ : ١٢٢٥ - ١٢٢٦ ،

ومجمع البلدان ٨ : ٥٢ ؛ مع اختلاف في الرواية وعدد الأبيات وترتيبها (٢) الدشت : الصحراء .

إنك ضعيف مائق حين تلقى السيف بين يدي رجل من بني عبد مناف ، قد قلت  
أمر أبيه .

فقال له عبيد الله : أتعصبي يامعاوية قاتلاً بئسراً بأحد ابني ! هو أحقر والأم من  
ذلك ؛ ولكي والله لا أرى لي مَقْتَعاً ، ولا أدرك ثأراً إلا أن أصيب بهما يزيد وعبد الله .  
فتبسم معاوية وقال : وما ذنب معاوية وابني معاوية ! والله ما علمت ولا أمرت ،  
ولا رخصيت ولا هويت . واحتملها منه لشرفه وسؤدده .

قال : ودعا علي عليه السلام على بئس قال : اللهم إن بئسراً باع دينه بالدنيا ، واتسك  
بمحارمك ، وكانت طاعة مخلوق فاجر آثرَ عنده بما عندك . اللهم فلا تُنمِئْهُ حتى تسلبه  
عقله ، ولا توجب له رحمتك ولا ساعة من نهار . اللهم ألن بئسراً وعمرأ ومعاوية ،  
وليحلل عليهم غصبك ، ولتنزل بهم نعمتك ، وليعصمهم بأسك ورجزك الذي لا ترد عنه  
القوم المجرمين .

فلم يلبث نُسْرُ بعد ذلك إلا يسيراً حتى وسوس وذهب عقله . فكان يهذي  
بالسيف ، ويقول : أعطوني سيفاً أقول به ؛ لا يزال يردد ذلك حتى التمخذه سيف من  
خشب ، وكانوا يبدنون منه المِرْقَعة ، فلا يزال بصريها حتى ينفش عليه ، فلبث كذلك  
إلى أن مات .

قلت : كان مسلم بن عقبة يزيد وماهيل بالمدينة في وقعة الحررة كما كان بئسراً لمعاوية  
وما عمل في الحجاز واليمن ، ومن أشبه أمه فما ظلم .

نَبِيٍّ كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا      تَنبِيٍّ وَتَفَعَّلُ مِثْلَ مَا فَعَّلُوا<sup>(١)</sup>

(١) قوله :

إِنَّا وَإِنْ كَرُمْتُ أَوَائِلُنَا      لَسَنَاقِلِ الْأَحَابِ تَشْكِلُ

ويجب البحتان للوكل القبيح ؛ ومما في القيد ٣ : ١١١ .

(٢٦)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ ، وَأَمِينًا عَلَى النَّازِلِ ،  
وَأَسَمَ مَعَشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ ، وَفِي شَرِّ دَارٍ ، مُنِخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ ،  
وَحَيَاتٍ مُمٍّ ، تَشْرَبُونَ الْكَدِيرَ ، وَتَأْكُلُونَ الْخَشِيبَ ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ،  
وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ . الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنصُوبَةٌ ، وَالْآثَامُ بِكُمْ مَنصُوبَةٌ .



الشرح :

يجوز أن يعنى بقوله : « بين حجارة خشن ، وحيات مُمٍّ » الحقيقة لا المجاز ؛  
وذلك أن البادية بالحجاز ومجد وتيمامة وغيرها من أرض العرب ذات حيات وحجارة  
خُشْنٍ ، وقد يعنى بالحجارة الخشن الجبال أيضا أو الأصنام ؛ فيكون داخل في قسم  
الحقيقة إذا فرضناه مُرادا ، ويكون المعنى بذلك وصف ما كانوا عليه من البؤس وشقافة  
العيشة وسوء الاختيار في العبادة ، فأبدلهم الله تعالى بذلك الرِّيف<sup>(١)</sup> ولين الهاد وعبادة  
من يستحق العبادة .

ويجوز أن يعنى به المجاز ، وهو الأحسن ؛ يقال للأعداء حَيَاتٌ . والحية الصماء  
أَذَى من التي ليست بصماء ، لأنها لا تنزجر بالصوت . ويقال للمدو أيضا : إنه لخير  
خَشِينٍ للسن ، إذا كان الله الخصام .

والجِشِب من الطعام : الخليط الخشن .

(١) الرِّيف : أرض فيها زرع وخصب وسعة في المأكل والمغرب .

وقال أبو البختري وهب بن وهب القاضى : كنتُ عند الرشيد يوماً ، واستدعى  
 ماء مبرداً بالثلج ، فلم يوجد فى الخزانة ثلج ، فاعتذر إليه بذلك ، وأحضر إليه ماءً غير  
 مثلوج ، فضرب وجهه بالكلوز ، واستشاط غضباً ، فقلت له : أقول يا أمير المؤمنين  
 وأنا آمين ؟ فقال : قل ، قلت : يا أمير المؤمنين ، قد رأيت ما كان من الغير بالأمس  
 - بمعنى زوال دولة بنى أمية - والدنيا غير دائمة ولا موثوق بها ، والحزم ألا نعتمد  
 نفسك الترفه والنعمة ، بل تأكل القين والجشيب ، وتلبس الناعم والخشن ، وتشرب  
 الحار والبارد ؛ فنفعنى بيده ، وقال : لا والله ، لا أذهب إلى ما تذهب إليه ، بل ألبسُ  
 النعمة ما ليستنى ، فإذا نابت نوبة الدهر عدت إلى نصاب غير خوار<sup>(١)</sup>  
 وقوله : « والأتام بكم معصوبة » ، استعارة ، كأنها مشدودة إليهم .  
 وعنى بقوله : « تفكون دماءكم » ، وتقطعون أرحاسكم « ما كانوا عليه فى الجاهلية  
 من الفطرات والحروب .

• • •

الأصل .

ومنها :

فَنظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُبِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي ، فَصَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ ،  
 وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى ، وَشَرَيْتُ عَلَى الشَّجَى ، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَلَمِ ، وَعَلَى أَمْرِ  
 مِنْ طَمَعِ الْعَلَمِ .

• • •

## الْبَرْخُ

الكَفْمُ ، بفتح الظاء : مَحَرَجُ النَّفْسِ ، والجمع أَكْفَامٌ وَضِئْتُ ، بالكسر : بَحَلْتُ .  
وَأَغْصِيتُ عَلَى كَذَا : غَصَصْتُ طَرُقَ ، وَالشَّجَى : مَا يَعْزُضُ فِي الْخَلْقِ .

\*\*\*

## [ حَدِيثُ السَّقِيفَةِ ]

اختلفت الروايات في قصة السَّقِيفَةِ ، فإحدى نصوص الشيعة - وقد قال قوم من المحدثين  
بعضهم ورووا كثيرا منه - أن عليا عليه السلام امتنع من الشيعة حتى أخرج كُرْهًا ، وأن  
الزبير بن العوام امتنع من الشيعة وقال : لا أبايع إلا عليًا عليه السلام ، وكذلك أبو سفيان  
ابن حرب ، وخالد بن سميد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، والعباس بن عبد المطلب  
ونوه ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وجميع بني هاشم . وقالوا : إن الزبير  
شهر سيفه ، فلما جاء عمر ومعه جماعة من الأنصار وغيرهم ، قال في جملة ما قال : حَدُّوا  
سيفَ هذا فاضربوا به الحجر . ويقال : إنه أحد السيف من يد الزبير فصر به حَجْرًا  
فكسره ، وساقهم كلهم بين يديه إلى أبي بكر ، فحملهم على بيعته ولم يتحارب إلا على عليه  
السلام وحده ، فإنه اعتصم ببيت فاطمة عليها السلام ، فتعاطوا إخراجهم منه قسْرًا ، وقامت  
فاطمة عليها السلام إلى باب البيت فاستمعت من وراء بابه ، ففرقوا وعلوا أنه مفرد  
لا يضر شيئًا ، فتركوه .

وقيل : إنهم أخرجوه فمِن أخرج وحل إلى أبي بكر فبايعه . وقد روى أبو جعفر  
محمد بن جرير الطبري كثيرا من هذا <sup>(١)</sup>

فأما حديث التَّحْرِيقِ وما جرى مجراه من الأمور الفظيعة ، وقول مَنْ قال إنهم أخذوا  
عليًا عليه السلام يُقَادُ بِصِامَتِهِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ ؛ فَأَمْرٌ بَعِيدٌ ، وَالشَّيْءُ تَفَرُّدُهُ ، عَلَى أَنْ جَمَاعَةً  
مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ قَدْ رَوَوْا نَحْوَهُ ، وَسَنَدُ ذَلِكَ .

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٢٠٣ وما بعدها .



وقال أبو جعفر : إن الأنصار لما قاتلها ما طلبت من الخلافة ، قالت - أو قال بعضها : لا نبايع إلا عليا . وذكر نحو هذا علي بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الموصلي في تاريخه <sup>(١)</sup> .

فأما قوله : « لم يكن لي معين إلا أهل بيتي فصننتهم عن اللوث » فقول ما زال علي عليه السلام يقوله ، ولقد قاله عقيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : لَوْ وَجَدْتُ أَرْبَعِينَ ذَوِي عِزٍّ !

ذكر ذلك نصر بن مزاحم في كتاب " صنف " ، وذكره كثير من أرباب السيرة .

وأما الذي يقوله جمهور المحدثين وأعيانهم ، فإنه عليه السلام امتنع من البيعة ستة أشهر ، ولزم بيته ، فلم يبايع حتى ماتت فاطمة عليها السلام ، فلما ماتت بايع طوعاً . وفي صحيح مسلم والبخاري : كانت وجوه الناس إليه وفاطمة باقية بدم ، فلما ماتت فاطمة عليها السلام انصرفت وجوه الناس عنه ، وخرج من بيته فبايع أبا بكر ، وكانت مدة بقائها سد أيها عليه الصلاة والسلام ستة أشهر <sup>(٢)</sup> .

وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في التاريخ ، <sup>(٣)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : قال لي عبد الرحمن بن عوف ، وقد حججنا مع عمر <sup>(٤)</sup> : شهدت اليوم أمير المؤمنين عليه السلام يمضي ، وقال له رجل <sup>(٥)</sup> : إني سمعتُ فلانا يقول : لو قد مات عمر لبايعت فلانا ، فقال عمر <sup>(٥)</sup> : إني لقائم العشي في الناس أحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن

(١) الكامل ٢ : ٢٢٠ وما بعدها .

(٢) صحيح البخاري بسنده عن عائشة في كتابه المغزى ، وصحيح مسلم بسنده أيضا عن عائشة ، في كتاب الجهاد والسير .

(٣-٣) صدر الخبر في الطبري : « عن ابن عباس ، قال : كنت أقرى مد الرحمن بن عوف ، قال : لحج عمر وحججنا معه ، قال : فإني لم أزل يميني إلى مد الرحمن بن عوف فقال : شهدت » .

(٤) الطبري : « وطم إليه رجل فقال » . (٥) الطبري : « فقال أمير المؤمنين » .

يفتصبوا الناس أمرهم . قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن اللوسم يجمع رطاع الناس وغوثهم ،<sup>(١)</sup> وهم الذين يقربون من مجلسك ويملكون عليه ، وأخاف أن تقول مقالة لا يعمونها ، ولا يحفظونها فيطبروا بها<sup>(٢)</sup> ، ولسكن أهل حتى تقدم المدينة<sup>(٣)</sup> وتخلص بأصحاب رسول الله ، فتقول [ ما قلت متمكنا ]<sup>(٤)</sup> ، فيمموها<sup>(٥)</sup> مقاتلك فقال : والله لأقومن بها أول مقام أفومته بالمدينة .

قال ابن عباس :<sup>(٦)</sup> فلما قدمناها ، صهرت يوم الجمعة لحديث<sup>(٧)</sup> عبد الرحمن ، فلما جلس<sup>(٨)</sup> صهر على النبي محمد الله وأثنى عليه ثم قال<sup>(٩)</sup> بعد أن ذكر الرجم وحد الزنا : إياه تعلمني أن قاتلا منكم يقول : لو مات أمير المؤمنين بايت فلا ، فلا يفر من امرأ أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت فلتة ، فلقد كانت كذلك ؛ ولكن<sup>(١٠)</sup> الله وق شرها ، وليس فيكم من تقطع إليه الأعتاق كأبي بكر ، وإنه كان من ختمنا حين توفي رسول الله صلى الله عليه . أن عليا والزبير تخلفا عنا في بيت فاطمة ومن معها ، وتخلقت عند الأنصار ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت له : انطلق بنا إلى أخواننا من الأنصار فاطلقنا نعوهم ، فليصار حلالا صالحان من الأنصار قد شهدا بدرا : أحدهما عويم بن ساعدة ، والثاني مثن بن عدي ، فقالا لنا : ارجعوا فاقضوا أمركم بينكم<sup>(١١)</sup> ؛ فأبينا الأنصار ، وهم محتمون في سقيفة

(١-١) عبارة الطبري : « ولهم الذين يملكون مجلسك ، وإن لحاقك إن كنت اليوم . قاله ألا يصودوا ولا يحفظوها ، ولا يضموها على مواضعها ، وأن يطبروا بها كل مطبر » .

(٢) الطبري : « دار الهجرة والسنة » . (٣) نسكة من تاريخ الطبري .

(٤) الطبري : « يعموا » .

(٥-٥) الطبري : « فلما قدمنا المدينة وعاء يوم الجمعة صهرت لحديث النبي حديثه عبد الرحمن فوجدت سعيد بن زيد قد سبق بالتهجير ، خلست » .

(٦-٦) عبارة الطبري : « فوجدت سعيد بن زيد قد سبق بالتهجير ، خلست إلى جنبه عبد الله ، ركني إلى ركبته ، فلما رالت الشمس لم يلبث صرأن حرج ، فقلت لسعيد وهو مقبل : ليقل أمير المؤمنين اليوم على هذا النحر مائة ثم تقل قلبه ، فصوب وقال : ماى ، فقلت يقول لم تقل قلبه ! فلما جلس عمر على المنبر أحد للؤذون ، فلما قضى المؤذن أدائه قام عمر ، حمد الله وأثنى عليه وقال . . . »

(٧) الطبري : « غير أن » .

(٨) بعدما في الطبري : « فلما وافقه لنا بينهم » .

بنى ساعدة، وبين أظهرهم رجل مُزَمِّل، قلت : من هذا ؟ <sup>(١)</sup> قالوا: سعد بن عبادة وجَّع .  
قام رجل منهم ، فحمد الله وأثنى عليه، فقال : أما بعدُ ، فنحن الأنصار ، وكتيبة الإسلام  
وأنتم يامعشر قريش رهطُ نبينا ، قد دفت إلينا دافة من قومكم <sup>(٢)</sup> ، فإذا أنتم تريدون  
أن نغصبونا الأمر .

فلما سكث ، <sup>(٣)</sup> وكنت قد روّرت في نفسي مقالة أقولها بين يدي أبي بكر ،  
فلما ذهبت أنسكلم ، قال أبو بكر : عَلَى رِسْلِكَ ! قام حميد الله وأثنى عليه ، فمات ترك شينا  
كنت روّرت <sup>(٤)</sup> في نفسي ألا جاء به أو بأحسن منه ، وقال : يامعشر الأنصار ،  
إنكم لا تذكرون فضلا إلّا وأنتم له أهل ، وإنّ العرب لا تعرف هذا الأمر  
إلا قريش ، أوسط العرب داراً ونسباً ، وقد رَضِيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين  
— وأخذ يدي ويد أي عبدة <sup>(٥)</sup> بن الجراح — والله ما كرهتُ من كلامه غيرها ؛  
إن كنتُ لأقدم فخصربُ عني فيما لا يخريني إلى إني ؛ أحب إليّ من أن أوثر على قوم  
فيهم أبو بكر .

فلما قضى أبو بكر كلامه ، قامَ رجل <sup>(٦)</sup> من الأنصار ، فقال : أنا جَذَبْتُهَا الحَكَاكَ ،  
وعَذَّبْتُهَا الرَجَبَ <sup>(٧)</sup> ؛ متا أمير ومنكم أمير .

(١-١) عبارة الطبري : قلت : من شأنه ؟ هرا : وجع .

(٢) الدافة : الجماعة من الناس تطلق من بلد إلى بلد .

(٣-٣) الطبري : هـ قال : ظاهراً إنهم يريدون أن يخلعوا من أصلنا ويغصبونا الأمر ، وقد كنت  
زورت في نفسي مقالة أقسمها بين يدي أبي بكر .

(٤) زورت في نفسي كلاماً ، أي حيايت وأصغيت ، والنزوير : إسلاح الشيء .

(٥) هو الجذاب بن النضر الخزرجي ، ذكره الذهبي في المقاتل ١ : ١٨١ ، وأورد كلامه .

(٦) الجذيل في الأصل : تصغير الجذل ؛ وهو عود يصب للابل الجرب تستشفى بالاحتكاك به . والحقك :  
التي كثر به الاحتكاك حتى صار ممسكاً . والسديق : تصغير السديق ، وهو التخلع . والرجب : اللدوم  
والرجة ؛ وهي خشة ذات شدة بين ؛ وذلك لأن كثر وطال حله ؛ والمعنى أي فو رأيت بشي بالاستضاء به  
كثيراً في مثل هذه الحادثة ، وأنا في كثرة التجارب والنظم بمراد الأحوال فيها وفي أمثالها ومصادرها  
كالنخلة الكثيرة الحل . الثاني ١ : ١٨١ ، ١٨٢ .

وارتفعت الأصوات والألفاظ ، فلما خيفت الاختلاف ، قلت لأبي بكر : ابسط يدك أبايكم ، فبسط يده فبايسته وبايحه الناس ، ثم نزلنا على سعد بن عبادته ، فقال قائلهم : قتلتم سعدا ! قلت : اقلوه قتله الله ، وإنا والله ما وجدنا أمرا هو أقوى من بيعة أبي بكر ، خشيت إن فارقت القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة ، فإما أن نبايهم على مالا نرضى ، أو نخالفهم فيكون فساد .

هذا حديث متفق عليه من أهل السيرة ، وقد وردت الروايات فيه بزيادات ؛ روى للدائني قال : لما أخذ أبو بكر بيد عمر وأبي عبيدة وقال للناس : قد رضيت لكم أحدا هذين الرجلين ، قال أبو عبيدة لعمر : امدد يدك نبايكم ، قال عمر : مالك في الإسلام فية<sup>(١)</sup> غيرها . أتقول هذا وأبو بكر حاضر<sup>(٢)</sup> ثم قال للناس : أبتكم يطيب نفسا أن يتقدم قديمتين قدمهما رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ رضيت رسول الله صلى الله عليه وآله لدينا ، أولا نرضاك لدينا اثم مد يدك إلى أبي بكر فبايحه .

وهذه الرواية هي التي ذكرها قاضي القضاة رحمه الله تعالى في كتاب " المغني " . وقال الواقدي في روايته في حكاية كلام عمر : والله لأن أقدم فأعمر كما ينشعر البعور ، أحب إلى من أن أقدم على أبي بكر .

وقال شيخنا أبو القاسم الباقلي : قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ : إن الرجل الذي قال : لو قد مات عمر لبايت فلانا ، عمار بن ياسر ، قال : لو قد مات عمر لبايت عليا عليه السلام فهذا القول هو الذي هاج عمر أن خطب بما خطب به .

وقال غيره من أهل الحديث : إنما كان المزوم على بيعة لو مات عمر ، طلحة

ابن عبيد الله

(١) الفية : المقطة والمجبة ونحوها .

(٢) في رواية الناس - له - : « أناهي وليك الصديق ثاني اثنين » .

فأما حديث الفلّة ، فقد كان سبق من عمر أن قال : إنّ بيعة أبي بكر كانت فلّة وقى الله شرّها ؛ فمن عاد إلى مثلها فاقبوه .

وهذا الخبر الذي ذكرناه عن ابن عباس وعبد الرحمن بن عوف فيه حديث الفلّة ؛ ولكنه مسوق على ما ظله أولاً ، ألا تراه يقول : فلا يبرّ امرأ أن يقول : إنّ بيعة أبي بكر كانت فلّة ، فلقد كانت كذلك ، فهذا يُشعر بأنه قد كان قال من قبل : إنّ بيعة أبي بكر كانت فلّة .

وقد أكثر الناس في حديث الفلّة ؛ وذكرها شيوخنا المتكلمون ، فقال شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى : الفلّة ليست الرّبة والخطيئة ، بل هي البيعة ، وما وقع غشاة من غير روبة ولا مشاورة ، واستشهد بقول الشاعر

مَنْ يَأْمُرُ الْخَدَّائِ بِجَسَدِ صَيِّرَةِ الْقَرْشِيِّ مَاتَ<sup>(١)</sup>  
سَبَقَتْ مَبِيتُهُ الْمَشِيبَ كَانَ مَبِيتُهُ أَفْئِلَاتَا  
يعنى بيعة .

وقال شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى : ذكر الربايش أن العرب تسمّى آخر يوم من شوال فلّة ، من حيث إنّ كلّ مَنْ لم يُدرِك ثأره فيه فاته ؛ لأنهم كانوا إذا دخلوا في الأشهر الحُرُم لا يطلبون الثأر ، ودوا القعدة من الأشهر الحُرُم ، فسمّوا ذلك اليوم فلّة ، لأنهم إذا أدركوا فيه ثأرم ، قد أدركوا ما كان يفونهم . فأراد صرّ أن بيعة أبي بكر تداركها بعد أن كادت تفوت .

وقوله : « وقى الله شرّها » دليل على تصويب البيعة ، لأن للراد بذلك أن الله تعالى دفع شرّ الاختلاف فيها .

فأما قوله : « فن عاد إلى مثلها فاقنوه » : فالمراد من عاد إلى أن يُبأيع من غير مُشاوره ولا عدد يُثبت صحة البيعة به ، ولا ضرورة داعية إلى البيعة ، ثم بسط يده على المسلمين يدخلهم في البيعة قهراً ، فاقنوه <sup>(١)</sup> .

قال قاضي القضاة رحمه الله تعالى : وهل بشك أحدٌ في تعظيم عمر لأبي بكر وطاعته إياه أو معلوم ضرورة من حالٍ عمر إعظامه ، والقول بإمامته والرضا بالبيعة والثناء عليه ، فكيف يجوز أن يترك ما يُعلم ضرورة لقولٍ محتمل ذى وجوه وتأويلات ، وكيف يجوز أن تحمل هذه اللفظة من عمر على الدم والتخبط وسوء القول ؟

واعلم أن هذه اللفظة من عمر مناسبة لفظات كثيرة كان يقولها بمقتضى ما جبهه الله تعالى عليه من غلظ الطينة وجفاء الطبيعة ، ولا حيلة فيها ؛ لأنه مجبولٌ عليها لا يستطيع تغييرها ، ولا ريب عندما أنه كان يتعامل أن يتلف ، وأن يخرج الفاظه خارج حنة لطيفة ، فينزع به الطبع الجاسى ، والمريرة الخليفة ، إلى أمثال هذه اللفظات ، ولا يقصد بها سوء ، ولا يريد بها ذمًا ولا مخطة ، كالأقلام من قبل في اللفظة <sup>(٢)</sup> التي قلها في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكاللفظات <sup>(٣)</sup> التي قلها عام الحديبية وغير ذلك ، والله تعالى لا يجازى المكلف إلا بما نواه ، ولقد كانت نيته من أطهر النيات وأخلصها لله سبحانه وللمسلمين . ومن أنصف علم أن هذا الكلام حق ، وأنه يُبنى عن تأويل شيخنا أبي علي .

ونحن من بسد ذكر ما قلناه للرئى رحمه الله تعالى في كتاب " الشافى " <sup>(٤)</sup> لما تكلم في هذا الوضع ، قال : أما ما ادعى من العلم الضرورى برضا عمر ببيعة أبي بكر وإمامته ، فالمعلوم ضرورة بلا شبهة أنه كان راضياً بإمامته ، وليس كل من رضى شيئاً

(١) قاله للرئى في الشافى ٢٤١ . (٢) الجزء الأول ص ١٦١ .

(٣) انظر سيرة ابن هشام ٣ : ٣٦٥ .

(٤) كتاب الشافى في الإمامة والنس على كتاب اللقى لفتاحى عبد الجبار ، وقد احتصره أبو جبر محمد ابن الحسن الطوطى فى الحولى سنة ٤٦٠ ، وطبع الكتاب والمختصر فى الحزم سنة ١٣٠١ فى جزأين .

كان متدينًا به ، معتقدًا لصوابه ؛ فإن كثيرًا من الناس يرضون بأشياء من حيث كانت دافعة لما هو أضر منها ؛ وإن كانوا لا يرونها صوابًا ، ولو ملكوا الاختيار لاختاروا غيرها ، وقد علمنا أن معاوية كان راضيًا ببيعة يزيد وولايته <sup>(١)</sup> العهد لمن بعده ، ولم يكن متدينًا بذلك ومعتقدًا صحته ، وإنما رضى عمر ببيعة أبي بكر ، من حيث كانت حاجرة عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام ، ولو ملك الاختيار لكان يصير الأمر إليه <sup>(٢)</sup> أسر في نفسه ، وأقر لبيته . وإن ادعى أن للعلم ضرورة تدفن عمر بإمامة أبي بكر ، وأنه أولى بالإمامة منه ، فهذا مدفوع أشد دفع ، مع أنه قد كان يبدر من عمر <sup>(٣)</sup> في وقت بعد آخر ما يدل على ما أوردناه . روى المهيم <sup>(٤)</sup> بن عدي عن عبد الله بن عباس الهذلي <sup>(٥)</sup> عن سعيد بن جبير ، قال : ذكر أبو بكر وعمر عند عبد الله بن عمر ، فقال رجل : كانا والله شمس هذه الأمة ونور ربها ، فقال ابن عمر : وما يذكرك ؟ قال الرجل : أو ليس قد اتلعا ؟ قال ابن عمر : بل اختلفا لو كنتم تعلمون ! أشهد أنني كنت عند أبي يومًا ، وقد أمرني أن أحبس الناس عنه ، فاستأذن عليه عبد الرحمن بن أبي بكر فقال عمر : دويبة سوء ، وهو خير من أبيه ، فأوحش ذلك منه ، فقلت : يا أبت ، عبد الرحمن خير من أبيه ! فقال : ومن ليس بخير من أبيه لا أم لك ! ائذن لعبد الرحمن ، فدخل عليه فكلّمه في الخطيئة الشاعر أن يرضى عنه . وقد كان عمر حبسه في شمر قاله . فقال عمر : إن في الخطيئة أوثانًا <sup>(٦)</sup> فدعني أقوم به طول حبسه ، فألح عليه عبد الرحمن وأبى عمر ،

(١) الثاقب : د ولأجله . (٢) الثاقب : د آخر .

(٣) الثاقب : د منه . أعتق عمر .

(٤) هو المهيم بن عدي الطائي النجدي الكوفي ؛ كان أجازيًا روى عن هشام بن عروة وعبد الله بن عباس ومجاهد ؛ قال ابن عدي : إنما هو صاحب أخبار . وقال ابن اللبكي : هو أوثق من الواقدي ولا أرضاه في شيء . وقال النسائي : متروك الحديث . وقال أبو إسحاق : يوجد في حديثه لكثير . تولى سنة ٢٠٦ - لسان الميزان ٤ : ٢١٠ .

(٥) في الأصول والثاقب : د عباس ، تصحيف ؛ وهو عبد الله بن عباس بن عبد الله الهذلي الكوفي ؛ كان راوية للأخبار والآداب ؛ وقع في أخذه لكثير . مات سنة ١٥٨ ، لسان الميزان ٣ : ٣٢٢ .

(٦) الثاقب : د إن الخطيئة لبني .



نفرج عبد الرحمن ، فأقبل على أبي وقال : أفي غفلة أنت إلى يومك هذا صممتا كان من تقدم  
أحيق بنى تيم على وظلمه لي ! قلت : لا علم لي بما كان من ذلك ، قال : يا بني  
فما عسيت أن تعلم ؟ قلت : والله لتهو أحب إلى الناس من ضياء أبصارهم ، قال : إن ذلك  
لكذلك على رغم أيك وسخطه ، قلت : يا أبت ، أفلا تجل عن فعله <sup>(١)</sup> بموقف في الناس  
تبين ذلك لهم ؟ قال : وكيف لي بذلك مع ما ذكرت أنه أحب إلى الناس من ضياء  
أبصارهم ! إذن يرضخ <sup>(٢)</sup> رأس أيك بالجدل . قال ابن عمر : ثم تجاسروا الله تجسر ،  
فما دارت الجملة حتى قام خطيباً في الناس ، فقال : أيها الناس ؛ إن بيعة أبي بكر كانت  
قلعة وفي الله شرها ، فمن دعاكم إلى مثلها فاقبلوه .

وروى المهيم بن عدي ، عن مجاهد <sup>(٣)</sup> بن سعيد ، قال : غدوت يوماً إلى الشعبي وأنا أريد  
أن أسأله عن شيء يلحق من ابن مسعود أنه كان يقول ، فأبته وهو في مسجد حبه  
وفي المسجد قوم ينتظرونه ، نفرج فصرقت إليه ، وقلت : أصلمك الله ! كان ابن مسعود  
يقول : ما كنت محدثاً قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة ، قال : نعم ،  
كان ابن مسعود يقول ذلك ، وكان ابن عباس يقوله أيضاً . وكان عند ابن عباس دقان علم  
يسطها أهلها ، ويصر فيها عن غيرهم . فبينما نحن كذلك إذ أقبل رجل من الأزد ، فجلس إلينا ،  
فأخذنا في ذكر أبي بكر وعمر ، فضحك الشعبي وقال : لقد كان في صدر عمر ضيب <sup>(٤)</sup>  
على أبي بكر ، فقال الأزدى : والله ما رأينا ولا سمعنا برجل قط كان أسلس قياداً لرجل ،

(١) الثاني : « أفلا تحكي من فعله » . (٢) الرشح : كسر الرأس بالحجر .

(٣) هو مجاهد بن سعيد بن صبر الهذلي البكرمي . قال البخاري : كان يحيى بن سعيد يصفه ، وكان ابن  
مهدي لا يروى عنه ، وكان أحمد بن حنبل لا يراه شيئاً . وقال ابن منبج : صيف وأعي الحديث . مات  
سنة ١١١ . تهذيب التهذيب ١٠ : ٢٩ .

(٤) الضيب : الحقد والبداوة ؛ وجه ضاب ؛ قال الشاعر :

فَمَا زَالَتْ رُقَاكَ تُكَلِّ ضَيْفِي وَتُخْرِجُ مِنْ مَكَامِنِهَا ضِيَابِي

ولا أقول فيه بالجبل من عمر في أبي بكر ، فاقبل على الشعبي وقال : هذا مما سألت عنه ، ثم أقبل على الرجل وقال : يا أخا الأزد ، فكيف تصنع بالفلانة التي وقي الله شرها ، أترى عدوا يقول في عدو يريد أن يهدم ما بنى لنفسه في الناس أكثر من قول عمر في أبي بكر ؟ فقال الرجل : سبحان الله ! أنت تقول ذلك يا أبا عمرو ؟ فقال الشعبي : أما أقوله ، قاله عمر ابن الخطاب على رموس الأشهاد ، فثمة أو دغ . فهذه الرجل منضبا وهو يهتهم في الكلام بشيء لم أفهمه . قال مجاهد : قتل الشعبي . ما أحسب هذا الرجل إلا سينقل منك هذا الكلام إلى الناس ويثبت فيه . قال : إذن والله لا أحمل به ، وشيء لم يحفل به عمر حين قام على رموس الأشهاد من المهاجرين والأنصار أحفل به أنا ؟ أذهبوا ثم عني أيضا ما بدا لكم .

وزيد شريك بن عبد الله النخعي (١) عن محمد بن عمرو بن مرة عن أبيه ، عن عبد الله ابن سلمة ، عن أبي موسى الأشعري ، قال : سمعت مع عمر ، لما زلنا وعظم الناس خرجت من رسل أريده ، فلقيني المنيرة بن شعبة ، فراقني ، ثم قال : أين تريد ؟ قلت : أمير المؤمنين ، فهل لك ؟ قال : نعم ، فاطلقتنا نريد رسل عمر ، فإنا آتني طريقنا إذ ذكرنا نولت عمر وقبائه بما هو فيه ، وحياطته على الإسلام ، ونهوضه بما قبله من ذلك ، ثم خرجنا إلى ذكر أبي بكر ، فقلت للميرة : يالك الخير ! لقد كان أبو بكر مسددا في عمر ، لسكاته ينظر إلى قيامه من بعده ، وجده واجتهاده وغناؤه في الإسلام ، فقال المنيرة : لقد كان ذلك ، وإن كان قوم كرهوا ولاية عمر ليزورها عنه ، وما كان لهم في ذلك من حظ ، قلت له : لا أبالك أو من القوم الذين كرهوا ذلك امر ؟ فقال للمنيرة : لله أنت ! كأنك

(١) هو شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي أبو عبد الله الكوفي ؟ قال ابن معين : شريك صدوق ثقة ؟ إلا أنه إذا خالف غيره أحب إلينا منه . وقال ابن المبارك : شريك أعلم بمحدث الكوفيين من الثوري . وقال الجوزجاني : شريك سيء الخط مضطرب الحديث مائل . مات سنة ١٧٧ . تهذيب التهذيب : ٤ : ٣٣٥ .

لا تعرف هذا الحى من قريش وما خصوا به من الحمد افوا لله لو كان هذا الحمد يدرك بحساب لكان لقريش تسعة أعشاره وللباس كلهم عشر ، قلت : مه يا مغيرة ! فإن قريشا قالت بفضائلها على الناس . فلم نزل في مثل ذلك حتى انتهينا إلى رجل عمر قلم نجده ، فسألنا عنه فقيل : قد خرج آفا ، فضينا تقفو أثره حتى دخلنا المسجد ، فإذا عمر بطوف بالبيت ، فطعننا معه ، فلما فرغ دخل بينى وبين المغيرة ، فتوكأ على المغيرة وقال : من أين جئتما ؟ قلنا : خرجنا يريدك يا أمير المؤمنين ، فأتينا رجلك فقيل لنا : خرج إلى المسجد ، فاتبعناك . فقال : اتبعكما الخير ، ثم نظر للمغيرة إلى وتبسم ، فرمقه عمر ، فقال : من تبسمت أيها العبد ! فقال : من حديث كنت أنا وأبو موسى فيه آفاي طريقنا إليك ، قال : وما ذاك الحديث ؟ فتصصا عليه الخبر حتى بلغنا ذكر حشد قريش ، وذكر من أراد صرف أبي بكر عن استخلاف عمر ، فتشتم المشركاء ثم قال : شككت أمك يا مغيرة ! وماتسعة أعشار الحمد ! بل وأربعة عشر العشر ، وفي الناس كلهم عشر العشر ، بل وقريش شركاؤهم أيضا فيه ! وسكت مليا وهو يتهادى بيننا ، ثم قال : ألا أخبركما بأحشد قريش كلها ؟ قلنا : بلى يا أمير المؤمنين ، قال : وعليكما ثيابكما ؟ قلنا : نعم ، قال : وكيف بذلك وأنتا ملبسان ثيابكما ؟ قلنا يا أمير المؤمنين ، وما بال الثياب ! قل : خوف الإذاعة منها ، قلنا له : أنخاف الإذاعة من الثياب أنت ، وأنت من ملابس الثياب أخوف ! وما الثياب أردت ! قال : هو ذلك ، ثم انطلق وانطلقا معه حتى انتهينا إلى رجله ، فغلى أيدينا من يده ، ثم قال : لا تريما ، ودخل ، قلت للمغيرة : لا أهلك ! لقد هزنا<sup>(١)</sup> بكلامنا معه ، وما كنا فيه ، وما نراه حبسنا إلا لئلا نذكرنا إياها ، قال : فإننا لكذلك إذا خرج إذنه إلينا ، فقال : ادخلا ، فدخلنا فوجدناه مستلقيا على بردعة برجله ، فلما رأنا تمثل بقول كعب بن زهير :

لَا تُقْسِرْ سِرَّكَ إِلَّا عِنْدَ ذِي ثِقَةٍ      أَوْ لَى وَأَفْضَلُ مَا اسْتَوْدَعْتَ أَسْرَارًا<sup>(٢)</sup>

(١) كذا في الغللي وهو الصواب ، وفي الأصول : « أربا » .

(٢) ملحق ديوانه ٢٥٧ ، وغرر الخصال ١٨١ .

صدراً رحيماً وقلباً واسعاً قبيحاً ألا تخاف متى أودعت إظهاراً  
 فعلنا أنه يريد أن نضمن له كتمان حديثه ، فقلت أنا له : يا أمير المؤمنين ، الزمنا وخصنا  
 وصيبتنا ، قال : بماذا يا أخا الأشعرين <sup>(١)</sup> ؟ قلت : بإفشاء سرك وأن تشر كناناً همتك لغم  
 المستشاران نحن لك ! قال : إنكما كذلك ، فاسألا عما بدا لكما ، ثم قام إلى الباب ليعلقه ،  
 فإذا الأذن الذي أذن لنا عليه في الحجرة ، فقال : امض معنا لا أم لك ! فخرج وأغلق الباب  
 خلفه ، ثم أقبل علينا ، فجلس معنا ، وقال : سلاً تخبراً ، قلنا : نريد أن نخبرنا أمير المؤمنين  
 بأحد قريش ، الذي لم يأمن ثيابنا على ذكره لنا ، فقال : سألتها عن متعة ؛ وسأخبرك ما يمكن  
 عندك في ذمة منية وحرز ما بقيت ! فإذا ميت فثأركا وما شئت من إظهار أو كتمان .  
 قلنا : فإن لك عندنا ذلك . قال أبو موسى : وأنا أقول في نفسي : ما يريد إلا الذين كرهوا  
 استخلاف أبي بكر له كطلحة وغيره ، فلهم قالوا أبي بكر : أنت خلف علينا فظاً غليظاً !  
 وإذا هو يذهب إلى غير ما في نفسي ، فنادى إلى النفس ، ثم قال : من ترأته ؟ قلنا : والله  
 ما ندري إلا ظناً ! قال : ومن تظنون ؟ قلنا : عساك تريد القوم الذين أرادوا أبا بكر على  
 صرف هذا الأمر منك ! قال : كلا والله ! بل كان أبو بكر أعق ، وهو الذي سألتها عنه ،  
 كان والله أحسد قريش كلها . ثم أطرقت أبواباً ، فنظر للنيرة إلى ونظرت إليه ، وأطرقتنا ملياً  
 لإطراقه ، وطال السكوت منا ومنه ، حتى ظننا أنه قد نديم على ما بدا منه . ثم قال : والحقاء  
 على ضئيل بنى تيم بن مرة ! لقد تقدمتني ظالمًا ، وخرج إلى منها آتياً ، فقال المغيرة :  
 أما تقدمه عليك يا أمير المؤمنين ظالمًا فقد عرفناه ، كيف خرج إليك منها آتياً ؟ قال : ذلك  
 لأنه لم يخرج إلى منها إلا بعد يأس منها ، أما والله لو كنت أعلمت يزيد بن الخطاب  
 وأصحابه لم يتلظظ من حلاوتها بشيء أبداً ، ولسكني قدمت وأخرت ، وصمدت وصوبت ،  
 ونقصت وأبرمت ، فلم أجداً إلا الإغضاء على ما نسب به منها ، والتلف على نفسي ، وأملت  
 إنابته ورجوعه ، فوالله ما فعل حتى نمر <sup>(٢)</sup> بها تشماً .

(١) في اللسان : « تقول العرب : جاء بك الأشعرون ، يحد ياء السب » . (٢) نمر : أي ابتلاء .

قال للغيرة : فما منعك منها يا أمير المؤمنين ، وقد عرضك لها يوم السقيفة بدعائك إليها ! ثم أنت الآن تنقم وتعاتف . قال : ثكلتك أمك يا مغيرة ! إني كنت لأحذر<sup>(١)</sup> من دهاء العرب ، كأنك كنت غائبا عما هناك ! إن الرجل ما كفى ما كثرته ، والفاني أحذر من قطاة ؛ إنه لما رأى شغف الناس به ، وإقبالهم بوجوههم عليه ، أبغض أنهم لا يربدون به بدلا ، فأحب لي ما رأى من حرص الناس عليه ، وميلهم إليه أن يعلم ما عندي ، وهل تنازعي نفسي إليها ؟ وأحب أن يبتلى بإطاعتي فيها ، والتمريض لي بها ، وقد علم وعلت لو قبلت ما عرضني علي ، لم يحب الناس إلى ذلك ، فألغاني قائما على إخصي مستوفزا حذرا ، ولو أجبته إلى قبولها لم يسلم الناس إلى ذلك ، واختبأها ضيعا علي في قلب ، ولم آمن غائلة ولو بعد حين ؛ مع ما بدا لي من كراهة الناس لي ؛ أما سمعت نداءهم من كل ناحية عند عرضها علي : لا نريد سواك يا أبا بكر ، أنت لها افرودتها إليهم عند ذلك ؛ فلقد رأيت التمع وجهه لذلك سرورا . ولقد عاتبني مرة علي كلام بلته مني ، وذلك لما قديم عليه بالأشعث أسورا ، فن عليه وأطلقه ، وزوجه أخته أم قرة ، فقلت للأشعث وهو قاعد بين يديه : يا عدو الله ، أكفرت بعد إسلامك ، وارتددت ناكما على صفيك ! فنظر إلي نظرا علمت أنه يريد أن يكلمني بكلام في نفسه ، ثم لقيني بعد ذلك في سبيلك للديعة ، فقال لي : أنت صاحب الكلام بإبر ، الخطاب ؟ قلت : نعم يا عدو الله ؛ ولك عندي شر من ذلك ، فقال : بئس الجزاء هذا لي منك ! قلت : وعلام تريد مني حسن الجزاء ؟ قال : لأنفقت لك من اتباع هذا الرجل ، والله ما جرأني على الخلاف عليه إلا تهنئه عليك ، وتخلفك عنها ، ولو كنت صاحبها لما رأيت مني خلافا عليك . قلت : لقد كان ذلك ، فما تأمر الآن ؟ قال : إنه ليس بوقت أمر بل وقت صبر ، ومضي ومضيت . ولقي الأشعث الزبير بن بدر فذكر له ماجري بيني وبينه ، فقتل ذلك إلى أبي بكر ؛ فأرسل إلى بستان مؤلم ، فأرسلت إليه : أما والله

لَتُسَكِّنَنَّ أَوْ لَا قَوْلُنَّ كَلِمَةً بِالْمَةِ بِي وَبِكَ فِي النَّاسِ، تَحْمِلُهَا الرِّكْبَانِ حَيْثُ سَارُوا، وَإِنْ شَتَّتْ  
 اسْتَدَمْنَا مَا نَحْنُ فِيهِ عَفْوًا، فَقَالَ: بَلْ نَسْتَدِيمُهُ، وَإِنَّمَا لَصَانَةٌ إِلَيْكَ بَعْدَ أَيَّامٍ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ  
 لَا يَأْتِي عَلَيْهِ جَمْعَةٌ حَتَّى يَرُدَّهَا عَلَيَّ، فَتَنَافَلُ، وَاللَّهِ مَاذَا كَرِهِي بَعْدَ ذَلِكَ حَرْفًا حَتَّى هَلَكَ.  
 وَقَدْ مَدَّ فِي أَمَدِهَا عَاضًا عَلَى بَوَاحِشِهِ حَتَّى حَصَرَهُ الْمَوْتُ، وَأَيْسَ مِنْهَا فَكَانَ مِنْهُ مَا رَأَيْنَا،  
 فَكُنَّا مَاقِلَتٌ لَكُمْ عَنِ النَّاسِ كَافَّةً وَعَنْ بَنِي هَاشِمٍ خَاصَّةً، وَلَيْسَ كُنْ مِنْكُمْ بِمِثْلِ أَمْرِكُمْ.  
 قَوْمًا إِذَا شَتَّتْنَا عَلَى مِرْكَةِ اللَّهِ فَقَمْنَا وَنَحْنُ نَعْبُجُ مِنْ قَوْلِهِ، فَوَاللَّهِ مَا أَفْشَيْنَا سِرَّهُ حَتَّى هَلَكَ<sup>(١)</sup>.  
 قَالَ الْمُرْتَضَى: وَإَيْسَ فِي طَعْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي بَكْرٍ مَا يُؤَدِّي إِلَى فُسَادِ خِلَافَتِهِ، إِذْ لَهُ أَنْ يُثَبِّتَ  
 إِمَامَةً نَفْسَهُ بِالْإِجْمَاعِ، لَا بَعْضَ أَيْ بَكْرٍ عَلَيْهِ. وَأَمَّا الْفِتْنَةُ قِيَّاسًا وَإِنْ كَانَتْ مُحْتَمِلَةً لِلْبُغْيَةِ كَمَا  
 قَالَ أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: إِلَّا أَنْ قَوْلَهُ: «وَقِيَّ اللَّهُ شَرَّهَا» يَحْصِيهَا بِأَنَّ مَحَرَجَهَا مَحَرَجُ الدِّمِ.  
 وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «فَمِنْ هَذَا إِلَى مِثْلِهَا فَاقْتُلُوهُ»، وَقَوْلُهُ: «الرَّادُ وَقِيَّ اللَّهُ شَرَّ الْاِخْتِلَافِ فِيهَا، عُدُولُ  
 عَنِ الظَّاهِرِ؛ لِأَنَّ الشَّرَّ فِي السَّكَلَامِ مُضَافٌ إِلَيْهَا دُونَ غَيْرِهَا. وَأَبْعَدُ مِنْ هَذَا التَّأْوِيلِ  
 قَوْلُهُ: «إِنْ لِلرَّادِ مَنْ» عَادَ إِلَى مِثْلِهَا مِنْ غَيْرِ صَرُورَةٍ وَأَكْرَهَةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهَا فَاقْتُلُوهُ؛ لِأَنَّ  
 مَا جَرَى هَذَا الْمَجْرَى لَا يَكُونُ مِثْلًا لَيْمَةً أَيْ بَكْرٍ عِنْدَهُمْ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مَا جَرَى فِيهَا عَلَى  
 مَذَاهِبِهِمْ؛ وَقَدْ كَانَ يَجِبُ عَلَى هَذَا أَنْ يَقُولَ: «فَمِنْ عَادَ إِلَى خِلَافَتِهَا فَاقْتُلُوهُ».

وَيْسَ لَهُ أَنْ يَقُولَ: «إِنَّمَا أَرَادَ بِالسَّكَلَامِ وَجْهًا وَاحِدًا، وَهُوَ وَقُوعُهَا مِنْ غَيْرِ مَشَاوَرَةٍ، لِأَنَّ ذَلِكَ  
 إِنَّمَا تَمَّ فِي أَبِي بَكْرٍ حَاصَةً بِظُهُورِ أَمْرِهِ وَاشْتِهَارِ فَصْلِهِ. وَلَئِنْ هُمْ نَادَوْا إِلَى الْعَقْدِ خَوْفًا مِنَ الْفِتْنَةِ؛  
 وَذَلِكَ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُنْكَرٍ أَنْ يَتَّفَقَ مِنْ ظُهُورِ فَضْلِ غَيْرِ أَبِي بَكْرٍ وَاشْتِهَارِ أَمْرِهِ وَخَوْفِ الْفِتْنَةِ  
 مَا اتَّفَقَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَلَا يَسْتَحِقُّ قَتْلًا وَلَا دَمًا؛ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ: «مِثْلُهَا» يَقْتَضِي وَقُوعَهَا عَلَى  
 الْوَجْهِ الَّذِي وَقَعَتْ عَلَيْهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ مَا وَقَعَ مِنْ غَيْرِ مَشَاوَرَةٍ لِضَرُورَةِ دَاعِيَةٍ وَأَسْبَابِ  
 مُوجِبَةٍ مِثْلًا لِمَا وَقَعَ بِهَا مَشَاوَرَةٍ، وَمِنْ غَيْرِ صَرُورَةٍ وَلَا أَسْبَابٍ! وَالَّذِي رَوَاهُ عَنْ أَهْلِ الْقِلْمَةِ

من أن آخر يوم من شوال يسمى قلعة من حيث إن من لم يدرك فيه النار فإنه قول لا صرفه ؛ والذي نعرفه أنهم يسمون الليلة التي ينتهي بها آخر الأشهر الحرم ويتم قلعة ، وهي آخر ليلة من ليالي الشهر ، لأنه ربما رأى أهلال قوم لتسع وعشرين ولم يبصره الباقون ، فيعبر هؤلاء على أولئك وهم غارون<sup>(١)</sup> ، فلهذا سُميت تلك الليلة قلعة ؛ على أننا قد بينا أن مجموع الكلام يقتضي ما ذكرناه من المعنى ، لو سلم له ما رواه عن أهل اللغة في احتمال هذه اللفظة .

قال : وقد ذكر صاحب كتاب " العين " أن القلعة الأمر الذي يقع على غير إحكام ، فقد صح أنها موصوعة في اللغة لهذا ، وإن جاز ألا تختص به ، بل تكون لفظة مشتركة .

وبعد ، ولو كان عمر لم يُرد بقوله توهين بيعة أبي بكر ؛ بل أراد ما ظنه المخالفون ، لكان ذلك عائداً عليه بالنقص ؛ لأنه وضع كلامه في غير موضعه ، وأراد شيئاً فعبّر عن خلافه ، فليس يخرج هذا الخبر من أن يكون طعناً على أبي بكر ؛ إلا بأن يكون طعناً على عمر<sup>(٢)</sup> .

• • •

واعلم أنه لا يبعد أن يقال : إن الرضا والسخط ، والحب والبغض ، وما شاكل ذلك ، من الأخلاق النفسانية وإن كانت أموراً باطنة ، فإنها قد تُعلم ويضطر الحاضرون إلى صيغتها قرآن أحوال تفيد العلم الضروري ؛ كما يُعلم خوف الخائف وسرور المبتهج . وقد يكون الإنسان عاشقاً لآخر فيعلم المخالطون له ضرورة أنه يعشقه ، لما يشاهدونه من قرآن الأحوال ، وكذلك يُعلم من قرآن أحوال العابد المتهجد في العبادة ، وضوم المواجر وملازمة الأوراد وسهر الليل ، أنه يتدين بذلك . فغير منكر أن يقول قاضي القضاة رحمه الله

(١) غارون : غائلون .

(٢) كتاب الشان ٢١٤ مع اختصار ونصرف .



تعالى : إنَّ المعلوم ضرورةً من حالٍ عمرٍ نمطٍ أبي بكرٍ ورضاه بخلافه وتدينه بذلك ،  
فالذي اعترضه رحمه الله تعالى به غيرُ واردٍ عليه .

وأما الأخبار التي رواها عن عمرٍ فـأخبارٌ غريبةٌ ؛ ما رأيناها في الكتب الموثقة ،  
وما وقفنا عليها إلا من كتاب المرتضى ، وكتاب آخر يعرف بكتاب " المسترشد " (١)  
لمحمد بن حرير الطبري - وليس هو محمد بن جرير صاحب " التاريخ " ، بل هو من  
رجال الشيعة - وأعلن أن أمه من بني جرير من مدينة آمل طبرستان ، وبني جرير الأمليون  
شيعة مستهترون بالشيع ، فسيب إلى أحواله ، وبطل على ذلك شعر مروي له وهو :

بأَمَلٍ مَوْلِيٍّ وَبَنُو جَرِيرٍ فَأُخْوَالِي ، وَيَحْكِي الرِّهْ خَالَهُ (٢)  
فَمَنْ يَكُ رَافِضِيًّا مِنْ أَبِيهِ فَإِنِّي رَافِضِيٌّ عَنْ كَلَالِهِ

وأنت تعلم حال الأخبار الغريبة التي لا توجد في الكتب الموثقة كيف هي ؟  
فأما إنكاره ما ذكره شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى من أن الفلانة هي آخر يوم من  
شوال ، وقوله : إنما لا يعرفه ؛ فليس الأمر كذلك بل هو تفسير صحيح ، ذكره الجوهري  
في كتاب " الصحاح " قال : الفلانة آخر ليلة من كل شهر ، ويقال - هي آخر يوم من  
الشهر الذي بعده الشهر الحرام (٣) . وهذا يدل على أن آخر يوم من شوال يسمى فلانة ،  
وكذلك آخر يوم من جمادى الآخرة ؛ وإنما التفسير الذي ذكره المرتضى غير معروف  
عند أهل الامة .

وأما ما ذكره من إفساد تحل الفلانة في الخبر على هذه الوجوه المتأولة فجيد ، إلا أن  
الإصناف أن عمر لم يخرج الكلام مخرج القدم لأمر أبي بكر ؛ وإنما أراد باللفظة محض  
حقيقتها في اللغة ، ذكر صاحب " الصحاح " أن الفلانة الأمر الذي يُعمل فجأة من

(١) كتاب المسترشد والإمامة ، ص ١٠١ والاسم : " المسترشد " وهو خطأ ، راجع النجاشي ٢٦٦

(٢) سبها باقوت و معجم الدان ( ١ : ٦٣ ) إلى أبي بكر المودودي ، وظن أنه قلها في حاله الطبري

المؤرخ ؛ وحققه محمد باقر ، وذكر أن الأمر اشتبه على باقوت . وانظر روضات الجنات ٢٧٣

(٣) الصحاح ١ : ٣٩٠

غير تردد ولا تدبر ؛ وهكذا كانت بيعة أبي بكر ؛ لأن الأمر لم يكن فيها شورى بين المسلمين ، وإنما وقعت بيعة لم تمتص فيها الآراء ، ولم يتناظر فيها الرجال ، وكانت كالشيء المستلب المنهَب ، وكان عمر يخاف أن يموت من غير وصية ، أو يُقتل قتلا فيبايع أحد من المسلمين ببيعة كبيعة أبي بكر ، فخطب عما حطب به ، وقال معتذراً : ألا إنه ليس فيكم من تقطع إليه الأعناق كالأبي بكر !

وأيضاً قول المرتضى : قد يتفق<sup>(١)</sup> من ظهور فضل غير أبي بكر وخوف الفتنة مثل ما اتفق لأبي بكر ، فلا يستحق القتل ، فإن لقائل أن يقول : إن عمر لم يخاطب بهذا إلا أهل عصره ، وكان هو رحمه الله يذهب إلى أنه ليس فيهم كأبي بكر ، ولا من يُحتمل له أن يبايع قلنة كما احتل ذلك لأبي بكر ؛ فإن اتفق أن يكون في عصر آخر بعد عصره من يظهر فصله ، ويكون في زمانه كأبي بكر في زمانه فهو غير داخل في نهى عمر وتحريمه .

واعلم أن الشيعة لم تسلم لعدم أن بيعة أبي بكر كانت قلنة ، قال محمد بن هاني المري :  
 هَانِي الْمَرْبِيُّ :

وَلَكِنْ أَمْرًا كَانَ أَيْمَ بِهِمْ      وَإِنْ قَالَ قَوْمٌ قَلَنَةً غَيْرَ مُبَرَّمٍ<sup>(٢)</sup>  
 وَقَالَ آخَرُ :

زَعَمُوا قَلَنَةً فَاجْتَنَبُوا      لَا وَرَبَّ الْبَيْتِ وَالرُّسُخَنِ الشَّيْءِ  
 لَأَنَّكَ كَانَتْ أُمُورًا سُبُحَتْ      بِهِمْ أَسْبَابُهَا تَسْجَعُ الْبُرُودُ

\*\*\*

وروى أبو جعفر أيضاً في<sup>(٣)</sup> التاريخ أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قبض اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة ، وأخرجوا سعد بن عباد ، ليولّوه الخلافة ، وكان

(١) ب : ه سبق ، تحريم صوابه من ج ولقاء . (٢) ديوانه ٦٨٩ (طبع المغرب) .

(٣) تاريخ الطبري ٣ : ٢١٨ وما بعدها مع احصار ونصرف .

مريضاً ، فخطبهم ودعاهم إلى إعطائه الرياسة والخلافة فأجابوه ، ثم تراءوا الكلام فقالوا : فإن  
أبى المهاجرون ، وقالوا : نحن أولياؤه وعترته ؟ فقال قوم من الأنصار : قول : منّا أمير ومنكم  
أمير ، قال سعد : فهذا أول الوهن ا وسميع عمر الخير فأتى منزل رسول الله صلى الله عليه  
 وآله ، وفيه أبو بكر ، فأرسل إليه أن اخرج إلى ، فأرسل : إني مشغول ، فأرسل إليه عمر أن  
اخرج ، فقد حدث أمر لا بد أن تحضره ، فخرج فأعلمه الخبر ، ففضيا مسرعين نحوهم  
ومعهما أبو عبيدة ، فحكّم أبو بكر ، فذكر قرابة المهاجرين من رسول الله صلى الله عليه  
 وآلهم وأولياؤه وعترته ، ثم قال : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لا نفتات عليكم بمشورة ، ولا  
تضيئونكم الأمور .

فقال الحباب بن النضر بن الجرح قال :

يا مشرّ الأنصار اميلكم أمركم : فإن الناس في ظلمكم ، ولن يحترى محترى  
على خلافكم ، ولا يصدر أحد إلا عن رأيكم ، أنتم أهل العزة والمنة ، وأولو العدد  
والكثرة ، وذوو البأس والنعدة ، وإعما ينظر الناس ما تصنعون ، فلا تحتلقوا ففسد  
عليكم أموركم ، فإن ابن هؤلاء إلا ما سمعتم : ففنا أمير ومنهم أمير .

فقال عمر : هيهات ! لا يجتمع سيفان في حديد ، والله لا ترضى العرب أن تؤمركم  
ونبيها من غيركم ، ولا تمنع<sup>(١)</sup> العرب أن تولي أمرها من كانت النبوة منهم ؛ من ينازعنا  
سلطان محمد ، ونحن أولياؤه وعشيرته !

فقال الحباب بن النضر :

يا مشرّ الأنصار ، اميلكم أبدىكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه ، فيذهبوا  
بنصيبكم من هذا الأمر ، فإن أبوكم فاجلهم من هذه البلاد ، فأنتم أحق بهذا الأمر  
منهم ، فإنه بأسيافكم دان الناس بهذا الدين ؛ أنا جديتها الحككك ، وعذيقها المرجب ،

(١) كذا في ج و تاريخ الطبري ، وفي ا ب : تمنع .

أنا أبو شبل في حريرة الأسد ؛ والله إن شتم كعبدتها جعدة .

فقال عمر : إذن يقتلك الله ، قال : بل إياك يقتل .

فقال أبو عبيدة : يا معشر الأنصار ؛ إنكم أول من نصر وآزر ، فلا تكونوا

أول من بدّل وغير .

فقام بشر بن سعد ، والد النعمان بن بشر فقال : يا معشر الأنصار ؛ ألا إن محمدا من

قريش ، وقومه أولى به ، وإيم الله لا يراني الله أبازعهم هذا الأمر .

فقال أبو بكر : هذا عمر وأبو عبيدة يأمروا أيهما شتم ، فقالا : والله لا نتولى هذا

الأمر عليك وأنت أفضل المهاجرين ، وخليفة رسول الله صلى الله عليه في الصلاة - وهي

أفضل الدين - أبسط يدك فلما بسط يده ليهاباه سبقهما إليه بشر بن سعد فهايه ،

فناداه الحباب بن المنذر : يا بشر ، عَقَقْتُ <sup>(١)</sup> عَقَاقُ ؟ أَيْفَسَتْ عَلَى ابْنِ عَمَّتِكَ الْإِمَارَةَ <sup>(٢)</sup> !

فقال أسيد بن حضير <sup>(٣)</sup> رئيس الأوس لأصحابه : والله إن لم تهابوا ليكون

للحزرج عليكم الفضيلة أبداً ، فقاموا فهابوا أبا بكر .

فانكسر على سعد بن عبادته والخرج ما اجتمعوا عليه ، وأقبل الناس يهابون أبا بكر

من كل جانب ، ثم نُحِلَّ سعد بن عبادته إلى داره ، ففنى أباها ، وأرسل إليه أبو بكر

ليبايع ، فقال : لا والله حتى أرميكم بما في كنانتي ، وأخصب سينان رعي ، وأضرب

بسيفي ما أطاعني ، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن تبعني ، ولو اجتمع معكم الجن والإنس

ما يابئكم حتى أهرض على ربي .

فقال عمر : لا تدعه حتى يبايع ، فقال بشر بن سعد : إنه قد لجّ ، وليس بمبايع لكم

(١) عَقَقْتُ : مَبِيَّةٌ عَلَى الْكَسْرِ ، مِثْلُ حَدَثَمِ وَفِي الْعَطْرِيِّ « عَقَقْتُ عَقَاقُ » .

(٢) بَعْدَهَا كَأَنَّ الْخَارِجَ : « فَقَالَ : لَا وَاقَةَ ، وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَتَارَعَ قَوْمًا حَقًّا حَطَلَهُ اللَّهُ لَهُمْ » .

(٣) فِي الْعَطْرِيِّ : « وَلَمَّا رَأَتْ الْأَوْسُ مَا صَحَّ بِبَشَرِ بْنِ سَعْدٍ وَمَا نَدَّوْا إِلَيْهِ قَرِيشَ ؟ وَمَا تَخَصَّبَ الْخَرْجُ مِنْ تَأْمِيرِ سَعْدِ بْنِ عَادَةَ ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، وَبِهِمْ أَسِيدُ بْنُ حَضِيرٍ . . . » ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامَ أَسِيدٍ .

حق يُقتل ، وليس بمختول حتى يُقتل معه أهله وطائفة من عشيرته ، ولا يضركم تركه ؛ إنما هو رجل واحد ، فتركوه .

وجاءت أسلم فبايعت ، فقوى بهم جانب أبي بكر ، وبايعه الناس .



وفي كتب غريب الحديث في تنمة كلام عمر : فأبى رجل بايع رجلا بغير مشورة من الناس فلا يؤمر واحد منهما تيمرة أن يقتلا<sup>(١)</sup> .

قالوا : غرر تيمرا وتيمرة . كما قالوا : حلل تحليلا وتحملة ، وعلل تعليلا وتيلة ، واتعصب «تيمرة» هاهنا لأنه مفعول له ؛ ومعنى الكلام أنه إذا بايع واحد لآخر بفتة عن غير شورى ، فلا يؤمر واحد منهما ، لأنهما قد غررا ما عسهما تيمرة ، وعرضاها لأن تقتلا .



وروى جميع أصحاب السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما توفي كان أبو بكر في منزله<sup>(٢)</sup> بالسنح ، فقام عمر بن الخطاب فقال : ما مات رسول الله صلى الله عليه ، ولا يموت حتى يظهر دينه على الدين كله ، ولا يرجع من أيدي رجالاتهم عن أرزاقهم بموته ، لا أسمع رجلا يقول : مات رسول الله إلا ضربته سيفا . فغاء أبو بكر وكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : بأبي وأمي ! طبت حيا وميتا ، والله لا يذيقك الله الموتين أبدا ، ثم خرج والناس حول عمر ، وهو يقول لهم : إنه لم يمت ، ويحلف ، فقال له : أيها الخائف ، على ريشك ! ثم قال : من كان يعبد محمد أفان محمد أقدم مات ومن كان يعبد الله أفان الله حي لا يموت ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ مَآئِتون ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقال : ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> ، قال عمر : فوالله

(١) النهاية لابن الأثير ٣ : ١٥٦

(٢) السنح ؛ بالصم ثم السكون : إحدى محال المدينة ؛ كان بها منزل أبي بكر ؛ وهي مباركة بن الحارث ابن الخزرج بموالى المدينة .

(٤) سورة آل عمران ١٤٤

(٣) سورة الرمز ٣٠

مأملكتُ نفسي حيث سمعتها أن سقطتُ إلى الأرض ، وعلمتُ أن رسول الله صلى الله عليه قد مات .

وقد تكلمت الشيعة في هذا الموضع ، وقالوا : إنه بلغ من قلة علمه أنه لم يعلم أن الموت يجوز على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنه أسوة الأنبياء في ذلك ؛ وقال : لما تلا أبو بكر الآيات ، أيقنتُ الآن بوفاته . كأنى <sup>(١)</sup> لم أسمع هذه الآية ، فلو كان يحفظ القرآن أو يفكر فيه ، ما قال ذلك ، ومن هذه حاله لا يجوز أن يكون إماما .

وأجاب قاضي القضاة رحمه الله تعالى في " المنى " من هذا فقال : إن عمر لم يمنع من جواز موته عليه السلام ، ولا تنى كونه ممكنا ، ولكنه تأول في ذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقال : كيف يموت ولم يظهر صلوات الله عليه على الدين كله ؟ قال أبو بكر : إذا ظهر دينه فقد ظهر هو ، وسيظهر دينه بعد وفاته .

فحمل عمر قوله تعالى : ﴿ أَفَأَنْ مَاتَ ﴾ على تأخر الموت ، لا على نفيه بالكلية ، قال : ولا يجب فهم ذهل من بعض أحكام القرآن ألا يحفظ القرآن ، لأن الأمر لو كان كذلك لوجب ألا يحفظ القرآن إلا من عرف جميع أحكامه ؛ على أن حفظ جميع القرآن غير واجب ، ولا يقدح الإخلال به في العسل <sup>(٣)</sup> .

واعترض المرتضى رحمه الله تعالى في كتاب " الشافي " هذا الكلام ، قال : لا يخلو خلاف عمر في وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله من أن يكون على سبيل الإنكار لموته على كل حال والاعتقاد أن <sup>(٤)</sup> الموت لا يجوز عليه على كل وجه ، أو يكون منكرا لموته في

(١) الشافعي : « وكأنى » .

(٢) سورة التوبة ٣٣ .

(٣) قال المرتضى في الشافي ٢٥٢ من مع أحاديث في الروايتين .

(٤) ب : « لأن » ، والأصوب ما أثبتته من أ .

تلك الحال من حيث لم يظهر على الدين كله، فإن كان الأول فهو مما لا يحوز خلاف عاقل فيه، العلم بجواز الموت على جميع البشر ضرورى. وليس يحتاج في حصول هذا العلم إلى تلاوة الآيات التى تلاها أبو بكر. وإن كان الثانى، فأول ما فيه أن هذا الاختلاف لا يليق بما احتج به أبو بكر عليه من قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾، لأن عمر لم ينكر على هذا الوجه جواز الموت عليه وصحته، وإنما خالف فى وقته. فكان يجب أن يقول لأبى بكر: وأى حجة فى هذه الآيات على! فإنى لم أسمع جواز موته، وإنما منعت وقوع موته الآن، وجوزته فى المستقبل، والآيات إنما تدل على جواز الموت فقط، لا على تخصيصه بمحال معينة.

وبعد، فكيف دخلت هذه الشبهة البعيدة على عمر من بين سائر الخلق! ومن أين رعم أنه سيمود فيقطع أبدى رجال وأرحلهم! وكيف لم يحصل له من اليقين لما رأى من الواقعة<sup>(١)</sup> وكآبة الخلق وإعلاق السوء ما يدفع به ذلك الوهم والشبهة البعيدة، فلم يحتج إلى موقف!

وبعد، فيجب إن كانت هذه شبهته أن يقول فى مرض النبی صلى الله عليه وآله - وقد رأى جزع أهله وخوفهم عليه الموت، وقول أسامة صاحب الجيش - : لم أكن لأرحل وأنت هكذا أسأل عنك الركب: يا هؤلاء لا تخافوا ولا تهرعوا، ولا تحف أنت يا أسامة، وإن رسول الله صلى الله عليه لا يموت الآن لأنه لم يظهر على الدين كله.

وبعد، فليس هذا من أحكام الكتاب التى يُفذر من لا يعرفها على ما ظن المعتدِر له<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

وبحسب هول: إن عمر كان أحل قدرا من أن يستقد ما ظهر عنه فى هذه الواقعة؛

(١) الواقعة: الصراع على الميت. (٢) لشار ٢٥٢ مع الاختصار وتصرف

ولكنه لما علم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد مات، حاف من وقوع فتنة في الإمامة، وتقلب أقوام عليها، إما من الأنصار أو غيرهم، وحاف أيضا من حدوث ردة، ورجوع عن الإسلام، فإنه كان ضعيفا بعد لم يتمكن، وحاف من تراتب نكبات، ودماء تراق، فإن أكثر العرب كان موتورا في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله لقتل من قتل أصحابه منهم، وفي مثل ذلك الحال تنهز العرصة، ونهتبل العيرة، فاقضت المصلحة عنده تسكين الناس بأن أظهر ما أظهره من كون رسول الله صلى الله عليه وآله لم يمت، وأوقع تلك الشبهة في قلوبهم، فكسرها بشبهة كثيرة منهم، وظنوها حقا، فنتاهم بذلك من حادث يحدثونه، تخيلا منهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله مامات؛ وإنما غاب كغاب موسى عن قومه، وهكذا كان عمر يقول لهم: إنه قد غاب عنكم كغاب موسى عن قومه، وليعودن فليقطعن أيدي قوم أرعنوا بموته.

ومثل هذا الكلام يقع في الواقع، فيصد عن كثير من العزم؛ ألا ترى أن الملك إذا مات في مدينة وقع فيها في أكثر الأمور بهب وفساد وتحريق، وكل من في نفسه حقد على آخر بلغ منه غرضه، إما بقتل أو جرح أو سلب مال؛ إلى أن يعمد قاعدة الملك الذي يلي بعده؛ فإذا كان في المدينة وزير حازم الرأي، كتم موت الملك، وسجن قوما ممن أرجف بداء بموته، وأقام فيهم السياسة، وأشع أن الملك حي، وأمره وكتبه نافذة، ولا يزال يلزم ذلك التاموس إلى أن يعمد قاعدة الملك للوالى بعده؛ وكذلك عمر أظهر ما أظهر حراسة الدين والدولة، إلى أن جاء أبو بكر - وكان غائبا بالشعب، وهو منزل بسيد عن المدينة - فلما اجتمع بأبي بكر قومي به حاشه، واشتد به أزره، وعظم طاعة الناس له وميلهم إليه، فسكت حينئذ عن تلك الدعوى التي كان أداها، لأنه قد أمن بحضور أبي بكر من خطب يحدث، أو فساد يتعذر؛ وكان أبو بكر محببا إلى الناس؛ لا سيما المهاجرين.



ويحوز عند الشيعة وعند أصحابنا أيضا أن يقول الإنسان كلاما ظاهر الكذب على جهة المعارضة؛ فلا وصية على عمر إذا كان حلف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمُت، ولا وصية عليه في قوله بعد حضور أبي بكر وتلاوة ماتلا : كآنى لم اسمها ، أو قد تيقنت الآن وفاته صلى الله عليه ، لأنه أراد بهذا القول الأخير تشييد القول الأول ، وكان هو الصواب ، وكان من سبى الرأي وتبيحه أن يقول : إنا قلته نكينا لكم ، ولم أقله من اعتقاد ، فالذى بدأ به حسن وصواب ، والذي ختم به أحسن وأصوب .

•••

وروى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب " السقيفة " عن عمر بن شبة ، عن محمد بن منصور ، عن جعفر بن سليمان ، عن مالك بن دينار ، قال : كان النبي صلى الله عليه وآله قد بعث أبا سفيان ساعيا <sup>(١)</sup> ، فرجع من سابعته وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلقية قوم فألم ، فقالوا : مات رسول الله صلى الله عليه ، فقال : من ولي بعده ؟ قيل : أبو بكر ، قال : أبو فضيل ! قالوا : نعم ، قال : فافعل المستضعفان : علي والعباس ! أما والذي نفسى بيده لأرغمن لها من أعضادهما .

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز : وذكر الراوى وهو جعفر بن سليمان أن أبا سفيان قال شبتا آخر لم تحفظه الرواة ؛ فلما قدم المدينة قال : إني لأرى حاجة لا يطفئها إلا الدم ! قال : فكلتم عمر أبا بكر ، فقال : إني أبا سفيان قد قديم ، وإنا لا نأمن شره ، فدفع له مائى يده ، فتركه فرضى .

وروى أحمد بن عبد العزيز أن أبا سفيان قال لما بويج عثمان : كان هذا الأمر في تيم ، وأنى لتيم هذا الأمر انهم صار إلى عدى فأبد وأبد ، ثم رجعت إلى منازلها ، واستقر الأمر قراره ، فلقفوها تلقف الكرة .

(١) الساعية : مباشرة أعمال الخدات .

قال أحمد بن عبد العزيز : وحديث الميرة بن محمد المهلب قال : ذكرت إسماعيل ابن إسحاق القاضي بهذا الحديث ، وأن أبا سفيان قال لثمان : يا بني أنت ! أحمق ولا تكن كأبي حجر ، وتداولوها يا بني أمية تداول الولدان الكرة ، فوالله ما من جنة ولا نار - وكان الزبير حاضرا ، فقال عثمان لأبي سفيان : أعزب ، فقال : يا بني أهاهنا أحدا قال الزبير : نعم والله لا كتمتها عليك - قال : فقال إسماعيل : هذا باطل . قلت : وكيف ذلك ؟ قال : ما أنكر هذا من أبي سفيان ، ولكن أنكر أن يكون سمع عثمان ، ولم يضرب عنقه . وروى أحمد بن عبد العزيز ، قال : جاء أبو سفيان إلى علي عليه السلام ، فقال : ولستم على هذا الأمر أذل بيت في قرش ، أما والله لئن شئت لأملأها على أبي فصول حيلة ورحلا ، فقال علي عليه السلام : طالما خششت الإسلام وأهله فما ضررتهم شيئا ! لا حاجة لنا إلى خيلك ورجلك ، لولا إنا رأينا أبا بكر لها أهلا ، لما تركناه .

وروى أحمد بن عبد العزيز ، قال : لما بويج لأبي بكر كان الزبير والمقداد يختلفان في جماعة من الناس إلى علي وهو في بيت فاطمة ، فيتشاورون ويتراجعون أمورهم ، فخرج عمر حق دخل على فاطمة عليها السلام ، وقال : يا بنت رسول الله ، ما من أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك ، وما من أحد أحب إلينا منك بعد أبيك ، وإيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء الثفر عندك أن أمر بتحريق البيت عليهم . فلما خرج عمر جادوها ، فقالت : تعلمون أن عمر جاءني ، وحلف لي بالله إن عُدتم لتبحرقن عليكم البيت ، وإيم الله ليمضين لما حلفن ، فأنصرفوا عنا راشدين . فلم يرجعوا إلى بيتها ، وذهبوا فبايعوا لأبي بكر .

• • •

وروى أحمد - وروى المبرّد في " الكامل " صدر هذا الخبر <sup>(١)</sup> عن عبد الرحمن

(١) والمبرّد أيضا في تاريخ الطبري : ( ٣ : ٢٣٤ ) وما بعدها .

ابن هوف ، قال : دخلتُ على أبي بكر أعودُهُ في مرضه الذي مات فيه ، فسَلَّمْتُ ، وسألته : كيف به ؟ فاستوى جالسا ، فقلت : لقد أصبحتَ بحمد الله بارئًا ، فقال : أما إنِّي على ما تَرى تَوَجَّع ، وحلُم لي معشر للهاجرين شعلا مع وجعي ، وجعلت لكم عهدا مني من بَمَدَى ، واخترت لكم خيرَكم في غسِي ، فكلَّكم وَرِمٌ <sup>(١)</sup> لذلك أُنقِ رجاء أن يكون الأمر له ، ورأيتم الدنيا قد أقبات ؛ والله لَتَتَّخِذُنَّ ستورَ الحرير ونضائد الديباج <sup>(٢)</sup> ، وتألون ضجائع الصوف الأذري <sup>(٣)</sup> ، كان أحدكم على حَسَك <sup>(٤)</sup> السعدان . والله لأنَّ يقدِّم أحدكم فتضربَ عنقه في غير حَدِّ خَيْرٍ له من أن يَسَّحَ في غمرة الدنيا ، وإنكم غداً لأوَّلُ خِلالٍ بالناسِ يحورون عن الطريق يمينا وشمالا ، بإحدى الطريق جُرَّتْ ؛ إنما هو السَّجَرُ أو القَصْر <sup>(٥)</sup> . فقال له عبد الرحمن : لا تُكثِرْ على ما بك فيهِبُضْك <sup>(٦)</sup> ، والله ما أردتُ إلا خيرا <sup>(٧)</sup> ، وإن صاحبك قد حَلِمَ ؛ وما الناسُ إلا رجلان : رجل رأى ما رأيت ؛ فلا خلاف عليك منه ، ورجل رأى غيرَ ذلك ؛ وإنما يشعُّ عليك برأيه . فسكنَ وسكتَ هُنَيْهَةً ؛ فقال عبدُ الرحمن : ما أرى بك بأسا والمجد لله ، فلا تأسَ على الدنيا ، فوالله إن عِلْمَكَ إلا صالحا مصلحا . فقال : أما إنِّي لا آسَى إلا على ثلاث فعلتُ ، ووددت أني لم أفعلن ، وثلاث لم أفعلن ووددت أني فعلتُ ، وثلاث ووددت أني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن :

فأما الثلاث التي فعلتها ووددت أني لم أكن فعلتها : فوددت أني لم أكن كَشَفْتُ

(١) ورم أُنقِ : أي امتلأ من ذلك غضبا .

(٢) نضائد الديباج : واحفها نضيدة ؟ وهي الوسادة وما يصعد من اللثام .

(٣) الأذري : منسوب إلى أذريجان .

(٤) السعدان : نبت كثير الحسك تأكله الإبل فتسمن عليه .

(٥) قال في السكائل : « وقوله : والله هو القصر أو السر ، يقول : إن انظرت حتى يضيء لك السجر الطريق أبصرت قصدك ، وإن خبعت الظلماء وركبت المشواء حجبا بك على الكروء » .

(٦) يهيبضك : أي يهتك ويؤذيك ؛ وأسله في العلم إذا كسر بعد الجور ؛ فإنه يكون أعمد وجعا .

(٧) هذه آخر رواية للبرد - مع تصرف كثير في لسانه - في السكائل ٤٤٦ ، ٤٤٥ - يفرح للرصني .

عن بيت فاطمة وتركته ولو أغلق على حرب، ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين : عمر أو أي عبدة ، فكان أميراً وكنت وزيراً ؛ ووددت أني إذ أتيت بالنجاة<sup>(١)</sup> لم أكن أحرقه ، وكنت قتله بالحديد أو أطلقتته .

وأما الثلاث التي تركتها ووددت أني فعلتها : فوددت أني يوم أتيت بالأشعث كنت ضربت عنقه ، فإنه ينجيل إلى أنه لا يرى شراً إلا أمان عليه ؛ ووددت أني حيث وجهت خالداً إلى أهل الردقات بذي القعدة ، فإن ظفر المسلمون وإلا كنت ردة ، اللهم ، ووددت حيث وجهت خالداً إلى الشام كنت وجهت عمر إلى العراق ، فأكون قد بسطت كلنا يدي :  
اليمين والشمال في سبيل الله .

وأما الثلاث اللواتي وددت أني كنت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: فوددت أني سأله فيمن هذا الأمر، فكنا لا تنازعنا أهله، [ووددت أني كنت سأله هل للأوصار في هذا الأمر نصيب؟] [٢] ووددت أني سأله من ميراث العمّة وابنة الأخت؛ فإن في نفسي منهما حاجة.

ومن كتاب معاوية المشهور إلى علي عليه السلام :

وأعهدك أمس تحملُ قميذةَ يمينك ليلاً على حمارٍ ويدَاكَ في يدي ابنيك الحسن  
والحسين يوم بويج أبوبكر الصديق ، فلم تدع أحداً من أهل بذر والسوابق إلا دعوتهم  
إلى نفسك ، ومشيت إليهم بامرأتك ، وأدليت إليهم بابيك ، واستنصرتهم على صاحب  
رسول الله ، فلم يجبك منهم إلا أربعة أو خمسة ؛ ولعمري لو كنت محققاً لجاوبوك ، ولكنت  
ادعيت باطلا ، وقلت مالا تعرف ، ورؤيت مالا يدرك ، ومهما سيت فلا أنسى قولك  
لأبي سفيان ، لما حركك وهيجك : لو وجدت أرمين ذوى عزم منهم لناهضت القوم ؛  
فأ يوم المسلمين منك بواحد ، ولأبغيتك على الخلفاء بطريق ولا مستبدع .

(١) هو إياس بن عداقة بن عبد الجليل السلمي ، وكان قد استعرض الناس يقتلهم ويأخذ أموالهم ، فأمر أبو بكر بإحراقه . وانظر تفصيل الخبر في الطبري ٣ : ٢٣٤ .  
(٢) زيادة من الطبري يقتضيها السياق .

(٢) زيادة من الطبري يقتضيها السياق .

وسذكر تمام هذا الكتاب وأوله عند انتهائنا إلى كتب علي عليه السلام .

وروى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن أبي المنذر وهشام بن محمد بن السائب

عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : كان بين العباس وعلي مباحدة ، فلقى

ابن عباس علياً ، فقال : إن كان لك في النظر إلى عمك حاجة فأتني ، وما أراك تلقاه

بعدها . فوجم<sup>(١)</sup> لها وقال . تقدمني واستأذن ، فتقدمت واستأذنت له ، فأذن فدخل ، فاعتنق

كل واحد منهما صاحبه ، وأقبل علي عليه السلام على يده ورجله يقبلهما ، ويقول :

يا عم ، ارض عني رضى الله عنك ، قال : قد رضىت عنك .

ثم قال : يا بن أخي ، قد أشرت عليك بأشياء ثلاثة فلم تقبل ، ورأيت في عاقبتها ما كرهت ؛

وهأنذا أشير عليك برأى رابع ، فإن قبضته ؛ وإلا نالك ما مالك مما كان قبلك . قال :

وما ذلك يا عم ؟ قال : أشرت عليك في مرض رسول الله صلى الله عليه أن نسأله ، فإن

كان الأمر فينا أعطانا ، وإن كان في غيرنا أوصى بنا . فقلت : أخشى إن منعناه لا يعطيناه أحد

بعده<sup>(٢)</sup> ، ففضت تلك . فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ، أتانا أبو سفيان بن حرب تلك

الساعة ، فدعونا إلى أن نبأيمك ، وقلت لك : أبسط يدك لأبيك ، وبأيمك هذا الشيخ ، فإننا

إن بأيمناك لم يختلف عليك أحد من بني عبد مناف ، وإذا بأيمك بنو عبد مناف لم يختلف عليك

أحد<sup>(٣)</sup> من قريش ، وإذا بأيمتك قريش لم يختلف عليك أحد من العرب ، فقلت : لها بجهار

رسول الله صلى الله عليه شمل ، وهذا الأمر فليس نخشى عليه ؛ فلم نذبث أن سمعنا التكبير

من سقيفة بني ساعدة ، فقلت : يا عم ، ما هذا ؟ قلت : ما دعوناك إليه فأبيت ، قلت :

سبعان الله أو يكون هذا ؟ قلت : نعم . قلت : أفلا يرد ؟ قلت لك : وهل رد مثل هذا

قط ؟ ثم أشرت عليك حين طعن عمر فقلت : لا تدخل نفسك في الشورى ، فإنك إن

اهتزأهم قدموك ، وإن ساويتهم قدموك ، فدخلت معهم فكان ما رأيت .

ثم أنا الآن أشير عليك برأي رابع ، فإن قبلته وألا نالك ما نالك مما كان قبله ؛ إني أرى أن هذا الرجل - يعني عثمان - قد أخذ في أمور ، والله لسكأتني بالعرب قد سارت إليه حق يُنَحَّرُ في بيته كما يُنَحَّرُ الجمل . والله إن كان ذلك وأنت بالمدينة ألزمتك الناس به ؛ وإذا كان ذلك لم تنل من الأمر شيئا إلا من بعد شرٍ لا خير معه .

قال عبد الله بن عباس : فلما كان يوم الجمل مرَّ ضُتُّهُ - وقد قُتِل طلحة ، وقتل أكثر أهل الكوفة في سبِّه ونهجه - فقال علي عليه السلام : أما والله لئن قالوا ذلك ، لقد كان كما قال أخو جُمُحَى<sup>(١)</sup> :

فَقَى كَانَ يُذْنِبُهُ الْغَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَفَى وَيُبِيدُهُ الْفَقْرُ  
ثم قال : والله لسكأتني كما كان ينظر من وراء ستر رقيق ؛ والله ما نلت من هذا الأمر شيئا إلا بعد شرٍ لا خير معه .

وروى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز ، عن حباب بن يزيد ، عن جرير بن النخيلة أن سلمان والزبير والأنصار كان هوام أن يُبَايِسُوا علياً عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله ، فلما بُويع أبو بكر ، قال سلمان : أصبتم الخيرة وأخطأتم السعدون

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة ، قال : حدثنا علي بن يحيى عنهم ، قال : حدثنا عمرو بن ثابت ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : قال سلمان يومئذ : أصبتم ذاك اليوم منكم ، وأخطأتم أهل بيت نبيكم ؛ لو جعلتموها فيهم ما اختلف عليكم أنصاره ، ولأكلتموها رغداً .

قال أبو بكر : وأخبرنا عمر بن شبة ، قال : حدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثنا الحسن

(١) هو سلمان بن يزيد بن مشجع الجعفي ، من كثره يرى فيها أعلامه ليس بن سلمان . أصل القال : ٧٧ :

ابن عبد الحميد ، قال : لما أكثر الناس في تخلف علي عليه السلام عن بيعة أبي بكر ، واشتد أبو بكر وعمر عليه في ذلك ، خرجت أم سطيح بن أثانة ، فوقفت عند القبر ، وقالت : كانت أمورٌ وأبسا ، وهنبتةٌ لو كنت شاهدتها لم تكثُر الخطب<sup>(١)</sup> إنا فقدناك فقد الأرض وإبلسا واختل قومك فاشهدهم ولا نصيب<sup>(٢)</sup>

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز : وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة ، قال : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، عن ابن وهب ، عن ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، قال : غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة ، وغضب علي والزبير ، فدخلوا بيت فاطمة عليها السلام ، معها السلاح ، فجاء عمر في عصا به ؛ منهم أسيد بن حضير وسامة بن سلامة ابن وقش - وهما من بني عبد الأشهل - فصاحت فاطمة عليها السلام ، وناشتهم الله . فأخذوا سيفي علي والزبير ، ففرضوا بها الجدار حتى كسروها ، ثم أخرجوا عمر يسوقها حتى بايها ، ثم قام أبو بكر فخطب الناس ، واعتذر إليهم ، وقال : إن يومئذ كانت قلقة وفي الله شرها ، وخشيت المعتنة ، وإيم الله ما حرصت عليها يوما قط ، ولقد قلدت أمرا عظيما مالى به طاقة ولا يدان ، ولوددت أن أقوى الناس عليه مكاني . وجعل يستنفر إليهم ، فقبل المهاجرون عنقه . وقال علي والزبير : ما غضبنا إلا في المشورة ، وإنا لنرى أبا بكر أحق الناس بها ؛ إنه لصاحب الفار ، وإنا لعرف له سنة ، ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه بالصلاة بالناس وهو حي .

قال أبو بكر - وقد روى بإسناد آخر ذكره ؛ أن ثابت بن قيس بن ثعلبة كان مع الجماعة الذين حضروا مع عمر في بيت فاطمة عليها السلام ؛ وثابت هذا أخو بني الحارث ابن الخزرج .

(١) الهنبة ، واحدة الهابت ؛ وهي الأمور الشداد المختلفة ؛ واليتان في اللسان ( ٣ : ٢٠ ) ، وذكر أنه جاء في حديث أن فاطمة ظلمها بعد موت الرسول عليه السلام ؛ وذكر أيضا أنه ورد هذا الشعر في حديث آخر ؛ قال : لما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجت صفة تلحق بثوبها وتقول اللهم .  
(٢) اللسان : ٥ فاحتل .

وروى أيضاً أن محمد بن مسلمة كان معهم ، وأن محمداً هو الذي كسر سيف الزير .

قال أبو بكر : وحدثني يعقوب بن شعبة ، عن أحمد بن أيوب ، عن إبراهيم بن سعد ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبد الله بن عباس ، قال : خرج علي عليه السلام على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه في مرضه ، فقال له الناس : كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه بأبنا حسن ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئاً ، قال : فأخذ العباس يد علي ، ثم قال : يا علي ، أنت عبد المصا بعد ثلاث ؛ أحيف لقد رأيتُ للوت في وجهه - وإلى لأمر ف للوت في وجوه بني عبد المطلب - فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه فذكر له هذا الأمر ؛ إن كان فينا أعلتنا ، وإن كان في غيرنا أوسى بنا . فقال : لأفعل ، والله إن منتهى اليوم لا يؤتينا الناس بعدهم ؛ قال : فتمنى رسول الله ذلك اليوم .

وقال أبو بكر : حدثني المنيرة بن محمد الهيثمي من حفظه وحرر بن شعبة من كتابه ، بإسناد رفته إلى أبي سعيد الخدري ، قال : سمعت البراء بن عازب يقول : لم أزل لبني هاشم محباً ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه عليه تخوفت أن تكالاً قريش على إخراج هذا الأمر من بني هاشم ، فأخذني ما يأخذ الوالة المعجول .

ثم ذكر ما قد ذكرناه نحن في أول هذا الكتاب<sup>(١)</sup> في شرح قوله عليه السلام : « أما والله لقد تقصصها فلان » ، وزاد فيه في هذه الرواية : فمكثت أكابد ماني نفسي ، فلما كان بليل ، خرجت إلى السجد ، فلما صرت فيه تذكرت أني كنت أسمع منتهمة رسول الله صلى الله عليه بالقرآن ، فامتنعت من مكاني ، فخرجت إلى القضاء ، فضاء بني بياضة ، وأجد نفرا يتناجون ، فلما دنوت منهم سكتوا ، فامصرفت عنهم ، ففرقوني وما أعرفهم ، فدعوني إليهم فأتيتهم ، فأجد المقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت ، وسلمان الفارسي ، وأبا ذر ، وحذيفة ، وأبا الهيثم بن التيهان ؛ وإذا حذيفة يقول لهم : والله ليكونن ما أخبرتكم



به ، والله ما كُذِّبْتُ ولا كُذِّبْتُ ؛ وإذا القوم يريدون أن يُسَيِّدُوا الأمر شورى بين المهاجرين .

ثم قال : انتموا أبي بن كعب ، فقد علم كما علمت . قال : فانطلقنا إلى أبي ، ففصرنا عليه بابه ؛ حتى صار خلف الباب ، فقال : من أنتم ؟ فكلّمه المقداد ، فقال : ما حاجتكم ؟ فقال له : افصح عليك بآبِكَ ، فإن الأمر أعظم من أن يُخَوَّرَ من وراء حجاب ، قال : ما أنا بفاتح بابي ، وقد عرفت ما حنتم له ، كأنكم أردتم للنظر في هذا المقد . قلنا : نعم ، فقال : أنفكم حُذِفَتْ ؟ قلنا : نعم ، قال : فاقول ما قال ؛ وبالله ما أفتَحُ <sup>(١)</sup> عني بابي حتى يُخَوَّرَ علي ما هي جارية ، ولما يكون بعدها شَرٌّ منها ، وإلى الله المشتكى .

قال : وبلغ الخبرُ أبا بكر وعمر ، فارتدَّا إلى أبي عُبَيْدَةَ والمغيرة بن شُبَّة ، فقالا ما عن الرأي ، فقال المغيرة : أن تَلْتَقُوا المَبَاسَ ففعلوا له في هذا الأمر نصيبا فيكون له ولقبه ، ففعلوا به من ناحية علي ، ويكون لكم حُجَّةٌ عند الناس على علي ، إذا مال معكم المَبَاس .

فانطلقوا حتى دخلوا على المَبَاس في الليلة الثانية من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله . ثم ذكر خطبة أبي بكر وكلام عمر وما أجابهما المَبَاس به ، وقد ذكرناه فيما تقدم من هذا الكتاب في الجزء الأول .

وروى أبو بكر ، قال : أخبرنا أحمد بن إسحاق بن صالح ، قال : حدثنا عبد الله بن عمر ، عن حماد بن زيد ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، قال : لما تَوَقَّى النبي صلى الله عليه وآله اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة ، فأتاهم أبو بكر وعمر وأبو عُبَيْدَةَ ، فقال الحُبَاب :

ابن اللندر : متنا أمير ومنكم أمير ، إننا والله ما ننفس<sup>(١)</sup> هذا الأمر عليكم أيها الرقط ؛ ولكننا نحاف أن يليه بعدكم من قتلنا أبناءهم وآباءهم وإخوانهم ؛ فقال عمر بن الخطاب : إذا كان ذلك قلت إن استطعت . فسلم أبو بكر فقال : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، والأمر بيننا نصفان كيثق الأئمة<sup>(٢)</sup> . فبويع ، وكان أول من بابيه بشير بن سعد والله النعمان ابن بشير .

فلما اجتمع الناس على أبي بكر ، قسم قسما<sup>(٣)</sup> بين نساء المهاجرين والأنصار ، فبعث إلى امرأة من بنى عدى بن النجار قسما مع ريد بن ثابت ، فقالت : ما هذا ؟ قال : قسم قسمه أبو بكر للنساء ، قالت : أتراشوني عن ديني ! والله لا أقبل منه شيئا فردته عليه .

قلت : قرأت هذا الخبر على أبي حمزة يعني من عهد العلوي الحسيني المعروف بابن أبي ريد غيب البصرة رحمه الله تعالى في سنة عشر وستمائة من كتاب السقيفة لأحمد ابن عبد العزيز الجوهرى ، قال : لقد حدثت في زيارة الحبيب ، فإن الذي خافه وقع يوم الحرة وأخذ من الأنصار نار المشركين يوم بدر . ثم قال لي رحمه الله تعالى : ومن هذا خاف أيضا رسول الله صلى الله عليه وآله على ذريته وأهله ، فإنه كان عليه السلام قد وتر الناس ، وعلم أنه إن مات وترك ابنته ولدها سوقة ورعية تحت أيدي الولاة ، كانوا مريض خطر عظيم ، فما زال يقرر لابن عمه قاعدة الأمر بعده ، حفظا لدمه ودماء أهل بيته ، فإنهم إذا كانوا ولاية الأمر كانت دماؤهم أقرب إلى الصيام والمصصة مما إذا كانوا سوقة تحت يد وال من غيرهم ، فلم يساعد القصاص والفدّر ، وكان من الأمر ما كان . ثم أفضى أمر ذريته فيما بعد إلى ما قد علمت .

(١) ننفس : نخمد .

(٢) والأئمة : ( ١٤ : ٣٢٠ ) وفي حديث السقيفة : الأمر يساويكم كقوله الأئمة ، وأئمة : بضم الحيرة واللام وتحتجها وكسرهما : حوسة القفل ، ومرتبة رائدة ، يقول : نحن ولأكم والحكم سواء ، لأفضل لأمر على مأور ، كالنوصة إذا شقت اثنين متساويين .

(٣) القسم هنا : الصماء .

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز : حدثني يعقوب بن شيبه بإسناد رفته إلى طلحة ابن مصرف ، قال : قلت لهذيل بن شُرَحْبِيل : إن الناس يقولون : إن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى إلى علي عليه السلام ، فقال : أبو بكر يتأمر على وصي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وذا أبو بكر أنه وجد من رسول الله صلى الله عليه وآله عهدا نفزم أخاه .

قلت : هذا الحديث قد حَرَّجَه الشيخان : محمد بن إسماعيل البعاري ومسلم بن الحجاج القشيري في صحيحهما عن طلحة بن مصرف ، قال : سألت عبد الله بن أبي أوفى : أوصى<sup>(١)</sup> رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : لا ، قلت : فكيف كُتِبَ على المسلمين الوصية<sup>(٢)</sup> ؟ أو كيف أُمِرَ بالوصية ولم يوص<sup>(٣)</sup> ؟ قال : أوصى بكتاب الله<sup>(٤)</sup> . قال طلحة : ثم قال ابن أوفى : ما كان أبو بكر يتأمر على وصي رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ وذا أبو بكر أنه وَجَدَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَهْدًا ، نفزم أخاه .

وروى الشيخان في الصحيحين عن عائشة<sup>(٥)</sup> أنها ذكرت حديثا أن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى ، قالت : ومتى أوصى ؟ ومن يقول ذلك أقبل : إنهم يقولون ، قالت : مَنْ يَقُولُهُ ؟ لقد دُعِيتُ لِيَسْأَلَ ، وإني بين سَجْرِي وَتَحْرِي فَأَمَحْتُ<sup>(٦)</sup> ، في صدري فسأت وما شَعَرْتُ<sup>(٧)</sup> .

وفي الصحيحين أيضا ، خرَّجَاهُ مَا مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : يَوْمَ الْخَيْبِ ، وَمَا يَوْمَ الْخَيْبِ ! ثُمَّ بَكَى حَتَّى بَلَ دَمْعُهُ الْخَيْبَ ، فَقُلْنَا : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، وَمَا يَوْمَ الْخَيْبِ ؟

(١) لفظ مسلم : « هل أوصى ؟ » .

(٢) لفظ مسلم : « فلم كتب على المسلمين الوصية ؟ » .

(٣) لفظ مسلم : « أو لم أمروا بالوصية ؟ » .

(٤) صحيح مسلم ٣ : ١٢٥٦ .

(٥) أمَحْتُ : مال وسطا .

(٦) لفظ مسلم ٣ : ١٢٥٧ بسنده عن الأسود بن يزيد : « ذكروا عهد عائشة أن عليا كان وصيا ، فقالت : متى أوصى إليه ؟ فقد كنت مسندته إلى صدري — أو قالت جبري — فدعا بالطلست ، فلقد أمَحْتُ لي جبري ، وما شعرت أنه مات ، ففني أوصى إليه ؟ » .

قال : اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : اتوني بكتاب أكتبه لكم<sup>(١)</sup> لا تضلوا بعدى أبدا . فتنازعوا ، فقال : إنه لا ينبغي عندي تنازع ، قال قائل : ماشأه ؟ أهجر ؟ استفهموه . فذهبوا يمشون عليه ، قال : دهوني ، والى أنا فيه خير من الذى أنتم فيه ، ثم أمر بثلاثة أشياء ، فقال : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ؛ وسئل ابن عباس عن الثالثة ، فقال : إنما ألا يكون تكلم بها ، وإنما أن يكون قالها قضييت<sup>(٢)</sup> .

وفى الصحيحين أيضا خرجه معا عن ابن عباس رحه الله تعالى ، قال : لما احتضر<sup>(٣)</sup> رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفى البيت رجال منهم عمر بن الخطاب ؛ قال النبي صلى الله عليه وآله : هم أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده ، فقال عمر : إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد ضل عليه الرجوع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله ؛ فحلف القوم واختصموا ، فقام من يقول : قرأوا إليه يكتب لكم كتابا إن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول : القول ما قاله عمر ؛ فلما كثروا الامور والاختلاف عنده عليه السلام ، قال لهم : قوموا ، قاموا ، فكان ابن عباس يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أن يكتب لكم<sup>(٤)</sup> ذلك الكتاب<sup>(٥)</sup> .

• • •

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري : حدثني أحمد بن إسحاق بن صالح ، قال : حدثني عبد الله بن عمر بن معاذ ، عن ابن عون ، قال : حدثني رجل عن زريق

(١) لفظ مسلم : « اتوني بكتاب أكتب لكم كتابا » .

(٢) لفظ مسلم : « قال : وسكت عن الثالثة أو قال : فاستبها » ، والحدث في صحيحه ٣ :

١٢٥٧ - ١٢٥٨ .

(٣) لفظ مسلم : « حضر » ؛ ومما يحسن خبره لقوت .

(٤) لفظ مسلم : « لهم » .

(٥) صحيح مسلم ١٢٥٩ : ٣ .

أن عمر كان يومئذ - قال : يعني يوم يبيع أبو بكر - محجراً<sup>(١)</sup> يهرول بين يدي أبي بكر؛ ويقول : ألا إن الناس قد بايعوا أبا بكر . قال : فجاء أبو بكر حتى جلس على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، لحيد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد ، فإنني ولتكم ولست بخيركم ، ولكنه نزل القرآن ، وسنت السنن ، وعدلنا فتعلمنا أن أكيس الكيس التقى ، وأحق الحق الفجور . وإن أقوامكم عندي الضعيف حتى آخذ له بالحق ، وأضعفكم عندي القوى حتى آخذ منه الحق . أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، إذا أحسنت فاعبوني ، وإذا ذُغت فقوموني .

قال أبو بكر : حدثني أبو زيد عمر بن شطة ، قال : حدثنا أحمد بن معاوية ، قال : حدثني النضر بن شميل ، قال : حدثنا محمد بن عمرو ، عن سلمة بن عبد الرحمن ، قال : لما جلس أبو بكر على المنبر ، كان على عليه السلام والزبير وبس من بني هاشم في بيت فاطمة ، فعاء عمر إليهم ، فقال : والذي نفسي بيده لتعثرنَّ إلى البيعة أو لأخرقنَّ البيت عليكم ! فخرج الزبير مصلياً سيفه ، فاعتقه رجل من الأنصار وزياد بن كبيد . فبدر السيف ، فصاح به أبو بكر وهو على المنبر : اضربني به الحجر ، فذق به . قال أبو عمرو ابن حماس : فلقد رأيت الحجر فيه تلك الضربة ، ويقال : هذه ضربة سيف الزبير ثم قال أبو بكر : دعوم فسيأتى الله بهم ، قال : فخرجوا إليه بعد ذلك فبايعوه .

قال أبو بكر : وقد روي في رواية أخرى أن سعد بن أبي وقاص ، كان معهم في بيت فاطمة عليها السلام والقناد بن الأسود أيضاً ، وأمرهم اجتمعوا على أن يبايعوا علياً عليه السلام ، فأنام عمر ليحرق عليهم البيت ، فخرج إليه الزبير بالسيف ، وخرجت فاطمة عليها السلام تبكي وتصرخ : فهتت من الناس ، وقالوا : ليس عندنا معصية ، ولا خلاف في خير اجتماع عليه الناس ؛ وإنما اجتمعنا لنؤلف القرآن في مصحف واحد . ثم بايعوا أبا بكر ، فاستمر الأمر وأطمأن الناس .

(١) يقال : احضر بالإزار إذا حده على وجهه

قال أبو بكر : وحدثنا أبو ريد عمر بن شبة ، قال : أخبرنا أبو بكر الباهلي ، قال : حدثنا إسماعيل بن عمار ، عن الشعبي ، قال : سأل أبو بكر فقال : أين الزبير ؟ فقلت : عند علي وقد تقلد سيفه ، فقال : قم يا عمر ، قم يا خالد بن الوليد ؛ اطلقا حتى تأتياني بهما ، فانطلقا ، فدخل عمر ، وقام خالد على باب البيت من خارج ، فقال عمر للزبير : ما هذا السيف ؟ فقال : مباح عليا ، فاحترطه عمر فصرب به حجرا فكسره ، ثم أخذ بيد الزبير فأقامه ثم دفعه ، وقال : يا خالد دونك فأمسكه ، ثم قال لعلي : قم فبائع لأبي بكر ، فملكنا واحتبس ، فأخذ بيده ، وقال : قم ، فأتى أن يقوم ، فحمله ودفعه كما دفع الزبير فأحرجه ، ورأت فاطمة ما صيغ بهما ، فقامت على باب الحجرة ، وقالت : يا أبا بكر ، ما أمرع ما أغرثتم على أهل بيت رسول الله ! والله لا أسكنكم عمر حتى أتى الله . قال : فمشى إليها أبو بكر بعد ذلك وشمع لعمر ، وطلب إليها فرجعت عنه .

قال أبو بكر : وحدثنا أبو زيد ، قال : حدثنا محمد بن حاتم ، قال : حدثنا الجراحي ، قال : حدثنا الحسين بن زيد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : مرّ عمر بعلي وعنده ابن عباس يفتاء داره ، فلم يسألاه : أين تريد ؟ فقال : مالي يندبج ، قال : علي : أولا يصل جناحك وقوم معك ؟ فقال : بلى ، فقال لابن عباس : قم معه ، قال : فشبك أصابعه في أصابعي ، ومضى حتى إذا خفنا البقيع ، قال : يا ابن عباس ، أما والله إن كان صاحبك هذا أولى الناس بالأمر بعد وفاة رسول الله إلا أن خفناه على اثنين . قال ابن عباس : فجاء غمط لم أجد نداء معه من مسأله عنه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما هذا ؟ قال : خشينا على حداثة سيفه وحمته بني عبد المطلب .

قال أبو بكر : وحدثني أبو زيد ، قال : حدثنا هارون بن عمر ، بإسناد رفعه إلى ابن عباس رحمه الله تعالى ، قال : تفرّق الناس ليلة الجباية <sup>(١)</sup> عن عمر ، فصار

(١) الجباية : قرية من أعمال دمشق ، ذكر بالوثائق أن عمر حطب فيها حطبته المشهورة .

كل واحد مع إلهه، ثم صادفت عمر تلك الليلة في مسيرنا، فحدثته، فشكا إلى مخلف على عنه . فقلت : ألم يعتذر إليك ؟ قال : بلى ، فقلت : هو ما اعتذر به ، قال : يا بن عباس ، إن أول من ربيكم من هذا الأمر أبو بكر ؛ إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة ، قلت : لم ذاك يا أمير المؤمنين ؟ ألم نذلهم خيراً ؟ قال : بلى ، ولكنهم لو فعلوا لسكنتم عليهم جحفاً جحفاً <sup>(١)</sup> .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد ، قال : حدثنا عبد العزيز بن الخطاب ، قال : حدثنا علي بن هشام ، مرفوعاً إلى عامر بن عمرو بن قتادة ، قال : أتى علي عليه السلام عمر ، فقال له علي عليه السلام : أنشدك الله ، هل استخلفك رسول الله صلى الله عليه ؟ قال : لا ، قال : فكيف تصنع أنت وصاحبك ؟ قال : أما صاحبي فقد مضى لسبيله ، وأما أما فأحلمها من عني إلى عتقك ، فقال : جَدِّعِ الله أَخْرَجَ مِنْ كَيْفِكَ مِنْهَا أَلَا وَلَكِنْ جَعَلَنِي اللهُ عَبْداً ، فإذا قُتِلَ فَمَنْ خَالَقِي خَلَّ .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد ، عن هارون بن عمر ، عن محمد بن سعيد بن الفضل عن أبيه ، عن الحارث بن كعب ، عن عبد الله بن أبي أوفى الخزاعي ، قال : كان خالد ابن سعيد بن العاص من محال رسول الله صلى الله عليه على اليمن ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه جاء المدينة ، وقد بايع الناس أبا بكر ، فاحتبس عن أبي بكر فلم يبايعه أياماً ، وقد بايع الناس ، وأتى بني هاشم ، فقال : أنتم الظهر والبطن ، والشمار دون الدثار <sup>(٢)</sup> ، والعصا دون اللعنان <sup>(٣)</sup> ، فإذا رضيتم رضينا ، وإذا سخطتم سخطنا . حدثوني إن كنتم قد بايستم هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : هل برد ورضاً من جماعتكم ؟ قالوا : نعم ، قال :

(١) جحفاً جحفاً ، أي فحراً فحراً وشرطاً شرطاً . النهاية لابن الأثير ١ : ١٤٥ .

(٢) الشمار : ما على ظهر الجسد ، وهو تحت الدثار .

(٣) اللعنان : ما على العصا من لعمرها ، يعد ويحصر ، وفي خيلة المجاج : « لألحونكم لحو العصا » .

فأنا أرضى وأبائع إذا بايستم . أما والله يا بني هاشم ، إنكم الطوال والشجر الطيبون<sup>(١)</sup> المتمر . ثم إنه بايع أبا بكر ، وبلغت أبا بكر فلم يحفل بها ، وضطنها عليه عمر ، فلما ولأه أبو بكر الجند الذي استنفر إلى الشام ، قال له عمر : أتولى خلافاً وقد حبسَ عليك بيعته ، وقال لبني هاشم ما قال ، وقد جاء بورق من اليمن وعبيد وحُشَّان ودروع ورماح ١ ما أرى أن تولَّيه ، وما آمن خلافة . فانصرف عنه أبو بكر ؛ وتولى أبا عبيدة بن الجراح ، وزيد بن أبي سفيان وشُرَّحِبيل بن حَسَنَة .



واعلم أن الآثار والأخبار في هذا الباب كثيرة جداً ، ومن تأملها وأنصف علم أنه لم يكن هناك نص صريح ومقطوع به لا ينجلب الشكوك ، ولا تنطرق إلى الاحتمالات كما تزم الإمامية ، فإنهم يقولون : إن الرسول صلى الله عليه وآله نص على أمير المؤمنين عليه السلام نصاً صريحاً جلياً ليس بمتى يوم الندير<sup>(٢)</sup> ، ولا جبر النزة<sup>(٣)</sup> ، ولا ماشاهما من الأخبار الواردة من طرق العامة وغيرها ، بل نص عليه بالخلافة وبإمرة المؤمنين ، وأمر المسلمين أن يسلموا عليه بذلك ، فسلموا عليه بها ، وصرح لهم في كثير من القامات بأنه خليفة عليهم من بعده ، وأمرهم بالسمع والطاعة له . ولا ريب أن للنصف إذا سمع ما جرى لم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم قطعاً أنه لم يكن هذا النص ، ولكن قد سبق إلى النفوس والعقول أنه قد كان هناك تعريض وتلويح ، وكناية وقول غير صريح ، وحكم غير مبنوت ، ولعله صلى الله عليه وآله كان يصدّه عن التصريح بذلك أمر<sup>٤</sup> بعله ، ومصلحة يراعيها ، أو وقوف مع إذن الله تعالى في ذلك .

فأما امتناع علي عليه السلام من البيعة حتى أخرج على الوجه الذي أخرج عليه ، فقد

(١) كذا في ج ، و ، ا ، ب : « الطيب » .

(٢) هو غدیر خم ، موضع بين مكة والمدينة ، نقل حسب الطبري في الرياس النضرة ( ٢ : ١٦٩ ) أن الرسول عليه السلام قال يوم غدیر خم : « من كنت مولاه فعلي مولاه » .

(٣) يشير إلى حديث : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » .



ذكره المحدثون ورواه أهل السير وقد ذكر ما نقله الجوهرى في هذا الباب؛ وهو من رجال الحديث ومن الثقات المأثورين، وقد ذكر غيره من هذا النحو مالا يحصى كثرة.

فأما الأمور الشنيعة المستهجنة التي تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة عليها السلام، وأنه ضربها بالسوط فصار في عصبها كالدملج وبقى أثره إلى أن ماتت، وأن عمر أضعفها بين الباب والجدار، فصاحت: يا ابتاه يا رسول الله! وألقت جنينا ميتا، وجعل في عنق علي عليه السلام حبل يقاد به وهو يُعْتَل، وفاطمة حلقه تصرخ وتنادى بالويل والثبور، وابناء حسن وحسين معها يبكيان، وأن عليا لما أحصر سألوه البيعة فامتنع، فتهدّد بالقتل، فقال: إذن تقتلون عبدا لله وأخا رسول الله! فقالوا: أما عبد الله فنعلم، وأما أخو رسول الله فلا، وأنه طعن فيهم في أوجهمم بالتفاق، وستر صحيفة العذر التي اجتمعوا عليها، وبأنهم أرادوا أن يغفروا ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة؛ فسله لا أصل له عند أصحابنا، ولا يُثبت أحد منهم ولا رواه أهل الحديث ولا يعرفونه، وإنما هو شيء تنفرد الشيعة بتفعله.

\*\*\*

الأصل:

ومنها:

وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى التَّيْمَةِ ثَمَنًا . فَلَا ظَعِيرَتَ يَدِ الْبَائِعِ ، وَخَزِيرَتِ أَمَانَةِ الْمُبْتَاعِ . فَخَذُوا لِلْحَرْبِ أَهْنَتَهَا ، وَأَعِدُّوا لَهَا عُذَّتَهَا ، فَقَدْ شَبَّ لَهَا هَا ، وَعَلَا سَنَاهَا . وَأَسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ ، فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ .

\*\*\*

البيان

هذا فصل من كلام يدكر فيه عليه السلام عمرو بن العاص . وقوله: « فلا ظعيرت يد البائع » يعني معاوية . وقوله: « وخزيرت أمانة المبتاع » يعني حمرا، وخزيرت، أى

خسرت وهانت. وفي أكثر النسخ: «فلا ظفرت يد البايع»، بجمع المفاعلة، والظاهر ما رويناه.  
وفي بعض النسخ «فإنه أحزم للنصر»، من حرمت الشيء إذا شدته، كأنه يشد  
النصر ويوثقه، والرواية التي ذكرناها أحسن.

والأهبة: المدة. وشب لهاها استعارة، وأصله صمود طرف النار الأعلى. والسناما: قصر:  
الضوء. واستشعروا الصبر: اتخذوه شعاراً، والشعار: ما يلى الجسد من الثياب؛ وهو ألزم  
الثياب للجسد؛ يقول: لازموا الصبر كما يلزم الإنسان ثوبه الذي يلى جلده لا بد له منه،  
وقد يستعمل عن غيره من الثياب.

• • •

### [قدوم عمرو بن العاص على معاوية]

لما نزل على عليه السلام الكوفة بعد فراغه من أمر البصرة، كتب إلى معاوية كتاباً  
يدعوه إلى التَّيْمَةِ، أرسل فيه<sup>(١)</sup> جرير بن عبد الله البجليّ: تقدّم عليه به الشام. فقرأه وافتمّ  
بما فيه، وذهبت به أفكاره كلّ مذهب، وطاول جريراً بالحواب عن الكتاب، حتّى كلف  
قوماً من أهل الشام في الطالب بدم عثمان؛ فأجابوه ووثقوا له، وأحبّ الزيادة في  
الاستظهار، فاستشار أخاه عتبة بن أبي سفيان، فقال له: استعِنْ بعمرو بن العاص، فإنه  
من قد علمت في دهائه ورأيه، وقد اعتزل عثمان في حياته، وهو لأمرك أشدّ اعتزلاً؛  
إلا أن يشنّ له دينه فسبيبعك، فإنه صاحب دنيا.

فكتب إليه معاوية:

أما بعد، فإنه كان من أمر عليّ وطلحة والزبير ما قد علمك، وقد سقط إليّ الأمر وإن بن  
الحكم في نفر من أهل البصرة<sup>(٢)</sup>، وقدّم علينا جرير بن عبد الله في بيعة عليّ، وقد  
حبست نفسي عليك<sup>(٣)</sup>، فأقبل إذا كرك أموراً لا نعدّ صلاح معتمتها، إن شاء الله<sup>(٤)</sup>

(١) ساطعة من ب. (٢) وكتاب صبي: «في رابطة أهل البصرة»

(٣ - ٤) في صبي: «حتى تأتيني، أقل أنا كرك أمراً».

فلما قدم الكتاب على عمرو استشار ابنه : عبد الله بن عمرو ومحمد بن عمرو ، فقال  
لها : ما تريد ؟ فقال عبد الله : أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عنك  
راض ، والخليفةان من بعده ؛ وقُتِل عثمان وأنت عنه غائب ، ففَرَّ في منزلك ، فليست بمجسولا  
خليفة ، ولا تزيد على <sup>(١)</sup> أن تكون حاشية معاوية ، على دنيا قالة أو شكما أن تهلكا ،  
فقتلوا <sup>(٢)</sup> في عقابها . وقال محمد : أرى أنك شيخ قريش ، وصاحب أمرها ، وإن تصرم  
هذا الأمر وأنت فيه خافل <sup>(٣)</sup> تصغر أمرك ، فخلق بمعاوية أهل الشام ، وكن بدنا من  
أيديها ، طالبا بدم عثمان ، فإنه سيغرم بذلك بنو أمية <sup>(٤)</sup> .

فقال عمرو : أما أنت . يا عبد الله ، فأمرني بما هو خير لي في ديني ، وأنت يا محمد فأمرني  
بما هو خير لي في دنياي ، وأنا ناظر . فلما جت الليل رفع صوته وأهله يسمون <sup>(٥)</sup> ، فقال :  
تَطَاوَلَتْ كَتَلِي بِالْهُمُومِ الطَّوَارِقِ وَخَوَافِ اللَّيْلِ تَجَلُّوْا وَجُودَ الْعَوَارِقِ <sup>(٦)</sup>  
وإن ابن هند سألني أن أزوره . وتلك التي فيها بنات البوائق <sup>(٧)</sup>  
أناه جبري من على غطفة . أمرت عليه العيش ذات مضائق  
فإن قال مني ما يؤمل رده . وإن لم ينله ذلك الطابق <sup>(٨)</sup>  
فوالله ما أدري وما كنت هكذا . أكون ومهما قلاني فهو ساقبي  
أخادعه إن انطداع دنية . أم أعطيه من نفسي نصيحة وإيق

(١) في كتاب صين والإمامة والسياسة ١٥٨ : « ولا تزيد أن تكون » .

(٢) كفا في ١ ، والإمامة والسياسة ، و ب . « فقتلوا » ، وفي كتاب صين « أو شك أن تهلك  
للشيء فيها » .

(٣) في صين والإمامة والسياسة : « وأستحفل » .

(٤) في الإمامة والسياسة : « فإني به لتميل بنو أمية » .

(٥) كتاب صين : « ينظرون » .

(٦) في صين : « وخول التي تجلو » ، والموانق ، جمع عائق ؛ وهي الشاة .

(٧) البوائق : جمع بائقة ؛ وهي الداعية ؛ وفي صين : « سألني أن أزوره » .

(٨) للطائفة : للشيء في القيد

أَمْ أَتَدْفِي بِيَوْمِ ذَاكَ رَاحَةً لَشَيْخٍ يَخَافُ لِلْوَيْ فِي كُلِّ شَارِقٍ<sup>(١)</sup>

وَقَدْ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ قَوْلًا تَمَلَّتْ بِهِ النَّفْسُ إِنْ لَمْ تَقْطَعْ عَنِّي حَوَائِقِي<sup>(٢)</sup>

وَحَافِقِي فِيمَا أَخُوهُ عَمْدٌ وَإِنِّي لَصَلْبُ الْعُودِ عِنْدَ الْحَقَائِقِ<sup>(٣)</sup>

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : رَحَلَ الشَّيْخُ<sup>(٤)</sup> . وَدَعَا عَمْرُو غُلَامَهُ وَرَدَّانَ - وَكَانَ دَاهِيَا مَارِدًا -

فَقَالَ : ارْحَلْ يَا وَرْدَانُ ، ثُمَّ قَالَ : احْطُطْ يَا وَرْدَانُ ، ثُمَّ قَالَ : ارْحَلْ يَا وَرْدَانُ ، احْطُطْ

يَا وَرْدَانُ . فَقَالَ لَهُ وَرْدَانُ : خَلَطْتُ أَمَّا عَبْدُ اللَّهِ : أَمَّا إِيَّاكَ إِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِمَا فِي قَلْبِكَ ،

قَالَ : هَلَتْ وَبَحَكَ ! قَالَ : اعْتَرَكِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عَلَى قَلْبِكَ ، فَكَلْتُ : عَلَى مَعِ الْآخِرَةُ

فِي غَيْرِ دُنْيَا فِي الْآخِرَةِ عَوَضٌ مِنَ الدُّنْيَا ، وَمَعَاوِيَةٌ مَعَهُ الدُّنْيَا بِغَيْرِ آخِرَةٍ ، وَلَيْسَ فِي

الدُّنْيَا عَوَضٌ مِنَ الْآخِرَةِ ، وَأَنْتَ<sup>(٥)</sup> وَاقِفٌ بَيْنَهُمَا ، قَالَ : فَاتَّكَ اللَّهُ ! مَا أَخْطَأْتُ مَا فِي

قَلْبِي ، فَاتْرَى يَا وَرْدَانُ ! قَالَ : أَرَى أَنْ تَقِيمَ فِي بَيْتِكَ ، فَمِنْ ظَهَرِ أَهْلِ الدِّينِ عَشْتُ فِي

عَفْوِ دِينِهِمْ<sup>(٦)</sup> ، وَإِنْ ظَهَرَ أَهْلُ الدُّنْيَا لَمْ يَسْتَعْمُوا عَنْكَ . قَالَ : الْآنَ لَمَّا أَشْهَرْتَ الْعَرَبَ

سَبَرِي إِلَى مَعَاوِيَةَ<sup>(٧)</sup> ! فَارْتَحِلْ وَهُوَ يَقُولُ :

يَا قَاتِلَ اللَّهِ وَرَدَانَا وَقَدْ حَتَّ<sup>(٨)</sup> أَبْدَى لَعَمْرُكَ مَا فِي النَّفْسِ وَرْدَانُ<sup>(٩)</sup>

لَمَّا تَعَرَّضْتَ الدُّنْيَا عَرَضْتُ لَهَا بِحَرَمِ نَفْسِي فِي الْأَطْبَاعِ إِذْ هَانَ<sup>(١٠)</sup>

نَفْسٌ تَعِيفٌ وَأُخْرَى الْخُرُوصُ يَطْلُبُهَا وَلِلرَّءِ يَا كُلَّ تَيْبًا يَوْهَسُو غَرْثَانُ

أَمَّا عَلَى فَدِينٍ لَيْسَ بِشَرِّكَهُ دُنْيَا ، وَذَلِكَ لَهُ دَنِيْسَسَا وَسُلْطَانُ

(١) في صفي : « أو الحمد » .

(٢) في صفي : « لَنْ لَمْ يَمْلِكْ » .

(٣) الحقائق : ما يجب على المرء « آية من عرس أو مال » .

(٤) في صفي : « ترحل » .

(٥) في صفي : « فأت » .

(٦) عفو دينهم : أي فضل دينهم .

(٧) في الإمامة والسياسة : « الآن حين شبه بني العرب بمسبى إلى معاوية » .

(٨) في صفي : « ومزحه » . (٩) الإدهان : المصاصة .

فَاخْتَرْتُ مِنْ طَمَعِي دُنْيَا عَلَى بَصَرٍ وَمَا مَعِيَ بِالَّذِي اخْتَارُ بَرَّهَانَ  
إِنِّي لَا عَرَفَ مَا فِيهَا وَأَنْصِرُهُ وَفِيَّ أَيْضًا لَا أَهْوَاءَ أَلْوَانُ  
لَكِنْ نَفْسِي تَحِبُّ الْعَيْشَ فِي شَرَفٍ وَبَلَسَ يَرْضَى بِذَلِكَ الْعَيْشَ إِنْسَانُ

فسارحتي قدم على معاوية ، وعرف حاجة معاوية إليه ، فباعده من نفسه ، وكأيد كل واحد منهما صاحبه .

فقال له معاوية يوم دخل عليه : أبا عبد الله ، طرقتنا في ليلتنا ثلاثة أخبار ليس فيها ورْد ولا صَدْر ، قال : وما ذاك ؟ قال : منها أن محمد بن أبي حذيفة كسر رِجْلَ مِصْرَ فخرج هو وأصحابه ، وهو من آفات هذا الدين . ومنها أن قيسر زحف بجاعة الروم لينهب على الشام . ومنها أن عليا نزل الكوفة ، ونهبا ليعبر إلينا .

فقال عمرو : ليس كل ما ذكرته عظيما ؛ إنما ابن أبي حذيفة ، فما يتعاملك من رجل خرج في أشباهه أن تهبث إليه رجلا يقتله أو يأتيك به ، وإن قاتل لم يضرك<sup>(١)</sup> . وأما قيسر فأهدله الوصائف وآية الذهب والفضة ، ورسالة الموادة فإياه إليها سريع . وأما علي فلا والله يا معاوية ما يسوى العرب<sup>(٢)</sup> بينك وبينه في شيء من الأشياء ، وإن له في الحرب لحظا ما هو لأحد من قرش ؛ وإنه لصاحب ما هو فيه إلا أن تظله . هكذا في رواية نصر بن مراحم عن محمد بن عبيد الله<sup>(٣)</sup> .

• • •

وروى نصر<sup>(٤)</sup> أيضا عن عمر بن سعد قال : قال معاوية لعمر : يا أبا عبد الله ، إنني أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى الله وشق عصا المسلمين ، وقتل الخليفة وأظهر الفتنة ، وفرق

(١) في وثقة صفين : « وإن فأنك لا يضرك » وفي الإمامة والسياسة : « وإن يقتل فلا يضرك » .

(٢) كذا في ١ ، وصحين ، وفي ب : « ما يسوى العرب » .

(٣) وثقة صفين ٣٩ - ٤٠ ، وفي ب : « عبد الله » ، وصوابه من ١ .

(٤) وثقة صفين ٤٢ - ٤٣ .

الجماعة وقطع الرحيم ، قال عمرو : مَنْ هو ؟ قال : هل ، قال : والله يا معاوية ما أنت وعلى بعمل<sup>(١)</sup> بعير ؟ ليس لك<sup>(٢)</sup> هِجْرَتُهُ ولا سَابِقَتُهُ ، ولا صِجَتُهُ ولا جِهَادُهُ ، ولا قَتْلُهُ ولا حِلَّهُ .  
<sup>(٣)</sup> والله إنَّ له مع ذلك كَلَفًا في الحرب ليس لأحد غيره ، ولكنِّي قد تَوَدَّعت من الله تعالى إحسانًا وبلاءً جهلاً<sup>(٤)</sup> ؛ فأتجمل لي إن شأبتك على حرب ، وأنت تعلم ما فيه من الفقر والخطر ؟ قال : حُكْمُكَ ، قال : مصر طُغْمَةٌ ، فَلَكَأُ عليه معاوية .

قال نصر : وفي حديث غيره عمر بن سعد : فقال له معاوية : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، إِنِّي أكره لك أن تتحدث العرب عنك أنك إنما دخلت في هذا الأمر لفرض الدنيا ، قال عمرو : دَفَعْنِي عَنْكَ ، قال معاوية : إِنْ لَوْ شِئْتُ أَنْ أَمْتِيكَ وَأَخَذَكَ قَتَلْتُ ، قال عمرو : لَا ، لَمَسَرُّ الله ما نَمْلِي يُخَدِّع ، لَأَنَا<sup>(٥)</sup> ؛ كَيْسٌ مِنْ ذَلِكَ ؛ قال معاوية : أَذُنُ مَنِي أَسَارَكَ ، فَدَنَامَتُهُ عمرو لِيَسَارَهُ ، فَمَضَى معاوية أذنه ، وقال : هَئِنَا خَدَعْنَا هَلْ تَرَى فِي الْبَيْتِ أَحَدًا ؟ لَيْسَ غَيْرِي وَغَيْرِكَ .

قلت : قال شيخنا أبو القاسم البلخي رحمه الله تعالى : قول عمرو له : « دَفَعْنِي عَنْكَ » كناية عن الإلحاد ، بل تصرّح به ، أي دَعَى هذا الكلام ؛ لا أصل له ، فإنَّ اعتقاد الآخرة ، وأنها لا تباع بعرض الدنيا من الخرافات .

وقال رحمه الله تعالى : وما زال عمرو بن العاص مُلْحِدًا ، ما رَدَّدَ قَطُّ في الإلحاد والزندقة ، وكان معاوية مثله ، ويكفي من تلاعبهما بالإسلام حديث السرار للرومي ، وأن معاوية مضى أذن عمرو ؛ أين هذا من سيرة عمر ؟ وأين هذا من أخلاق علي عليه السلام وشِدَّتِهِ في ذات الله ، وهما مع ذلك يسبانه بالدعابة !

(١) في كتاب صفين : « بكى بعير » ، والمكان : عدلان بعدان على جانبي المودج .

(٢) في صفين : « ملك هِجْرَتُهُ » .

(٣ - ٤) وفي صفين : « وَاثِقَ إِلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ حَسَا وَجَدًا ، وَحَسَاوِطُورَةً ، وَبَلَاءً مِنْ أَلْفِ حَسَاءٍ » .

(٥) كَذَا فِي ب ، ج ، وَلِ أ : « لَأَنْ » .

قال نصر : فأنشأ عمرو بقول :

مَعَاوِي لَا أُعْطِيكَ دِيْنِي وَلَمْ أَنْزِلْ  
[ فَإِنْ تُعْطِنِي مِصْرًا فَارْزِيعْ بِصَفْقَةٍ  
وَمَا الدِّينُ وَالْأَدْيَا سِوَاهُ وَإِنِّي  
وَلَكِنِّي أَغْنِي الْجُنُونَ وَإِنِّي  
وَأُعْطِيكَ أَمْرًا فِيهِ لِمُلكِ قُوَّةٌ  
وَتَمْنِي مِصْرًا وَلَيْسَتْ بِرَغْبَةٍ  
بِهِ مِنْكَ دُنْيَا فَأَنْظُرْ كَيْفَ تَصْنَعُ  
أَخَذْتَ بِهَا شَيْخًا مِصْرًا وَبَنَفْعُ <sup>(١)</sup>  
لَاخِذَ مَا تُعْطِي وَرَأَيْتُ مَقْعُ  
لَا حُدُوعَ نَفْسِي ، وَالْخَضَاعُ يُجَدِّعُ  
وَأَلْقَى بِهِ إِنْ زِلْتَ النَّمْلُ أَصْرَعُ <sup>(٢)</sup>  
وَإِنِّي بِذَا الْمَنُوعِ قَدْ مَالُوعُ

• • •

قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ : كانت مصر في نفس عمرو بن العاص ، لأنه هو الذي  
قصعها في سنة تسع عشرة من الهجرة في حلافة عمر ، فكان لمظلمها في نفسه وجلالها  
في صدره ، وما قد عرفه من أموالها وسعة الدنيا ، لا يستعظم أن يحملها ثمنًا من دينه ، وهذا  
معنى قوله :

• وَإِنِّي بِذَا الْمَنُوعِ قَدْ مَالُوعُ •

• • •

قال نصر : فقال له معاوية : يا أبا عبد الله ، أما تعلم أن مصر مثل العراق قال : بلى ،  
ولكنها إنما تكون لي إذا كانت لك ، وإنما تكون لك إذا غلبت عليا على العراق .  
قال : وقد كان أهل مصر يثبوا بطاعتهم إلى علي عليه السلام .

فلما حضر عتبة بن أبي سفيان قال لمعاوية : أما ترعى أن تشتري قهراً بمصر

(١) هذا البيت زيادة من كتاب صفي ، ولم يرد في الأصول .

(٢) في كتاب صفي :

• وَإِنِّي بِهِ إِذْ زِلْتَ النَّمْلُ أَصْرَعُ •

إن هي صفت لك أليتك لأتغلب على الشام . فقال معاوية : يا عتبة ، يت عندنا الليلة ، فلما  
جاء الليل على عتبة رفع صوته لسمع معاوية ، وقال :

أيتها المانح سيفاً لم يهز  
إنما أنت خروف هائل  
أعط عمراً إن عمراً تارك  
يا لك الخير نخذ من دونه  
واشعب الذيل يادرفوقه (١)  
أعطيه مضراً وزده مثلها  
واترك الحرم عليها صلة  
إن مصراً لعلى أو لنا  
بغلبت اليوم عليها من عجز

قال : فلما سمع معاوية قول عتبة ، أرسل إلى عمرو فاعطاه مصر ، فقال عمرو : لى الله  
عليك بذلك شاهد ؟ قال : نعم ، لك الله على ذلك إن فتح الله علينا الكوفة ، فقال عمرو :  
( والله على ما نقول وكيل ) (٢) .

نفرج عمرو من عنده ، فقال له انما : ما صنعت ؟ قال : أعطانا مصر طعمة ، قالوا :  
وما مصر فى ملك العرب ؟ قال : لأشجع الله بطونكم إن لم تشبعكم [ مصر ] (٣) .  
قال : ( وكتب معاوية له بمصر كتابه ، وكتب : « على ألا يتنقض شرط طاعة » ،  
فكتب عمرو : « على ألا تنقض طاعة شرطاً » . فكابد كل واحد منهما صاحبه .

• • •

قلت : قد ذكر هذا اللفظ أبو العباس محمد بن يزيد البردى كتابه " الكامل "

(١) الفوق هنا : الطريق الأول .

(٢) الكزاز : داء يأخذ من شدة البرد ، وتسمى منه رعدة .

(٣) سورة القصص ٢٨ .

(٤) من كتاب وقعة صفين .

( • • • ) فى كتاب وقعة صفين : « فأعطاه إياه ، وكتب له كتاباً ، وكتب معاوية » .



ولم يفسره<sup>(١)</sup> ، وتفسيره أن معاوية قال للكاتب : « اكتب على ألا ينقض شرط طاعة » ، يريد أخذ إقرار عمرو له أنه قد بايعه على الطاعة بصفة مطلقة غير مشروطة بشيء ، وهذه مكابدة له ؛ لأنه لو كتب ذلك لكان لمعاوية أن يرجع في إعطائه مصر ، ولم يكن لعمرو أن يرجع عن طاعته ، وبحجج عليه يرجوعه عن إعطائه مصر ، لأن مقتضى للشارطة للذكورة ، أن طاعة معاوية واجبة عليه مطلقا ، سواء أ كانت مصر مسئلة إليه أم لا .

فلما اتفه عمرو إلى هذه المكيدة منع الكاتب من أن يكتب ذلك ، وقال : بل اكتب : « على ألا تنقض طاعة شرطاً » ، يريد أخذ إقرار معاوية له بأنه إذا كان أطاعه لا تنقض طاعته إلا ما شرطه عليه من تسليم مصر إليه . وهذا أيضا مكابدة من عمرو لمعاوية ، ومنع له من أن يتدر بما أعطاه من مصر .

قال نصر : وكان لعمرو بن العاصم حم من بني سهم ، أريب<sup>(٢)</sup> ، فلما جاء عمرو بالكتاب مسرورا يحب النبي ، وقال : ألا تخبرني يا عمرو ، بأي رأى تبيش في قرين أ أعطيت دينك وتميت دنيا فورك ؟ أرى أهل مصر - وهم قلة عيان - يذفونها إلى معاوية وعلى حم : أتراها إن صارت لمعاوية لا يأخذها بالحرف الذي قدمه في الكتاب ؟ فقال عمرو : يا ابن أخي ، إن الأمر لله دون علي ومعاوية ، قال النبي :

ألا يا هندُ أختَ بني زُهَلٍ رُمي عمرو بداهية البلاد<sup>(٣)</sup>  
رُمي عمرو بأخوَزَ عِشْمِيْ بِسَدِّ الْقَمَرِ غَشَى الْكِتَابُ<sup>(٤)</sup>  
لَهُ خُبْرٌ يَخَارُ الْعُقُلَ مِنْهَا مَزْخَرَةٌ صَوَائِدُ الْفُؤَادِ  
فَشَرَطَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْهِ حَرْقًا يَلْدِيهِ بِخَذَعَتِهِ لِلنَّادِي

(١) الكامل ٤ : ٢١٠ - بفتح الراء .

(٢) في كتاب صفين : « وكان مع عمرو ابن حم ، فن شارب ، وكان عامية حلياً » ، وفي كتاب الإلمنة والياسة ١٦٠ : « وكان مع عمرو بن العاصم ابن أخ له جاءه من مصر » . وهو ما ينسب ما يجيء بعد .

(٣) كتاب صفين : « دعي عمرو »

(٤) يريد أنه يخشى كيدهم .

وَأَبَيْتَ مَتْنَهُ هَمْرُو عَلَيْهِ      كَلَامَ الرَّائِنِ حَتَّى بَطْنِ وَادٍ  
 أَلَا يَا هَمْرُو مَا أَحْرَزْتَ مِصْرًا      وَلَا مَلْتَ الْغَدَاةَ إِلَى الرَّشَادِ  
 أَبَيْتَ الَّذِينَ بِاللَّهْنِ خَسَارًا      فَأَنْتَ بِنَاكَ مِنْ شَرِّ الْعِبَادِ  
 فَوَكَلْتَ الْغَدَاةَ أَخَذَتْ مِصْرًا      وَلَكِنْ فَوْنَهَا خَرَطُ الْقَعَادِ  
 وَقَدَّتْ إِلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ      فَكَلْتَ بِهَا كَوَافِدَ قَوْمِ عَادِ  
 وَأَعْطَيْتَ الْقَدَى أَعْطَيْتَ مِنْهَا      يَبْرُسٍ فِيهِ نَضْعٌ مِنْ مَدَادِ  
 أَلَمْ تَعْرِفْ أَبَا حَسَنِ عَلِيًّا      وَمَا نَالَتْ بِدَاهٍ مِنَ الْأَعَادِ  
 عَدَلَتْ بِهِ مَعَاوِيَةُ بْنُ حَرْبٍ      فَيَا بُمْتَهُ الْبَيَاضِ مِنَ السَّوَادِ  
 وَيَا بُمْتَهُ الْأَصَابِعِ مِنْ سَهْلٍ      وَيَا بُمْتَهُ الْعَصَاكِ مِنَ الْغَسَادِ  
 أَتَأْمَنُ أَنْ تَدَّالَ عَلَى خِدْمَةٍ      يَحْتَثُّ الْخَلِيلُ بِالْأَسَلِ الْحِدَادِ<sup>(١)</sup>  
 يَنَادِي بِالزَّلَالِ وَأَنْتَ مَعْدٍ      قَرِيبٌ فَانْظُرْ مَنْ ذَا تَعَادِي

فقال عمرو: يا ابن أخي، لو كنت عند عليٍّ لوسني، ولكني الآن عند معاوية<sup>(٢)</sup>. قال  
 الفقي: إنك لو لم ترد معاوية لم يردك؛ ولكنك تريد دنياه، وهو يريد دينك. وبلغ  
 معاوية قول الفقي فطلبه، فهرب فلقق بعل عليه السلام، فحدثه أمره فسر به وقرّبه.  
 قال: وغضب مروان وقال: ما بالي لا أشتري [كما اشتري عمرو]<sup>(٣)</sup>! فقال معاوية:  
 إنما يشتري الرجال لك، فلما بلغ عليا عليه السلام ما صنع معاوية قال:

يَا عَجَبًا لَقَدْ سَمِعْتُ مُنْكَرًا      كَذِبًا عَلَى اللَّهِ يُشِيبُ الشَّمْرَا  
 يَسْرِقُ السَّمْعَ وَيُشِيءُ الْبَصْرَا      مَا كَانَ يَرْضَى أَحَدٌ لَوْ أَخِيرَا<sup>(٤)</sup>

(١) الحذب: الضخم. وفي صميم: «أن تراه».

(٢) كذا في ج وكتاب صفي، وفي أ، ب: «ولكني الآن عنده».

(٣) بكلة من كتاب صفي.

(٤) صفي: «لو أخيرا».

أن يقرنوا وصيه والأبتر  
 كلاًهما في جنده قد عسكر  
 من ذا بذنها يمسسه قد خيرا  
 إلى إذا الموت دنا وحضر  
 قد لم لوأي لا تؤخر حذرا  
 لما رأيت الموت موتا أحمر  
 حتى يمان يظفون الخطرا  
 قل لابن حرب لا تدب الظمرا  
 لا تحسبى يان هند غمرا  
 يوم جملنا كم يذر جزرا  
 أو حرة القرم الهام الأزهرا  
 شاي الرسول واللمين الأخزرا<sup>(١)</sup>  
 قد باع هذا دينه فأجزرا  
 بمك مصر أن أصاب الظفرا  
 ثم رث ثوبى ودعوت قنبرا<sup>(٢)</sup>  
 لا يدفع الحذار ماقد قدرا  
 مبات همدان وعبوا حيرا  
 قرن إذا ناطح قرنا كسرا<sup>(٣)</sup>  
 أزود قليلا أبدي منك الضجرا<sup>(٤)</sup>  
 وسئل بنا بدرا عما وخيرا  
 لو أن عندي يان هند جفرا  
 رأت قرش نيم تسلي ظهرا

قال نصر : فلما كتب الكتاب<sup>(٥)</sup> ، قال معاوية لمرو : ما ترى الآن ؟ قال :  
 أمضي الرأي الأول . فبعث مالك بن عبيدة الكندي في طلب محمد بن أبي حذيفة ، فأدركه  
 قتله ، وبعث إلى قيسر بالهدايا فوادعه ، ثم قال : ما ترى في علي ؟ قال : [ أرى فيه

(١) الأخزرا : الذي ينظر بمؤخر عينه .

(٢) قنبر : مولى علي .

(٣) يرى الأستاذ باسم أنها : « قرن » . بالفتح على الهجاز .  
 (٤) الحمرا : ما وارك من الشعر والجمال ونحوها ؛ والذيب : الذي على عينه ؛ يقال للرجل إذا ختل  
 صاحبه : هو يذب له الضراء . ومعنى له الحمرا والإرواد : الإسهال .

(٥) القصر : من لم يجرب الأمور .

(٦) الجزر : اللحم الذي يأكله السباع ، وول كتاب سبعين

• كانت قرش نيم يذر جزرا •

ويده :

• إذ وردوا الأمر قدّموا الصدرا •

(٧) في كتابتين : « ثابات عمرو مد معاوية وأصبح أسماه . مصر طمعة له ، وكتبه بها كتابا .

خيرا] <sup>(١)</sup>، إنه قد أتاك في طلب البيعة خير أهل العراق، ومن عند خير الناس في أرض  
الناس؛ ودمواك أهل الشام إلى رده هذه البيعة خطر شديد، ورأس أهل الشام  
شُرَحْبِيل بن السَّمَط الكِنْدِيُّ، وهو عدو جريز المرسل إليك، فابست إليه ووطئ له  
تقاتك، فليفتشوا في الناس أن عليا قتل عثمان، وليكونوا أهل رضا عند شُرَحْبِيل،  
فإنها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما يحب، وإن تملقت بقلب شُرَحْبِيل لم يخرج منه  
شيء أبدا.

فكتب إلى شُرَحْبِيل: إن جرير بن عبد الله قديم علينا من عند علي بن أبي طالب  
بأمر مقطوع، فاقدم.

ودعا معاوية يزيد بن أسد، وبسر بن أرطاة، وعمر بن سفيان، ومخارق بن الحارث  
الزبيدي، ومحرزة بن مالك، وحابس بن سعد الطائي، ومعه لاء رهوس قحطان واليمن، وكانوا  
تقات معاوية وخاصة وبنو شُرَحْبِيل بن السَّمَط، فأمرهم أن يقتلوا ويخبروا أن عليا قتل  
عثمان. فلما قدم كتاب معاوية على شُرَحْبِيل وهو يجتمع واستشار أهل اليمن فاختلوا عليه،  
فقام إليه عبد الرحمن بن غم الأزدي وهو صاحب معاذ بن جبل وختنه، وكان أخته أهل  
الشام. فقال: يا شُرَحْبِيل بن السَّمَط، إن الله لم يزل يزيدك خيرا منذ هاجرت إلى اليوم،  
وإنه لا ينقطع الزيد من الله حتى ينقطع الشكر من الناس؛ وإن الله لا يميز ما يقوم حتى  
يتمروا ما بأفئسهم. إنه قد أتني إلى معاوية أن عليا قتل عثمان <sup>(٢)</sup>، ولهذا يريدك، فلن كان قتله  
قد بايعه المهاجرون والأنصار، وهم الحكماء على الناس، وإن لم يكن قتله، فعلام تصدق  
معاوية عليه! لا تهلكن نفسك وقومك؛ فإن كرهت أن يذهب بمخلفي جرير، فسير إلى  
علي، فبايعه عن <sup>(٣)</sup> شامك وقومك فأبى شُرَحْبِيل إلا أن يسير إلى معاوية، فكتب إليه  
عياض الثعالبي - وكان ناسكا:

(١) من كتاب معين.

(٢) في كتاب معين: «إنه قد أتني إليا قتل عثمان، وأن عليا قتل عثمان».

(٣) معين: «على هامك وقومك».

يا شُرْحُ يا بن السَّمط إنك بالغٌ      بودُ على ما تريدُ من الأمرِ <sup>(١)</sup>  
 ويا شُرْحُ إن الشامَ شامك ما بها      سواك قدَّعَ عنك المضلل من فيهِ <sup>(٢)</sup>  
 فإن ابنَ هندٍ ناصبٌ لك خُدعةً      تكونُ علينا مثل راحية البكرِ <sup>(٣)</sup>  
 فإن نال ما يرجو بنا كان مُلكنا      هنيئاً له ، والحربُ قاصمة الظهيرِ  
 فلا تَهَيِّئِ حَرْبَ العراقِ فإنها      تحرِّمُ أطهارَ النساءِ من الذُّهرِ  
 وإن علياً خيرٌ من وطيءٍ الذي      من الهاشميين المداريك للوترِ <sup>(٤)</sup>  
 له في رقابِ الناسِ عهدٌ وذِمَّةٌ      كسبِ أي حفصٍ وعهد أبي بكرٍ  
 فبايع ولا ترجع على العقبي كافرين      أميدك بالله العزيز من الكفرِ  
 ولا تسمعن قولَ الطمَّاءِ فلهنَّ      يريدون أن يلقوك في تجة البحرِ  
 وماداً عليهم أن تطاعنَ لوهم      عينا بأطرافِ المتفكة الشمرِ  
 فإن غلبوا كانوا عليهم أئمةً      وكذا محمدٌ الله من ولد الطهرِ  
 وإن غلبوا لم يوصل بالخطبِ غيرُ ما      وكان على حَرْبنا آخرَ الدهرِ  
 يهونُ على علياً لؤيُّ بن غالب      دماء بني قحطان في ملكهم تجرى  
 قدَّعَ عنك عثمان بن عفان إماماً -      لك الخير - لا تدرى بأنك لا تدرى  
 على أي حال كان مصرعُ جنبه      فلا تسمعن قول الأعيور أو عمرو

قال : فلما قدِمَ شُرْحُ حِجِلَ على معاوية ، أمر الناس أن يلقوه ويعظموه ، فلما

(١) شرح : مرخم شرحيل

(٢) صفين : « قدَّعَ عنك المضلل » .

(٣) راحية البكر ، يريد رعاء البكر ، بوضع راحية موضع الصدر ؛ يشير إلى ما كان من رعاء بكر  
 هود ، رعاء بهم فأهلكوا ، ضربته العرب مثلاً في الشوم ، وأكثرت فيه . انظر الكامل للبيد

١ : ٧٢ - بفتح الراء .

(٤) الوتر : الثار والقحل .

دخل على معاوية ، فكلم معاوية محمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا شرحبيل ، إن جرير ابن عبد الله قدّم علينا يدعونا إلى بيعة عليّ ، وعلى خير الناس ؛ لولا أنه قتل عثمان بن عفان ؛ وقد حبست نفسي عليك ، وإنما أمارجل من أهل الشام ، أرضى ما رضوا وأكره ما كرهوا .

فقال شرحبيل : أخرج فأنظر . ففقه هؤلاء نفر للوطنون له ، فكلمهم أخبره<sup>(١)</sup> أن عليا قتل عثمان ، فرجع منضبا إلى معاوية فقال : يا معاوية ، أبا الناس إلا أن عليا قتل عثمان ، والله إن بايعة له لنخرجنك من شامنا أو لنقتلنك . فقال معاوية : ما كنت لأخالف عليكم ، ما أنا إلا رجل من أهل الشام . قال : فردّ هذا الرجل إلى صاحبه إذن . فصرّ معاوية أن شرحبيل قد غفلت بصيرته في حرب أهل العراق ، وأن الشام كله مع شرحبيل ، وكتب إلى أهل حمص للسلام ما سنّوره فيما بعد ، إن شاء الله تعالى .

(٢٧)

ومن خطبة له عليه السلام :

**الأسفل :**

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ الْعِبَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ لَوْلِيَائِهِ ، وَهُوَ  
لِبَاسُ التَّقْوَى ، وَدِرْعُ اللَّهِ الْخَصِيئَةِ ، وَجَنَّةُ الْوَرِيقَةِ . فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ  
اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ ، وَشِئْلَةَ الْبَلَاءِ ، وَذُبَّتْ بِالصَّغَارِ وَالْقَسَاءَةِ ، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ  
بِالْإِسْهَابِ ، وَأُذِيلَ الْخَلْقُ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجَاهِدِ ، وَسِيمَ الْخُلْفِ ، وَمُنِيعَ النُّصَفِ .  
أَلَا وَآئِي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى إِحْثَالِ هَوَالَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَسِرًّا وَإِعْلَامًا ،  
وَقُلْتُ لَكُمْ : أَفْرُؤُهُمْ قَبْلَ أَنْ يَفْرُؤُكُمْ ؛ فَوَاللَّهِ مَا غَزَى قَوْمٌ قَطُّ فِي عُرِّي دَارِهِمْ  
إِلَّا ذَلُّوا ، فَتَوَا كَلْتُمْ وَتَحَاذَلْتُمْ ؛ حَتَّى شَاتَ عَلَيْكُمْ الْعَارَاتُ ، وَمِيلَكْتَ  
عَلَيْكُمْ الْأَوْطَانُ .

(١) هَذَا أَخُو غَايِدٍ ، قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَانَ بْنَ حَسَّانَ  
الْبَكْرِيَّ ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا ، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ  
يَدْخُلُ عَلَى النِّسَاءِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمَعَاهِدَةِ ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلُوبَهَا ، وَقَلَائِدَهَا  
وَرُغْمَهَا ، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالْأَسْرِ جَائِعٌ وَالْأَسِيرُ حَاكِمٌ ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ ، مَا بَالُ  
رَجُلًا مِنْهُمْ كَلَّمَ ، وَلَا أَرِيقَ لَهُمْ دَمٌ ؛ فَتَوَا أَنْ أَمْرًا مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا اسْتَفَا  
مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا ، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا

فَيَا حَبِيبَا عَجَبًا ! وَاللَّهِ يُبَيِّتُ الْقَلْبَ ، وَيَحْبِيبُ إِلَيْهِمْ ، مِنْ أَجْبَاعِ هَوَالَاءِ الْقَوْمِ عَلَى  
بَاطِلِهِمْ ، وَتَفَرَّقَ فِكْرُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ؛ فَتَبَّ عَالِكُمْ وَتَرَحَّأُكُمْ ، حِينَ يَصْرُتُمْ غَرَضًا يُرْمَى ، يُسَارُّ

عَلَيْكُمْ وَلَا تَغِيرُوهَ ، وَتُنْزِلُوهَ وَلَا تَنْزِلُوهَ ، وَيُصْصِي اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ ١  
فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُسِمَ : هَذِهِ سَحَابَةُ الْقَيْظِ ، أَمِيلُنَا  
بَسْبِغٍ عَنَّا الْحَرَّ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُسِمَ هَذِهِ صَبَابَةُ الْقُرِّ ،  
أَمِيلُنَا بِنَسْلِغٍ عَنَّا الْبَرْدَ ؛ كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ ؛ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ  
وَالْقُرِّ تَغِيرُوهَ ؛ فَأَنْتُمْ وَاللَّهُ مِنَ السَّيْفِ أَمْرٌ !

بِأَشْيَاءِ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالٍ أَحْلُمُ الْأَحْمَدُ ، وَعَقُولُ رَمَاتِ الْحِمَالِ ؛ لَوَدِدْتُ  
أَنْ لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً - وَاللَّهِ - جَرَتْ نَدْمًا وَأَعْقَبَتْ سَدَمًا. فَأَتَلَكُمُ  
اللَّهُ الْقَدَمَ مَلَأْتُمْ قُلُوبِي قَيْحًا ، وَشَعَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا ، وَجَرَّ عُنُقِي نَفْسَ التَّهَامِ  
أَهْلًا ، وَأَقْدَمْتُمْ عَلَى رَأْيِي بِالْمِصْنَانِ وَالْخَيْلَانِ ؛ حَقٌّ لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ : إِنْ  
أَبْنَى أَيْ طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَلَكِنْ لَا يَلِمُ لَهُ بِالْحَرْبِ. فَهُوَ أَبُوهُمْ ! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ  
أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مِنِّي ! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْيُسْرَيْنِ ؛ وَهَذَا  
قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى الشَّيْئِ ! وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِيَنْ لَا يُطَاعُ !

• • •

## الْبَنْجُ :

هذه الخطبة من مشاهير خطبه عليه السلام ؛ قد ذكرها كثير من الناس ، ورواها  
أبو العباس المبرد في أول " الكامل " ، <sup>(١)</sup> وأسقط من هذه الرواية الفاظًا وزاد فيها  
الفاظ ، وقال في أولها :

« إِنَّهُ أَنْهَى إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ حِيلًا وَرَدَّتِ الْأَبَارُ لِمَعَاوِيَةَ ، فَتَقْتُلُوا عَامِلًا لَهُ

(١) الكامل ١ : ٢٠ ، ٢١ ؛ يروها عن حيد بن عاص النبي للعروف بابن عاكف



يقال له : حَتَّانَ بْنِ حَسَّانَ ، فخرج معضباً يَبْرُزُ رداءه<sup>(١)</sup> ، حتى أتى الثَّغِيلَةَ<sup>(٢)</sup> ، واتبعه الناسُ ، فَرَقِيَ رِبَاوَةً<sup>(٣)</sup> من الأرض ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على بيته صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أما بعد فإنَّ الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة ، فمن تركه رغبة عنه ، ألبسه الله القلَّ وسياً الخسيفَ .

وقال في شرح ذلك : قوله : « وسياً الخسيف » ، هكذا حدثونا به ، وأظنه « سيم الخسيف » ، من قوله تعالى : ﴿ بِسُوءِ مَوَاسِكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾<sup>(٤)</sup> . وقال : « فإنَّ نَصْرَنَا ما سمعناه » ، « فسيا الخسيف »<sup>(٥)</sup> ، تأويله علامة الخسيف ، قال الله تعالى : ﴿ سَيِّئًا مِمَّا فِي وُجُوهِِهِمْ ﴾<sup>(٦)</sup> ، وقال : ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسَيِّئِهِمْ ﴾<sup>(٧)</sup> ، وسياً مقصور ؛ وفي معناه « سيمياء » محمود ، قال الشاعر<sup>(٨)</sup> :

فَلَا مَ رَمَاءُ اللَّهِ بِالْحَسَنِ يَافَعَا / كَلُّ سَيِّئِيَا لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرِ

ونحن نقول : إنَّ السماع الذي حكاه أبو العباس غير مرضي ، والصحيح ما تضمنته " نهج البلاغة " وهو « سيم الخسيف » فقل ما لم يسم فاعله ، و « والخسيف » منصوب ؛ لأنه مفعول ، وتأويله : أولي الخسيف وكلف إياه ، والخسيف : الدل والمشقة . وأيضاً فإنَّ في " نهج البلاغة " لا يمكن أن يكون إلا كما اخترناه ؛ لأنه بين أفعال متعددة بُنيت للمفعول به ، وهي : « دُبِثَ » و « ضُرِبَ » و « أُدْبِلَ » و « مُنِعَ » ،

(١) في الكامل : « لوبه » .

(٢) الثغيلة : اسم موضع خارج الكوفة .

(٣) الرباوة : اسم لكل ما ارتفع من الأرض ، كالرماة والربوة والراية .

(٤) سورة البقرة ٤٩ .

(٥) كفا في الأصول ، وعبارة الكامل فيها لها من نسخة : « وسى قوله : « سياً الخسيف » ، تأويله

علامة ، هذا أصل هنا » .

(٦) سورة الفتح ٢٩ .

(٧) سورة الرحمن ٤٦ .

(٨) في زباجات الكامل : « هو ابن صفاء البزازي في حجة التفرار » ؛ وذكر بعده :

كَانَ الثَّرِيًّا عُلِقَتْ فِي جَبِينِهِ / وَفِي أَنْفِهِ الشَّعْرَى وَفِي جِيدِهِ الْقَمَرُ

ولا يمكن أن يكون ما بين هذه الأفعال معطوفا عليها إلا مثابها ، ولا يجوز أن يكون اسما .

وأما قوله عليه السلام : « وهو لباس التقوى » ، فهو لفظة مأخوذة من الكتاب العزيز ، قال الله سبحانه : ﴿ قَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بَلَاغًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَرِثَا لِبَاسُ الْتَّقْوَى ﴾ (١) .

والجثة : ما يُخْتَن به ، أى يستتر ، كالدرع والخففة (٢) .

وتركة رعة عنه ، أى زهداً فيه ، رعبت عن كذا ، ضد رعبت فى كذا .

ودُيْتُ بالعمار ، أى دُلْتُ ، عبر مُدَيْتُ ، أى مُدَلُّ ؛ ومنه الدُّيُوت : الذى لا غيره له ، كأنه قد دُلَّ حتى صار كذلك .

والصَّمار : الدل والصيم .

والقاء ؛ بالد : مصدر قُمَزَ الْقَبْلُ قَمَازاً أى صار قيثاً ، وهو الصير الدليل ، فأما قَمَاً ، بفتح الميم فمماه سَمَن ، ومصدره القُمُو والقُمُو .

وروى الراوندى : « ودُيْتُ بالعمار والقاء » ، بالقصر ، وهو غير معروف .

وقوله عليه السلام : « ضُرب على قلبه بالإسهاب » ، فالإسهاب هاهنا هو ذهاب العقل ؛ ويمكن أن يكون من الإسهاب الذى هو كثرة الكلام ؛ كأنه عوقب بأن يكثر كلامه فيما لا فائدة تحته .

قوله : « وأدبيل الحق منه بتضييع الجهد » ، قد بظن ظان (٣) أنه يريد عليه السلام : وأدبيل الحق منه بأن أخضع جهاده ؛ كالباءات المتقدمة ، وهى قوله : « ودُيْتُ بالصغار » ، و « ضُرب على قلبه بالإسهاب » . وليس كالحق ، بل للراد : وأدبيل الحق منه

(١) سورة الأعراف ٢٦ . (٢) الخفة : حربة من النسي ، وقيل : هى من الجلود خاصة .

(٣) هـ ، ج : « فلان » ، وما أثبتته عن أ .

لأجل تضييعه الجهاد ، فالباء هاءنا لفسية ، كقوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ جَزَ بِنَانُمْ رَيْبِيهِمْ ﴾ (١) .

والتصّف : الإنصاف . وعُقر دارهم ، انضم : أصل دارهم ، والعُقر : الأصل ، ومنه للعُقر للتخل ، كأنه أصل المال . وتواكلم ، من وكلت الأمر إليك ووكلته إلى ، أى لم يتوكله أحد منا ، ولكن أحال به كل واحد على الآخر ، ومنه رجل وركل ، أى عاجز بكل أمره إلى غيره ، وكذلك وركلة .  
ونخاذلهم ، من الخذلان .

وَشَفَّتْ عَلَيْكُمُ الْفَارَاتُ : فُرُطَتْ ، وما كان من ذلك متفرقا نحو إرسال الماء على الوجه دفعة بعد دفعة ، فهو بالشين المعجمة ، وما كان أرسالا غير متفرق ، فهو بالسين المهملة ؛ ويجوز شَنَ النارَ وأشها .  
والسالح : جمع مسلحة ، وهي كالنفر وللرّقب ، وفي الحديث : « كان أدنى مسالح فارس إلى العرب المذهب » (٢) والمعاهدة : ذات العهد ، وهي التّمية . والجبل : الخلل ، ومن هذا قيل للفرس محجل ، وسمى القيد جحلا ، لأنه يكون مكان الخلل . ورُعْثها : شُفْوفها ، جمع رِطاث بكسر الراء ، وريث : جمع رَغْثَة ، فالأول مثلُ رخار وخر ، والثاني مثل جَفْثَة وجِفْثان . والقلْب : جمع قُبْ ، وهو السوار المصمت . والاسترجاع ، قوله : ﴿ إِنَّا قَدِ إِذَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (٣) . والاسترحام : أن تناشده الرحم . وانصرفوا وافرين ، أى تامين ، وفّر الشيء نفسه أى تمّ فهو وافر ، ووفّرت الشيء ، متمدّد ، أى أتممته .

وفي رواية للبردة « موفورين » ، قال : من الوفر ، أى لم ينل أحد منهم بأن يرزأ (٤)

في بدن أو مال .

(١) سورة الأنعام ١٤٦ .

(٢) ذكره ابن الأثير في النهاية ٧ : ١٧٤ .

(٣) سورة القرة ١٥٦ .

(٤) لم يرزأ : من الرزء وهو للمصيبة .

وفي رواية المبرد أيضا : « فتوا كلم وتخاذلتم ، وتقل عليكم قولي ، واتخذتموه وراءكم ظهريا » ، قال : أي رميتهم به وراء ظهوركم ، أي لم تلتفتوا إليه ، يقال في المثل : لا تجعل حاجتي منك بظهور ، أي لا تطرحها غير ناظر إليها ، قال الفرزدق :

تَمِيمُ بْنُ مَرْثَلٍ لَا نَكُونُ حَاجَتِي بِظَهْرٍ وَلَا يَمِيَا عَلَيْكَ جَوَابُهَا<sup>(١)</sup>

والكلم : الجراح . وفي رواية للمبرد أيضا : « مات من دون هذا أسفا » ، والأسف : التعسر . وفي رواية للمبرد أيضا : « من تصافر هؤلاء القوم على باطلهم » ، أي من تعاونهم وتظاهروا . وفي رواية للمبرد أيضا : « وفشلكم عن حكم » ، الفشل : الجبن والتسكول من الشيء . فصبعا لكم وترحبا ، دعاء بأن ينصحتهم الله عن الخير ، وأن يحزبهم ويسوءهم . والفرس : المهدف ، وحجارة القيظ ، بتشديد اللام : شدة حره . وَيُسَيِّغُ عَنَّا الْحَرَّ ، أي يخفف ، وفي الحديث أن عائشة أكرت من الدعاء على سارق سرق منها شيئا ، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله : « لَا تُسَيِّغِ عَنْهُ بِدَعَائِكَ » .

وصبرة الشتاء ، بتشديد الراء : شدة برده ، ولم يرو للمبرد هذه اللفظة ، وروى : « إذا قلت لكم اعزؤم في الشتاء قلتم هذا أوان قرّ وصر » ، وإن قلت لكم اعزؤم في الصيف قلتم هذه سخارة القيظ أنظرنا بنصرم عتّا الحر » . الصر : شدة البرد قال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾<sup>(٢)</sup> .

ولم يرو للمبرد : « حلوم الأطفال » ، وروى عوضها : « باطنام الأحلام » ، وقال : الطعام : من لا معرفة عنده ، ومنه قولهم : « طعام أهل الشام » .

وربات الحجال : النساء ، [والحجال] جمع حجلة ، وهي بيت يزينا بالستور والنياب والأسمدة

(١) اللسان ٦ : ١٩٥ وروايته : « تميم بن قيس » ، ورواية الديوان ٩٥ :

تَمِيمُ بْنُ زَيْدٍ لَا تَهُونُنَّ حَاجَتِي لَدَيْكَ ، وَلَا يَمِيَا عَلَى جَوَابُهَا

وبهذه الرواية لا شاهد فيه لهذا الوضع .

(٢) سورة آل عمران ٩١٧ .

والسَّدَم : الحزن والغيظ . وانفِيع ما يكون في القرحة من صديدها .  
وشحنتم : ملأتم .  
والنُّصَب : جمع نَمَة وهي الجُرعة . والتَّهْمَام ، ففتح الناء : اهتم ، وكذلك  
كل « تَفْعَال » ، كالترداد ، والتكرار ، والتجوال ، إلا التَّيْبَات والتلقاء ،  
فأيهما بالكسر .

وأنفاساً ، أى جرعة بعد جرعة ، يقال : اكرع في الإماء نفسين أو ثلاثة .  
ودرّفت على الستين ، أى ردت . ورواها المبرد : « أتيت » .  
وروى المبرد في آخرها فقام إليه رجل ومعه أخوه فقال : يا أمير المؤمنين ، إني وأخي  
هذا ، كما قال الله تعالى : ﴿ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾ <sup>(١)</sup> ، فرما أمرك ، فوالله  
لنتهين إليه ولو حال معنا ومنه حمر الدماء وشوك القناد . فدعا لها بخير وقال : وأين تقمان  
بما أريد أنم زل .

\*\*\*

### [ استطراد بذكر كلام لابن نباتة في الجهاد ]

واعلم أن التحريض على الجهاد والحض عليه قد قال فيه الناس فأكثرُوا ، وكلمهم  
أخذوا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ؛ فمن حَيّد ذلك ما قاله ابنُ نباتة <sup>(٢)</sup> الخطيب :  
أيّها الناس ، إلى كم تسمعون الدُّكر فلا تَعُون ، وإلى كم تفرعون بالزُّجر فلا تُقْلِمُونَ !  
كأن أسماكم تمنج ودائع الوعظ ، وكأن قلوبكم بها استكبارٌ عن الحفظ ، وعدوّكم يعمل

(١) سورة المائدة ٢٥ .

(٢) هو أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل السارق ؛ كان خطيب حلب ، ومها اجمع مع أبي  
الطيب المتقي في خدمة سيف الدولة ، وكان سيف الدولة كثير العروا ؛ فكثرت خطبه و الجهاد ليس  
الناس على مصر سيف الدولة ، تولى سنة ٣٧١ . وبأية ، هم النون وفتح الاء . ان حلسكان ١ :

في دياركم قهله ، ويبلغ بتخلفكم عن جهاده أمله ، وصرخ بهم الشيطان إلى باطله فأجابوه ،  
 وتذبكم الرحمن إلى حقه فخالفتموه ، وهذه البهائم تناضل عن ذمارها ، وهذه الطير  
 تموت تحية دون أوكارها ، بلا كتاب أنزل عليها ، ولا رسول أُرسل إليها . وأنتم أهل  
 العقول والأفهام ، وأهل الشرائع والأحكام ، تبتدون من عدوكم نديد الإبل ، وتذرعون  
 بمدارع المعجز والفشل ، وأنتم والله أولى بالفوز إليهم ، وأحرى بالخار عليهم ، لأنكم  
 آمناء الله على كتابه ، والمصدقون بعباده وثوابه ، خضعتم لله بالنجدة والباس ، وجعلكم  
 خير أمة أخرجت للناس ؛ فآين حجة الإيمان ؟ وآين بصيرة الإيقان ؟ وآين الإشفاق  
 من لعب النيران ؟ وآين الثقة بضمان الرحمن ؟ فقد قال الله عز وجل في القرآن : ﴿ تَلَى  
 إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا ﴾ <sup>(١)</sup> ؛ فاشترط عليكم التقوى والصبر ، وضمن لكم المونة والنصر ؛  
 أفتميمونه في ضمانه ! أم تشكون في عده وإحسانه ! فاسألو الله إلى الجهاد بقلوب  
 قتيبة ، وغفوس آية ، وأعمال رضية ، ووجوه مضيئة ؛ وخذوا بعزم التمشير ،  
 واكشفوا عن رءوسكم عار التقصير ، وهبوا نفوسكم لمن هو أملك بها منكم ، ولا تركوا  
 إلى الجزع فإنه لا يدفع الموت عنكم ، ﴿ لَا تَسْكُنُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا الْإِخْوَانِيَّةُ  
 إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَانُوا وَمَا قُتِلُوا ﴾ <sup>(٢)</sup> . فالجهاد  
 الجهاد أيها الموقنون ، والظفر الظفر أيها الصابرون ! والجنة الجنة أيها الراضون ! والنار  
 النار أيها الراضون ! فإن الجهاد أثبت قواعد الإيمان ، وأوسع أبواب الرضوان ، وأرفع  
 درجات الجنان ، وإن من ماصح الله كبيتين منزلتين مرغوب فيهما ، مجمع على تفضيلهما : إما  
 السعادة بالظفر في العاجل ، وإما الفوز بالشهادة في الآجل ؛ وأكره المنزلتين إليكم أعظمهما نسبة

(١) سورة آل عمران ١٢٥ .

(٢) سورة آل عمران ١٥٦ .

عليكم ، فانصروا الله فإن نصره حُرُزٌ من الهلكات حُرُزٌ ، ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ <sup>(١)</sup> ۝ ﴾ .

هذا آخر خطبة ابن بُبَاة ، فانظر إليها وإلى خطبته عليه السلام بعين الإنصاف ، نجدها بالنسبة إليها كمخث بالنسبة إلى خل ، أو كسيف من رصاص بالإضافة إلى سيف من حديد . وانظر ما عليها من أثر التوليد وشين التكلف وفجاجة كثير من الألفاظ ؛ ألا ترى إلى فحاجة قوله : « كَانَ أَسْمَاعُكُمْ نَمَجَ وَدَائِعِ الْوَعْظِ ، وَكَانَ قُلُوبُكُمْ سَهَا اسْتِكْبَارٍ عَنِ الْحِفْظِ » ! وكذلك ليس يخفى نزول قوله : « تَتَذَكَّرُونَ مِنْ عَذَابِ كَمْ تَذَكَّرُونَ الْإِبِلِ ، وَتَتَذَكَّرُونَ لَهُ مَذَارِعَ الْمُعْزِ وَالْفُشْلِ » .

وفيهما كثير من هذا الجنس ، إذا تأمل الحبير عرقه ، ومع هذا فهي مسروقة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، ألا ترى أن قوله عليه السلام : « أَمَا بَعْدَ ، فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ » ، قد سرقه ابن بُبَاة . فقال : « فَإِنَّ الْجِهَادَ أَثْبَتُ قَوَاعِدِ الْإِيمَانِ ، وَأَوْسَعُ أَبْوَابِ الرِّضْوَانِ ، وَأَرْحَ دَرَجَاتِ الْجَنَانِ » ! وقوله عليه السلام : « مِنْ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ عَلَى بَاطِلِهِمْ ، وَتَفَرُّقِهِمْ عَنْ حَقِّهِمْ » ، سرقه أيضا ، فقال : « صَرَّخَ بِهِمُ الشَّيْطَانُ إِلَى بَاطِلِهِ فَأَجَابُوهُ ، وَتَذَكَّرَ الرِّحْنُ إِلَى حَقِّهِ فَخَالَتَمَوْهُ » . وقوله عليه السلام « قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ . . . » إلى آخره ، سرقه أيضا فقال : « كَمْ تَسْمَعُونَ الذِّكْرَ فَلَا تَعْمَلُونَ ! وَتَقَرَّبُونَ بِالزُّجْرِ فَلَا تَقْدِمُونَ » ! وقوله عليه السلام « حَتَّى شُنْتُ عَلَيْكُمُ الْفَارَاتِ ، وَمَلَكَتْ عَلَيْكُمُ الْأَوْطَانِ » ، سرقه أيضا وقال : « وَعَدَوْتُكُمْ بِعَمَلٍ فِي دِيَارِكُمْ مَهْلِكٌ ، وَيَبْلُغُ مَخْلَفَكُمْ عَنْ جِهَادِهِ أَمْلَهُ » . وأما باقى خطبة ابن بُبَاة فمُسْرُوقٌ مِنْ خُطْبِ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُخْرَى ، سَيَأْتِي ذِكْرُهَا .

واعلم أني أضرب لك مثلا تتخذهُ دستوراً في كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، وكلام الكتاب والخطباء بعده كإن نباتة والصابي وغيرهما؛ انظر نسبة شعر أبي تمام والبحرئ وأبي نواس ومسلم، إلى شعر امرئ القيس والنباتة وزهير والأعشى؛ هل إذا تأملت أشعار هؤلاء وأشعار هؤلاء، تجد نفسك حاكّةً بتساوي القبيلين أو بتفضيل أبي نواس وأصحابه عليهم؟ ما أعلن أن ذلك مما تقول أنت ولا قاله غيرك، ولا بقوله إلا من لا يعرف علم البيان، وماهية الفصاحة، وكُنْه البلاغة، وفضيلة المطبوع على المصنوع، ومزية للتقدم على للتأخر، فإذا أقررت من نفسك بالفرق والفضل، وعرفت فضل العاضل ونقص الناقص، فاعلم أن نسبة كلام أمير المؤمنين عليه السلام إلى هؤلاء هذه النسبة، بل أظهر، لأنك تجد في شعر امرئ القيس وأصحابه من التمجُّف والكلام الخوشى، واللفظ الغريب المتكره شيئاً كثيراً؛ ولا تجد من ذلك في كلام أمير المؤمنين عليه السلام شيئاً، وأكثر فساد الكلام ونزوله إنما هو باستعمال ذلك.

فإن شئت أن تزداد استبصاراً، فانظر القرآن العزيز - واعلم أن الناس قد اتفقوا على أنه في أهل طبقات الفصاحة وتأمله تأملاً شافياً، وانظر إلى ما خص به من مزية الفصاحة والبعد عن التعمير والتعيب<sup>(١)</sup> والكلام الخوشى الغريب، وانظر كلام أمير المؤمنين عليه السلام، فإنك تجد مشتقاً من الفاظه، ومقتضباً من معانيه ومذاهبه، ومختزاً به حذوه، ومسلوكاً به في منهاجه، فهو وإن لم يكن نظيراً ولا نداً، يصلح أن يقال إنه ليس بعده كلام أفصح منه ولا أجزل، ولا أعلی ولا أعم ولا أنبل، إلا أن يكون كلام ابن عمه عليه السلام، وهذا أمر لا يخله إلا من ثبتت له قدم راسخة في علم هذه الصناعة، وليس كل الناس يصلح لانتقاد الجوهر، بل ولا لانتقاد الذهب، ولكل صناعة أهل، ولكل عمل رجال.

• • •

ومن خطب ابن نباتة التي يحرّض فيها على الجهاد :

(١) التعمير : التصق في الكلام والتشقق به ، ومثله التعيب .



«ألا وإن الجهاد كنزٌ وقر الله منه أنفاسكم، وحرزٌ طهر الله به أجسامكم، وعزٌ أظهر الله به إسلامكم، فإن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، فافتروا رحمكم الله جميعاً وثبات<sup>(١)</sup>، وشقوا على أعدائكم النار، ونسكوا ببعص الإقدام ومقاتل الثبات، وأخلصوا في جهاد عدوكم حقائق الثبات، فإنه والله ما غزى قوم في عقر دارهم إلا ذلوا، ولا قصدوا عن صون دارهم إلا اضمحلوا. واعلموا أنه لا يصلح الجهادُ بنير اجتهاد، كما لا يصلح السفر بغير زاد، فقدموا بمجاهدة القلوب، قبل مشاهدة الحروب، ومغالبة الأهواء قبل محاربة الأعداء، وبادروا بإصلاح السرائر؛ فإنها من أنفس المدد والقدحائر، واعتاضوا من حياة لا بد من فنائها، بالحياة التي لا ريب في بقائها، وكونوا من أطاع الله وشمر في مرضاته، وسابقوا بالجهاد إلى تلك جناته؛ فإن الجنة بما حدوده تطهير الأعمال، وتشديد إغراق الأموال، وساحة زحف الرجال، وطريقه مخفية الأبطال، ومفتاحه الثبات في معترك القتال، ومدخله من مشرقة الصوارم والنبال».

فلينظر الناظر في هذا الكلام، فإنه وإن كان قد أخذ من صناعة البديع بنصيب؛ إلا أنه في حضيض الأرض وكلام أمير المؤمنين عليه السلام في أوج السماء، فإنه لا يتكرر لزومه فيه لما لا يلزمه اتجاراً وقوة وكتابة، نحو قوله: «كنز» فإنه يلزام «حرز» و«عز»، وقوله: «مشاهدة» يلزام قوله: «مجاهدة»، «ومغالبة» يلزام «محاربة»، و«حدوده» يلزام «تشديده»، لكن مثله بالقياس إلى كلام أمير المؤمنين عليه السلام ككلامه من الدين والطين، بموهة الجلود بالنقوش والتصاوير، مزخرفة بالذهب من فوق الجص والإسفيداج<sup>(٢)</sup>، بالقياس إلى دار مهتية بالصخر الأسمم الصلد، للسبوك بينه حد الرصاص والنحاس للذاب، وهي مكشوفة غير موهة ولا مزخرفة. فإن بين هاتين الدارين بؤساً بعيداً، وفرقاً عظيماً. وانظر قوله: «ما غزى قوم في عقر دارهم إلا ذلوا»، كيف تصيح من بين الخطبة صياحا، وتنادى على نفسها نداء فصيحاً، وتكليم سامعها أنها ليست من المدن

الذي خرج باق الكلام منه ، ولا من انماطر الذي صدر ذلك السجع عنه ، ولما رآه الله لقد جمعت الخطبة وحسنها وزانها ، وما مثلها فيها إلا كآية من الكتاب العزيز يتمثل بها في رسالة أو خطبة ، فإنها تكون كالقؤلوة المضبوطة تزهر وتبر ، وتقوم بنفسها وتكتسب الرسالة بها روحها ، وتكتسب بها ديباجة .

وإذا أردت تحقيق ذلك فانظر إلى السجعة الثانية التي تكلفها ليوازنها بها ، وهي قوله : « ولا تعدوا عن صون ديارهم إلا اضمعلوا » ، فإنك إذا نظرت إليها وجدت عليها من التكلف والفنائة ما يقوئى عندك صدق ما قلته لك .

على أن في كلام ابن نباتة في هذا الفصل ما ليس بحيد ، وهو قوله : « وحرز طهر الله به أجسامكم » فإنه لا يقال في الحرز : إنه يطهر الأجسام ، ولو قال عوض « طهر » : حصن الله به أجسامكم ، لكان اليبق ، لكنه أراد أن يقول : « طهر » ليكون يزاء « وفر » ويأزاء « أظهر » ، فأداء حب التقابل إلى ما ليس بحيد .

### [ غارة سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار ]

فأما أخو غامد الذي وردت خيله الأنبار ، فهو سفيان بن عوف بن المنفل الغامدي ، وغامد قبيلة من اليمن ، وهي من الأزد ؛ أرد شنودة . واسم غامد عمر بن عبد الله بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد . وسُمي غامدا لأنه كان بين قومه شراً فأصلحه وتعمدهم بذلك .

روى إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال النقي<sup>(١)</sup> في كتاب " العارات " ، عن أبي السكوند ، قال : حدثني سفيان بن عوف الغامدي ، قال : دعاني معاوية ، فقال : إني بأعنتك في جيش كثيف ، ذي أداة وجلادة ، فالزم لي جاب القرات ، حتى تمر بهيت<sup>(٢)</sup>

(١) إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعد النقي ؛ من علماء أصهان ، ذكره أبو نعيم في تاريخه وقال : كان عالماً في الرص ، مات سنة ٢٨٠ هـ . لسان الميران ١ : ١٠٢ .  
(٢) هيت : بلد على القرات فوق الأنبار .

فقطعها ، فإن وجدت بها جنداً غير عبيهم ؛ وإلا فامضي حتى تنبر على الأنبار ، فإن لم تجد بها جنداً فامضي حتى توغل في المدائن ؛ ثم أقبل إلى واتق أن تقرّب الكوفة . واعلم أنك إن أغرت على أهل الأنبار وأهل المدائن فكأنك أغرت على الكوفة ؛ إن هذه الفارات يستغيثن على أهل العراق ترعب قلوبهم ، وتفرح كل من له فيها هوى منهم ، وتدمعوا إلينا كل من خاف الفدائر ؛ فقتل من بقيته من ليس هو على مثل رأيك ، وأخرب كل ماوردت به من القرى ، وأحرب الأموال ، فإن حرب الأموال شبيه بالقتل ، وهو أوجع للقلب .

قال : تفرجت من هذه فسكرت ، وقام معاوية في الساس نطيطهم ، فقال : أيها الناس ، اتدبوا<sup>(١)</sup> مع سفيل بن هوف ، فإنه وجه عظيم فيه أجر ، سريعة فيه أوجعكم إن شاء الله . ثم نزل .

قال : فوالذي لا إله غيره مامرت ثلاثة حتى خرجت في ستة آلاف ، ثم لظمت شاطئ الفرات ، فأخذت السير حتى أمرت بهيت ، فبهم أتى قد فشيبتهم قطعوا الفرات ، فررت بها وما بها عريب<sup>(٢)</sup> ، كأنها لم تحل قط ، فوطئتها حتى أمرت صندوداء<sup>(٣)</sup> ، فقرروا فلم ألق بها أحداً ، فامضي حتى افتتح الأنبار ، وقد نذروا بي ، تفرج صاحب السلعة إلى ، فوقف لي فلم أقدم عليه حتى أخذت عبانا من أهل القرية ، فقلت لهم : أخبروني ، كم بالأنبار من أصحاب على عليه السلام ؟ قالوا : عدة رجال السلعة خمسمائة ، ولكنهم قد تبدؤوا ورجعوا إلى الكوفة ؛ ولا ندرى الذي يكون فيها ، قد يكون مائتي رجل ؛ ففرات فكتبت أصحابي كتاب ، ثم أخذت أبعثهم إليه كتيبة بعد كتيبة فيقاتلهم والله وبصر لهم ، ويطاردهم ويطاردونه في الأزقة ، فلما رأيت ذلك أزلت إليهم نحواً من مائتين ،

(١) اتدبوا : خروا القتال .

(٢) عريب : أي ما بها أحد .

(٣) صندوداء : قرية كانت في غرب الفرات فوق الأمور .

وَاتَّبَعْتُهُمُ الْخَيْلَ ، فَلَمَّا جَلَسَتْ عَلَيْهِمُ الْخَيْلُ وَأَمَامَهَا الرِّجَالُ تَمْشِي ، لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ حَتَّى تَفْرُقُوا ، وَقُتِلَ صَاحِبُهُمْ فِي نَحْوِ مِنْ ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، وَحَمَلْنَا مَا كَانَ فِي الْأَنْبَارِ مِنَ الْأَمْوَالِ ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ ، فَوَاقَهُ مَا غَزَوْتُ غَزَاةً كَانَتْ أَسْلَمَ وَلَا أَقْرَبَ لِلْمَيُوتِ ، وَلَا أَسْرَ لِلنَّفُوسِ مِنْهَا . وَبَلَغَنِي وَاقُهُ أَنَّهَا أُرْعِبَتِ النَّاسَ ، فَلَمَّاعَتْ إِلَى مَعَاوِيَةَ ؛ حَدَّثَنِي الْحَدِيثُ عَلَى وَجْهِهِ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ ظُلْفَى بَكْ ، لَا تَنْزِلُ فِي بَلَدٍ مِنْ بُلْدَانِي إِلَّا قَضَيْتَ فِيهِ مِثْلَ مَا يَقْضِي فِيهِ أَمِيرُهُ ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ تَوَلَّيْتَهُ وَلَيْتُكَ ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَلَيْكَ أَمْرٌ دُونِي .

قال : فَوَاقَهُ مَا بَلَّغْنَا إِلَّا بِسِيرًا ، حَتَّى رَأَيْتُ رِجَالَ أَهْلِ الْمِرَاقِ بِأَنْوَنَاتِهِ عَلَى الْإِبِلِ هُرَّابًا مِنْ عُسْكَرٍ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قال إبراهيم : كَانَتْ اسْمُ عَامِلٍ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مِلْحَةِ الْأَبَارِ أَشْرَسَ بْنِ حَسَّانَ الْبَكْرِيِّ .

وروى إبراهيم عن عبيد الله بن قيس ، عن حبيب بن عفيف ، قال : كُنْتُ مَعَ أَشْرَسَ بْنِ حَسَّانَ الْبَكْرِيِّ بِالْأَنْبَارِ عَلَى مِلْحَتِهَا ، إِذْ صَبَّحَ حُسَيْنُ بْنُ عَوْفٍ فِي كِتَابِ تَلْعُ الْأَبْصَارِ مِنْهَا ، فَهَالُونَا وَاللَّهِ ، وَعَلِمْنَا إِذْ رَأَيْنَاهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَنَا طَاقَةٌ بِهِمْ وَلَا يَدٌ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ صَاحِبُنَا وَقَدْ تَفَرَّقْنَا فَلَمْ يَلْقَهُمْ نَصْفُنَا ، وَابْتَدَأَ اللَّهُ لَقْدَ قَاتَلْنَاهُمْ فَأَحْسَنًا قَاتَلَهُمْ ؛ حَتَّى كَرِهُونَا ، ثُمَّ نَزَلَ صَاحِبُنَا ، وَهُوَ يَتْلُو قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ قَوْمُهُمْ مَنِ قَضَى نَحْبَهُ وَنَحْبُهُمْ مَنِ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ <sup>(١)</sup> . ثُمَّ قَالَ لَنَا : مَنْ كَانَ لَا يَرِيدُ لِقَاءَ اللَّهِ ، وَلَا يَطِيبُ نَفْسًا بِالْوَتِّ ، فَلْيَخْرُجْ عَنِ الْقَرْيَةِ مَادِمْنَا نَقَاتِلُهُمْ ، فَإِنْ قَاتَلْنَا إِيَّاهُمْ شَاعِلٌ لَمْ عَنْ طَلَبِ هَارِبٍ ، وَمَنْ أَرَادَ مَعَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ . ثُمَّ نَزَلَ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، فَهَمَّتْ بِالْعَزُولِ مَعَهُ ، ثُمَّ أَبَتْ نَفْسِي ، وَاسْتَقْدَمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، فَهَاتِلُوا حَتَّى قَتَلُوا رَحِمَهُمُ اللَّهُ ، وَانْصَرَفْنَا نَحْنُ مُنْهَزِمِينَ .

قال إبراهيم: وقَدِمَ<sup>(١)</sup> عِلْجٌ من أهل الأنبار على علي عليه السلام، فأخبره بطريقه، فصعد المنبر فخطب الناس، وقال:

إِنَّ أَخَاكُمْ الْبَكْرِيَّ قَدْ أَصِيبَ بِالْأَنْبَارِ، وَهُوَ مَعْتَرٍ لَا يَخَافُ مَا كَانَ، وَوَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ عَلَى الدُّنْيَا، فَاتَّبِعُوا إِلَيْهِمْ حَقَّ تِلَاقِهِمْ، فَإِنْ أَصِيبَتْ مِنْهُمْ طَرَفٌ أَنْكَرْتُمْوهُمْ عَنْ الْعِرَاقِ أَبَدًا مَا بَقُوا.

ثم سكّتهم عنهم رجاء أن يحميهم أو يحكمهم منهم مشكلم، فلم يلبس أحدٌ منهم بكلمة، فلما رأى صمتهم نزل، وخرج يمشي راجلاً حتى أتى النخيلة، والناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من أشرفهم، فقالوا: ارجع يا أمير المؤمنين ونحن نكفيك، فقال: ما تكفوني ولا تكفون أنفسكم، فلم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله، فرجع وهو واجم كتيب، ودعا سعيد بن قيس الهمداني، فبعثه من النخيلة في ثمانية آلاف، وذلك أنه أخبر أن القوم جاءوا في جمع كثير.

فخرج سعيد بن قيس على شاطئ الفرات في طلب سفيل بن عوف؛ حتى إذا بلغ عانات<sup>(٢)</sup>، سرح أمامه هاني بن الخطيب الهمداني، فأتبع آثارهم حتى دخل أداني أرض قنسر بن وقد فاتهم، فاصرف.

قال: ولبت علي عليه السلام، ترى فيه الكآبة والحزن، حتى قدم عليه سعيد بن قيس، وكان تلك الأيام عيلاً، فلم يقوَ على القيام في الناس بما يريد من القول، فجلس بباب السدة التي تصل إلى المسعد، ومعه ابنه حسن وحسين عليهما السلام، وعبد الله بن جعفر، ودعا سعدا مولاه، فدفع إليه الكتاب، وأمره أن يقرأه على الناس، فقام سعد بحيث يستمع على عليه السلام صوته، ويسمع ما يرد الناس عليه، ثم قرأ هذه الخطبة التي نحن في شرحها.

\*\*\*

(١) العِلْج: الرجل من كفار النجيم.

(٢) عانات: بلد بين الرقة وحيث قرية من الأنبار.

وذكر أن القائم إليه ، العارض نفت عليه جندب بن عفيف الأزدي ، هو وابن أخه  
يقال له : عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف .

قال : ثم أمر الحارث الأمور الحمداني ، فنادى في الناس : أين من يشتري نفسه لربه  
ويبيع ديناه بآخرته ؟ أصبحوا غدا بالرحبة إن شاء الله ، ولا يحضر إلا صادق النية في السير  
منا ، والجهاد لعدونا ، أصبح وليس بالرحبة إلا دون ثلاثمائة ، فلما عرضهم ، قال : لو كانوا  
ألفا كان لي فيهم رأى .

وأثناء قوم يستفرون ، فقال : ﴿ وَجَاءَ لِلْعَذْرَوْنَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وتختلف للكذّابون ، ومكث  
أما ما باديا حزنه شديد السكابة ، ثم جمع الناس فخطبهم فقال : أما بعد ، أيها الناس ، فوالله  
لأهل مصركم في الأمصار أكثر من الأنصار في العرب ، وما كانوا يوم أعطوا رسول الله  
صلى الله عليه أن يعموه ومن معه من المهاجرين حتى يبلغ رسالات ربه إلا قبيلتين ،  
قريبا مولدهما ، ما هما بأقدم العرب ميلادا ، ولا بأكثرهم عددا . فلما آووا النبي صلى الله عليه  
وأصحابه ، ونصروا الله ودينه ، رمتهم العرب من قوس واحدة ، فصالفت عليهم اليهود ،  
وقزتهم القبائل قبيلة بعد قبيلة ، فخرجوا للنصرة دين الله ، وقطعوا ما بينهم وبين العرب من  
الحبائل ، وما بينهم وبين اليهود من الحلف ، ونصبوا لأهل نجد وتيامة وأهل مكة واليمامة ،  
وأهل الحزن والسهل ، وأقاموا قناة الدين ، وصبروا تحت تحمل الجلاذ حتى دانت العرب  
لرسول الله صلى الله عليه ، ورأى منهم قرة العين قبل أن يقبض الله عز وجل إليه ، وأنتم اليوم  
في الناس أكثر من أولئك ذلك الزمان في العرب .

فقام إليه رجل آدم طوال ، فقال : ما أنت بمحمد ، ولا نحن بأولئك الذين

ذكرت ، فقال عليه السلام : أحسن سمعاً ثمحين إجابة انكلكم الثواكل ! ما يزيدوني إلا نعماً ! هل أخبرتكم أني محمد ، وأنكم الأنصار ! إنما ضربت لكم مثلاً ، وإنما أرجو أن تتأثروا بهم .

ثم قام رجل آخر ، فقال : ما أخرج أمير المؤمنين اليوم وأصحابه إلى أصحاب النهروان . ثم تكلم الناس من كل ناحية ولمطوا ، وقام رجل منهم فقال بأعلى صوته : استبان فقد الأشر على أهل المراق ! أشهد لو كان حياً لقل الأقط ، ولم كل امرئ ما يقول . فقال على عليه السلام : هيتكم الهوابل ! أنا أوجب عليكم حقاً من الأشر ؛ وهل للأشر عليكم من الحق إلا حق المسلم على المسلم .

قام حُجْر بن عدى الكندي ومعيد بن قيس التمداني ، فقالا : لا يسوءك الله يا أمير المؤمنين ، مَرْنَا بِأَمْرِكَ تَبِعَهُ ، فَوَاللَّهِ بِمَا تَعْظِمُ جَزَاءً عَلَى أَمْوَالِنَا إِنْ نَفَدْتَ ، وَلَا عَلَى عَشَائِرِنَا إِنْ قُتِلَتْ فِي طَاعَتِكَ . فقال : تَجْمَعُوا لِلْسَّيْرِ إِلَى عَدُونَا .

فلما دخل منزله ودخل عليه وحوه أصحابه ، قال لهم : أشيروا على رجل صليب ناصح ، يحشر الناس من السواد . فقال له سعيد بن قيس : يا أمير المؤمنين ، أشير عليك بالناصر الأريب الشجاع الصليب ، معقل بن قيس التميمي ، قال : نعم .

ثم دعاه فوجه ، فصار فلم يقدم حتى أصيب أمير المؤمنين عليه السلام .

( ٢٨ )

ومن خطبة له عليه السلام :

الأصل :

أما بعد ؛ فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت بإطلاع<sup>(١)</sup> ، ألا وإن اليوم اليصنار ، وغدا السباق ، والسبقة الجنة والمائة النار .

أفلا تأتئ من خطيئته قبل ميئته ، ألا هايل لئنفسه قبل يوم يؤسر !  
ألا وإنكم في أيام أمل ، من قدام أجل ؛ فمن عمل في أيام أمه قبل حضور أجله ، فقد نعمة عمله ، ولم يضره أجله . ومن قصر في أيام أمه قبل حضور أجله ، فقد خسر عمله ، وضره أجله .

ألا فاعملوا في الرعية ، كما تعملون في الرعية .

ألا وإني لم أر كالجنة مأم طالها ، ولا كالنار مأم هارها .

ألا وإنه من لا ينفعه اتلق بصره الباطل ، ومن لا يستقيم به الهدى ، يحر به الضلال إلى الردى .

ألا وإنكم قد أيرتم بالظن ، ودلتم على الزاد ؛ وإن خوف ما أخاف عليكم أتباع الهوى وطول الأمل ، فزودوا في الدنيا ما تحزون به أنفسكم غدا .

\*\*\*



قال الرضى رحمه الله :

وأقول : إنه لو كان كلام يأخذ بالأغناق إلى الرهيد في الدنيا ، ويضطر إلى حمل الآخرة لسكان هذا الكلام . وكفى به قاطعاً لملائق الآمال ، وقادحاً زناد الانماط والازديجار . ومن أعجبه قوله عليه السلام : « ألا وإن اليوم المضار وغدا الشباق ، والسبعة الجنة والعامة النار » ، فإن فيه مع فخامة اللفظ ، وعظم قدر التمسك ، وصديق التشثيل ، وواقع التشبيه ، سراً عجيباً ، وسمى لطيفاً ، وهو قوله عليه السلام « والسبعة الجنة والعامة النار » ، فخالفت بين اللمطين لاختلاف المنين ، ولم يقل « السبعة النار » كما قال : « السبعة الجنة » لأن الاستباق إنما يكون إلى أمر محبوب وغرض مطلوب ، وهذه صفة الجنة ، وليس هذا الحق موجوداً في النار ، فتوذ يافه منها لم قلتم يجر أن يقول : « والسبعة النار » بل قال : « والعامة النار » ، لأن العامة قد ينتهي إليها من لا يسره الانتباه إليها ، ومن يسره ذلك فصلح أن يعبر بها عن الأمرين معاً ، فهي في هذا التوضع كالصير والمال ، قال الله تعالى : ( قل تسموا فإن مصيركم إلى النار )<sup>(١)</sup> ، ولا يجوز في هذا التوضع أن يقال : فإن « سبقتكم إلى النار » . فتأمل ذلك فباطنه عجيب ، وغوره بعيد لطيف ، وكذلك أكثر كلامه عليه السلام .

• • •

وفي بعض النسخ ، وقد جاء في رواية أخرى « والسبعة الجنة »<sup>(٢)</sup> ، بضم السين ، والسبعة جندهم : أسم ليما يجعل سابق ، إذا سبق من مال أو عرض ؛ والمتفاني متقاربان ، لأن ذلك لا يكون جزاء ، قل الأمر للذموم ، وإنما يكون جزاء على فعل الأمر المعنود .

## البَيِّنَةُ

أَدْنَتْ : أَعْلَتْ . وَالضَّيَارُ : مَنْصُوبٌ ، لِأَنَّهُ اسْمٌ « إِنْ » . وَالْيَوْمَ ظَرْفٌ ، وَمَوْضِعُهُ رَفْعٌ ، لِأَنَّهُ خَبَرٌ « إِنْ » ، وَظَرْفُ الزَّمَانِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَبَرًا عَنْ الْخَدَثِ ، وَالضَّيَارُ : وَهُوَ الزَّمَانُ الَّذِي تَضَمَّرَ فِيهِ الْخَلِيلُ لِلْسَبَاقِ ، وَالضَّمَرُ : الْمَرَالُ وَخَفَةُ الْقَهْمِ . وَإِعْرَابُ قَوْلِهِ : « وَغَدَا السَّبَاقُ » ؛ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ أَيْضًا .

وَيَجُوزُ الرَّفْعُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ عَلَى أَنْ تَحْمَلَهُمَا خَبَرٌ « إِنْ » بَأَنْفُسِهِمَا .  
وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَلَا عَمِلَ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ يُؤْمَسُ » أَحْذَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ مَصَالِحَ<sup>(١)</sup> ،  
فَقَالَ فِي بَعْضِ خُطْبِهِ : « أَلَا عَمِلَ لِنَفْسِهِ قَبْلَ حُلُولِ رَمِيهِ » .

قَوْلُهُ : « أَلَا تَعْمَلُوا فِي الرِّغْبَةِ » ؛ يَقُولُ : لَا رَيْبَ أَنْ أَحْذَرَ كَمْ إِذَا مَسَّهُ الضَّرُّ مِنْ مَرَضٍ شَدِيدٍ ، أَوْ خَوْفٍ مُثْقِلٍ ، مِنْ عَدُوٍّ قَاهِرٍ ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ شَدِيدَ الْإِحْلَاصِ وَالْعِبَادَةِ ، وَهَذِهِ حَالٌ مِنْ يَحَافُ الْمَرْقُ فِي سَفِينَةٍ تَقْلَعُ بِهَا الْأَمْوَاجُ ، فَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ بِأَنْ يَكُونَ لِلْكَتَفِ عَامِلًا أَيَّامَ عَدَمِ الْخُوفِ ، مِثْلَ عَمَلِهِ وَإِحْلَاصِهِ وَانْقِطَاعِهِ إِلَى اللَّهِ أَيَّامَ هَذِهِ الْمَوَارِضِ .

قَوْلُهُ : « لَمْ أَرْ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا » ؛ يَقُولُ : إِنْ مِنْ أَعْجَبِ الْمَعْجَانِبِ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْجَنَّةِ كَيْفَ يَطْلُبُهَا وَيَنَامُ ! وَمَنْ أَعْجَبِ الْمَعْجَانِبِ مَنْ يُوَقِّنُ بِالنَّارِ ، كَيْفَ لَا يَهْرَبُ مِنْهَا وَيَنَامُ ! أَيْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَنَامَ طَالِبُ هَذِهِ وَلَا الْمَهَارِبُ مِنْ هَذِهِ .  
وَقَدْ فُسِّرَ الرِّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَعْنَى قَوْلِهِ : « وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ » .

## [ نَبَذَ مِنْ أَقْوَالِ الصَّالِحِينَ وَالْحُكَمَاءِ ]

وَنَحْنُ نُورِدُ فِي هَذَا الْفَصْلِ نَكْتًا مِنْ مَوَاقِفِ الصَّالِحِينَ بِرَحْمَتِ اللَّهِ ، تَنَاسَبَ هَذَا لِلْأَخْذِ .  
فَمَا يُؤَثِّرُ عَنْ أَبِي حَازِمٍ الْأَعْرَجِ - كَانَ فِي أَيَّامِ بَنِي أُمِيَّةَ - قَوْلُهُ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ،  
(١) لِلْمَصَالَةِ مِمَّا لَشُعْرَاءَ ، أَوْ يَأْخُذُ الشَّاعِرُ بَيْنَا لَمِيرَهُ لَطَا وَمَعْنَى ؟ وَهِيَ مِنْ أَفْبَحِ السَّرَفَاتِ الشَّعْرَةِ ،  
مِنْ الصَّلَاتِ بِمَعْنَى الْقَسَمِ .

وقد قال له : يا أبا حازم ، إني أخافُ اللهَ مما قد دخلتُ فيه ، فقال : لست أخافُ عليك أن تخاف ؛ وإنما أخافُ عليك ألا تخاف .

وقيل له : كيف يكون للناسُ يوم القيامة ؟ قال : أما العاصي فأبقي قديم به على مولاه ، وأما المطيع فنائب قديم على أهله .

ومن كلامه : إنما ينفي وبين الملوك يوم واحد ، أما أمسى فلا يجدون لفته ، ولا أجد شدته ، وأما غدا فإني وإياهم منه على خطر ؛ وإنما هو اليوم ، فاعسى أن يكون ! ومن كلامه : إذا تنابعتُ عليك يَمَمُ ربك وأمتُ ناصيه فاحذره .

وقال له سليمان بن عبد الملك : عِظْنِي ، فقال : عَظَمُ رَبِّكَ أن يراك حيث نَهَاكَ ، أو يفتدك حيث أَمَرَكَ .

وقيل له : ما مالِك ؟ قال : شَيْئَانِ لَا عُدَمَ فِي مَعْنَاهُمَا : الرضا عن الله ، والنفي عن الناس .

ومن كلامه : عجبا لقوم يعملون لدارٍ يَرْتَحِلُونَ عنها كل يوم مرحلة ، ويتركون أن يعملوا لدارٍ يرحلون إليها كل يوم مرحلة !

ومن كلامه : إن خوفينا من شرٍّ ما أعطانا ، لم يضرنا فقد ما زُوِيَ عنا .

ومن كلامه : نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب ، ونحن لا نتوب حتى نموت .

ولما ثَقَلَ عَبْدُ اللَّهِ رَأْيَ غَسَّالٍ يُلَوِّي يَدَهُ تَوْبًا ، فقال : وددت أني كنت غَسَّالًا مثل هذا ، أعيش بما أكتسب يوما فهو ما ؛ فذكرَ ذلك لأبي حازم ، فقال : الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ، ولا تسنى عند الموت ما هم فيه .



ومن كلام غيره من الصالحين : دخل سالم بن عبد الله بن عمر على هشام بن عبد الملك

في الكعبة ، فكله هشام ، ثم قال له : سَلْ حاجتك ، قال : معاذ الله أن أسأل في بيت الله غير الله .

وقيل لرابعة القيسية : لو كنتِ أهلكِ أن يشعروا لك خادما يكفيكِ مؤنة بيتك ! قالت : إني لأستحي أن أسأل الدنيا من يملكها ، فكيف من لا يملكها ! وقال بكر بن عبد الله : أطفئوا نارَ الغضبِ بذِكرِ نارِ جهنم .

عالم بن عبد القيس : الدنيا والله الموت ، ناقضة للبرم ، مرجعة للمعطية ، وكل من فيها يجرى إلى مالا يدري ، وكل مسفر فيها غير راضي بها ؛ وذلك شهيد على أنها ليست بدار قرار .

باع عتبة بن عبد الله بن مسعود أرملاً له بثمانين ألفاً ، فتصدق بها ، فقيل له : لو جعلت هذا المال أو نضعه ذخراً لولدك ؟ قال : بل أجعل هذا المال ذخراً لي ، وأجعل الله تعالى ذخراً لولدي .

رأى إلياس بن قتادة شيباً في لحيته ، فقال : أرى الموت يطلُنِي ، وأراَنِي لا أفوته . فزِمَ يَدَهُ وترك الاكذساب . فقال له أهله : نموت هُزلاً اقل : لأن أموت مؤتماهز ولا أحبُّ إلى من أعيش مُناقفاً سميئاً .

بكر بن عبد الله اللزني : ما الدنيا ليت شعري ! أما ماتني منها فعلم ، وأما ما بقى فأمانتي !

مورق المجلي : خيرٌ من العُجبِ بالطاعة ألا تأتي بالطاعة .

ومن كلامه : ضاحكٌ معترفٌ بذنبه ، خيرٌ من باكٍ مُدِلٍّ على ربه .

ومن كلامه : أوحى الله إلى الدنيا : مَنْ خَدَمَنِي فَاخْدُمِيهِ ، ومن خَدَمَكَ

فَاستعْصِمِيهِ .

قيل لرابعة : هل علمتِ عملاترين أنه يُقبل منك ؟ قالت : إن كان غفوقاً أو  
يُرَدُّ عليّ .

نظر حبيب إلى مالك بن دينار ، وهو يقيم صدقة علانية ، فقال : يا أخى ، إن  
الكنوزَ لتُستَرَّ ، فما بال هذا يجهزُ به ؟

قال عمرو بن عبّيد للنصور : إن الله أعطاك الدنيا بأمرٍها ، فاشتر نفسك منه ببعضها ،  
وإن هذا الذى أصبح اليوم فى يدك لو كان مما يبق على الناس لبقى فى يد مَنْ كان  
قبلك ، ولم يصر إليك ، فاحذَرْ لئلا تمُخض يوم لا ترى بعده إلا يوم القيامة . فبكى  
للسنصور ، وقال : يا أبا عثمان ، هل حاجة ، قال : حاجتى ألا تعطيتنى حتى أسألك ،  
ولا تدعنى حتى أجيبك ، قال : إذن لا طئق أهداك ، قال : فذاك أريد .

كان يقال : الدنيا جاهلة ، ومن جهلها ، أسألا لا تعطى أحداً ما يستحقه ؛ إما أن  
تزيده ، وإما أن تنقصه .

قيل لخالد بن صفوان : مَنْ أبلغُ الناس ؟ قال : الحسن ، لقوله : فضع للوت الدنيا .  
قيل لبعض الزهاد : كيف سخط نفسك على الدنيا ؟ قال : أبقت أنى خارج منها  
كرها ، فأحببت أن أخرج منها طوعاً .

مرّ إبراهيم بن آدم بباب أبي جعفر للنصور ، فنظر السلاح والحرس ، فقال :  
للرب خائف .

قيل لزاهد : ما أصبرك على الوحدة ؟ قل ، كلاً أنا أجالسُ ربّى ، إذا شئت  
أن يتاجبنى قرأت كتابه ، وإذا شئت أن أواجهه صليت .

كان يقال : خف الله قدرته عليك ، واستعِ منه لقربه منك .

قال الرشيد<sup>(١)</sup> للفضيل بن عياض : ما أُرشدك ؟ قال : أنت بأهرونت  
أزهدني ، لأنني زهدت في دنيا فانية ، وزهدت في آخرة باقية .

وقال للفضيل : ياربني ، إني لأستحي أن أقول : توكلت عليك ؛ لو توكلت عليك  
ما خفت إلا منك ، ولا رجوت إلا إياك .

حوتب بعض الزهاد على كثرة التصديق بالله ، فقال : لو أراد رجل أن ينقل من دار  
إلى دار ، ما أغلقه كان يترك في الدار الأولى شيئا .

قال بعض الملوك لبعض الزهاد : مالك لاتمشى بابي وأنت عبدي ؟ قال : لو علمت  
أيها الملك ، لعلمت أنك عبد عبدي ، لأن أميك الهوى والهوى يملكك .

دخل متظلم على سليمان بن عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اذكر يوم الأذان ،  
قال : وما يوم الأذان ؟ قال : اليوم الذي قال تعالى فيه : ﴿ قَادُونَ مُؤَدَّدُونَ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ  
اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، فبكى سليمان وأزال غلامته .

مثل الفضيل بن عياض عن الزهد ، فقال : يحسمه حرفان في كتاب الله : ﴿ لِكَيْلَا  
تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> .

كتب يحيى بن خالد من الحبس إلى الرشيد : ما يمرُّ يومٌ من أيامك إلا ويمرُّ يومٌ  
من يومي ، وكلاهما إلى غدار .

قيل لحاتم الأصم : علام بنيت أمرك ؟ قال : على أربع خصال : علمت أن رزقي  
لا يأكله غيري فلم أهتم به ، وعلمت أن عملي لا يعمل به غيري فأنا مشغول به ، وعلمت  
أن الموت يأتيني بغتة فأنا أباحره ، وعلمت أني بعدن الله في كلِّ حال فاستعجيت منه .

(١) ب : « قال بعض الملوك » ، وما أثبت من أ ، ج

(٢) سورة الأعراف ٤٤

(٣) سورة الحديد ٢٣ .

نظر بعضُ الصالحين إلى رجل بفحش في قوله ، فقال : يا هذا إنما كُتِلَ على حافظيك كتاباً إلى ربك ، فانظر ماتودعه .

كان يقال : مثلُ الدنيا والآخرة مثلُ ضرَّتَيْنِ لبعيرٍ واحدٍ ، إن أرضى هذه أسخط الأخرى .

قيل لبعضهم : ما مثْلُ الدنيا ؟ قال : هي أقلُّ من أن يكون لها مثْل .  
دخل لصٌ على بعض الزهاد الصالحين ، فلم يرَ في داره شيئاً ، فقال له : يا هذا ، أين متاعك ؟ قال : حوَّته إلى الدار الأخرى .

قيل الربيع بن خثيم : يا ربيعُ ، ما تراك تَذُمُّ أحداً ؟ فقال : ما أنا عن نفسي براض ، فأحمول من ذمِّي إلى ذمِّ الناسِ ؛ إنَّ الناسَ خافوا اللهَ على ذنوب البعاد وأمنوه على ذنوبهم .

قال عيسى بن موسى لأبي شيبَةَ القاضي : لم لا تأتينا ؟ قال : إن قرَّبْتَنِي قَتَلْتَنِي مَوَانُ أَمِصْتَنِي أَحَزَّ نَفْسِي ، وليس عندي ما أحاطك عليه ، ولا عندك ما أرجوك له .

من كلام بعض الزهاد : تأمل ذا العنى ، ما أشدَّ نَصَبَهُ ، وأقلَّ راحته ، وأخسَّ من ماله حظَّهُ ، وأشدَّ من الأيام حذرهُ ؛ هو بين سلطانٍ يتهَضُّهُ ، وعدوٍّ يبغى عليه ، وحقوقٍ تلزمه ، وأكفاه يمسدونه ، وولدٍ يورثُ فراقَهُ ، قد نمت عليه غناه من سلطانه العنت ، ومن أكفائه الحسد ، ومن أعدائه البغى ، ومن ذوى الحقوق القم ، ومن الولد الملالة .

ومن كلام سُفْيَانَ الثوريِّ : يا ن آدم ، جوارحك سلاح الله عليك ، بأيها شاء قَتَلَكَ .

ميمون بن مهران في قوله نَمَالِي : ﴿ لَا تُحَسِّنْ أَفْهَهُ غَافِلًا عَمَّا يَفْعَلُ الْغَافِلُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ،

قال : إنها تمزية للظالم ، ووعيد للظالم

دخل عبد الوارث بن سعيد على مريضٍ يهودي ، فقال له : مائتُ منذ أربعين ليلة ، فقال : يا هذا ، أحصيت ليالي البلاء ، فهل أحصيت ليالي الرخاء ؟  
بعضهم : والعجباه لمن يفرح بالدنيا ، فإنما هي عقوبة ذنب !  
ابن السماك : خَفِيَ اللهُ حَتَّى كَأَنَّكَ لَمْ تُطْعَمَ قَطْ ، وَارْجُهُ حَتَّى كَأَنَّكَ لَمْ تَمْسَهُ قَطْ .  
بعضهم : العلماء أطلباء هذا الخلق ، والدنيا داء هذا الخلق ؛ فإذا كان الطبيب يطلب الداء فحق يرى غيره !

قيل لمحمد بن واسع : فلان زاهد ، قال : وما قدر الدنيا حتى يُحمدَ مَنْ يزهد فيها ؟  
رُئِيَ عبد الله بن المبارك واقفا بين مقرة ومزبلة ، فقيل له : ما أوقفك ؟ قال : أنا بين كنزين من كنوز الدنيا فيهما عثرة ؛ هذا كنز الأموال ، وهذا كنز الرجال .  
قيل لبعضهم : أتبتَ ضحكك ؟ فقال : راحتها أطلب .

دخل الإسكندرُ مدينةَ فتحها ، فسألَ عن بقي من أولاد الملوك بها ، فقيل : رجل يسكن المقابر ، فدعا به ، فقال : ما دعاك إلى لزوم هذه المقابر ؟ فقال : أحببت أن أميز بين عظام الملوك ، وعظام عبيدهم ، فوجدتها سواء . فقال : هل لك أن تنبئني فأحبي شرفك وشرف آبائك ، إن كانت لك حمة ؟ قال : همقي عظيمة ، قال : وما همك ؟ قال : حياة لا موت معها ، وشهاب لا هرم معه ، وعنى لا فقر معه ، وسرور لا مكروه معه ، فقال : ليس هذا عندي ، قال : فدعني ألتمسه عن هو عنده .

مات ابنُ عمر بن ذر ، فقال : لقد شعلني الحزنُ لك يا بني عن الحزنِ عليك .  
كان يقال : مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَلَّا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا ، وَلَا يُنَالُ مَا عَنْده إِلَّا بِرُكْهٍ .

ومن كلام عبد الله بن شداد : أرى دواعي الموت لا تنقطع ، وأرى مَنْ مَتَى لا يرجع ،



فلا تزهلن في معروف ، فإن الدهر ذو معروف ، كم من راغب قد كان مرغوبا إليه ! والزمان ذو ألوان ، من يصعب الزمان ير الموان ، وإن غلبت يوما على المال فلا تغلبين على الحيلة على كل حال ، وكن أحسن ما تكون في الظاهر حالا ، أقل ما تكون في الباطن مالا .  
كان يقال : إن مما يستجل الله تعالى عقوبته : الأمانة ثمان ، والإحسان يكفر ، والرحم تقطع ، والهنى على الناس .

الربيع بن خيثم : لو كانت الذنوب تفوح روائحها لم يجلس أحد إلى أحد .  
قيل لبعضهم : كيف أصبحت ! قال : أسفا على أمسي ، كارها ليومي ، متبها لندي .  
وقيل لآخر : لم تركت الدنيا ؟ قال : أينف من قليلها ، وأنف من كثيرها . وهذا كما قال بعضهم ، وقد قيل له : لم لا تقول الشر ؟ قال : ياباني جيده ، وآنى رديته .  
بعض الصالحين : لو أنزل الله تعالى كفايا : « إن معذب رجلا واحدا » ، خفت أن أكونه ، أولاته راحم رجلا واحدا ، لرجوت أن أكونه .  
مطرف بن الشخير : خير الأمور أوساؤها ، وشر البر المحضقة (١) . وهذا الكلام قد روى مرفوعا .

يحيى بن معاذ : إن لله عليك نسعين : في السراء التذكر ، وفي الضراء التصبر ؛ فكن في السراء عبدا شكورا ، وفي الضراء حرا صبورا .  
دخل ابن التيمك على الرشيد ، فقال له : عظمي ، ثم دعا بماء ليشربه ، فقال له : ناشدتك الله ؛ لو منعك الله من شربه ما كنت قاعلا ؟ قال : كنت أفديه بنصف ملكي . قال : فاشربه ، فلما شرب ، قال : ناشدتك الله ؛ لو منعك الله من خروجه ما كنت قاعلا ؟ قال : كنت أفديه بنصف ملكي ، قال : إن ملكا يفقدني به شربة ماء ، تخلق ألا ينافس عليه .  
قال للنصور لمرو بن عبيد رحمه الله تعالى : عظمي ، قال : بما رأيت أم بما سمعت ؟

قال : بما رأيت . قال : رأيتُ عمر بن عبد العزيز ، وقد مات ، تخلف أحد عشر ابناً ، وبلغت تركته سبعة عشر ديناراً ، كُفِّنَ منها بخمسة دنانير ، واشترى موضع قبره بدينارين ، وأصاب كل واحد من ولده دون الدينار . ثم رأيتُ هشام بن عبد الملك ، وقد مات وحلف عشرة ذكور ، فأصاب كل واحد من ولده ألف ألف دينار . ورأيت رجلاً من ولد عمر بن عبد العزيز ، قد حمل في يوم واحد على مائة فرس في سبيل الله ، ورأيت رجلاً من ولد هشام ، يسأل الناس ليتصدقوا عليه .

حسان بن أبي سنان : ما شيء أهون من ورع ؛ إذا رابك شيء فدعه .

مورق المعلى : لقد سألت الله حاجة أربعين سنة ، ما قضاها ولا يئس منها ،

فيل : وما هي ؟ قال : ترك ما لا يعني

قتادة : إن الله يُعطي العبد على يدة الآخرة ما يسأله من الدنيا ، ولا يعطيه على يدة

الدنيا إلا الدنيا .

من كلام محمد بن واسع : ليس في النار عذاب أشد على أهلها من علمهم بأنه ليس

لكربهم تنفيس ، ولا لصيقهم ترفيه ، ولا لعذابهم عافية ؛ وليس في الجنة نعيم أبلى من

علم أهلها بأن ذلك الملك لا يزول عنهم

قال بعض الملوك لبعض الزهاد : اذنم لي الدنيا ، قال : أيتها الملك ، هي الأحدة لما

تُعطي ، المورثة بعد ذلك الندم ، السالبة ما تكسو ، المورثة بعد ذلك المصوح ، تسد

بالأرادل مكان الأفاضل ، وبالمحزنة مكان الحزينة ، تجد في كل من كل حلقاً ، وترضى

بكل من كل بدلاً ، تُسكن دار كل قرين قرباً ، وتُطعم سواد كل قوم قوماً .

ومن كلام الحجاج - وكان مع عشمه وإلحده واعظاً بليغاً مفوهاً - خطب فقال : اللهم

أرني النسيئة غيماً فاتجنته ، وأرني المدى هدى فاتبعه ، ولا تكلني إلى نفسي فأضل

ضلالا بعيدا ؛ والله ما أحب أن ما مضى من الدنيا يعامق هذه ، ولكنا بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء .

وقال مالك بن دينار : غَدَوْتُ إلى الجمعة ، فجلست قريبا من المنبر ، فصعد الحاجاج ، فسمعتة يقول : امرو زور عمله ، امرو حاسب نفسه ، امرو فكمركم فيا يقرؤه في صحيفته ، ويراه في ميزانه ، امرو كان عند قلبه زاجر ، وعند همه أمر ، امرو أخذ بمنان قلبه ، كما يأخذ الرجل بخيطام جملة ، فإن قاده إلى طاعة الله تيممه ، وإن قاده إلى معصية الله كغفه ؛ إننا والله ما خلقنا للعناء ؛ وإنما خلقنا لبقاء ، وإنما ننقل من دار إلى دار .

وخطب يوما<sup>(١)</sup> ، فقال : إن الله أمرنا بطلب الآخرة ، وكفانا مشقة الدنيا ؛ فليته كفانا مشقة الآخرة ، وأمرنا بطلب الدنيا . فقال الحسن : ضالة المؤمن خرجت من قلب المنافق .

ومن الكلام المنسوب إليه : وأكفر الناس بربوبه عن أمير المؤمنين عليه السلام : أيها الناس ، اقدعوا هذه الأضراس ؛ فإنها أسأل شيء إذا أعطيت ، وأبخل شيء إذا سئلت ، فرحيم الله امرأ جعل لنفسه خطاما وزماما ، فقادها بخيطامها إلى طاعة الله ، وعظمها بزمامها عن معصية الله ؛ فإن رأيت الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله .

ومن كلامه : إن امرأ أنت فيه ساعة من عمره لم يذكر فيها ربّه ، وبسفنفر من ذنبه ، ويفكر في معاده ، لجدير أن يطول حزنه ، ويتضاعف أسفه . إن الله كتب على الدنيا الفناء ، وعلى الآخرة البقاء ، فلا بقاء لما كُتِبَ عليه الفناء ، ولا فناء لما كُتِبَ عليه البقاء ؛ فلا يفرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة ، واقهرُوا طول الأمل بقصر الأجل .

وقلت من "أمالى" أبى أحمد العسكري رحمه الله تعالى ؛ قال : خطب الحجاج يوما ، فقال : أيها الناس ، قد أصبحتم في أجل منقوس ، وعمل محفوظ . ربّ دائب مُضِيعٌ وساع لغيره . وللوت في أحقابكم ، والنار بين أيديكم ، والجنة أمامكم ، خذوا من أنفسكم لأغسكم ، ومن غناكم لفقركم ، ومما في أيديكم لما بين أيديكم ، فكان ما قد مضى من الدنيا لم يكن ، وكان الأموات لم يكونوا أحياء ؛ وكل ما تروّنه فإنّه ذاهب . هذه شمس عاد ونمود وقرون كثيرة بين ذلك ، هذه الشمس التي طلعت على التباينة والأكاسرة وخزائنها السائرة بين أيديهم وقصورهم الشديدة ، ثم طلعت على قبورهم ! أين للولك الأولون ! أين للجبابرة العكثرون ! المحاسبُ الله ، والعُصْراطُ منصوب ، وجههم تزفِرُ وتتوقّد ، وأهل الجنة ينعمون ، هم في روضة يُحْبَرُونَ ، جعلنا الله وإياكم من الذين ، ﴿ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعَنُيَانًا ﴾ (١) .

قال : فكان الحسن رحمه الله تعالى يقول : الأتعجبون من هذا العاجر ! يرقى عتبات النّير فيتكلّم بكلام الأسياء ، ويرل فيفتك فتك الجبارين ، يوافق الله في قوله ، ويخالفه في فعله !

\*\*\*

### [ استطراد بلاغى في الكلام على المقابلة ]

وأما ما ذكره الرضى رحمه الله تعالى من المقابلة بين السّبعة والعاية ، فنكتة جيّدة من علم البيان ؛ ونحن نذكر فيها أبحاثا نافعة ، فنقول :  
 إمّا أن يُقابلَ الشئُ ضدّه أو ما ليس بصدّه .  
 فالأول كالسواد والبياض ؛ وهو قسيان ؛  
 أجدّها : مقابلته في اللفظ والمعنى .

والثاني : مقابله في المعنى لا في اللفظ .

أما الأول ، فكموله تعالى : ﴿ فَيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلَيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ <sup>(١)</sup> ، فالضحك ضد البكاء ، والقليل ضد الكثير . وكذلك قوله تعالى : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> . ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم : « خير المال عين ساهرة لعين نائمة » . ومن كلام المؤمنين عليه السلام لثمان : إن الحق قليل مرمى ، وإن الباطل خفيف وبيء ؛ وأنت رجل إن صدقت سقطت ، وإن كذبت رخصت . وكذلك قوله عليه السلام لما قالت الخوارج : لا حكم إلا لله : « كلمة حق أريد بها باطل » . وقال الحجاج لسعيد بن جبير لما أراد قتله : ما اسمك ؟ فقال : سعيد بن جبير ، فقال : بل شقي بن كثير .



وقال ابن الأثير في كتابه المسمى بـ " اللؤلؤ السائر " : إن هذا النوع من المقابلة غير مختص بلغة العرب ، فإنه لما حات قباذ أحد ملوك الفرس ، قال وزيره : حررنا بسكونه .

وفي أول كتاب الفصول لعقراط في الطب : المر قصير والصناعة طويلة ، وهذا الكتاب على لغة اليونان <sup>(٣)</sup> .

قلت : أي حاجة به إلى هذا التكلف ! وهل هذه الدعوى من الأمور التي يجوز أن يترى الشك والشبهة فيها ، ليأتى بحكاية مواضع من غير كلام العرب يحتاج بها إلى كل قبيلة وكل أمة لما لغة تختص بها ! أليس الألفاظ دلالات على مافى الأنفس

(١) سورة التوبة ٨٢ .

(٢) سورة الحديد ٢٣ .

(٣) اللؤلؤ السائر ٢ : ٢٨٠ ، من فصل عطفه لتاسب بين المعاني .

من اللغوي ! فإذا خطر في النفس كلام يتضمن أمرين ضدّين فلا بد لصاحب ذلك الخطأ من  
سواء كان عربياً أم فارسياً أم زنجياً أم حبشياً - أن ينطق بلفظ يدل على تلك اللغوي  
للمضادة ، وهذا أمر يهمّ العقلاء كلّهم ؛ على أن تلك اللفظة التي قالها ، ما قيلت في موت  
قُبّاذ ، وإنما قيلت في موت الإسكندر ، لما تكلمت الحكماء وهم حول تابوته بما تكلموا  
به من الحكم

• • •

ومما جاء من هذا القسم من المقابلة في الكتاب العزيز قوله تعالى في صفة الواقعة :  
( خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ )<sup>(١)</sup> ؛ لأنها تخفض العصا ، وترفع المطيعين .  
وقوله تعالى : ( فَضْرِبَ بَيْنَهُم بِسُورَةٍ مِنْ بَابِ بَاطِلَةٍ فِيهِ الرِّيحَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ  
قَبْلِ الْعَذَابِ )<sup>(٢)</sup> .  
وقوله : ( أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ )<sup>(٣)</sup> .  
ومن هذا الباب قول النبي صلى الله عليه وسلم للأَنْصَارِ : « إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ  
الْفَرَزِ وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ » .

ومما جاء من ذلك في الشعر قول الفرزدق يهجو قبيلة جرير :  
يَسْتَقِيقُونَ إِلَى نَوَيْقِرِ حَبِيرٍ      وَتَسَامُ أَعْيُنُهُمْ هَنَ الْأَوْتَارِ<sup>(٤)</sup>  
وقال آخر :  
فَلَا الْجُودُ يُغْنِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُقْبِلٌ      وَلَا الْبَخْلُ يُبْقِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُدِيرٌ<sup>(٥)</sup>

(١) سورة الواقعة ٣ .

(٢) سورة الحديد ١٣ .

(٣) سورة لائحة ٥٤ .

(٤) ديوانه : ٤٥ ، وروايه : « لَيْلِ نَهْأِ حَبِيرٍ » .

(٥) في اللؤلؤ السائر ٧ : ٢٨٣ من غير نسبة .

وقال أبو تمام :

ما إن تَرَى الأَحْسابَ يَبِضًا وَمُضَعًا إِلَّا بِحِثْ تَرَى النَّاسَ سُودًا <sup>(١)</sup>  
[ وكذلك قال من هذه القصيدة أيضا ] <sup>(٢)</sup> :

شَرَفٌ عَلَى أَوَّلِ الزَّمَانِ وَإِنَّمَا خَلَقَ لِلنَّاسِ مَا يَكُونُ جَدِيدًا <sup>(٣)</sup>  
وأما القسم الثاني من القسم الأول ؛ وهو مقابلة الشيء بضده بالمعنى لا باللفظ ،  
فكقول المتنعي الكندي :

لَهُمْ جُلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غِنَى وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَا أَكْلَفُهُمْ رِقْدًا <sup>(٤)</sup>  
قوله : « إِنْ تَتَابَعَ لِي غِنَى » في قوة قوله : « إِنْ كَثُرَ مَالِي » ، والكثرة ضد القلة ،  
فهو إذن مقابل بالمعنى لا باللفظ بعينه .

ومن هذا الباب قول البحتري :

تَقِيضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ النَّوَى وَيَسْرِي لِي الشَّوْقُ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ <sup>(٥)</sup>  
قوله : « لَا أَعْلَمُ » ليس ضدًا لقوله : « أَعْلَمُ » ؛ لكنه خييس له ؛ وفي قوة قوله :  
« أَجْهَلُ » ، والجهل ضد العلم .

ومن لطيف ما وقعت للقافية به من هذا النوع قول أبي تمام :

مَهَا الْوَحْشُ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَارِسُ قَسَا أَلْخَطُ إِلَّا أَنْ يَنْفَكَ ذَوَابِلُ <sup>(٦)</sup>

(١) ديوانه ١ : ٤٢٢ .

(٢) تكملة من كتاب لئلي السامر .

(٣) ديوانه ١ : ٤١٩ .

(٤) ديوان الجاسة - بصرح المرزولي ٢ : ١١٨٠ .

(٥) ديوانه ٢ : ٢٢٩ .

(٦) ديوانه ٣ : ١١٦ ، قال الصولي في شرحه يقول : « من كثر الوحش في تهاديه وحس ميونه ؛  
ومن كذا الخط في القيد ، إلا أن القنا ذوابل ؛ ومن طراء ، وليل لقنا : ذوابل ؛ لأنها تلين عند اللمس  
ولا تكسر » .

تقابل بين « هاتا » وبين « تلك » ، وهي مقابلةٌ معلوبة لا لفظية ؛ لأن « هاتا » للمعاصرة ، و « تلك » للفاتية ، والحضور ضد الغيبة .

وأما مقابلة الشيء لما ليس بضده ، فإما أن يكون مثلاً أو مخالفاً .

والأول على ضربين : مقابلة للفرد بالفرد ، ومقابلة الجملة بالجملة .

مثال مقابلة الفرد بالفرد قوله تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾<sup>(١)</sup> ، وقوله : ﴿ وَتَكْفُرُوا مَكَرًا وَتَكْفُرْنَا مَكَرًا ﴾<sup>(٢)</sup> ، هكذا قال نصر الله ابن الأثير<sup>(٣)</sup> .

قال : وهذا مراعى في القرآن الكريم إذا كان جواباً كما تقدم من الآجين ، وكقوله : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقوله : ﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ﴾<sup>(٥)</sup> .

قال : وقد كان يجوز أن يقول : ﴿ مَنْ كَفَرَ فَلَيْسَ بِهِ ﴾ ، لكن الأحسن هو إعادة اللفظ ، فأما إذا كان غير جواب لم يلزم فيه هذه المراجعة اللفظية ، بل قد تقابل اللفظة بلفظة تفيد معناها ؛ وإن لم تكن هي نفسها ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا حَمَلَتْ وَهِيَ أُعْلَمُ رِمًا يَفْعَلُونَ ﴾<sup>(٦)</sup> ، فقال : « يفعلون » ولم يقل « يعملون » .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَتَرَجَّ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَحْتَفِ ﴾<sup>(٧)</sup> ، ولم يقل : « قالوا لا تفرح » .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُكُمْ قُلُوبًا بِاللَّهِ وَأَبَايَهُ وَرَسُولَهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾<sup>(٨)</sup> ، ولم يقل : « كنتم لمخوضون وتلهون » .

(١) سورة الممتحنة ١٩ .

(٢) الأثر ٢ : ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٣) سورة الروم ٤٤ .

(٤) سورة ص ٢٢ .

(٥) سورة النمل ٥٠ .

(٦) سورة الشورى ٤٠ .

(٧) سورة الزمر ٧٠ .

(٨) سورة التوبة ٦٥ .



قال : ونحو ذلك من الآيات الشعرية قول أبي تمام :

بَسَطَ الرَّجَاءُ لَنَا يَرْغَمُ غَوَائِبَ كَثُرَتْ بَيْنَ مَصَارِعِ الْأَمَالِ<sup>(١)</sup>

فقال : « الأمل » عوض « الرجاء » ، قال أبو الطيب :

إِنِّي لِأَعْلَمُ وَالْغَيْبُ خَبِيرٌ — أَنِ الْحَيَاةَ — وَإِنِ حَرَصْتَ — غُرُورٌ<sup>(٢)</sup>

فقال : « خير » ولم يقل : « عليم » .

قال : وإنما حسن ذلك ، لأنه ليس بجواب ؛ وإنما هو كلام مبتدأ .

قلت : الصحيح أن هذه الآيات ، وهي قوله تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾

وما شابهها ليست من باب اللقابة التي نحن في ذكرها ، وإنما نوع آخر ؛ ولو سميت :

المائة أو المسكافاة لكان أولى ؛ والدليل على ذلك أن هذا الرجل حدّ للقائلة في أول الباب

الذي ذكر هذا البحث فيه ، فقال : إنها ضدّ للتجسس ؛ لأنّ التجسس أن يكون اللفظ

واحداً مختلف المعنى ؛ وهذه لابدّ أن تكون معنيين متضادين ، وإن كان التضاد مأخوذاً في

حدّها ، فقد خرجت هذه الآيات من باب اللقابة ، وكانت نوعاً آخر .

وأيضاً فإنّ قوله تعالى : ﴿ وَتَكْفُرُوا مَكَرًا وَتَكْفُرْنَا مَكَرًا ﴾ ليس من باب

الآيات الأخرى ؛ لأنه بالواو والآيات الأخرى ، بالقاء ، والقاء جواب ، والواو ليست بجواب .

وأيضاً ، فإننا إذا تأملنا القرآن العزيز لم نجد ما ذكره هذا الرجل مطرداً ، قال تعالى :

﴿ أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى • فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى • وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى • وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْفَى • وَهُوَ

يَخْفَى • فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾<sup>(٣)</sup> ، فلم يجل في الثانية : « وأما من جاءك يسعى وهو فقير » .

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى • وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى • فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى • وَأَمَّا مَنْ

(١) ديوانه ٣ : ١٥١ .

(٢) ديوانه ٢ : ١٢٨ .

(٣) سورة هيس ٥ - ١٠ .

بِخَلٍّ وَأَسْتَفْنَىٰ ۖ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۖ فَتَنَبَّأَهُۥ ٱلْمُفْصِّرُ ۙ<sup>(١)</sup> ، تقابل بين «أعطى» و«بخل» ولم يقابل بين «اتقى» و«استفنى» ، ومثل هذا في القرآن العزيز كثير ؛ وأكثر من الكثير .

وقد بان الآن أن التقسيم الأول فاسد ، وأنه لا مقابلة إلا بين الأضداد وما يجري مجراها . وأما مقابلة الجملة بالجملة في تقابل للتماثلين ، فإنه إذا كانت إحداها في معنى الأخرى وقعت المقابلة ؛ والأغلب أن تُقابل الجملة للماضية بالماضية ، والمستقبلية بالمستقبلية . وقد تُقابل الجملة للماضية بالمستقبلية ؛ من ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن سَأَلْتُكُمُ أَهْلَ قُلُوبِكُمْ وَإِنْ أَعْتَدْتُكُمْ قِيَامًا يَوْمَ رَّبِّي ﴾<sup>(٢)</sup> ، فإن هذا تقابل من جهة المعنى ؛ لأنه لو كان من جهة اللفظ لقال : « وإن أعتدت قِيَامًا أعتدي لها » .

ووجه التقابل المعنوي ، هو أن كل ما حل للنفس فهو بها ، أعنى كل ما هو عليها وبال ، وضرر فهو سببها وبسببها ؛ لأنها الأتمة بالسوء ، وكل ما لها مما ينفعها فهو بهداهة ربها وتوفيقه لها .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا ٱلْفَيْلَ يَسْكُنُوا فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾<sup>(٣)</sup> ، فإنه لم يراع التقابل اللفظي ، ولو راعاه لقال : والنهار ليصروا فيه ، وإنما للراعاة بجانب المعنى ؛ لأن معنى « مبصرا » ليصروا فيه طرق التقلب في الحاجات . وأما مقابلة الخالف ؛ فهو على وجهين :

أحدهما : أن يكون بين المقابل والمقابل نوع مناسبة وتقابل ، كقول القائل :  
يَحْزُونُ مِنْ ظَلَمِ أَهْلِ الظُّلَمِ مَعْفِرَةٌ وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ الشُّوءِ إِحْسَانًا<sup>(٤)</sup>

(١) سورة الليل - ٥ - ١٠ .

(٢) سورة سبأ - ٥٠ .

(٣) سورة النمل - ٨٦ .

(٤) لأبي بن فرط العبدي من أبيات في ديوان الحارثية - بفتح المزدوق ١ : ٢٢ .

تقابل الظلم بالمنفرة ، وهي مخالفة له ، ليست مثله ولا ضده ، وإنما الظلم ضد العدل ؛ إلا أنه لما كانت المنفرة قريبة من العدل حُشِنَت المقابلة بينها وبين الظلم ؛ ونحو هذا قوله تعالى : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فإن الرحمة ليست ضدًا للشدة ، وإنما ضد الشدة اللين ؛ إلا أنه لما كانت الرحمة سببًا لقبح حُشِنَت المقابلة بينها وبين الشدة . وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فإن المصيبة أخس من السيئة ؛ فالتقابل ههنا من جهة المصوم والخصوم .

الوجه الثاني : ما كان بين المقابل والمقابل بُعدًا وذلك مما لا يحسن استعماله ، كقول امرأة من العرب لابنها ، وقد تزوج بامرأة غير محودة :

تَرْبَعُنْ بِهَا الْأَيَّامَ حَلًّا مُرُوفَهَا      سَتَقْدِمِي بِهَا فِي جَاهِمٍ مُتَسَعِّرٍ <sup>(٣)</sup>  
فَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدْ مَنَّا إِلَهَهُ      بِمَذْمُومَةِ الْأَخْلَاقِ وَاسْمَةِ الْحَرِّ

« مذمومة » ليست في مقابلة « واسمة » ، ولو كانت قالت : « بضيقه الأخلاق » ، كانت المقابلة صحيحة ، والشر مستقيمًا . وكذلك قول المتنبي :

لَعَنَ أَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا      سُورَةُ نُحْبِ أَوْ مَسَاءَ يُجْرِمُ <sup>(٤)</sup>  
فالمقابلة الصحيحة بين الحب والمبغض ؛ لا بين الحب والمحرم .

قلت : إن قاتل أن يقول : هلاقت في هذا ماقلت في السيئة والمصيبة ألسنت القاتل ؛ إن التقابل حَسَنٌ بين المصيبة والسيئة ، لكنه تقابل المصوم والخصوم ؛ وهذا الموضع مثله أيضا ، لأن كل مبغض لك مجرم إليك ، لأن مجرد البغضة جُرمٌ ، ففيها عموم وخصوص .

بل قاتل أن يقول : كل مجرم مبغض ، وكل مبغض مجرم ، وهذا صحيح مطرد .

(١) سورة الفتح ٢٩ .

(٢) سورة التوبة ٥٠ .

(٣) من أبيات لسبا أبو تمام في الحماسة بمرح البهرزي ( ٤ : ٣٤ ) إلى أم النعيف ، والجامع : الثار الشديعة التأجج .

(٤) ديوانه ٤ : ١٤١ .

(٢٩)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ ، الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ ، كَلَامُكُمْ يُوحِي الصَّمَّ  
الصَّلَابَ ؛ وَفِعْلُكُمْ يُطِيعُ فِعْلَكُمْ الْأَعْدَاءَ .

تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُتِمَ : حَيْدَى حَيَادٍ  
مَاعَزَتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ ، وَلَا اسْتَرَّاحَ قَلْبُ مَنْ قَامَاكُمْ . أَعَالِيلُ بِأَسَالِيلَ ؛  
دِفَاعُ ذِي الدِّينِ الطَّلُولُ .

لَا يَمْنَعُ الضِّمَّ الدَّلِيلُ ، وَلَا يَذَرُكَ الْخُلُقُ إِلَّا بِالْجِدِّ .  
أَيُّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْتَعُونَ ، وَمَعَ أَيِّ إِسَاحٍ بَعْدِي تَقَاتِلُونَ ؟ الْمَعْرُورُ وَالْقَهْرُ مِنْ  
غَوْرٍ تَمُوءُ ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَاللَّهِ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ  
رَمَى بِأَفْوَقِ نَاصِلٍ .

أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ لَا أَصَدِّقُ قَوْلَكُمْ ، وَلَا أَطِيعُ فِي نَصْرِكُمْ ، وَلَا أُوَدِّعُ  
الْعَدُوَّ بِكُمْ .

مَا بِالْكُمْ ؟ مَا دَوَاؤُكُمْ ؟ مَا يَبْكُمُ ؟ الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ .  
أَقُولُ لَا يَنْبَغُ حِلْمٌ ، وَغَفْلَةٌ مِنْ غَيْرِ وَرِيحٍ ، وَمَلْطَمٌ فِي غَيْرِ سِقْرِ !

\*\*\*

الشرح :

حَيْدَى حَيَادٍ ، كلمة يغولها الحارب القلر ، وهي نظيرة قولهم : « فَيْحَى فَيَاحِر » (١) ،

(١) في الأصل : فَيَاحٍ مثل لُطَامٍ : اسم الحارة ، وكان يقال للحارة في الجامعة : فَيْحَى فَيَاحٍ ، وذلك  
إذا دُفعت الحبل للنبوة فالتفت .

أى اتسى ، وصّى صيام ، للداهية<sup>(١)</sup> . وأصلها من حاد عن الشيء ، أى انصرف ،  
وحاد ، مبنية على الكسر ، وكذلك ما كان من بابها ، نحو قولهم : بذار ، أى لياخذ  
كل واحد قيرته . وقولهم : خراج فى لغة المصينين ، أى اخرجوا .

والباء فى قوله : « بأضاليل » متعلقة بـ « أعاليل » نفسها ، أى يشغلون بالأضاليل  
التي لا جدوى لها .

والسهم الأفوق : للكسور الأفوق ، وهو مذخل الوتر . والناصل : الذى لا نصل  
فيه ؛ يخاطبهم فيقول لهم : أبدانكم مجسمة وأهواؤكم مختلفة ، متكلمون بما هو فى الشدة  
والقوة يؤمى الجبال الصم للصبة ، وعند الحرب يظهر أن ذلك الكلام لم يكن له ثمرة .  
تقولون فى المجالس كَيْتَ وكَيْتَ ، أعم كمنفعل ومنفعل ، وكَيْتَ وكَيْتَ كناية  
عن الحديث ، كما كُتِبَ بفلان عن العلم ، ولا تستعمل إلا مكررة ، وهما مخففان من « كَيْتَ »  
وقد استعملت على الأصل ، وهى مبنية على الفتح . وقد روى أئمة العربية فيها  
الصم والكسر أيضا .

فإذا جاء القتال فردتم وقلتم : القيراز القيراز .

ثم أخذ فى الشكوى ، قال : مَنْ دعاكم لم تميز دعوتهُ ، وَمَنْ قالساكم لم يسرع قلبهُ .  
دأبكم التمثل بالأمور الباطلة ، والأماهى الكاذبة . وسألتمونى الإرجاء وتأخر الحرب  
كنم يمتل بدئين لازم له . والصم لا يدفعه الدليل ، ولا يدرك الحق إلا بالجد فيه  
والاجتهاد وعدم الانكماش .

وباقى الفصل ظاهر للمعنى .

(١) سمى صيام ، أى ريدى .



فاجتمع إليه الناس من كل كورة<sup>(١)</sup> وأرادوا السير إلى صيفين ، فاستشارهم ، وقال :  
إن علياً قد خرج من الكوفة ، وعهد العاهد به أنه فارق النخيلة<sup>(٢)</sup> .

قال حبيب بن مسلمة : فإني أرى أن نخرج حتى نزل منزلنا الذي كنا فيه ، فإنه منزل  
مبارك ، وقد متعنا الله به وأعطانا من عدونا فيه النصف .

وقال عمرو بن العاص : إني أرى لك أن تسير بالجند حتى توغلبها في سلطانهم من أرض  
الجزيرة ، فإن ذلك أقوى لجندك ، وأذل لأهل حربك . فقال معاوية : والله إني لأعرف  
أن الذي تقول كما تقول ، ولكن الناس لا يطيقون ذلك . قال عمرو : إنها أرض رفيقة ،  
فقال معاوية : إن جهد الناس أن يبلعوا منزلم الذي كانوا به - يعني صيفين .

فكثروا يحيلون الرأي يومين أو ثلاثة ، حتى قدمت عليهم عيونهم أن علياً اختلف  
عليه أصحابه فعارفته منهم فرقة **انكبت أهر** الحكومة ، وأنه قد رجع عنكم إليهم .  
فكثرت الناس سروراً لانصرافه عنهم ، وما ألقى الله عز وجل من الخلاف بينهم . فلم يزل  
معاوية معتكراً في مكانه ، منتظراً لما يكون من علي وأصحابه وهل يقبل بالناس أم لا ؟  
فما برح حتى جاء الخبر أن علياً قد قتل أولئك الخوارج ، وأنه أراد بعد قتلهم أن يقبل  
بالناس ، وأنهم استنظروه ودافعوه . فسر بذلك هو ومن قبله من الناس .

قال : وروى ابن أبي سيف<sup>(٣)</sup> ، عن يزيد بن يزيد بن جابر ، عن عبد الرحمن بن مسعدة  
القرظري ، قال : جاءنا كتاب حمارة بن عتبة بن أبي مخط ، وكان بالكوفة مقبياً ،  
ونحن ممكرون مع معاوية ، نتخوف أن يفرع علي من الخوارج ثم يقبل إلينا ، ونحن  
قول : إن أقبل إلينا كان أفضل للكان الذي نستقبله به المكان الذي لقيناه فيه  
العام الماضي . فكان في كتاب حمارة بن عتبة : أما بعد ؛ فإن علياً خرج عليه قرءاء

(١) الكورة : كل صقع يشتمل على عدة قرى ، ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر ، يجمع  
اسمها . مجمل البلدان ١ : ٣٦ .

(٢) النخيلة : موضع قرب الكوفة .

(٣) كذا في أ ، ج ، و ، م : « سمعان » .

أصحابه ونسأكم ، نخرج إليهم قتلهم ، وقد فسد عليه جندؤه وأهل مصره ، ووقعت بينهم العداوة ، وتفرقوا أشد الفرقه ، وأحببت إعلاتك لتعبد الله ، والسلام .

قال عبد الرحمن بن مسعدة : قرأه معاوية على وجه أخيه عتبة ، وعلى الوليد ابن عتبة ، وعلى أبي الأعمور السلمي ؛ ثم نظر إلى أخيه عتبة وإلى الوليد بن عتبة ، وقال للوليد : لقد رميت أخوك أن يكون لنا عبدا . فضحك الوليد وقال : إن في ذلك أيضا لنفعا .

وروى أبو جعفر الطبري ، قال : كان حمارة ثقيفا بالكوفة بعد قتل عثمان ، لم يهجه على عليه السلام ولم يذمّه ، وكان يكتب إلى معاوية بالأخبار سرا .

ومن شعر الوليد لأخيه حمارة يجرّده :

إِنْ يَكُ ظَنِّي فِي حِمَارَةٍ صَادِقًا      ثُمَّ نَمَّ لَا يَطْلُبُ بِدَخْلٍ وَلَا وَثْرٍ<sup>(١)</sup>  
يَبْدِيْتُ وَأَوْتَارُ ابْنِ عَفَّانٍ حِدَّةً      تُخَيِّمُهُ بَيْنَ الْفُورَتَيْنِ فَالْقَصْرِ  
تَمْشِي رَخَى الْبَالِ مُنْتَشِرَ الْقَوَى      كَأَنَّكَ لَمْ تَسْعَ بِقَتْلِ أَبِي عَمْرٍو<sup>(٢)</sup>  
أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثَةٍ      قَتِلَ التَّجِيبِي الَّذِي جَاءَ مِنْ مِصْرٍ<sup>(٣)</sup>

قال : فأجابه الفضل بن العباس بن عتبة<sup>(٤)</sup> :

أَطْلُبُ تَارًا لَسْتُ مِنْهُ وَلَا لَهُ      وَمَا لِبْنِ ذَكْوَانَ الصَّفُورِيِّ وَالْوَثْرِ<sup>(٥)</sup>

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٤٢٦ ؛ مع اختلاف الرواية وتريب الأبيات . والوتر والقفل : التار .

(٢) لم يذكره في الطبري ، ومشتزر القوى : مستحکم ، وأمه في الجبل للفتول .

(٣) التجيبي : هو كنانة بن بصر بن عتاب الرياحي ؛ أحد ثقات عثمان ؛ قال الطبري : « ضرب كنانة

ابن بصر جبينه ومقدم رأسه بسمود حديد ، فصر لحينه » ( ١٣٢ : ٦ ) .

(٤) في الأصول : « عبد اللطيف » ، وهو خطأ .

(٥) الطبري :

• وَأَبْنُ ابْنِ ذَكْوَانَ الصَّفُورِيِّ مِنْ عَمْرٍو •



كَمَا افْتَخَرَتْ بِنْتُ الْحَسَارِ بِأُمِّهَا وَتَنَسَّى أَبَاهَا إِذْ تَسَامَى أُولُو الْفَخْرِ (١)  
 أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بِمَدَنِيَّتِهِمْ وَمَنْ أَنَّى الْمُصْطَفَى عِنْدَ ذِي الذِّكْرِ (٢)  
 وَأَوَّلُ مَنْ صَلَّى وَصَيُّوْهُ بَيْتُهُ وَأَوَّلُ مَنْ أَرَدَى الْفُؤَادَ لَهَا بِذَرِّهِ (٣)  
 أما معنى قوله : « وما لابن ذكوان الصُّفُورِيَّة » ، فإنَّ الوليدَ ، هو ابن عُبَيْة  
 ابن أبي مُعَيْط بن أبي عمرو ، واسمه ذَكْوَان بن أُمَيَّة بن عبد شمس . وقد ذَكَرَ جماعة  
 من الكتابين أنَّ ذكوان كان مَوْلَى لأمِيَّة بن عبد شمس ، فحبته وكناه أبا عمرو ،  
 فبنوه مَوَالٍ وليسوا من بني أُمَيَّة لِصُلْبِهِ . والصُّفُورِي : منسوب إلى صُفُورِيَّة ؛ قرية  
 من قرى الروم .



قال إبراهيم بن حلال النخعي : فقد ذلك دعا معاوية الضحاك بن قيس النخعي ،  
 وقال له : سرّ حتى تمرّ بناحية الكوفة وترتفع بها ما استطعت ، فمن وجدته من  
 الأعراب في طاعة عليّ فأغره عليه ، وإن وجدت له مسلحة (١) أو خيلاً فأغره عليها ،  
 وإذا أصبحت في بلدة فأنس في أخرى ، ولا تهمنّ لحيل بلغك أنها قد سرحت إليك  
 لقتالها فقاتلها . فسرّحه فيها بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف .

فأقبل الضحاك ، فذهب الأموال وقتل من أفي من الأعراب ، حتى مر بالشعبية (٢)

(١) رواية الطبري :

كَمَا اتَّصَلَتْ بِنْتُ الْحِمَارِ بِأُمِّهَا وَتَنَسَّى أَبَاهَا إِذْ تَسَامَى أُولُو الْفَخْرِ

(٢) الطبري : « بعد محمد » .

(٣) بعد في الطبري :

فَلَوْ رَأَتْ الْأَنْصَارُ ظِلْمَ ابْنِ عَمَلٍ لَكَانُوا لَهُ مِنْ ظُلْمِهِ حَاضِرِي النَّصْرِ

كَفَى ذَلِكَ عَيْبًا أَنْ يُشِيرُوا بِقَتْلِهِ وَأَنْ يُسَلِّمُوهُ لِلْأَحَابِيْشِ مِنْ مِصْرَ

(٤) لليلة منا : القوم ذوو سلاح .

(٥) الشعبية : من منازل طريق مكة إلى الكوفة .

فأغار على الحاج ، فأخذ أمتعتهم ، ثم أقبل فأتى عمرو بن عيسى بن مسعود الهذلي ، وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقتله في طريق الحاج عند القططانة <sup>(١)</sup> . وقتل معه ناسا من أصحابه

قال : فروى إبراهيم بن مبارك البجلي عن أبيه ، عن بكر بن عيسى ، عن أبي رزوق ، قال : حدثني أبي ، قال : سمعت عليا عليه السلام ، وقد خرج إلى الناس ، وهو يقول على المنبر :

يا أهل الكوفة ، اخرجوا إلى البعد الصالح عمرو بن عيسى ، وإلى جيوشكم قد أصيب منهم طارف ، اخرجوا فقاتلوا عدوكم ، وامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين . فردوا عليه ردا صمعا ، ورأى منهم قهرا وفشلا ، فقال : والله لو ددت أن لي بكل ثمانية منكم رجلا منهم ! وبحكم اخرجوا منكم فمروا على ما بدا لكم ؛ فوافقه ما أكره لقاء رئي على نبيك وصيرني ، وفي ذلك روح لي عظيم ، وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم . ثم نزل .

فخرج يمشي حتى بلغ القرينين ، ثم دعا حُجْر بن عدى الكندي ، فنقده على أربعة آلاف .

وروى محمد بن يعقوب الكندي ، قال : استصرح أمير المؤمنين عليه السلام الناس عقيب <sup>(١)</sup> فارة الضعك بن قيس الفهري على أطراف أعماله ، فتقاعدوا عنه ، فطاعهم فقال : ما عزت دعوة من دعاكم ، ولا استراح قلب من فاساكم . . . الفصل إلى آخره .

\*\*\*

قال إبراهيم النخعي : فخرج حُجْر بن عدى حتى مر بالسماءة - وهي أرض كلب -

(١) قال في الصحاح : « وأما عقيب مثال كريم فاسم فاعل من قولهم : عاقبه بواقبة وعقبه بقطيعة ، فهو محاط ومعتب وعقيب » .

فلحق بها امرأ القيس بن عدى بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم الكلبي - يوم أمصار الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام - فكانوا أدلاء في الطريق وعلى اللياء ، فلم يزل مُعِذاً في أثر الضحّاك ، حتى لقيه بناحية تَدْمُر ، فواقعه فاقتلوا سامة ، فقتل من أصحاب الضحّاك تسعة عشر رجلاً ، وقُتِل من أصحاب حُجر رحلان ، وحجز الليل بينهم . ففُض الضحّاك ، فلما أصبحوا لم يجدوا له ولأصحابه أثراً . وكان الضحّاك يقول بعد :  
أنا ابن قيس ، أنا أبو أنيس ! أنا قاتل عمرو بن عُتَيْس

• • •

قال : وكتب في أثر هذه الواقعة عقيل بن أبي طالب إلى أخيه أمير المؤمنين عليه السلام ، حين يلزمه خذلان أهل الكوفة ، وتقاعدهم به :  
لبيد الله علي أمير المؤمنين عليه السلام من عقيل بن أبي طالب سلام عليك ،  
فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ؛ فإن الله حارسك من كل سوء ،  
وحاصك من كل مكروه ، وعلى كل حال ؛ إني قد خرجت إلى مكة معتمراً ، فليت  
عبد الله بن سعد بن أبي سرح في محو من أربعين شأناً من أبناء الطلقاء ، فعرفتُ  
المسكر في وجوههم ، فقلت : إلى أين يا أبناء الشائين ! أعمّاية تلحقون ! عداوة والله  
مكم قديماً غير مستغرة ؛ تريدون بها إطفاء نور الله ، وتبديل أمره . فأسمعن القوم  
وأسمعنهم ، فلما قدمت مكة ، سمعت أهلها يتحدثون أن الضحّاك بن قيس أغار على الحيرة ،  
فاحتمل من أموالها ما شاء ، ثم انكفأ راحماً سالماً . فأفّ لحية في دهر جراً عليك الصّحّاك !  
وما الضحّاك ! ففزع بقرقر<sup>(١)</sup> ! وقد توقعت حيث يلقي ذلك أن شيعتك وأنصارك خذلوك  
فاكتب إلى يابن أمي برايك ، فإن كنت اللوث تريد ، تحملت إليك بيني أخيك ،

(١) القرقر : الأرض المشوية ، والفقع : صرب من أرمأ السكّاة ، يقال للرجل الذليل : هو فقع قرقر ؛ لأن الدواب تنجسه بأرجلها .

وولد أميك ، فبشئنا معك ما عشت ، وبشئنا معك إذا مت ؛ فوالله ما أحب أن أبقى في الدنيا بعدك فواقاً .

وأقسم بالأعز الأجل ، إن عيشاً نعيشه بعدك في الحياة لنيزهني . ولا سرى . ولا نبيع ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته <sup>(١)</sup> .



فكتب إليه عليه السلام : من عبد الله على أمير المؤمنين : إلى عقيل بن أبي طالب . سلام الله عليك ، فإني أحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أمّا بعد : كلاً ما ، الله وإياك كلاءة من يخشاه بالعب ، إله حميد مجيد . قد وصل إلى كتابك مع عبد الرحمن بن عبيد الأزدي ، تذكر فيه أنك قبضت عبد الله بن سعد بن أبي سرح مقبلاً من قُذَيْد <sup>(٢)</sup> في نحو من أربعين فارساً من أبناء الطلقاء ، متوجّهين إلى جهة العرب . وإن ابن أبي سرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه ، وعدّه من سبيله وبهاها حوجاً ؛ فذبح ابن أبي سرح ، ودفع عنك قريباً ، وخلّهم وترّكهم في الضلال ، وتجوّأهم في الشقاق . ألا وإن العرب قد أجمعت على حرب أخيك اليوم إجماعها على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله قبل اليوم ، فأصبحوا قد جهلوا حقّه ، وجعلوا فضله ، وبأدروا العداوة ، ونصبوا له الحرب ، وجهدوا عليه كل الجهد ، وجروا إليه جيش الأحزاب . اللهم فاجز قريباً عني الجوازي <sup>(٣)</sup> ! فقد قطعت رجلي ، ونظاهرت علي ، ودفتني عن حقّي ، وسلبتني سلطان ابن أمي ، وسلّمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول ، وسابقتني في الإسلام إلا أن يدعى مدعى مالا أهرقه ، ولا أظن الله يعرفه ، والمحمد لله على كل حال . فأما ما ذكرته من غارة الصعاليك على أهل الحيرة ، فهو أقلّ وأزلّ من أن يلزم بها

(١) الفواق : قدر ما بين الخسبي (٢) الأمان : ١٦ : ٢٠٢ ، ٢٠٣ - بيروت .

(٣) الجوازي : جمع جازية ؛ وهي السكّانة على الشيء .

أو يدنو منها؛ ولكنه قد كان أقتل في جريدته خيل، فأخذ على السماوة، حتى مرّ بواقصة<sup>(١)</sup> وشراف<sup>(٢)</sup> والقطاطنة؛ مما وإلى ذلك الضيق، فوجهت إليه جنداً كثيراً من المسلمين، فلما بلغه ذلك قرأ هارباً، فاتبعوه فلاحقوه ببعض الطريق وقد آمن، وكان ذلك حين طلعت<sup>(٣)</sup> الشمس للإياب، فتناوشوا القتال قليلاً كلاً ولا<sup>(٤)</sup>، فلم يصبر لوقع المشرقية<sup>(٥)</sup> وولى هارباً، وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً، ونجا جريضا<sup>(٦)</sup> بعد ما أخذ منه بالحق، فلما بلائي مانجا. فأتانا ما سألني أن أكتب لك برأي فيما أمان فيه، فإن رأي جهاد للمعتدين حتى ألقى الله، لا يزيدني كثرة الناس معي عزة، ولا تفرقهم عني وحشة، لأنني بحق والله مع الحق؛ والله ما أكره الموت على الحق وما الخير كله إلا بدالموت لمن كان محمداً. وأما ما عرضت به من مسيرك إلى بيتك وبنى إليك فلا حاجة لي في ذلك؛ فأقم راشداً محمداً، فوالله ما أحب أن يهلكوا علي إن هلك، ولا تحب ابن أمك - ولو أسلمه الناس - متعضماً ولا متضرماً، إنه لكما قال أخو بني سليم<sup>(٧)</sup> :

فإن سألني كيف أنت فأتني صبوراً على ريب الزمان صليب  
بمز على أن ترى في كآبة فيشت ما ي أو يساء حبيب



قال إبراهيم بن حلال الثقفي : وذكر محمد بن مخنف أنه سمع الضحاك بن قيس بذلك بزمان يخطب على منبر الكوفة، وقد كان بلغه أن قوماً من أهلها يشتبون عمان

(١) واقصة : منزل في طريق مكة .

(٢) شراف : بفتح أوله : موضع قريب من واقصة في طريق مكة أيضاً .

(٣) طلعت الشمس : مالت إلى الغيب .

(٤) لا في اللسان : العرب إذا أرادوا تحليل مدة فعل قالوا : كان فعله كلاً ، وربما كرروا فقالوا :

كلاً ولا ( ٢٠ : ٣٧٥ ) .

(٥) للمشرقية : السيوف ؛ منسوبة إلى مشرق الشام ، قرى من أرض العرب تدنو من الريف .

(٦) جريضا : مجهودا يكاد يقضى .

(٧) هو صخر بن الفريد السلمي .

ويبرمون منه ، قال : فسمعتُه يقول : بلغني أن رجلا منكم ضلَّلا يشيعون أئمة الهدى ، ويسبون أسلافنا الصالحين ؛ أما والذي ليس له ريد ولا شريك ؛ لئن لم تنهوا عما يُلغى عليكم ، لأضعن فيكم سيف زياد ، ثم لا نجدوتى ضيف السورة<sup>(١)</sup> ، ولا كليل الشفرة . أما إني لصاحبكم الذي أغرتُ حل بلادكم ، فكت أول من خزاها في الإسلام ، وشرب من ماء التعلبية ومن شاطئ القرات ، أعاقب من شئت ، وأضو عن شئت ؛ لقد عرتُ الهدرات<sup>(٢)</sup> في خدورهن ، وإن كانت المرأة ليكي ابنها فلا تزهبه ولا تسك إلا بد كراسي . فاتقوا الله يا أهل العراق ؛ أما الضعك بن قيس ، أنا أبو آيس ، أنا قاتل عمرو بن حميس ؛ فقام إليه عبد الرحمن بن عبيد ، فقال : صدق الأمير وأحسن القول ، ما عرتُنا والله بما ذكرت ؛ ولقد آقيناك بنربي تذر ، فوجدناك شجاعا مجربا صهورا . ثم جلس وقال : أيفخر علينا بما صنع بهلادنا أول ما قدم أروايم الله لأذكركه أبض مواعله إليه . قال . فسكت الضعك قليلا ، وكأنه خزي واستحيا ، ثم قال : نعم كان ذلك اليوم ؛ فأخذه بكلام ثقيل ، ثم نزل .

قال محمد بن عثف : قلت لعبد الرحمن بن عبيد - أو قيل له : لقد اجترأت حين تذكركه هذا اليوم ، وتخبره أنك كنت فيمن لقيه ؛ فقال : لئن يصبينا إلا ما كعب الله لنا .

قال : وسأل الضعك عبد الرحمن بن عبيد حين قدم الكوفة ، فقال : لقد رأيتُ منكم بنربي تذر رجلا ما كنت أرى أن في الناس مثله ، حل علينا ، فما كذب حق ضرب الكتيبة التي أنا فيها ، فلما ذهب ليول جلت عليه ، فطعته ، فوقع ثم قام

(١) السورة : العدة .

(٢) الهدرات : المرأة في الحمر ؛ وهو سدر يمد في لاجبة البيت .

فلم يضره شيء ، ثم لم يلبث أن حمل علينا في الكتيبة التي أنا فيها ، مصرع رجلا  
ثم ذهب لينصرف ، فحملت عليه فضربت على رأسه بالسيف ، ثقيل إلى أن سيفي  
قد ثبت في عظم رأسه فضر بني ؛ فوالله ما صنع سيفه شيئا ، ثم ذهب فظننت  
أنه لن يعود ، فوالله ما راعني إلا وقد عصب رأسه بهامة ، ثم أقبل نحو ناقلت : ثكلتك  
أمك ! أما نهتك الأوليان عن الإقدام علينا ! قال : إنهما لم تنهيانى ، إنما أحسب هذا في  
سبيل الله . ثم حل لي طمعتي ، فطعته وحل أصحابه علينا ، فافصلنا ، وحال الليل بيننا ،  
فقال له عبد الرحمن : هذا يوم شهده هذا - يعنى ربيعة بن ماجد - وهو فارس الحى ،  
وما اظنه يحى أمر هذا الرجل . فقال له : أتسرفه ؟ قال : نعم ، قال : من هو ؟ قال :  
أنا ، قال : فأراني العربة التي برأسك ، فأراه فإذا هي مربة قد برت العظم منكزة ،  
فقال له : فأرأيت اليوم ؟ أهر كرايك يومئذ ! قال : رأيي اليوم رأى الجماعة ، قال : فما  
عليكم من بأس ، أنتم آمنون ما لم تظهروا علقا ، ولكن المعذب كيف نجوت من زياد  
لم يقتلك فيمن قتل ، أو يسيرك فيمن سير ! فقال : أما التسير فقد سبى ، وأما القتل  
فقد ما فانا الله منه !



قال إبراهيم الثقفى : وأصاب الصعاع في حربته من حجر عطش شديد ، وذلك لأن  
الجل الذي كان عليه ماؤه ضل فعطش ، وخفق برأسه خفقتين لئلا يصابه ، فترك الطريق  
وانتبه ، وليس معه إلا غريبير من أصحابه ، وليس منهم أحد معه ماء ، فبمشر جال منهم  
في جانب يلتمسون الماء ولا أنيس ، فكان الصعاع بعد ذلك يحكى ، قال : فرأيت جادة  
فلزمتها ، فسمعت قائلا يقول :

دَعَانِي الْهَوَى فَزِدْتُ شَوْقًا وَرُبَّمَا      دَعَانِي الْهَوَى مِنْ سَاعَةٍ فَاجِيبُ  
وَأَزَقْنِي بَعْدَ النَّامِ وَرُبَّمَا      أَرَقْتُ لِسَارِي الْمَمِّ حِينَ يَنْوِبُ

فَإِنْ أَكْ قَدْ أَحْبَبْتُكُمْ وَرَأَيْتُكُمْ فَإِنِ بَدَأَرْنِي عَامِرٌ لَقَرِيبٌ

قال: وأشرف على رجل، قلت: يا عبد الله، اسقني ماء، فقال: لا والله، حتى تعطيني منه، قلت: وما منعه؟ قال: ديتك، قلت: أما ترى عليك من الحق أن تقرى الضيف، فتعلمه وتسقيه؟ قال: ربما فسلناور بما بخلنا، قال: قلت: والله ما أراك فعلت خيراً قط، اسقني، قال: ما أطيق، قلت: فإن أحسن إليك وأكسوك، قال: لا والله لا أقص شربة من مائة دينار، قلت له: ونحك! اسقني! قال: ونحك! أعطني، قلت: لا والله ما هي معي، ولكنك تسقيني، ثم تطلق معي أعطيكها، قال: لا والله، قالت: اسقني وأرهقك فرسي حتى أوفيكها، قال: نعم، ثم خرج بين يدي واتهمته، فأشرفنا على أخبيدونس على ماء فقال لي: مكانك حتى آتيك، قلت: بل أجيء معك، قال: وساء حيث رأيت الناس والماء، فذهب يشتد حتى دخل بيتا، ثم جاء عمامي إناء، فقال: اشرب، قلت: لا حاجة لي فيه. ثم دنوت من القوم، قلت: اسقوني ماء، فقال شيخ لابنته: اسقيه، قامت ابنته فجاءت بماء ولبن، فقال ذلك لرجل: بجهتك من العطش، وتذهب بمقي! والله لا أفارقك حتى أستوفي منك حق، قلت: اجلس حتى أوفيك. فعلس: فزلت فأخذت الماء واللبن من يد الفتاة، فشربت واجتمع إلى أهل الماء، قلت لهم: هذا الأم الناس! فعل بي كذا وكذا! وهذا الشيخ خير منه وأسدنى، استسقيته فلم يكلمني وأمر ابنته فسقني، وهو الآن يلزمني بمائة دينار. فشتمه أهل الحية، ووقعوا به، ولم يكن بأسرع من أن يلحقني قوم من أصحابي، فسلموا على بالإمرة، فارتاب الرجل وجزع، وذهب يريد أن يهزم، قلت: والله لا تبرح حتى أوفيك المائة، فجلس ما يدري ما الذي أريد به! فلما كثر جندي عندي سرحت إلى ثقل<sup>(١)</sup>، فأريت به، ثم أمرت بالرجل فجلد مائة جلدة، ودعوت الشيخ وابنته فأمرت لما بمائة دينار وكسوتهما، وكسوت أهل الماء

(١) الثقل: مطاع المسافر.



نوبا نوبا ، وحرمة . فقال أهل الساء : كان أيها الأمير أهلا فلك . وكنت لما أتيت من خير أهلا .

فلما رجعت إلى معاوية ، وحدثته عجب ، وقال : لقد رأيت في سفرك هذا عجبا .  
ويذكر أهل النسب أن قيسا أبا الضعك بن قيس كان يبيع عصب الفحول<sup>(١)</sup> في الجاهلية .



وروي أن عقيلاً رحمه الله تعالى ، قدم على أمير المؤمنين ، فوجده جالسا في محن للسجد بالكوفة ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . وكان عقيل قد كُف بصره . فقال : وعليك السلام يا أبا يزيد ، ثم التفت إلى ابنه الحسن عليه السلام ، فقال : قم فأزل عتك ، فقام فأزله ، ثم عاد فقال : اذهب فاشتر لي صاعا جديدا ، ورداء جديدا وإزارا جديدا ونعلين جديدا ، فذهب فاشترى له ، ففدا عقيل على من عليه السلام في الثياب ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، قال : وعليك السلام يا أبا يزيد ، قال : يا أمير المؤمنين ، ما أراك أصبت من الدنيا شيئا ، وإني لأرضى نفسي من خلافتك بما رضيت به لنفسك ، فقال : يا أبا يزيد ، يخرج عطائي فأدفعه إليك .

فلما ارتحل عن أمير المؤمنين عليه السلام أتى معاوية فنُصبت له كراسيه ، وأجلس جلساء حوله ، فلما ورد عليه أمره بمائة ألف فقبضها ، ثم غدا عليه يوما بعد ذلك ، وبعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام ، وبيعة الحسن لمعاوية ، وجلساء معاوية حوله ، فقال : يا أبا يزيد ، أخبرني عن عسكرك وعسكر أخيك ، فقد وردت عليهما ، قال : أخبرك ، مرت واه

(١) السب هنا : ماء الفحل .

بسكر أخى ، فإذا ليل كليل رسول الله صلى الله عليه وآله ، ونهار كنهار رسول الله صلى الله عليه وآله ، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وآله ليس فى القوم ؛ ما رأيت إلا مصلياً ، ولا سمعت إلا قارئاً . ومررت بسكرك ، فاستقبلنى قومٌ من المنافقين بمن غر برسول الله ليلة العقبة ، ثم قال : من هذا عن يمينك يا معاوية ؟ قال : هذا عمرو بن العاص ، قال : هذا الذى اختصم فيه ستة غر ، فغلب عليه جرار قريش ؛ فمن الآخر ؟ قال : الضعك بن قيس الفهري قال : أما والله لقد كان أبوه جيد الأخذ لمصب الثيوس ؟ فمن هذا الآخر ؟ قال : أبو موسى الأشعرى ، قال : هذا ابن السراقفة ، فلما رأى معاوية أنه قد أغضب جلساءه ، علم أنه إن استغبره من نفسه ، قال فيه سوءاً ، فأحب أن يسأله ليقول فيه ما يعله من سوء ، فيذهب بذلك غضب جلسائه ، قال : يا أبا يزيد ، فما تقول فى ؟ قال : دعنى من هذا ؛ قال : لتقولن ، قال : أنعرف حمامة ؟ قال : ومن حمامة يا أبا يزيد ؟ قال : قد أحبرتلك ، ثم قام فقص ، فأرسل معاوية إلى النسابة ، فدعاه ، فقال : من حمامة ؟ قال : ولى الأمان ؟ قال : نعم ، قال : حمامة جدتك أم أبى سفيان ، كانت بغيّاً فى الجاهلية صاحبة راية ، فقال معاوية لجلسائه : قد ساويتكم وزدت عليكم فلا تفضبوا .

( ٣٠ )

ومن خطبة له عليه السلام في معنى قتل عثمان .

الأصل :

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا ، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا ؛ خَيْرٌ أَنْ مَن نَّصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ : خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ، وَمَنْ خَذَلَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ : نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي ؛ وَأَمَّا جَمِيعُ لَكُمْ أَمْرِهِ ؛ اسْتَأْتَرَ قَاتِلًا الْأَثَرَةَ ، وَجَزَعْتُمْ قَاتِلَتُمْ الْجَزَعَ ، وَفِي حُكْمٍ وَارِثٍ فِي الْمُنْتَائِرِ وَالْجَازِعِ .

الشرح :

هذا الكلام بظاهره يقتضي أنه ما أمر بقتله ، ولا نهى عنه ، فيكون دمه حمله في حكم الأمور الباهرة التي لا يؤمر بها ، ولا ينهى عنها . غير أنه لا يجوز أن يحمل الكلام على ظاهره ، لما ثبت من عصمة دم عثمان . وأيضاً فقد ثبت في السيرة والأخبار أنه كان عليه السلام ينهى الناس عن قتله ؛ فإذاً يجب أن يحمل لفظ النهي على اللع كما يقال : الأمير ينهى عن نهب أموال الرعية ، أي يمنع ، وحينئذ يستقيم الكلام ؛ لأنه عليه السلام ما أمر بقتله ولا منع عن قتله ، وإنما كان ينهى عنه باللسان ولا يمنع عنه باليد .

فإن قيل : فالتنهي عن النكر واجب ، فهل يمنع من قتله باليد ؟

قيل : إنما يجب اللع باليد عن النكر إذا كان حساً ؛ وإنما يكون الإنكار حساً

إذا لم يَنْتَلِبْ عَلَى ظَنِّ الْغَايِ مِنَ الْمُنْكَرِ أَنْ نَهَيْهِ لَا يُوْثِّرُ ، فَإِنْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنْ نَهَيْهِ لَا يُوْثِّرُ قَبِيحَ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْفَرَضُ تَعْرِيفًا فَاعِلُ الْقَبِيحِ قَبِيحٌ مَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ ؛ فَذَلِكَ حَاصِلٌ مِنْ دُونِ الْإِنْكَارِ ؛ وَإِنْ كَانَ الْفَرَضُ إِلَّا بَقِيَ لِلْمُنْكَرِ ، فَذَلِكَ غَيْرُ حَاصِلٍ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنْ نَهَيْهِ وَإِنْكَارُهُ لَا يُوْثِّرُ ؛ وَلِلَّهِكَ لَا يَحْسُنُ مِنَ الْإِنْسَانِ الْإِنْكَارُ عَلَى أَصْحَابِ الْآمَرِ<sup>(١)</sup> مَا م عَلَيْهِ مِنْ اخْذِ الْمَكُوسِ ، لَمَّا غَلَبَ عَلَى الظَّنِّ أَنَّ الْإِنْكَارَ لَا يُوْثِّرُ ؛ وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنْ إِنْكَارُهُ لَا يُوْثِّرُ ؛ فَذَلِكَ لَمْ يَنْكُرْ .

وَلِأَجْلِ اشْتِبَاهِ هَذَا الْكَلَامِ عَلَى السَّامِعِينَ ، قَالَ كَسْبُ بْنُ جَعْفَرٍ ، شَامِرُ أَهْلِ الشَّامِ الْآيَاتُ الَّتِي مِنْهَا<sup>(٢)</sup> :

أَرَى الشَّامَ تَكْرَهُ أَهْلَ الْبِرَاقِ	وَأَهْلَ الْبِرَاقِ لَمْ يَكْرَهُوْنَا <sup>(٣)</sup>
وَكُلُّ لَصَائِبٍ مَبْغُذٌ	بَرِي كُلِّ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ دِهْنًا
إِذَا مَارَقُوْنَا رَمَيْنَا <sup>(٤)</sup>	وَدِتَامُ مِثْلَ مَا يَقْرَضُونَا <sup>(٥)</sup>
وَقَالُوا : عَلِيٌّ إِمَامٌ لَنَا	قُلْنَا : رَضِينَا ابْنَ هِنْدٍ رَضِينَا
وَقَالُوا : نَرَى أَنْ تَدِينُوا لَنَا	قُلْنَا : أَلَا لَا نَرَى أَنْ تَدِينَا <sup>(٦)</sup>
وَمِنْ دُونِ ذَلِكَ خَرَطُ الْقَتَادِ	وَطَمَنٌ وَضَرْبٌ يَقْرَ الْعَبُونَا <sup>(٧)</sup>

(١) الْآمَرُ : لِلْوَاضِعِ الْمُنْذَرِ لِمَنْ لَمْ يَأْخُذْ بِالشُّعُورِ .

(٢) الْآيَاتُ فِي وَفْقَةِ صَفِيحِ ٦٣ ، ٦٤ ، وَأُورِدَ لِلْبَرْدِ فِي الْكُفْلِ ( ٤ - ٢١٢ - بِمَرْحِ الرُّسْنِ )  
السُّنَّةُ الْآيَاتُ الْأُولَى مِنْهَا ؛ وَقَالَ : « وَفِي آخِرِ هَذَا الْعَمْرِ ذَمُّ لَعْنِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسْكَنًا مِنْ ذِكْرِهِ » .

(٣) وَفْقَةِ صَفِيحِ « وَالْكُفْل » : « مَلِكُ الْعِرَاقِ » .

(٤) دِهْنٌ : مِنَ الْبَرِّ ، وَهُوَ الْفَرَسُ ؛ وَيَقْرَضُونَ : حَذَفَتِ التَّوْنُ مِنْ غَيْرِ نَاسِبٍ وَلَا جُلُزٍ ، وَهُوَ جَائِرٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ ، وَانْظُرْ خَزَائِنَ الْأَدَبِ ( ٣ : ٥٢٥ - ٥٢٦ ) .

(٥) هَذِهِ رِوَايَةُ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ؛ وَهِيَ تَوَافِقُ رِوَايَةَ الْبَرْدِ ؛ وَفِي صَفِيحِ :

وَقُلْنَا نَرَى أَنْ تَدِينُوا لَنَا قَالُوا لَنَا : لَا نَرَى أَنْ تَدِينَا

(٦) قَالَ الْبَرْدُ : « وَأَحْسَنُ الرُّوَايَةِ : بِطَى الثُّوْبَانِ » .

وَكُلُّ بَسْرٍ بِمَا جَنَدَهُ      يَرَى نَحْتًا مَا فِي يَدَيْهِ تَجِيهًا  
وَمَا فِي عَالِيِ الْمُنْعَبِ      مَقَالٌ سَوَى ضَمَّةِ الْحَدِيدِ بَسَا  
وَابْتِثَارِهِ الْيَوْمَ أَهْلَ الْقُدُوبِ      وَرَفَعَ الْقِيَامِ مِنَ الْقَاتِلِينَ  
إِذَا سِيلَ عَنْهُ حَذَا شَبَهَ      وَتَمَى الْجَوَابَ عَلَى السَّائِلِينَ<sup>(١)</sup>  
فَلَيْسَ بِرَاضٍ وَلَا مَاضٍ      وَلَا فِي الشَّهَادَةِ وَلَا الْأَمْرِ  
وَلَا هُوَ سَاءٌ وَلَا مَرٌّ      وَلَا يُدِينُ بَعْضُ ذَا أَنْ يَكُونَا

وهذا شعر خبيث مُنْكَرٌ ، ومقصود عميق ، وما قال هذا الشعر إلا بعد أن ثَقُلَ إلى أهل الشام كلامٌ كثيرٌ لأمير المؤمنين عليه السلام في شأن يجري هذا الجري ، نحو قوله : ما سرّني وَلَا ساءَني . وقيل له : أَرَحِيتَ جَنَدَهُ ؟ فقال : لم أرضَ ، فقيل له : أَسَخِطْتَ قَتْلَهُ ؟ فقال : لم أسخط . وقوله تارة : الله قتله وأنا معه ، وقوله تارة أخرى : ما قتلت عثمان ولا مالاتُ في قتله . وقوله تارة أخرى : كنتُ رجلاً من المسلمين أوردتُ إِذْ أوردُوا ، وأصدرتُ إِذْ أصدرُوا .

ولكل شيء من كلامه إِذَا صَحَّ عنه تأويل يعرفه أولو الألباب .

فأما قوله : « غير أن مَنْ نصره » ، فكلام معناه أن خاذليه كانوا خيراً من ناصريه ؛ لأنّ الذين نصروه كان أكثرهم فسقاً ، كروان بن الحكم وأضرابه ، وخذه للهاجرون والأنصار .

فأما قوله : « وأنا جامع لكم أمره ... » إلى آخر الفصل ؛ فعناه أنه فعل ما لا يجوز ، وفعلتم ما لا يجوز ، أما هو فاستأثر فأساء الأثرة ، أي استبدّ بالأمور فأساء في الاستبداد ، وأما أنتم فعزّعتم مما فعل أي حزنتم فأسأتم الجزع ، لأنكم قتلتموه ، وقد كان الواجب عليه أن

(١) حنا : أعطى ، وفي صميم : حنا ، أي ساق .

يرجع عن استشاره ، وكان الواجب عليكم ألا تفعلوا جزاءه عما أذنب القتل ، بل اطلع  
والجس وترتيب غيره في الإمامة .  
ثم قال : والله حُكْمُ سَبْعِكُمْ بِهِ فِيهِ وَفِيكُمْ .

### [ اضطراب الأمر على عثمان ثم أخبار مقتله ]

ويجب أن نذكر في هذا الموضع ابتداء اضطراب الأمر على عثمان إلى أن قتل .  
وأصح ما ذكر في ذلك ما أورده أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في " التاريخ " (١).  
وخلاصة ذلك أن عثمان أحدث أحداثا مشهورة بقيتها الناس عليه ، من تأمير بني  
أمية ، ولا سيما الفساق منهم وأرباب السَّغَةِ وَقَلَّةِ الَّذِينَ ، وإخراج مال النبي إليهم ،  
وما جرى في أمر عثمان وأبي ذر وعبد الله بن مسعود ، وكبح ذلك من الأمور التي جرت في  
أواخر خلافته . ثم ادعى أن الوليد بن عتيبة لما كان عامله على الكوفة وشهد عليه بشرب  
الخمر ، صرفه وولى سعيد بن الناصر مكانه ، فقدم سعيد الكوفة ، واستخلص من أهلها  
قوما يسمرون عنده ، فقال سعيد يوما : إن السواد بستان قرئش وبني أمية . فقال الأشتر  
الخنسي : وتزعم أن السواد الذي أطاع الله على المسلمين بأسيافا بستان لك ولقومك !  
فقال صاحب شرطته : أنرد على الأمير مقاتله ! وأغظ له ، فقال الأشتر لمن كان حوله من  
النخع وغيرهم من أشرف الكوفة : ألا نسمون ا فوثبوا عليه بمحضرة سعيد فوطئوه  
وطأ عتيفا ، وجروا برجله ، فعلق ذلك على سعيد ، وأمد سماره فلم يأذن بعد لهم ، فجعلوا  
يشتمون سعيدا في مجالسهم ، ثم تعدوا ذلك إلى شتم عثمان ، واجتمع إليهم ناس كثير ،  
حتى غلظ أمرهم ، فكتب سعيد إلى عثمان في أمرهم ، فكتب إليه أن يسيرهم إلى الشام ؛  
ثلاثا يفسدوا أهل الكوفة ، وكتب إلى معاوية وهو والي الشام : إن نفرا من أهل الكوفة

(١) في حوادث سنة ٣٣ - ٣٥ ، مع تصرف واحتمار في جميع ما أورده في هذا الفصل .

قد هموا بإثارة الفتنة، وقد سيرتهم إليك، فانهيهم ؛ فإن آنت منهم رُشداً فأحسن إليهم،  
وإرددْهم إلى بلادهم .

فلما قدموا على معاوية - وكانوا : الأشتر ، ومالك بن كعب الأزرقى ، والأسود بن  
يزيد النخعي ، وعلقمة بن قيس النخعي ، وصمصمة بن صوحان العبدي ، وغيرهم - جمعهم  
يوماً ، وقال لهم : إنكم قوم من العرب ، ذوو أسنان والسنن ، وقد أدركتم بالإسلام شرفاً ،  
وغابتم الأمم ، وحويت مواريتهم ؛ وقد بلغني أنكم ذمتم قريشاً ، ونقيتم على الولاة فيها ؛  
ولولا قريش لكنتم أذلة ؛ إن اعتسكم لكم جنة ، فلا تفرقوا عن جنتكم ، إن اعتسكم  
ليصبرون لكم على الجور ، ويحملون منكم <sup>(١)</sup> العتاب ؛ والله لتشنن أو ليلتين لكم الله بن  
يسوءكم الخسف ، ولا يحمكم على الصبر ، ثم تكونون شركاءهم فيما حررتهم على الرعية في  
حياتكم ، وبعد وفاتكم .

فقال له صمصمة بن صوحان : أما قريش فأبها لم تكن أكثر العرب ولا أمتها  
في الجاهلية ، وإن غيرها من العرب لأكثر منها كان وأمنع .

فقال معاوية : إنك تخطب القوم ، ولا أرى لك عقلاً ، وقد عرفتم الآن ، وعلمت  
أن الذي أغراكم قلة القول . أعظم عليكم أمر الإسلام فتذكروني الجاهلية ؛ أخرى الله  
قوماً عظموا أمركم ؛ انصهوا عني ولا أظنكم تفقهون ؛ إن قريشاً لم تبرز في جاهلية ولا  
إسلام إلا بالله وحده ؛ لم تكن بأكثر العرب ولا أشدها ، ولكم كانوا أكرمهم  
أحساباً ، وأعظمهم <sup>(٢)</sup> أنساباً ، وأكثهم مروءة ؛ ولم يمتنعوا في الجاهلية - والناس يأكل  
بعضهم بعضاً - إلا بالله ، فبؤأم حرماً آمناً يتخطف الناس من حوله . هل تعرفون عرباً  
أو عجماء ، أو سوداً أو حمراً إلا وقد أصابهم الدهر في بلادهم وحرمتهم ، إلا ما كان من قريش ؛  
فإنه لم يردهم أحد من الناس بكيد إلا حمل الله خذه الأسفل ؛ حتى أراد الله تعالى أن  
يستنفذ من أكرمه باتباع دينه من هوان الدنيا ، وسوء مرد الآخرة ، فارتضى لظك خير

(١) كفاي ١ ، ج ١ ، و ١ : ١٠٠ .

(٢) يقال : عربى عنى ؛ أى طالس اللب .

خلقه ، ثم ارتضى له أصحابا ، وكان خيارهم قريشا . ثم بنى هذا للكل عليهم ، وجعل هذه الخلافة فيهم ، فلا يصلح الأمر إلا بهم ؛ وقد كان الله يحوطهم في الجاهلية وهم على كفرهم ؛ أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه ! أفيتك ولأصحابك ! أما أنت يا مصصة ، فإن قريتك شر القرى ؛ أنتنّها نبتا وأعقها وادبا ، والأما جيرانا ، وأعرفها بالشر ؛ لم يسكنها شريف قط ولا وضع إلا سب بها ، نراع الأمم وعبيد فارس وأنت شر قومك . أحين أبرزك الإسلام ، وخلطك بالناس ، أقبلت تبني دين الله هوجا ، وتنزع إلى النوبة ! إنه لن يضر ذلك قريشا ولا يصعبهم ، ولا يندمهم من تأدية ما عليهم ؛ إن الشيطان عنكم أمير عاقل ، قد عرفكم بالشر ، فأغراكم بالناس ، وهو صارحكم ؛ وإسكم لا تدركون بالشر أمرا إلا أفتح عليكم شر منه وأخرى . قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم ، لا ينفع الله بكم أحدا أبدا ولا يضره ، ولستم برحال منقعة ولا مضرة ، فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم ولا تبطلتكم الامة ؛ فإن البطل لا يحز حيرا . اذهبوا حيث شئتم ، فسا كتب إلى أمير المؤمنين فيكم .

وكتب إلى عثمان :

إنه قدّم على قوم ليست لهم عقول ولا أديان ، أصجرهم المدل ، لا يريدون الله بشيء ، ولا يتكلمون بحجة ، إنما همهم الفتنة ، والله مبتليهم ثم قاضهم ، وليسوا بالدين مخاف نكابتهم ، وليسوا بأكثر من له شغب ونكير .  
ثم أخرجهم من الشام <sup>(١)</sup> .

■ ■ ■

وروى أبو الحسن المدائني أنه كان لم مع معاوية بالشام مجالس طالت فيها المحاورات والمخاطبات بينهم ، وأن معاوية قال لم في جملة ما قاله : إن قريشا قد عرفت أن أبا سفيان



كان أكرمها وابن أكرمها ، إلا ما جعل الله لنبيه صلى الله عليه ، فإنه استجبه <sup>(١)</sup>  
وأكرمه ، ولو أن أبا سفيان ولد للناس كلهم لكانوا حلفاء <sup>(٢)</sup> .

فقال له صمصمة بن صوحان : كذبت لقد ولدتم خير من أبي سفيان ! من خلقه الله  
بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر لللائكة فسجدوا له ، فكان فيهم البر والفاجر ،  
والكيس والأحمق .



قال : ومن المجالس التي دارت بينهم أن معاوية قال لهم : أيها القوم ردوا خيرا  
أو اسكتوا ؟ وتذكروا وانظروا فيما ينفعكم والمسلمين ، فاطلبوه وأطيعوني .

فقال له صمصمة : لست بأهل ذلك ، ولا كرامة لك أن تطاع في مصيبة الله .  
فقال : إن أول كلام ابتدأت به أن أمركم بتقوى الله وطاعة رسوله ، وأن تعتصموا  
بجمل الله جميعا ولا تفرقوا <sup>(٣)</sup> .

فقالوا <sup>(٤)</sup> : بل أمرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله .  
فقال : إن كنت فلت فإني الآن أتوب ، وأمركم بتقوى الله وطاعته ، ولزوم  
الجماعة ، وأن توقروا أئمتكم وتطيعوهم .

فقال صمصمة : إن كنت تبت فيما بأمرك أن تنزل علك <sup>(٥)</sup> فإن في المسلمين من  
هو أحق به منك ، ممن كان أبوه أحسن أثرا في الإسلام من أبيك ، وهو أحسن قدما في  
الإسلام منك .

فقال معاوية : إن لي في الإسلام قدما ، وإن كان غيري أحسن قدما ، فإني ألكته

(١) استجبه : استظاف واختاره ، وق الطبري : « استجبه » .

(٢) عبارة الطبري : « ولو ولد للناس لم يكن إلا حلفاء » .

(٣) في الأصول : « فقال » وصوابه من الطبري .

(٤) كذا في أ ، ج ، و ، ب : « أمرهم » .

ليس في زمانى أحد أقوى على ما أنا فيه منى ، ولقد رأى عمر بن الخطاب ذلك ، فلو كان  
غيرى أقوى منى لم يكن عند عمر هواة لى ولا لغيرى ، ولم يحدث <sup>(١)</sup> ما ينبئ به أن أعزّل  
على ، فلو رأى ذلك أمير المؤمنين لكتب إلى [ بخط يده ] <sup>(٢)</sup> فاعتزلت عمله ؛ فهلا  
فإن في دون ما أنتم فيه ما يأمركم فيه الشيطان وبهوى ولعمري لو كانت الأمور تُقضى  
على رأيكم وأهوائكم ما استقام الأمر لأهل الإسلام يوماً ولا ليلة ؛ فعاودوا الخيرة وقولوه ؛  
فإن الله ذو سطوات ؛ وإني خائف عليكم أن تتبّعوا إلى مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن .  
فحيّدكم ذلك دار الهون في العاجل والآجل .

فوثبوا على معاوية فأخذوا برأسه ولحيته قتل ؛ ما إن هذه ليست بأرض الكوفة ،  
والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي [ وأما أمهم ] <sup>(٣)</sup> ما ملكت أن أنهام عنكم حتى  
يقتلوك ؛ فلقمري إن صنيعكم يشبه بمصه بمضا  
ثم قام من عندهم ، وكتب إلى عثمان في أمرهم <sup>(٤)</sup> فكتب إليه أن ردّهم إلى سعيد  
ابن العاص بالكوفة . فردّهم ، فأطلقوا النّهم في ذمّه وذمّ عثمان وعبيهما . فكتب إليه  
عثمان أن يسّرهم إلى حمص ، إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فسبّهم إليها .

\*\*\*

(١) ب . هـ . ولا - ث . هـ .

(٢) من الطبرى .

(٣) ذكر الطبرى كتاب معاوية إلى عثمان ، وهذا صه : « بسم الله الرحمن الرحيم لعداقة عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان ؛ أما هذا أمير المؤمنين ؛ فإليك بشت إلى أقواماً يتكلمون بالسنة الصابغين وما يملون عليهم ، ويأتون الناس - رموا - من قبل الفرقان ، فيشبهون على الناس ، وليس كل الناس يعلم ما يريدون ؛ ولأما يريدون فرقة ، ويريدون قتلة ، قد أنتمهم الإسلام وأصجرهم ، ونمكنت رقب الشيطان من قلوبهم ؛ فقد أمدوا كثيراً من الناس من كانوا بين ظهريهم من أهل الكوفة ، ولست آمن إن أضوا وسط أهل الشام أن يهروم بحرهم وغورهم ؛ فردّهم إلى مصرهم ؛ فلتكن دارهم و مصرهم الذى تهم فيه خائب ، والسلام » .

وروى الواقدي مقال : لما سِيرَ بالنفر الذين طردهم عثمان عن الكوفة إلى حصصهم :  
الأشتر، وثابت بن قيس الهمداني ، وكميل بن زياد النخعي ، وزيد بن صوحان ، وأخوه  
صمصمة، وجندب <sup>(١)</sup> بن زهير العامدي ، وجندب <sup>(٢)</sup> بن كعب الأزدية وعروة بن الجعد ،  
وعروة بن الحقيق الخزاعي ، وابن الكواء - جميعهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، بعد أن  
أُتِلم ألاما ، وفرض لهم طعنا ، ثم قال لم يابى الشيطان ، لا مرحبا بكم ولا أهلا ! قد رجع  
الشيطان محسورا . وأنتم بعد في بساط ضلالكم وغمكم ! جزى الله عبد الرحمن إن لم يؤذكم !  
يا ممشر من لا أدري أعرب أم مجم ! أتراكم تقولون لي ما قلتم لماوية ! أنا ابن خالد  
ابن الوليد ! أنا ابن من صجته العاجلات ، أنا ابن قاتل عين الردة ! والله يا ابن صوحان  
لا طير بك طيرة بسيدة المهوى إن يلقى أن لحدا من معي دق أذنك فأقتت <sup>(٣)</sup> رأسك .  
قال : فأقاموا عنده شهرا ! كذا كتب أمشهم معه ، ويقول لصمصمة : يا ابن الخطيئة، إن  
من لم يصلحه الخير أصلحه الشر ! مالك لا تقول كما كنت تقول لسعيد ومماوية !  
فيقولون : سنخوب إلى الله ، ألقنا أقالق الله ! فما زال ذلك دأبه ودأبهم ، حتى قال : تاب  
الله عليكم . فكتب إلى عثمان يسترضيه عنهم ، ويسأله فيهم ، فردم إلى الكوفة .

• • •

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى : ثم إن سعيد بن العاص قدم  
على عثمان سنة إحدى عشرة من خلافته . فلما دخل المدينة أجمع قوم من الصعابة ،  
فذكروا سعيدا وأعماله ، وذكروا قرايات عثمان وما سوتهم من مال المسلمين ، وطأوا  
أهبال عثمان ، فأرسلوا إليه عامر بن عبد القيس - وكان مثأله <sup>(١)</sup> ، واسم أبيه عبد الله ،  
وهو من نعيم ، ثم من بني العنبر - فدخل على عثمان ، فقال له : إن ناسا من الصعابة

(١) ج : « حبيب » ، وما أتته من ب والطبري .

(٢) أقتت رأسك : رقتها .

(٣) ألقاه : ألجأه للقتل .

اجتمعوا ونظروا في أعمالك ، فوجدوك قد رَكِبْتَ أموراً عظيماً ، فأتى الله وتبَّ إليه .  
 قال عثمان : انظروا إلى هذا ، تزعم الناس أنه قارى ، ثم هو يحيى إلى فيكلمني فيما  
 لا يعلمه ! والله ما تدري أين الله ! فقال عامر : بلى والله إنى لأدري أن الله لي بالمرصاد<sup>(١)</sup> .

فأحرجه عثمان ، وأرسل إلى عبد الله بن سعد بن سرح ، وإلى معاوية وسعيد  
 ابن العاص وعمر بن العاص وعبد الله بن عامر - وكان قد استقدم الأمراء من أعمالهم -  
 فشاورهم ، وقال : إن لكل أمير وزراء ونصحاء ، وإنيكم وزرائي ونصعائي وأهل بيتي ،  
 وقد صنع الناس ما قد رأيتم ، وطلبوا إلى أن أعزل عتالي وأن أرجع عن جميع  
 ما يكرهون إلى ما يحبون ، فاجتهدوا رأيكم .

قال عبد الله بن عامر : أرى لك يا أمير المؤمنين أن تشغلهم عنك بالجهاد حتى يدُلُّوا  
 لك ، ولا تكون همّة أحدهم إلا في نفسك ، وما هو فيه من دبر دابة<sup>(٢)</sup> وقيل فروته .  
 وقال سعيد بن العاص : أحسب عنك الداء واقطع عنك الذي تخاف ؛ إن لكل  
 قوم قادة متى يَهْلِكُوا يفرقوا ولا يجتمع لهم أمر .

قال عثمان : إن هذا هو الرأي لولا ما فيه .

وقال معاوية : أشير عليك أن تأمر أمراء الأجناد ، فيكفيك كل رجل منهم  
 ما قبله ، فأنا أ كفيك أهل الشام .

وقال عبد الله بن سعد : إن الناس أهل طمع ، فأعطيهم من هذا لئال تميلت  
 عليك قلوبهم .

قال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين ؛ إنك قد رَكِبْتَ الناس<sup>(٣)</sup> بيني أمية ، فقلت  
 وقالوا ، وزغت وزاغوا ، فاعتدل أو اعترل ، فإن أبيت قاهزم هزما ، واهض قدما .

(١) في الطبري : « فإن ربك بالمرصاد » ؛ فأرسل عثمان إلى معاوية بن أبي سفيان . . .

(٢) الدبرة ، بالتحريك : فرجة الحافة والبير ، وجمها دبر ، بفتحين .

(٣) عبارة الطبري : « قد ركب الناس بما يكرهون » .

فقال له عثمان : مالك قيل قرؤك ا اهدنا بحديث<sup>(١)</sup> منك ا

فسكت عمرو حتى تفرقوا ، ثم قال : والله يا أمير المؤمنين ، لانت اكرم على من ذلك ؛ ولسكنى حلت أن بالباب من يبلغ الناس قول كل رجل منا فأردت أن يبلغهم قولي ، فيفتوا بي ، فأفود إليك خيراً ، وأدفع عنك شراً .

فرد عثمان عماله إلى أعمالهم ، وأمرهم بتجهيز الناس في البعث ، وعزم على أن يحرمهم أعطياتهم لطيعوه ، ورد سعيد بن العاص إلى الكوفة ، فأتاه أهله بالجرعة<sup>(٢)</sup> . وكانوا قد كرهوا إمارته ، ووذمو سيرته . فقالوا له : ارجع إلى صاحبك ، فلا حاجة لنا بك . فهم بأن يمحى لوجهه ولا يرجع ، فكثرت الناس عليه ، فقال له قائل : ما هذا ا أترد السيل عن أدراجه ا والله لا يسكن الموغاة إلا الشرفية<sup>(٣)</sup> ، ويوشك أن تنتفى بعد اليوم ، ثم يستنون مام اليوم فيه فلا يركم عليهم . فارجع إلى المدينة ، فإن الكوفة ليست لك بدار .

فرجع إلى عثمان ، فأخبره بما فعلوا . فأخذ أبا موسى الأشعري أديراً على الكوفة ، وكتب إليهم : أما بعد ، فقد أرسلت إليكم أما موسى الأشعري أميراً ، وأصفيكم من سعيد ، والله لأفوضنكم عرضي ، ولأبذلن لكم خبري ، ولأستصليحنكم جهدي ، فلا تدعوا شيئاً أحبيبوه لا يصي الله فيه إلا سألتموه ، ولا شيئاً كرهتموه لا يصي الله فيه إلا استعفيتم منه ؛ ألا كون فيه عندما أحببتكم وكرهتم ؛ حتى لا يكون لكم على الله حجة ، والله كنصيرن كما أمرنا ، وسيجزي الله الصابرين .

\*\*\*

(١) الطبرى : ا اهدنا الجدمك ؟

(٢) الجرعة ، فالتعريك - وقيل يسكون الزاء : موضع قرب الكوفة ، بين النخف والحيرة .

(٣) الشرفية : السيوف المسوبة إلى مشارب ، قرى قرب حورلفن .

قال أبو جعفر : فلما دخلت سنة خمس وثلاثين ، تكاتب أعداء عثمان وبنو أمية في البلاد ، وحرّض بعضهم بعضا على خلع عثمان عن الخلافة ، وعزّل عماله عن الأمصار ، واتصل ذلك بعثمان ، فكتب إلى أهل الأمصار :

أما بعد ، فإنه رُفِعَ إلى أن أقواما منكم يشتمهم عمالي ويضرّونهم ، فنأصابه شيء من ذلك فليوافي الموسم بمكة ، فليأخذ بحقه مني أو من عمالي فإني قد استقدمتهم ، أو تصدّقوا فإن الله يجرى للصدقين .

ثم كاتب عماله واستقدمهم ، فلما قدّموا عليه جمعهم ، وقال : ما شكايته للناس منكم ؟ إنّي لخائف أن تكونوا مصدوقا عليكم ، وما ينصب هذا الأمر إلا بي . فقالوا له : والله ما صدق من رفع إليك ولا ير ، ولا نعلم لهذا الأمر أصلا . فقال عثمان : فأشيروا عليّ ، فقال سعيد بن العاص : هذه أمور مصنوعة تُكَلِّفُ في السرّ فيتحدث بها الناس ، ودواء ذلك السيف .

وقال عبد الله بن سعد : أخذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لم . وقال معاوية : الرأي حسن الأدب .

وقال عمرو بن العاص : أرى لك أن تلتزم طريق صاحبك ، فتلين [في] <sup>(١)</sup> موضع اللين ، وتشدّ [في] <sup>(٢)</sup> موضع الشدة .

فقال عثمان : قد سمعت ما قلتم ؛ إن الأمر الذي يُخاف على هذه الأمة كائن لا بد منه ، وإنّ بابها الذي يُنمّأ عليه لَيُفْتَحَنَّ ؛ فكفّ كنوهم <sup>(٣)</sup> باللين والدارة إلا في حدود الله ، فقد علم الله أنّي لم آل الناس حيرا ، وإنّ رجا الفتنة فائرة ، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحرّكها ؛ استكنوا الناس وهبوا لهم حقوقهم <sup>(٤)</sup> ، فإذا تعوّليت حفرق الله فلا تدهنوا فيها <sup>(٥)</sup> .

(١) تسكّلة من الطبرى . (٢) كمنوهم . اصرفوهم .

(٣) للداخنة : للصلابة ، وى الطبرى وج : « فلا تدهنوا » ، والإدعان : للصلابة .

(٤) في الأصول : « حقوقكم » ، وما أئجه عن الطبرى .

ثم قرأ قديم المدينة ، فدعا علياً وطالعة والزبير ، فحضرُوا وعنده معاوية ، فسكت  
عثمان ولم يتكلم ، وتكلم معاوية ، فحمد الله ، وقال :

أنتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وخيرته من خلقه ، وولاة أمر هذه الأمة ،  
لا يطع فيه أحدٌ غيركم ، اخترتم صاحبكم عن غير غلبة ولا طمع ؛ وقد كبر<sup>(١)</sup>  
وولى عمره ، فلا تنظروا به المرم كان قريباً ؛ مع أنى أرجو أن يكون أكرم على الله  
أن يبلغه ذلك ، وقد فشت مقلّة خيفتها عليكم ، فما عيبت فيه من شيء فهذه يدي  
لكم به رهناً<sup>(٢)</sup> ، فلا تطيعوا الناس في أمركم ؛ فوالله إن أطمعتموم لارأيتم أبداً  
منها إلا إداراً .

فقال علي عليه السلام : وما لك وذاك لأنك لا تقول : دعى أمي فليها ليست  
شرا منكم ، قد أسلمت وبايت النبي صلى الله عليه ، وأجبتني عما أقول لك .

فقال عثمان : صدق ابن أخي ، أنا أخبركم عنى وعما وليت ؛ إن صاحبي اللذين كانا  
قبلى ، ظلمنا أنفسهما ومن كان منهما بسبيل أحسنهما . وإن رسول الله صلى الله عليه كان  
يمطى قرأجه ، وأنا في رحيل أهل حيلة وقلة معاش ، فبسطت يدي في شيء من ذلك  
لما أقوم به فيه ؛ فإن رأيتم ذلك خطأ فردوه ، فأمرى لأمركم تبع .

قالوا : أصبت وأحسنْتَ ؛ إنك أعطيت عبد الله بن خالد بن أسيد خمسين ألفاً ،  
وأعطيت مروان خمسة عشر ألفاً ، فاستعدها منهما . فاستعدها ، فخرجوا راضين .

• • •

قال أبو جعفر : وقال معاوية لعثمان : اخرج منى إلى الشام ، فإنهم على الطاعة

(١) الطبرى : « كبرت سنه » .

(٢) كلمة « رهنا » ساقطة من الطبرى .

قبل أن يهجم عليك ما لا يقبل لك به ، فقال : لا أبيعُ جوارَ رسول الله صلى الله عليه  
بشيء ، وإن كان فيه [ قطع ] <sup>(١)</sup> خيط عني . قال : فأبى إليك جنُدا من الشام  
يقيم معك لثابتة إن ثابت [ المدينة أو إياك ] <sup>(٢)</sup> . فقال : لا أضيقُ على جيران رسول الله  
صلى الله عليه ، فقال : والله لتُعْتَائَن ، فقال : حسبي الله ونعم الوكيل .

• • •

قال أبو جعفر : وخرج معاوية من عند عثمان ، فرآه على نفر من المهاجرين ، فيهم  
على عليه السلام وطلحة والزبير ، وعلى معاوية ثيابُ سفره ، وهو خارج إلى الشام ،  
فقام عليهم ، فقال : إنكم تعلمون أن هذا الأمرَ كان الناس يفتالون عليه ، حتى بعث الله  
نبيه ، ففاضلوا بالسابقة والقُدْمة والجهاد ؟ فإن أخذوا بذلك فالأمرُ أمرهم ، والناسُ لم  
تَسَحَ ، وإن طلبوا الدنيا بالتغالب سلبوا ذلك ، وردَّه الله إلى غيرهم ، وإن الله على الهدى  
لقادر . وإنى قد خلفت فيكم شيعة ، فاستوصوا به خيرا وكافروه ، تكونوا أسد  
منه بذلك . ثم ودَّعهم ومضى . فقال على عليه السلام : كنت أرى في هذا خيرا . فقال  
الزبير : والله ما كان أعظمَ قط في صدرك وصدور ما منه اليوم .

• • •

قلت : من هذا اليوم أنشَبَ معاوية أظفاره في الخلافة ؛ لأنه غلب على ظنه قتلُ  
عثمان ، ورأى أن الشام بيده ، وأن أهلها بطيعونه ، وأن له حجةً يحتج بها عليهم ، وبجملتها  
قريبة إلى غرضه ؛ وهي قتلُ عثمان إذا قُتِلَ ، وأنه ليس في أمراء عثمان أقوى منه  
ولا أقدر على تدبير الجيوش ، واسمالة العرب ، فبنى أمره من هذا اليوم على الطمع في  
الخلافة . ألا ترى إلى قوله لصمعة من قبل : إنه ليس أحدٌ أقوى مني على الإمارة ، وإن عمر

(١) نكبة من الطبرى .



استعملني ورضي سرتي ! ألا ترى إلى قوله للمهاجرين الأولين : إن شرعتم في أخذها بالتغالب ، ولمتم على هذا الشيخ ، أخرجها إني منكم إلى غيركم وهو على الاستبدال قادر ، وإنما كان يفتي نفسه ، وهو بكلي عنها ، ولهذا تربع<sup>(١)</sup> بنصرة عثمان لما استنصره ولم يبعث إليه أحدا .

• • •

وروى محمد بن عمر الواقدي رحمه الله تعالى ، قال : لما أجلب الناس على عثمان ، وكثرت القالة فيه ، خرج ناس من مصر ؛ منهم عبد الرحمن بن عديس البلوي ، وكنانة ابن بشر اللقي ، وسودان بن حمران السكوني ، وقتيرة بن وهب الكسبي ؛ وعليهم جميعاً أبو حرب العافقي ، وكانوا في ألقين . وخرج ناس من الكوفة ، منهم زيد بن صرحان الهدي ، ومالك الأشتر النخعي ، وزيد بن النضر الحارثي ، وعبد الله بن الأعمى العامدي ، في ألقين . وخرج ناس من أهل البصرة ؛ منهم حُكَيْم بن جبلة المبيدي ، وجماعة من أسرائهم ، وعليهم حُرْقُوص بن زهير السدي ؛ وذلك في شوال من سنة خمس وثلاثين ، وأظهروا أنهم يريدون الحج . فلما كانوا من المدينة على ثلاث ، تقدم أهل البصرة ، فزلوا ذا خُشْب<sup>(٢)</sup> . وكان هوام في طلعة . وتقدم أهل الكوفة ، فزلوا الأعوص<sup>(٣)</sup> . وكان هوام في الزبير . وجاء أهل مصر فزلوا المروة<sup>(٤)</sup> . وكان هوام في على عليه السلام . ودخل ناس منهم إلى المدينة يخبرون ما في قلوب الناس لسمان ، فلقوا جماعة من المهاجرين والأنصار ، ولفوا أزواج لدهي صلى الله عليه وآله ، وقالوا : إنما نريد الحج ، واستعني من همالنا .

ثم لقي جماعة من المصريين علياً عليه السلام ، وهو متقلد سيفه عند أحجار الزيت<sup>(٥)</sup> ،

(١) تربع : قصد ولم يصره . (٢) ذو خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة .

(٣) أعوص : موضع قرب المدينة على أميال منها . (٤) المروة : جبل بمكة ينتهي إليه السبي من الصفا .

(٥) أحجار الزيت : موضع بالمدينة .

فلما عليه ، وعرضوا عليه أمرهم ، فصاح بهم وطردهم ، وقال : لقد علم الصالحون أن جيش الروم وذو خشب والأعوص مسلمون على لسان محمد صلى الله عليه . فانصرفوا عنه .

وأبى البصريون طلعة ؛ فقال لهم مثل ذلك ، وأبى الكوفيون الزبير ، فقال لهم مثل ذلك . ففترقوا وخرجوا عن المدينة إلى أصحابهم .

فلما آمن أهل المدينة منهم واطمأنوا إلى رجوعهم لم يشعروا إلا والتكبير في نواحي المدينة ، وقد نزلوها ، وأحاطوا بثمان ، ونادى مناديتهم : بأهل المدينة ، من كف يده عن الحرب فهو آمن . فحصروه في منزله ، إلا أنهم لم يعموا الناس من كلامه ولقائه ، فجاءهم جماعة من رؤساء المهاجرين ، وسألوه : عاشائهم ؟ فقالوا : لا حاجة لنا في هذا الرجل ، ليعتزل لنا لؤلؤ غيره ، لم يزيدكم على ذلك .

فكتب عثمان إلى أهل الأمصار : يستعبدكم ويأمركم بتعجيل الشخص إلى الله للنعم عنه ، ويرفقهم ما الناس فيه . فخرج أهل الأمصار على الصقب والدلول ، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري ، وبعث عبد الله بن سعد بن أبي سرح معاوية بن حديج ، وخرج من الكوفة القنفذ بن عمرو ؛ بعث أبو موسى .

وقام بالكوفة نفر يحرضون الناس على نصر عثمان وإعانة أهل المدينة ، منهم عقبة ابن مر ، وعبد الله بن أبي أوفى ، وحفظة الكاتب ، وكل هؤلاء من الصعابة ، ومن التاميين مشروقي ، والأسود ، وشريح ، وغيرهم .

وقام بالبصرة عمران بن الحصين وأنس بن مالك ، وغيرهما من الصعابة . ومن التابعين كعب بن سور<sup>(١)</sup> ، وهريم بن حيان وغيرهما .

(١) في الأصول : « شور » ، وهو من الطبري والناوس .

وقام بالشام ومصر جماعة من الصحابة والتابعين .

وخرج عثمان يوم الجمعة ، فصلى بالناس ، وقام على المنبر ، فقال : يا هؤلاء ، الله الله ! فوالله إن أهل المدينة يقتلون أنكم ملبونون على لسان محمد صلى الله عليه ، فاحسوا الخطأ بالصواب .

فقام محمد بن مسلمة الأنصاري ، فقال : نعم أما أعلم ذلك ، فأقصده حُكَيْمُ بن جَبَلَة . وقام زيد بن ثابت فأقصده قُتَيْبَةُ بن وهب . وثار القوم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد ، وحصبوا عثمان حتى صُرع عن المنبر مفشياً عليه ؛ فأدخل داره ؛ واستقبل نفر من أهل المدينة مع عثمان ؛ منهم سعد بن أبي وقاص ، والحسن بن علي عليه السلام ، وزيد بن ثابت ، وأبو هريرة ؛ فأرسل إليهم عثمان : حرمت عليكم أن تنصرفوا ؛ فانصرفوا .

وأقبل على طلحة والزبير ، فدخلوا على عثمان يهودونه من صرخته ، ويشكون إليه ما يجدون لأجله ؛ وعند عثمان نفر من بني أمية ، منهم مروان بن الحكم ، فقالوا له عليه السلام : أهلكتنا وصدمت هذا الذي صنعت ؛ والله إن بلغت هذا الأمر الذي تريد لننيرن عليك الدنيا ؛ فقام مغضباً ، وخرج الجماعة الذين حضروا معه إلى منازلهم .

• • •

وروى الواقدي ، قال : صلى عثمان بعد ما وثبوا به في المسجد شهراً كاملاً ، ثم منعه الصلاة ، وصلى بالناس أميرهم العافقي .

وروى المدائني ، قال : كان عثمان محصوراً محاطاً به ، وهو يصلي بالناس في المسجد ، وأهل مصر والكوفة والبصرة الحاضرون له يصلون خلفه ، وهم أدق في عينه من التراب .

• • •

قال أبو جعفر في التاريخ : ثم إن أهل المدينة تفرقوا عنه ، ولزموا بيوتهم ، لا يخرج أحد منهم إلا بسيفه يمتنع به ؛ فكان حصاره أربعين يوماً .

وروى الكلبي والواقدي والمذاهبي أن محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة كانا بمصر يحرسان الناس على عثمان ، فسار محمد بن أبي بكر مع من سار إلى عثمان ، وأقام محمد بن أبي حذيفة بمصر ، ثم غلب عليها لما سار عبدالله بن سعد بن أبي سريح عامل عثمان عنها إلى المدينة في أثر للصريين ، فإذن عثمان له ، فلما كان بأيلة ، بلغه أن للصريين قد أحاطوا بثمان وأنه مقتول ، وأن محمد بن أبي حذيفة قد غلب على مصر ، فعاد عبدالله إلى مصر ، فمنع عنها ، فأتى فلسطين ، فأقام بها حتى قُتل عثمان .

وروى الكلبي ، قال : بعث عبدالله بن سعد بن أبي سريح رسولاً من مصر إلى عثمان يخبره بنهوض من نهض من مصر إليه ، وأنهم قد أظهروا الثمرة ، وقصدوا خلعهم أو قتله ، فخطب عثمان الناس ، وأعلمهم حالهم ، وقال : إنهم قد أسرفوا إلى الفتنة واستطالوا حمري ، والله إن فارقهم ليمسني كل منهم أن حمري كان طال عليهم مكان كل يوم سنة ؛ مما يرون من الدماء المسفوكة والإحمن والآثرة الظاهرة ، والأحكام للغيرة .

• • •

وروى أبو جعفر ، قال : كان عمرو بن العاص عن يحرش على عثمان ويخبر به ، ولقد خطب عثمان يوماً في أواخر خلافته ، فصاح به عمرو بن العاص : اتق الله يا عثمان ، فإنك قد ركبت أموراً وركبناها معك ، فصب إلى الله تنسب . فناداه عثمان : وإنك هاهنا وابن النابغة اقميت والله جيتك منذ نزلت عن العمل . فنودي من ناحية أخرى : تب إلى الله . ونودي من أخرى مثل ذلك ، فرفع يديه إلى السماء ، وقال : اللهم إني أول التائبين . ثم نزل .

• • •

وروى أبو جعفر ، قال : كان عمرو بن العاص شديد التعريض والتأليب على عثمان ، وكان يقول : والله إن كنت لألقى الراعي فأحرقه على عثمان ، فضلا عن الرؤساء والوجوه . فلما سمر الشتر بالمدينة ، خرج إلى منزله بفلسطين ، فبينما هو بقصره ومعه ابناه : عهد الله وعهد ! وعندما سلامة بن روح الجذامي ، إذ مر بهم راكب من المدينة فسألوه عن عثمان ، فقال : محصور ، فقال عمرو : أنا أبو عهد الله قد يضرب الميثر والسكواة في النار . ثم مر بهم راكب آخر ، فسألوه ، فقال : قُتل عثمان فقال عمرو : أنا أبو عهد الله ، إذا نسكأت قرحة أدميتها <sup>(١)</sup> . فقال سلامة بن روح : يا معشر قريش ! إنما كان بينكم وبين العرب باب فكسرتموه ، فقال : نعم أردنا أن يخرج الحق من خاميرة الهاطل ، ليكون الناس في الأمر شرا سوا .

وروى أبو جعفر ، قال : لما نزل القوم ذا خُشب يريدون قتل عثمان إن لم ينزع عما بكرهون ، وعلم عثمان ذلك ، جاء إلى سُرّ على عليه السلام ، فدخل وقال : يا بن عم ، إن قرابني قريية ، ولي عليك حق ، وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم وهم مصبّحون ، ولك عند الناس قدر ، وهم يسمون منك ، وأحب أن تركب إليهم فتزدهم حق ، فإن في دخولهم على وحناء لأمرى ، وجراءة على . فقال عليه السلام : على أي شيء أردتم ؟ قال : على أن أصير إلى ما أشرت به ، ورأيت لي . فقال عليه السلام : إن قد كلمتك مرة بعد أخرى ، فكل ذلك تخرج وتقول ، وتريد ثم ترجع ! وهذا من فعل مروان وسأوية وابن عامر وعهد الله بن سعد ! فإنك أظنهم وعصيتني ! قال عثمان : فإني أحصيتهم وأطعتك .

فأمر على عليه السلام الناس أن يركبوا معه ، فركب ثلاثون رجلا من المهاجرين

(١) الطبري : « حكمت قرحة نسكاتها » .

والأنصار ، منهم سعيد بن زيد بن عمرو بن خليل ، وأبو جهم المدوني ، وجبير بن مطعم ،  
وحكيم بن حزام ، ومروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن عتاب  
ابن أسيد .

ومن الأنصار أبو أسيد الساعدي ، وزيد بن ثابت ، وحسان بن ثابت ، وكعب  
ابن مالك ، وغيرهم .

فأتوا للصريتين فكلوهم ، فسكان<sup>(١)</sup> الذي يكلمهم على ومحمد بن مسلمة ، فسمعوا منها ،  
ورجسوا بأصحابهم يطلبون مصر ، ورجع على عليه السلام حتى دخل على عثمان ، فأشار عليه  
أن يتكلم بكلام يسمعه الناس منه ، ليكنوا إلى ما يهدم به من النزوع<sup>(٢)</sup> . وقال له :  
إن البلاد قد تمحضت عليك ، ولا آمن أن يحرق ركب من جهة أخرى ، فتقول لي :  
يا على ، اركب إليهم ؛ فإن لم أقبل رأيتني قد قطعتم ركبك ، واستخففت بحقك .

فخرج عثمان ، فخطب الخطبة التي نزع فيها ، وأعطى الناس من نفسه للتوبة ،  
وقال لهم : أنا أول من انطأ ، وأستغفر الله عما فعلت وأتوب إليه ، فثلى نزع وتاب ؛ فإذا  
نزلت قلياً تني أشرافكم فليروا رأيهم ، وليذكروا كل واحد ظلامته ؛ لا كشفها ، وحاجته  
لأفضيها ، فوالله لئن ردني الحق عبداً لأستن بسنة العبيد ، ولأذللن ذل العبيد ،  
وما عن الله مذهب إلا إليه ، والله لأعطينكم الرضا ، ولأعطينن مروان وذويه ،  
ولا أحجب عنكم .

فرق الناس له وبكروا حتى خضوا لحام ، وبكى هو أيضاً ، فلما نزل وجد  
مروان وسيدا<sup>(٣)</sup> ونفراً من بني أمية في منزله فسودالم بكروا وشهدوا خطبته ؛ ولكها بلفظهم ؛  
فلما جلس ، قال مروان : يا أمير المؤمنين ، أأنكلم أم أسكت ؟ فقالت نائلة ابنة القرافة  
امراة عثمان : لا بل تسكت ، فأتهم والله قاتلوه ويمتروا أطفاله ؛ إنه قد قال مقالة لا ينبغي له

(١) ١ ، ج : ٥ ، وكان . (٢) نزع عن الأمر نزوعاً ؛ انتهى منه . (٣) هو سعيد بن العاص .

أن ينزع عنها . فقال لها مروان : وما أنت وذاك ؟ والله لقد مات أبوك وما يحسن أن  
يخوضاً ! فقالت : مهلاً يا مروان من ذكر أبي إلا بخير ؛ والله لولا أن أباك عم عثمان ، وأنه  
بنو له نعمة وعيبه ، لأخبرتكَ من أمره بما لا أكذب فيه عليه .

فأعرض عنه عثمان ، ثم عاد فقال : يا أمير المؤمنين ، أتكلم أم أسكت ؟ فقال :  
تكلم ، فقال : بأبي أنت وأمي ! والله لو دِدْتُ أن مقاتلك هذه كانت وأنت تمتنع ،  
فكنتُ أولَ مَنْ دَخِيَ بها وأمان عليها ؛ ولكنك قلت ما قلت ، وقد بلغ الحزامُ  
الطيبين ، وجاوز السيلَ الزُّبِّيَّ <sup>(١)</sup> ، وحين أعلَى الخطَّة القليلة الدليل ؛ والله لإقامة  
على خطيئة تستغفر الله منها ، أجلُّ من توبة تُخَوِّفُ عليها ، ما زدت على أن جرات  
عليك الناس .

قال عثمان : خير كان من قولي ما كان ، وإن القارئة لا يردُّ ، ولم آلُ خيراً .  
قال مروان : إن الناس قد اجتمعوا بياك أمثالَ الجبال ، قال : ما شأنهم ؟ قال :  
أنت دعوتهم إلى نفسك ، فهذا يدكر مظلة ، وهذا يطلب مالا ، وهذا يسأل نزع حامل  
من عمالك عنه ، وهذا ما جئيت على خلافك ، ولو استسكنت وصيرت كان خيراً لك .  
قال : فأخرج أنت إلى الناس فكلهم قرأني استعجى أن أكلمهم وأردم .

فخرج مروان إلى الناس ، وقد ركب بعضهم بضاً ، فقال : ما شأنكم ؟ قد اجتمعتم  
كأنكم جثم نهب ؛ شاهد الوجوه <sup>(٢)</sup> ! أنريدون أن تزعروا ملكنا من أيدينا !  
أعزُّ بوا عنا ؛ والله إن دُرُمتُمونا لَنُصِرَّنَّ عليكم ماحلاً ، ولنُعَلِّنَ بكم مالا يسركم ، ولا نَحْمِلُوا  
فيه غِيبَةً <sup>(٣)</sup> رأيكم ، ارجعوا إلى منازلكم ، فإننا والله غيرُ مغلوبين على ما في أيدينا .

(١) جاوز الحزام الطيبين ؛ مثل ؛ يقال لمواضع الأخلاف من الخالة أطباء ؛ واحداً طي ؛ بضم الطاء  
وكسرهما ، فإذا بلغ الحزام الطيبين فقد انتهى في السكوة . ومثله جاوز السيل الزبي ؛ والزبي جمع ذبية ؛  
ومع صيغة الأسد ؛ ولا تتخذ إلا في الله أو حنيفة أو راية .

(٢) شاهد الوجوه : لبعث .

(٣) غيب رأيكم ، أي طاعة رأيكم .

فرجع الناس خائفين يشتمون عثمان ومروان، وأتى بعضهم علياً عليه السلام فأخبره  
 الخبر، فأقبل عليّ عليه السلام على عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث الزهري، فقال :  
 أحضرت خطبة عثمان ؟ قال : نعم ، قال : أحضرت مقالة مروان للناس ؟ قال : نعم ، قال :  
 أي عباد الله ، يا الله للمسلمين ! إني إن فعلت في بيتي ، قال لي : تركتني وخذلتني !  
 وإن تكلمت قبلت له ما يريد ، جاء مروان فطلب به حتى قد صار سبيته <sup>(١)</sup> له ؛ يسوقه  
 حيث يشاء ، بعد كبر السن وصحبه لرسول صلى الله عليه . وقام منضجاً من قوره حتى  
 دخل على عثمان ، فقال له : أما يرضى مروان منك إلا أن يحرّك من دينك وعقلك !  
 فأنت معه كجبل الظلمة ، يخاد حيث يسار به ، يولفه ما مروان بنى رأي في دينه ولا عقله ،  
 وإني لأراه يوردك ثم لا يصدرك ، وما أنا عائد بعد مقامي هذا لعابك ! أفندت  
 شرفك ، وغلبت على رأبك . ثم نهض .

فدخلت فاطمة بنت القرافة ، فقالت : قد سمعت قول عليّ لك ، وإني ليس براجع  
 إليك ولا معاود لك ، وقد أظمت مروان بقودك حيث يشاء . قال : فما أصنع ؟ قالت :  
 تتقي الله وتتبع سنة صاحبك ، فإنك متى أظمت مروان قتلتك ، وليس لمروان عند الناس  
 قدر ولا حنية ولا محبة ، وإنما تركك الناس لمكانه ، وإنما رجع عنك أهل مصر لقول  
 عليّ : فأرسل إليه فاستصاحبه ؛ فإن له عند الناس قدماً ، وإني لا أوصي .

فأرسل إلى عليّ فلم يأنه وقال : قد أظمت أني غير عائد .

قال أبو جعفر : فجاء عثمان إلى عليّ بمنزله ليلاً ، فاعتذر إليه ، ووعد من نفسه الجليل ،  
 وقال : إني فاعل ، وإني غير فاعل ؛ فقال له عليّ عليه السلام : أبعد ما تكلمت على مدبر  
 رسول الله صلى الله عليه ، وأعطيت من نفسك ، ثم دخلت يحك ، وخرج مروان

(١) سبيته له ؛ أي سواها .



إلى الناس بشيعةهم على بابك انخرج عثمان من عنده ، وهو يقول : خذلتني يا أبا الحسن !  
وجرت الناس عليّ ! فقال عليّ عليه السلام : والله إني لأكثر الناس ذباً عنك ؛ ولكني  
كلما جئت بشيء أظنه لك رضا ، جاء مرثوان بنغيره فسمعت قوله ، وتركته قولي .  
ولم يند عليّ إلى نصر عثمان ؛ إلى أن منع الماء لما اشتد الحصار عليه ، فغضب عليّ  
من ذلك غضباً شديداً ، وقال لطلحة : أدخلوا عليه الرّوايا ، ففكره طلحة ذلك وسامه ،  
فلم يزل عليّ عليه السلام حتى أدخل الماء إليه .



وروى أبو جعفر أيضاً أن عليّاً عليه السلام كان في ماله بنخير لثا حُصِرَ عثمان ،  
فقدم للدينة والناس مجسمون على طلحة ، وكان لطلحة في حصار عثمان أثر ، فلما قدم  
عليّ عليه السلام أتاه عثمان ، وقال له : أما يحد ؟ فإن لي حق الإسلام وحق الإخاء  
والقراية والصهر ، ولو لم يكن من ذلك شيء وكنتا في جاهلية ، لسكان طاراً عليّ  
بنو حيد مناف أن يبتزّ بنو تيم أمرهم - يعني طلحة - فقال له عليّ : أنا أكفيك ،  
فذهب أنت .

ثم خرج إلى المسجد فرأى أسامة بن زيد ، فحواك عليّ يده حتى دخل دار طلحة  
وهي مملوءة من الناس ، فقال له : يا طلحة ، ما هذا الأمر الذي صنعتَ بهما ؟ فقال :  
يا أبا حسن ، أبعد أن من الحزام الطيبين ؛ فانصرف عليّ عليه السلام حتى أتى بيت  
السال ، فقال : اتبعوه ، فلم يملوا الفاتيح ، فكسر الباب ، وفرق ما فيه على الناس ؛  
فانصرف الناس من عند طلحة حتى بقي وحده ، وسرّ عثمان بذلك ؛ وجاء طلحة فدخل  
على عثمان ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إني أردت أمراً فقال الله بيني وبينه ، وقد جئتكَ  
تائباً ، فقال : والله ما جئت تائباً ولكن جئت مغلوباً ؛ الله حبيبك يا طلحة !



قال أبو جعفر : كان عثمان مستضعفاً ، طمع فيه الناس ، وأمان على نفسه بأمنه وباستيلاء بني أمية عليه ، وكان ابتداء الجرأة عليه أن إبلا من إبل الصدقة قديم بها عليه ؛ فوهبها لعمض ولد الحكم بن أبي العاص ، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف ، فأخذها وقسمها بين الناس وثمان في داره ، فكان ذلك أول وهن دخل على خلافة عثمان .

وقيل : بل كان أول وهن دخل عليه ، أن عثمان مرَّ بجبهة بن عمرو السامدي ، وهو في نادى قومه ، وفي يده جامعة ، فسلم ، فردَّ القوم عليه ، فقال جبلة : لم تردون على رجل فعل كذا وفعل كذا ؟ ثم قال لثمان : والله لأطرحن هذه الجامعة في عنقك أو لأفتركن بطانتك هذه الخبيثة ؛ سرهوان . وابن عامر وابن أبي سريح ، فهم من نزل القرآن بدمه ، ومنهم من أباح رسول الله صلى الله عليه وآله .

وقيل : إنه خطب يوماً ويده عصا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو بكر وعمر يخطبون عليها ، فأخذها جهجاء الميفاري من يده ، وكسرها على ركبته ، فلما تكاثرت أحداثه ، وتكاثر طمع الناس فيه ، كعب جمع من أهل المدينة من الصحابة وغيرهم إلى من بالآفاق : إن كنتم تريدون الجهاد ، فمكثوا إليها غن دين محمد قد أفسد خليفتم فاخلوه ، فاحلفت عليه القلوب ، وجاء للصريهون وغيرهم إلى المدينة حتى حدث ما حدث .



وروى الواقدي وللدائني وابن الكلبي وغيرهم ، وذكره أبو جعفر في التاريخ ؛ وذكره غيره من جميع المؤرخين : أن علياً عليه السلام لما ردة للصريتين ، رجعوا بعد ثلاثة أيام ، فأخرجوا صحيفة في أنبوبه رصاص ، وقتلوا : وجدنا غلام عثمان بالوضع للبروف

بِالْيُؤَيْبِ<sup>(١)</sup> عَلَى بَعِيرٍ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ ، فَفَتَشْنَا مَتَاعَهُ ؛ لَأَنَّا اسْتَرْبْنَا أَمْرَهُ ، فَوَجَدْنَا فِيهِ هَذِهِ الصَّحِيفَةَ ، مَضْمُونُهَا أَمْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ بِمَجْلَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُدَيْسٍ وَحَمْرُو بْنِ الْحَيِّقِ ، وَحَلَقَ رِءُوسَهَا وَلُحَاهُمَا وَجَنَسَهَا ، وَصَلَبَ قَوْمَ آخَرِينَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ .

وَقِيلَ : إِنَّ الْقَدَى أَخَذَتْ مِنْهُ الصَّحِيفَةَ أَبُو الْأَمْوَرِ السُّلَمِيُّ ، وَإِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْهُ وَسَأَلُوهُ مِنْ مَسِيرِهِ ، وَهَلْ مَعَهُ كِتَابٌ ؟ قَالَ : لَا ، فَسَأَلُوهُ : فِي أَيِّ شَيْءٍ هُوَ ؟ فَتَغَيَّرَ كَلَامُهُ ، فَأَخَذُوهُ وَفَتَشُوهُ وَأَخَذُوا الْكِتَابَ مِنْهُ ، وَعَادُوا إِلَى الْمَدِينَةِ . وَجَاءَ النَّاسُ إِلَى عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى عُمَانَ فَيَسْأَلَهُ مِنْ هَذِهِ الْحَالِ ، فَقَامَ فِجَاءً إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ ، فَأَقْسَمَ بِاللَّهِ مَا كَتَبْتُهُ وَلَا عَلِمْتُهُ ، وَلَا أَمَرْتُ بِهِ ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ : صَدَقَ ، هَذَا مِنْ تَحْمِلِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ : لَا أَدْرِي . وَكَانَ أَهْلُ مِصْرَ مَضْمُورًا - قَالُوا : أَفِيَجْتَرَأُ عَلَيْكَ وَيَسْتُ غَلَامُكَ عَلَى جَمَلٍ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ ؟ وَيَنْتَقِشُ عَلَى خَاتَمِكَ ، وَيَبِيعُ إِلَى عَامِلِكَ بِهِذِهِ الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ ، وَأَنْتَ لَا تَدْرِي ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : إِيَّاكَ إِمَّا صَادِقٌ أَوْ كَاذِبٌ ، فَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا قَدْ اسْتَحَقَّقْتَ الْخُلْعَ ؛ لِمَا أَمَرْتُ بِهِ مِنْ قَتْلِنَا وَعُقُوبَتِنَا بِبَيْعِ حَقٍّ ، وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا قَدْ اسْتَحَقَّقْتَ الْخُلْعَ ، لَضَعْفِكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ وَغَفْلَتِكَ ، وَخُبثِ طِبَاعَتِكَ ، وَلَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتْرَكَ هَذَا الْأَمْرَ بِيَدٍ مِنْ تَقَطُّعِ الْأُمُورِ دُونَهُ لَضَعْفِهِ وَغَفْلَتِهِ ، فَاجْلَعْ نَفْسَكَ مِنْهُ . فَقَالَ : لَا أَزْعُ قَبِيصًا أَلْبَسَنِيهِ اللَّهُ ، وَلَكِنِّي أَتُوبُ وَأَزْعُ ، قَالُوا : لَوْ كَانَ هَذَا أَوَّلَ ذَنْبٍ بَيَّعْتَ مِنْهُ لَقَبَلْنَا ، وَلَكِنَّا رَأَيْنَاكَ تَتُوبُ ثُمَّ تَعُودُ ، وَلَسْنَا بِمَنْصُوفِينَ حَتَّى نَخْلَعَكَ أَوْ نَقْتَلَكَ أَوْ نُلْحِقَ أَرْوَاحَنَا بِاللَّهِ ، وَإِنْ مَنَعَكَ أَصْحَابُكَ وَأَهْلُكَ قَاتِلَانَهُمْ حَتَّى نَخْلُسَ إِلَيْكَ . قَالَ : أَمَّا أَنْ أَرَا مِنْ خِلَافَةِ اللَّهِ فَاقْتُلْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ ؛ وَأَمَّا قَاتِلُكُمْ مَنْ يَمْنَعُ عَنِّي ، فَإِنِّي لَا أَمُرُ أَحَدًا بِقَاتِلِكُمْ ، فَمَنْ قَاتَلَكُمْ فَيُخَيِّرْ أَمْرِي قَاتِلًا ، وَلَوْ أَرَدْتُ قَاتِلَكُمْ لَكُنْتُ إِلَى الْأَجْنَادِ فَقَدِمُوا

عليّ أو لحقت ببعض الأطراف . وكثرت الأصوات واللعنات ، فقام عليّ فأخرج أهل مصر معه ، وخرج إلى منزله .

•••

قال أبو جعفر : وكتب عثمان إلى معاوية وابن عامر وأمراء الأجناد يستنجدهم ، ويأمر بالمعجل والبيدار وإرسال الجنود إليه ، فتربص به معاوية ، فقام في أهل الشام يزيد ابن أسد القسري جد خالد بن عبد الله بن يزيد أمير العراق ، فتبعه خلق كثير ، فصار بهم إلى عثمان ، فلما كانوا بوادي القرى بلّغهم قتل عثمان ، فرجموا .

وقيل : بل أشخص معاوية من الشام حبيب بن مسلمة الفهري ، وصار من البصرة مجاشع بن مسعود السلمي ، فلما وصلوا إلى المدينة<sup>(١)</sup> ، ونزلت مقدمتهم للوضع للمسي صرارا<sup>(٢)</sup> بتأحية المدينة ، أتاهم قتل عثمان ، فرجموا . وكان عثمان قد استشار نصحاءه في أمره ، فأشاروا أن يرسل إلى عليّ عليه السلام ، يطلب إليه أن يرده الناس ويعطيه ما يرضيه ليطاولهم حتى تأتبه الأمداد ، فقال : إنهم لا يقبلون التحليل ، وقد كان مني في المرأة الأولى ما كان ، فقال مروان : أعطهم ما سألوكم وطاولهم ما طاولوك ، فإنهم قوم قد بنوا عليك ، ولا عهد لهم .

فدعا عليا عليه السلام ، وقال له : قد ترى ما كان من الناس ، ولست آمنهم عليّ دمي ، فارددهم مني ، فإني أعطيتهم ما يريدون من الحق من نفسي ومن غيري .  
فقال عليّ : إن الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك ، وإنهم لا يرضون إلا

(١) الريفة : من قرى المدينة ، على ثلاثة أميال منها ، بها قبر أبي ذر النخعي .

(٢) صرار : موضع قريب من المدينة ، على طريق العراق .

بالرضا ، وقد كنت أعطيتهم من قبل عهداً فلم تف به ، فلا تفرّ في هذه المرة ، فإنّي مطّيعكم عند الحق ، قال : أعطيتهم فوالله لأفّين لهم .

فخرج عليّ عليه السلام إلى الناس ، قال : إنكم إنما تطلبون الحق وقد أعطيتهموه ، وإنه منصفكم من نفسه ، فسأله الناس أن يستوثق لهم ، وقالوا : إنا لا نرضى بقول دون فعل ، فدخل عليه فأعلمه ، فقال : اضرب بيني وبين الناس أجلاً ، فإنّي لا أقدر على تبديل ما كرهوا في يوم واحد ، فقال عليّ عليه السلام : أما ما كان بالمدينة فلا أجل فيه ، وأما ما غاب فأجله وصول أمرك ، قال : نعم ، فأجّلني فيما بالمدينة ثلاثة أيام . فأجابه إلى ذلك ، وكتب بينه وبين الناس كتاباً على ردّ كل مظلة ، وعزل كل عامل كرهوه . فكفّ الناس عنه ، وجعل يتأهب خيراً للقتال ، ويستعدّ بالسلاح ، واتخذ جنّداً ، فطأ منحت الأيام الثلاثة ولم يبقَ شيئاً ناريه للناس ، وخرج قوم إلى منّ بذي خشب من النصريين ، فأعلمهم الحال ، فقدموا المدينة ، وتسكّاثر الناس عليه ، وطلبوا منه عزّالهم وردّ مظالمهم ؛ فكان جوابه لهم : إني إن كنت أستعيل منّ تريدون لا منّ أريد ، فليست إختار في شيء من الخلافة ، والأمر أمركم . قالوا : والله لنضعلنّ أو لنقتلنّك أو لنقتلنّك . فأبى عليهم وقال : لا أنزع سيراً بالأمر عليه الله . فحصروه وضيّقوا الحصار عليه .



وروى أبو جعفر : لما اشتدّ على عثمان الحصار ، أشرف على الناس ، قال : يا أهل المدينة ، استودعكم الله وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدى ، ثم قال : أنشدكم الله ، هل تعلمون أنكم دعوتكم الله عند مصاب حرّ أن يختار لكم ويجمعكم على خيركم أختارون : إن الله لم يستحبّ لكم دعوتكم عليه ، وإنتم أهل حقّ وأنصار نبيّه <sup>(١)</sup> ، أم تقولون : هان على الله

دينه فلم يبال من ولى ، والدين لم يتفرق أهله بعد ، أم تقولون : لم يكن أخذن مشورة ، إنسا كان مكابرة ، فوكل الله الأمة - إذ عصته ولم يتشاوروا في الإمامة - إلى أنفسهم ! أم تقولون : إن الله لم يمتهم عاقبة أمرى أهلها مهلاً ! لا تقتلوني ، وإنه لا يحل إلا قتل ثلاثة : زان بعد إحسان ، أو كافر بعد إيمان ، أو قاتل نفس بغير حق . أما إنكم إن قتلتموني وضعم السيف على رقابكم ثم لا يرفعه الله عنكم أبدا . فقالوا : أما ما ذكرت من استغلاوة الناس بعد عمر ، فإن كل ما يصنعه الله الخيرة ، ولكن الله جعلك بليّة ابتلى بها عباده ، وقد كانت لك قدم وسابقة ، وكنت أهلاً للولاية ، ولكن أحدث ما نسله ، ولا تترك اليوم إقامة الحق عليك مخافة الفتنة عاما قابلا . وأما قولك : لا يحل دم إلا بإحدى ثلاث : فإنا نجد في كتاب الله إباحة دم غير الثلاثة : دم من سقى في الأرض بالقصاد ، ودم من بنى ثم قاتل على بنيه ، ودم من حال دون شيء من الحق ومنعه وقاتل دونه ؛ وقد بنيت ومنعت الحق ، وحلت دونه ، وكأبرث عليه ، ولم تقيد من نفسك من ظلمته ، ولا من محالك ، وقد تمسكت بالإمارة علينا . والذين يقومون دونك ويمعنونك ، إنما يمعنونك ويقاتلوننا لتسميتك بالإمارة ؛ فلو خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال معك .

فسكت عثمان وزم الدار ، وأمر أهل المدينة بالرجوع ، وانقسم عليهم فرجوا ، إلا الحسن بن علي ، ومحمد بن طلحة ، وعبد الله بن الزبير وأشباههم ، وكانت مدة الحصار أربعين يوما .



قال أبو جعفر : ثم إن محاصري عثمان أشفقوا من وصول أجناد من الشام والبصرة تنمعه ، فخالوا بين عثمان وبين الناس ، ومنعوه كل شيء حتى الماء ، فأرسل عثمان ميراً إلى علي عليه السلام ، وإلى أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فبين قهر عثمان

ثُمَّ سَلُوا إِلَيْهَا مَاءً فَافْلَوْا . فَبَاءَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي النَّاسِ وَأُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سَفْيَانَ ،  
فَوَقَفَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى النَّاسِ فَوَحَّظَهُمْ ، وَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِنَّ الَّذِي تَفْعَلُونَ  
لَا يَشِيبُهُ أَمْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا أَمْرٌ لِلْكَافِرِينَ ؛ إِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ لَتَسِيرُ فُطُومٌ  
وَتَسْقَى ، فَأَلْفَ اللَّهُ لَا تَقْطَعُوا الْمَاءَ مِنْ الرَّجُلِ ؛ فَاعْظَمُوا لَهُ وَقَالُوا : لَا نَسَمَ وَلَا نَسَمَةَ  
عَيْنٌ <sup>(١)</sup> . فَلَمَّا رَأَى مِنْهُمْ الْجِدَّةَ نَزَعَ عِمَامَتَهُ عَنْ رَأْسِهِ ، وَرَمَى بِهَا إِلَى دَارِ عُمَانَ ، يُبْلِيهِ أَنَّهُ قَدْ  
نَهَضَ وَعَادَ .

وَأَمَّا أُمُّ حَبِيبَةَ سَوَكَتْ مَشْتَمَةً عَلَى إِدَاوَتِهِمْ فَوَاجَهَ بِفَتْلِهَا ، فَقَالَتْ : إِنَّ وَعْصَاءَ أَيُّهَا  
بَنِي أُمِّيَّةٍ عِنْدَ هَذَا الرَّجُلِ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهَا لَتَلَا تَهْلِكُ أَمْوَالُ الْهَاشِمِيِّ ، فَشَتَمُوهَا ،  
وَقَالُوا : أَنْتِ كَاذِبَةٌ ، وَقَطَعُوا حَبْلَ <sup>(٢)</sup> الْبَيْتَةِ بِالسَّيْفِ ، فَتَفَرَّتْ وَكَادَتْ تَسْقُطُ مِنْهَا ، فَتَلَقَّاهَا  
النَّاسُ فَحَمَلُوهَا إِلَى مَنْزِلِهَا .

وَرَوَى أَبُو جَعْفَرٍ ، قَالَ : أَشْرَفَ عُمَانُ عَلَيْهِمُ يَوْمًا ، فَقَالَ : أَنْشَدُكُمْ اللَّهُ ، هَلْ تَعْلَمُونَ  
أَنِّي اشْتَرَيْتُ بِثَرْوَةٍ <sup>(٣)</sup> بِعَالٍ ، أَسْعَدْتُ بِهَا ، وَجَعَلْتُ رِشَائِي فِيهَا كَرَجُلٍ مِنَ  
السُّلَمِيِّينَ ؛ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : قَلِمٌ تَعْمَلُونَ أَنْ أَشْرَبَ مِنْهَا حَقِّي أَفْطِرَ عَلَى مَاءِ الْبَحْرِ أَيْمَنُ قَالَ :  
أَنْشَدُكُمْ اللَّهُ ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اشْتَرَيْتُ أَرْضَ كَذَا ، فَرَدَّيْتُهَا فِي السَّجْدِ ؛ قَالُوا : نَعَمْ ،  
قَالَ : فَهَلْ عَلِمْتُمْ أَنَّ أَحَدًا يُبَيْعُ أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ قَبْلَ

(١) أَمَةُ الْبَيْتِ : قَرْنَتُهَا .

(٢) الْحَبْلُ لِلدَّابَّةِ : رِشَائِهَا .

(٣) ثَرْوَةٌ فِي حَقِيقَةِ الدِّينَةِ ، رَوَى عَنْ يَحْيَى الْأَسَدِيِّ ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ لِلْهَاجِرُونَ لِلدِّينَةِ اسْتَنْكَرُوا  
لَهُ ، وَكَانَ لَرَجُلٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ بِثَرْوَةٍ بِثَرْوَةٍ ، كَانَتْ يَبِيعُ مِنْهَا الْغَرَبَةَ بِالْكَافِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَيْنِي وَبَيْنَ الْجَنَّةِ ، قَالَ : يَرْسُولُ اللَّهِ ، لَيْسَ لِي وَلَا لِبَنِي خِيَرَةٍ ، لَا أَسْطِيعُ ذَلِكَ ، فَبِيعَ  
لَهُ عُمَانٌ ، فَاهْتَرَأَ بِخِيسَةٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . وَاصْطَفَى بِهَا كَلْبًا . (مَجْمَعُ الْبَحْثِ ١ : ٤٤)

وروى أبو جعفر عن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة الخزومي ، قال : دخلتُ على  
 عثمان ، فأخذ بيدي فأسمعني كلامَ مَنْ على بابِهِ من الناس ، فسمعُ مَنْ يقول : ما تنظرون  
 به ؟ ومنهم مَنْ يقول : لا تمجلوا ، فساء ينزع ويراجع ؛ فبينما نحن إذ مرَّ طلحة ، فقام  
 إليه ابنُ عُدَيْسٍ اللَّبَوِيُّ ، فتاباه ، ثم رجع ابنُ عُدَيْسٍ ، فقال لأصحابه : لا تتركوا أحدا  
 يدخل إلى عثمان ، ولا يخرج من عنده ، قال لي عثمان : هذا ما أمر به طلحة ، اللهم اكفني  
 طلحة ، فإنه يحمل هؤلاء القوم وألبهم على ، والله إنى لأرجو أن يكونَ منها صِفْرا ، وإن  
 يُسَفِّكَ دمه أقال : فأردت أن أخرج ، فسموني حتى أمرم محمد بن أبي بكر ، فتركوني  
 أخرج<sup>(١)</sup>.



قال أبو جعفر : فلما طال الأمرُ وعلمَ المصريون أنهم قُتِلوا إلى جرمٍ كبيرٍ القتل ،  
 وأنه لا فرقَ بين قتله وبين ما أنوا إليه ، وخافوا على نفوسهم من تركه حيًّا ، راموا  
 الدخولَ عليه من باب داره ، فأعلقوا الباب ، وماتهم الحسنُ بن علي ، وعبد الله بن  
 الزبير ، ومحمد بن طلحة ، ومروان ، وسعيد بن العاص ؛ وجماعة معهم من أبناء الأنصار ،  
 فزجرهم عثمان ، وقال : أنتم في حِلٍّ من نصرتي ، فأبوا ولم يرجعوا .

وقام رجل من أسلم يقال له نيار بن عياض - وكان من الضعابة - فنادى عثمان ،  
 وأمره أن يخلع نفسه ، فبينما هو يُنَشِّده ويسومه خلع نفسه ، رماه كثيرٌ من الضَّالَّةِ  
 الكِنْدِيِّ - وكان من أصحاب عثمان من أهل الدار - بسهم فقتله ، فصاح المصريون وغيرهم  
 عند ذلك : ادفنوا إلينا قاتلَ ابنِ عياض لقتله به ، فقال عثمان : لم أكن لأدفعَ إليكم رجلا  
 نصرتي وأنتم تريدون قتلَ ادفنوا إلى الباب ، فأغلقَ دونهم ، فجاءوا بغار فأحرقوه  
 وأحرقوا السَّقِيفَةَ التي عليه ، فقال لمن عنده من أنصاره : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم



إلى عهدنا فانا صابر عليه ، فأخرج على رجل يقاتل دوى ! ثم قال لعن : إن أباك الآن كفى أمر عظيم من أجلك ، فأخرج إليه ، أقست عليك لما خرجت إليه ! فلم يفعل ، ووقف محاميا عنه .

وخرج مروان بسيفه يحاذي الناس ، فصرّ به رجل من بني ليث على رقبته ، فأثبتته<sup>(١)</sup> وقطع إحدى عيّنآويه<sup>(٢)</sup> ، فعاش مروان بعد ذلك أوقص<sup>(٣)</sup> ، وقام إليه عبّيد بن رفاعة الزُرقي لِيَذْفُقَ عليه<sup>(٤)</sup> ، فقامت دونه فاطمة أم إبراهيم بن عدي - وكانت أرضعت مروان وأرضعت له - فقالت ه : إن كنت تريد قتله فقد قُتِلَ ، وإن كنت إنما تريد أن تتلّصّب بلحمه فأقبح بذلك افتركه ، فحلّصته وأدخنته بينها ، فصرف لها بنوه ذلك بعد ، واستعملوا ابنها إبراهيم ، وكان له منهم خاصة<sup>(٥)</sup> .

وقُتِلَ للخيرة بن الأحسن بن كريب ، وهو كحامي عن عثمان بالسيف ، واقتحم القوم الدّار ، ودخل كثير منهم الدّور المجاورة لها ، وتسوّروا من دار عمرو بن حرم إليها حتى ملئوها ، وغلب الناس على عثمان ونذّبوا رجلا لقتله ، فدّخل إليه البيت ، فقال له : احامها ونذّعتك ، فقال : ويحك ! والله ما كنت عن امرأة في جاهلية ولا إسلام ، ولا أميت<sup>(٦)</sup> ولا تميت ، ولا وصمت يمي على عورتى مذ بايعة رسول الله ، ولست بحاليع قيصا كسايه الله ، حتى بكرم أهل السادة ، ويهين أهل الشقاوة .

فخرج عنه فقالوا له : ما صنعت ؟ قال : إني لم أستحل قتله ، فأدخلوا إليه رجلا من الصعابة ، فقال له : لست بصاحي ! إن النبي صلى الله عليه وآله قال أن يحفظك يوم كذا ، ولن تضيع ! فرجع عنه .

(١) أثبتته : جعله ناجيا في مكانه لا يتحرك من أثر الجراحة .

(٢) عيّنآوان : مشى علباء ! وهو مصب النقي .

(٣) الوقص : قصر النقي .

(٤) يذفّق على الجريح : يجره عليه .

(٥) والخاصة : من تحبّه بنفسك .

(٦) أميت الرجل : نأى ليصيب شيئا بيب .

فأدخلوا إليهم رجلا من قريش، فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لك يوم كذا ، فلن تغارِفَ دما حراما ، فرجع عنه .

فدخل عليه محمد بن أبي بكر، فقال له عثمان : ويحك ! أهلك الله نضبا ! هل لي إليك جُرم إلا أني أخذت حقَّ الله منك ؟ فأخذ محمد بلسيته ، وقال : أخزأك الله يا نمثل<sup>(١)</sup> ! قال : لست بنمثل ، ولكني عثمان وأمر المؤمنين ؛ فقال : ما أخفى عنك معاوية وفلان وفلان ! فقال عثمان : يا بن أخي ، دَعها من يدك ، فما كان أبوك ليقبض عليها ، فقال : لو عملت ما عملت في حياة أبي قبض عليها ، والذي أريد بك أشد من قبض عليها ، فقال : استنصر الله عليك وأسعبن به ، فتركه وخرج .

وقيل : بل طعن جبينه بمشقصي<sup>(٢)</sup> كان في يده ، فثار سودان بن حُران ، وأبو حرب المافقي وقتيرة بن وهب السكلي ، فضربا المافقي سودكان في يده ، وضرب المصنف برجله سوكان في حجره - فزال بين يديه وسال عليه الدم . وجاء سودان ليضربه بالسيف ، فأكسَتْ عليه امرأته نائلة بنت الفرافصة<sup>(٣)</sup> السكلية ، وانقست السيف بيدها وهي تصرخ ، ففتح أصابعها فأطمتها<sup>(٤)</sup> ، فوأت ، ففزع منْهم أوراكاها ، وقال : إنا لك كبيرة المعجز ، وضرب سودان عثمان فقتله .

وقيل : بل قتله كنانة بن بشر الشَّجَبِيّ وقيل : بل قتيبة بن وهب . ودخل خلان عثمان ومواليه ، فضرب أحدهم عنق سودان فقتله ، فوثب قتيبة بن وهب على ذلك الملام

(١) نمثل : رجل من أهل مصر كان طويلا العجاة ؛ قيل : إنه كان يشبه عثمان ، قال أبو عبيد : وشاعرو عثمان رضي الله عنه يسمونه نمثلا (السان) .

(٢) المشقص ، كقنبر : فصل عريض .

(٣) الفرافصة ؛ قال في السان : ليس في العرب . يسمى الفرافصة بالآلف واللام غيرة ، وقيل ابن بريدة عن قتال عن ابن الأثير عن أبيه عن شيوخه ، قال : كل من العرب فرافصة ، يضم الفاء إلا فرافصة أبا فائلة امرأة عثمان رضي الله عنه . ففتح الفاء لآخر . تاج العروس ٤ : ٤١٥ .

(٤) أطمتها : طمها .

فقتله ، فوثب غلام آخر على قبرة فقتله ، ونهبت دار عثمان ، وأخذ ما على نساؤه وما كان في بيت اللال ، وكان فيه غزلتان حرام . ووثب عمرو بن الحقيق على حذرة عثمان وبه رمق فطعمه تسع طعنات ، وقال : أما ثلاث منها فإني طمئننت لله تعالى ، وأما ميت منها فلأنا كان في صدرى عليه . وأرادوا قطع رأسه ، فوقت عليه زوجتاه : مائلة بنت القرافستوأم البثنين ، ابنة عبيدة بن حصن القزاري ، فصيحن وضربن الوجوه ، فقال ابن عديس : أتركوه ، وأقبل عمر بن ضابي البرزنجي فوثب عليه ، فكسر ضلعين من أضلاعه ، وقال له : سجت أبي حتى مات في السجن ! وكان قتله يوم الثامن عشر من ذي الحجة من سنة خمس وثلاثين . وقيل : بل في أيام التشريق ، وكان عمره ستا وثمانين سنة .

قال أبو جعفر : وبقي عثمان ثلاثة أيام لا يدفن . ثم إن حكيم بن حزام وجببر بن مطعم كلا عليهما عليه السلام في أن يأذن في دفنه ففعل ، فلما سمع الناس بذلك فعدده قوم في الطريق بالحجارة ، وخرج به ناس يسير من أهله ومعهم الحسن بن علي وابن الزبير ، وأبو جهم بن حذيفة بين لأمر والمشاء ، فأتوا به حائطاً من حيطان المدينة ، يعرف بمش كوكب<sup>(١)</sup> وهو خارج البقيع ، فصلوا عليه . وجاء ناس من الأنصار ليجنموا من الصلاة عليه ، فأرسل علي عليه السلام ، فنع من رجم سريره ، وكف الذين راموا منع الصلاة عليه ، ودفن في حش كوكب ، فلما ظهر معاوية على الأمر ، أمر بذلك الحائط فهدم ، وأدخل في البقيع ، وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره ؛ حتى اتصل بمقابر المسلمين بالبقيع .

وقيل : إن عثمان لم ينسل ، وإنه كفن في ثيابه التي قتل فيها .

(١) حش كوكب : موضع بجانب البقيع ، اشتراه عثمان وزاد فيه ( مرشد الاطلاع ) .

قال أبو جعفر : وروى عن طبر القمي أنه قال : ما قُتِلَ عمر بن الخطاب حتى مكته قريش واستطالت خلافته ، وقد كان يعلم فتنتهم ، فحصرهم في المدينة وقل لم : إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد . وإن كان الرجل يستأذنه في الغزو ، فيقول : إن لك في غزوك مع رسول الله صلى الله عليه ما يكفيك ، وهو خير لك من غزوك اليوم ، وخير لك من الغزو الآتري الدنيا ولا تراك . فكان يفعل هذا بالمهاجرين من قريش ، ولم يكن يفعله بغيرهم من أهل مكة ، فلما ولي عثمان الخلافة خلى عنهم فانتشروا في البلاد ، وخالطهم الناس ، وأفضى الأمر إلى ما أفضى إليه ، وكان عثمان أحب إلى الرعية من عمر .



قال أبو جعفر : وكان أول منكر ظهر بالمدينة في خلافة عثمان حين فاضت الدنيا على العرب والمسلمين طيران الحمام والساجة بها ، والرعى عن الجلائقات - وهي قسوة البندق - فاستعمل عثمان عليها رجلا من بني لبيث في سنة ثمان من خلافته ، فقص الطيور وكسر الجلائقات .



وروى أبو جعفر ، قال : سأل رجل سميد بن السائب عن محمد بن أبي حنيفة : ما دعاه إلى الخروج على عثمان ؟ فقال : كان يتبا في حجر عثمان ، وكان والي أيتام أهل يثرب ومعتل كلهم ، فسأل عثمان العمل ، فقال : <sup>(١)</sup> يا بني لو كنت رخصا لاستعملتك ، قال : فأذن لي فأخرج فأطلب الرزق <sup>(٢)</sup> ، قال : اذهب حيث شئت ، وجهزه من عنده ، وحمله وأعطاه ، فلما وضع إلى سر كان فيمن أعان عليه ؛ لأنه منه الإمارة . قيل له : هتار بن ياسر ؟ قال :

( ١ - ١ ) عبارة الطبري . يا بني ، لو كنت رخصا ، ثم سألتني العمل لاستعملتك ، ولكن لك عناء . قال : فأذن لي ، فلا أخرج فلا أطلب ما يقوتني .

كان بينه وبين العباس بن عُتبة بن أبي لبّ كلام فضربهما عثمان ، فأورث ذلك تعاديا بين صمار وثمان . وقد كان تقاذفا قبل ذلك <sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : ومثل سالم بن عبد الله عن محمد بن أبي بكر : مادعه إلى ركوب عثمان ؟ فقال : لزمه حتى ، فأخذ عثمان من ظهره ، فنضب ، وعرّاه أقوام فطبع ؛ لأنه كان من الإسلام بمكان ، وكانت له دالة ، فصار مذمّما بعد أن كان محمّدا ، وكان كعب ابن ذى الحسكة النهدي يلعب بالنير محاث <sup>(٢)</sup> بالكوفة ، فكتب عثمان إلى الوليد أن يوجه ضربه ، فضربه وسوّره إلى دُنياوند <sup>(٣)</sup> .

وكان ممن خرج إليه وسار إليه ، وحس ضايب بن الحارث البرجمي ، لأنه هعا قوما فسيهم إلى أن كُتِبَتْ بآني أمهم ، فقال لهم :

فَأَمْسِكُمْ لَا تَنْزُكُواهَا وَكُتِبَتْ عُنُقُ الْوَالِدِينَ كَبِيرٌ <sup>(٤)</sup>

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٩٩ .

(٢) النيرجات : أخذت من البحر ، وليست بحقيقة .

(٣) دُنياوند : جبل بنواحي الري ، ويقال له : دُناوند .

(٤) ذكر الطبري ٤ : ٤٠٢ أن ضايب بن الحارث البرجمي استعار من رمان الوليد بن عقبة كلّا من قوم من الأصار ، يدعى قرخان ، لصيد الغناء ؛ أحبّ منهم ، فأنفروا الأصاريون ، واستغاثوا عليه بقوة ، فكَارَوْهُ فَانْزَمَوْهُ مِنْهُ ، وردوه على الأصار ، فهجّاهم وقال في ذلك :

تَجَمَّعَ دُونِي وَفَدَّ قَرَحَانَ خُطَّةً      تَضِلُّ لَهَا أَلْوَجْنَاءُ وَهِيَ حَسِيرُ  
فَبَاتُوا شِبَاعًا فَاغْيَيْنَ كَانُوا      حَبَاهُمْ بَيْتُ الْمَرْزُبَانِ أَمِيرُ  
فَكُتِبَتْكُمْ لَا تَنْزُكُوا فَهُوَ أَمْسِكُمْ      فَمِنْ عُنُقِ الْأُمّهَاتِ كَبِيرُ

فاستعدوا عليه عثمان ، فأرسل إليه ، فزره وحبه ، كما كان يصنع بالمملكين ، فاستنقل ذلك ، لما زال في الحبس حتى مات فيه ، وقال في الفتك بغيره إلى أصحابه :

هَمَمْتُ وَلَمْ أَهْلُ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي      فَمَنْتُ وَوَلَّيْتُ الْبَكَاءَ حِلَالِي  
وَقَائِلُهُ قَدْ مَاتَ فِي السَّجْنِ ضَايُ      أَلَا مَنْ لِي خَصْمٍ لَمْ يَجِدْ مَنْ يُجَادِلُهُ  
وَقَائِلُهُ لَا يُبْعِدُ اللَّهُ ضَايَا      فَمَنْتُ الْفَقْرَ تَخْلُو بِهِ وَتُحَاوِلُهُ

فاستعدوا عليه عثمان ، فحبسه فمات في السجن ، فلذلك حَقَّق ابنه مُخَيْر عليه وكسر  
أضلاعه بعد قتله .

\*\*\*

قال أبو جعفر : وكان لعثمان كَلِي طَلْحَة بن عُبيد الله خمسون ألفاً، فقال طلحة له يوماً :  
قد تهيأ مالك فأقبضه، فقال : هو لك معونة على مروءتك، فلما حُصِر عثمان ، قال عليّ عليه  
السلام لطلحة : أنشدك الله إلا كففتَ عن عثمان أقتل : لا والله حتى تُعْطِيَ بنو أمية الحقَّ  
من أنفسها . فكان عليّ عليه السلام يقول : لما الله ابن الصعبة ! أعطاه عثمان ما أعطاه  
وفعل به ما فعل !

\*\*\*

(٣١)

ومن كلام له عليه السلام لما أتقذ عبد الله بن عباس إلى الزبير قبل وقوع الحرب يوم الجمل ليستفيته إلى طاعته (١) :

الأصل :

لَا تَنْفَقَنَّ طَلْعَةَ ، فَإِنَّكَ إِن تَلَقَّاهُ تَجِدُهُ كَالثَّوْرِ حَاقِصًا قَرْنَهُ ، يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ : هُوَ الذَّلُولُ ؛ وَلَكِنَّ الْفِي الزُّبَيْرِ ، فَإِنَّهُ أَلَيْنُ حَرِيكَةً ، فَقُلْ لَهُ : يَقُولُ لَكَ ابْنُ حَالِكٍ : عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ ، وَأُنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ ؛ فَمَا عَدَا يَمَّا بَدَا !

قال الرضى (٢) رحمه الله ( ) وهو عليه السلام أول من سميت منه هذه الكلمة - أعني : « فَمَا عَدَا يَمَّا بَدَا » .

\*\*\*

التهنئ :

ليستفيته إلى طاعته ، أى يسترجعه ؛ فاه ، أى رجع ، ومنه تسمى الفى للظل بعد الزوال . وجاء فى رواية : « فَإِنَّكَ إِن تَلَقَّاهُ تَجِدُهُ » أى تجده ، ألفيته على كذا ، أى وجدته . وحاقصاً قَرْنَهُ ، أى قد عطفه ؛ تيس أحصى ، أى قد التوى قرناه على أذنيه ، والفعل فيه حَقَصَ الثور قرنه ، بالفتح . وقال القنطرب الراوندى : حَقَصَ ؛ بالكسر ؛ وليس بصحيح ، وإنما يقال : حَقَصَ الرجلُ ، بالكسر ، إذا شغ وساء خلقه ، فهو حَقِصٌ . وقوله : « يَرْكَبُ الصَّعْبَ » ، أى يستهين بالاستصعب من الأمور ، يصنفه بشراصة

(١) ج بعد هذه الكلمة : « قل عليه السلام » .

(٢) غلطوة للتهنئ : « البعد » .

أَخْلَقُوا وَالْبَأْو<sup>(١)</sup>، وكذلك كان طلحة، وقد وصفه عمر بن الخطاب. ويقال: إن طلحة أحدث يوم أحدٍ عنده كثيراً شديداً لم يكن، وذلك لأنه أغنى<sup>(٢)</sup> في ذلك اليوم، وأبلى بلاءً حسناً.

والمريكة هاهنا: الطيبة، يقال: فلان كئيب المريكة، إذا كان سيئاً. وقال الراوندي: المريكة: بقية الثأم؛ وقد صدق، ولكن ليس هذا موضع ذلك. وقوله عليه السلام لابن عباس: «قل له يقول لك ابن خالك» لطيف جداً، وهو من باب الاستبارة والإذكار بالنسب والرحيم، ألا ترى أن له في القلب من اللوقع الذي إلى الاقتياد ما ليس قوله: «يقول لك أمير المؤمنين»! ومن هذا الباب قوله تعالى في ذكر موسى وهارون: ﴿وَأَلْقَى الْأُلُوحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَفُّونِي وَكَادُوا يَجْتُلُونِي فَلَا تُشِيرْ إِلَى الْأَخْدَاءِ﴾<sup>(٣)</sup>، لما رأى هارون غضب موسى واحتداه، شرع معه في الاستبارة وللإطفاء، فقال له: «ابن أم» هو أذكرك حق الأخرى، وذلك أدعى إلى عطفه عليهم أن يقول له: «يا موسى»، أو «يا أيها النبي».

فأما قوله: «فأعدا عما بدا»، فهذا بمعنى صرف؛ قال الشاعر:  
وإني عداني أن أזורك محكم متى ما أحررك فيه سائق بصخب  
و«من» هاهنا بمعنى «من»؛ وقد جاءت في كثير من كلامهم كذلك، قال ابن قتيبة في «أدب الكاتب»: «قالوا: حدثني فلان من فلان، أي عن فلان، ولم يأت من كذا، أي عنه»<sup>(٤)</sup>؛ ويصير ترتيب الكلام وتقديره: فاصرفك عما بدا منك، أي

(١) البأو: الفقر والادناء.

(٢) أغنى، أي صرف الأعداء وكفهم.

(٣) سورة الأعراف ١٥٠.

(٤) أدب الكاتب ص ٥٠٥ مع اختلاف في العبارة.



ظنهم ، وللمنى : ما الذى صدك عن طاعتى بعد إظهارك لها ! وحذف الضمير المفعول المنصوب  
كثير جدا ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلَنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾<sup>(١)</sup> ، أى أرسلناه ،  
ولا بد من تقديره ؛ كي لا يبقى للوصول بلا عائد .

وقال القطب الراوندى : قوله : « فَاَعْدَا بِمَا بَدَا » له معنيان : أحدهما : ما الذى منك  
بما كان قد بدا منك من البتة قبل هذه الحالة ؟ والثانى : ما الذى عاقت ؟ ويكون المفعول  
الثانى « عدا » محذوفا ، بدل عليه الكلام ، أى ما عداك ! يريد ما شغلك وما منعتك  
بما كان بدا لك من نصرتى ! من البدا الذى يبدو للإنسان . ولما قيل أن يقول : ليس  
فى الوجه الثانى زيادة على الوجه الأول إلا زيادة فاسدة ؛ أما إنه ليس فيه زيادة ، فلا تفسر  
فى الوجه الأول « عدا » بمعنى منع ، ثم فسر فى الوجه الثانى بمعنى عاقت ، وفسر عاقت بمنع  
وشغل ، فصار « عدا » فى الوجه الثانى ميمثل « عدا » فى الوجه الأول .

وقوله : « بما كان بدا منك » ، فسر فى الأول والثانى بتفسير واحد ، فلم يبق بين  
الوجهين تفاوت . وأما الزيادة الفاسدة فقله أن « عدا » يمتد إلى مفعولين ، وأنه قد حذف  
الثانى ، وهذا غير صحيح ، لأن « عدا » ليس من الأفعال التى تتعدى إلى مفعولين بإجماع  
النحاة ، ومن المجب تفسير المفعول الثانى المحذوف على زعمه بقوله : أى ما عداك ، وهذا  
للمفعول المحذوف ما هنا هو مفعول « عدا » الذى لا مفعول لها غيره ، فلا يجوز أن يقال إنه  
أول ولا ثان .

ثم حكى القطب الراوندى حكاية منها أن صفية بنت عبد المطلب أعطت حبيدا ،  
ثم ماتت<sup>(٢)</sup> ، ثم مات السيد ولم يخلقوا وارثا إلا مواليتهم ، وطلب على عليه السلام ميراث  
السيد بحق التصيب ، وطلبه الزبير بحق الإرث من أمه . ونحاسكا إلى عمر ، قضى عمر  
بالميراث للزبير .

(١) سورة الزخرف ١٥ .

(٢) ( ٢ - ٢ ) ساقط من ب .

قال القطب الراوندى رحمه الله تعالى ، حكاية من أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: هذا خلاف الشرع ، لأنّ ولّاء متعق للراءة - إذا كانت ميتة - يكون لعصبتها يوم المآلة ، لا لأولادها .

قلت : هذه للسأة مختلف فيها بين الإمامية ، فأبو عبد الله بن النعمان المعروف بالثفيد<sup>(١)</sup> ، يقول : إن الولاء لولدها ، ولا يصحح هذا الخبر ، وبطمّن في راويه ؛ وغيره من فقهاء الإمامية كأبي جعفر الطوسي<sup>(٢)</sup> ومن قال بقوله يذهبون إلى أن الولاء لمصبتها لا لولدها ، ويصحّحون الخبر ، وزعمون أن أمير المؤمنين عليه السلام سكت ولم ينازع ، حل قاعدته في التفتية ، واستعمال الجمالة مع القوم .

فأما مذاهب الفقهاء غير الإمامية فإنها متفقة على أن الولاء للولد لا للمصبة ، كما هو قول الثفيد رحمه الله تعالى .

وروى جعفر بن محمد الصادق ، عن أبيه عن جده ، عليهم السلام ، قال : سألت ابن عباس رضي الله عنه عن ذلك ، فقال : إني قد أنيت الزبير ، قلت له ، فقال : قل له : إني أريد ما تريد - كأنه يقول : لك - لم يزِدني على ذلك . فرجعت إلى علي عليه السلام فأخبرته .

وروى محمد بن إسحاق والكلبي ، عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : قلت الكلمة للزبير فلم يزِدني على أن قال : قل له :

• إنا مع الخوفا الشديد لنطمع •

(١) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام الضدائي المروزي بالقيد ؛ أحد أعيان الشيعة وعلمائهم ؛ انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته . وله قريب من مائتي مصنف ؛ وفيها حظت أقوال الشيعة وآراؤهم وشرحهم وتفصيل مداهمهم ؛ وعنه نقل الفريفي للرضي الفقه والتفسير وعلم الكلام ، وتوفي سنة ٤١٣ . روضات الجنات ٥٣٦ .

(٢) هو أبو جعفر محمد بن علي بن محمد الطوسي الشهدى ؛ أحد تلاميذ الشيخ الثفيد ، ثم الشرح للرضي من بعده . وكان إماماً واعظاً ؛ ألف الوسيلة والواسطة والفتاوى على مذهب الشيعة ، وغيرها . توفي سنة ٤٠٦ . روضات الجنات ٥٦٧ .

قال : وسئل ابن عباس عما يعني بقوله هذا ، فقال : يقول : إنا على الخوف لنطعم أن نلي من الأمر ملوليم .

وقد فسره قوم تفسيراً<sup>(١)</sup> آخر ، وقالوا : أراد : إنا مع الخوف من الله لنطعم أن يُنقر لنا هذا اللذنب .

قلت : وعلى كلا التفسيرين لم يحصل جواب للسألة .



### [ من أخبار الزبير وابنه عبد الله ]

كان عبد الله بن الزبير هو الذي صلى بالناس في أيام الجمل ، لأن طلحة والزبير تداخا الصلاة ، فأمرت عائشة عبد الله أن يصلي قطعاً لمنازعتها ، فإن ظهر وكان الأمر إلى عائشة ، تستغلف من شأنته .

وكان عبد الله بن الزبير يدعى أنه أحق بالخلافة من أبيه ومن طلحة ، وزعم أن عثمان يوم الحار أوصى بها إليه .

واختلفت الرواية في كيفية السلام على الزبير وطلحة، فروى أنه كان يسلم على الزبير وحده بالأمرة ، فيقال : السلام عليك أيها الأمير ؛ لأن عائشة ولته أمر الحرب وروى أنه كان يسلم على كل واحد منهما بذلك .

لما نزل على عليه السلام بالبصرة ووقف جيشه بإزاء جيش عائشة قال الزبير : والله ما كان أمر قط إلا عرفت ابن أضع قدمي فيه إلا هذا الأمر ، فإني لا أدرى : أم قبل أنا فيه أم مذهب ائصال له ابنة عبد الله : كلاً ولسكنك فرقت<sup>(٢)</sup> سيوف ابن أبي طالب ، وعرفت أن الموت الناعم تحت راياته . فقال الزبير : مالك أخراك الله من ولد ! ما شأملك !

(١) كفاي ١ ، ج ١ ، د ب : د ج ١ . (٢) فرقت : خفت .

كان أمير المؤمنين عليه السلام ، يقول : ما زال الزبير منا أهل البيت ، حتى شبّه  
ابنه عبدالله .

برز علي عليه السلام بين الصفين حاسرا ، وقال : لِيَبْرُزْ إِلَى الزبير ، فبرز إليه  
مُدَجِّباً ؛ فقبل لعائشة : قد برز الزبير إلى علي عليه السلام ، فصاحت : وازيروا ! فقبل  
لها : لا بأس عليه منه ، إنه حاسر والزبير دارع<sup>(١)</sup> . فقال له : ما حملك يا أبا عبدالله على  
ما صنعت ؟ قال : أطلب بدم عثمان ، قال : أنت وطلحة وليتماه ، وإنا نؤبئك من ذلك  
أن تُقيدَ به نفسك ونفسها إلى ورثته ، ثم قال : نَشَدْتُكَ الله ! أنذكر يوم مروتَ بي  
ورسول الله صلى الله عليه وسلم متكى على يدك ، وهو جاء من بني عمرو بن عوف ، فسلمَ  
عَلَيَّ وضمحك في وجهي ، فضعكتُ إليه ، لم أزدُه على ذلك ، قلت : لا يترك ابنُ أبي طالب  
بارسول الله زهواً ، فقال لك : « مَهْ ! إِنَّهُ لَيْسَ بِذِي زَهْوٍ ، أَمَا إِنَّكَ سَتَقَاتِلُهُ وَأَنْتَ لَهُ  
ظالم » ! فاسترجع الزبير وقال : لقد كان ذلك ؛ وَلَكِنْ كُفِّرَ أَنْسَانِيهِ ، وَلَا تُعْرِقَنَّ عَنْكَ ،  
فرجع ، فأعتق عبده سرجسَ تَحَنُّلاً<sup>(٢)</sup> من عَيْنِ لُزْمَتِهِ فِي الْقِتَالِ ، ثم أتى عائشة ، فقال لها : إني  
ما وقتت مورقاً قط ، ولا شهدتُ حرباً إلا ولي به رأيٌ وبصيرة إلا هذه الحرب ، وإني  
كَلَعْتُ شَكَّيَّ مِنْ أَمْرِي ، وما أكاد أبصر موضع قدمي . فقالت له : يا أبا عبدالله ، أظنك فرقتَ  
سهوفَ ابنِ أبي طالب ؛ إني والله سيوف جِداد ، مُدَّةٌ لِلْعِلَادِ ، تحملها فئة أنجاد ؛ ولئن  
فرَّقتها لقد فرَّقها الرجال قبلك ، قال : كلا ، ولكنه ما قلتُ لك .  
ثم انصرف .



وروى فروة بن الحارث التميمي ، قال : كنتُ فِيمَنْ اعْتَزَلَ عَنْ الْحَرْبِ بِوَادِي السَّبَاعِ<sup>(٣)</sup>  
مَعَ الْأَحْتَفِ بْنِ قَيْسٍ ، وَخَرَجَ ابْنُ عُمَرَ لِي بِخَالٍ لَهُ الْجَوْنُ ، مَعَ عَسْكَرِ الْبَصْرَةِ ، فَهَبَّتْهُ ،

(١) الحاسر : من لا درع له ولا جنة ، والفارح : لا يس الفزع .

(٢) كَذَا فِي أ ، ج ، وَب : « عِلَاد » .

(٣) وادي السباع : موضع بين البصرة ومكة .

قال : لا أرغبُ بنفسِي عن نُصرةِ أمِّ المؤمنين وحواري رسول الله . فخرج معهم ، وإني  
 لجالس مع الأحنف ، يستنبي الأخبار ، إذا بالجون بن قتادة ، ابن عمي مُقبِلاً ، فقلتُ إليه  
 واعتنقته ، وسألته عن الخبر ، فقال : أخبرك العَجَب ، خرجت وأنا لا أريد أن أبرح  
 الحرب حتى يحكم الله بين الفريقين ، فبينا أنا واقف مع الزبير ، إذ جاءه رجل فقال :  
 أبشِرْ أيها الأمير ، فإنَّ علياً كما رأى ما أعدَّ الله له من هذا الحُجَم ، نكسَ على  
 عَقِبَيْهِ ، وتفرَّق منه أصحابه . وأتاه آخر ، فقال له مثل ذلك ، فقال الزبير : ويحكم  
 أبو حسن يرجع والله لو لم يجد إلا الترفُّع لَدبَ إلينا فيسه . ثم أقبل رجل آخر ،  
 فقال : أيها الأمير ، إنَّ نَفراً من أصحاب علي قارفوه ليدخلوا معنا ، منهم عمار بن ياسر ،  
 فقال الزبير : كلا ورب السكبة ؛ إنَّ عماراً لا يفارقه أبداً ، فقال الرجل : بلى والله ، مراراً .  
 فلما رأى الزبير أنَّ الرجل ليس براحمٍ عن قوله ، ثم سمعه رجلاً آخر ، وقال : اذهب  
 فانظرا ، فنادا وقالا : إنَّ عماراً قد أتاك رسولاً من عند صاحبه ، قال حوَن : فسمعتُ  
 والله الزبير يقول : وأقطعَ ظهراء ! وأخذَ أعماه ! واسوادوا حواء أوبكرت ذلك مراراً ،  
 ثم أحدثه ريعة شديدة ، فقلت : والله إنَّ الزبير ليس بجبان ، وإنَّه ليعن قرسان قریش  
 المذكورين ، وإنَّ لهذا الكلام لثأراً ، ولا أريد أن أشهدَ مشهداً يقولُ أميرُ هذه  
 للقاءة ، فرجعتُ إليكم ؛ فلم يكن إلا قليلٌ حتى مرَّ الزبير بنا متاركاً للقوم ، فأتبعه عمير  
 ابن جرُموز فقتله .

• • •

أكثرُ الروايات على أنَّ ابن جرُموز قتل مع أصحاب النهر ، وجاء في بعضها أنه  
 عاش إلى أيام ولاية مُصعب بن الزبير العراق ، وأنه لما قدم مصعب البصرة خافه ابن جرُموز  
 فهرب ، فقال مصعب : ليظهر سالماً ، وليأخذَ عطاءه موفوراً ، أبطنَ أني أقتله بأبي عبد الله  
 وأجمله فداء له ! فكان هذا من الكبر المتعسِّن .

كان ابن جرّموز يدعو له نياها، فقيل له: هلا دعوت لآخرتك! فقال: أيسّت من الجنة .  
الزير أول من شهّر سيفه في سبيل الله ، قيل له في أول الدعوة : قد قُتل  
رسول الله ، فخرج وهو غلام يسى بسيفه مشهوراً .

وروى الزبير بن بكار في " الموفقيات <sup>(١)</sup> " ، قال : لما سار على عليه السلام إلى  
البصرة ، بمث ابن عباس فقال : أنت الزبير ، فقرأ عليه السلام ، وقل له : يا أبا عبد الله ،  
كيف عرفتنا بالمدينة وأنكرتنا بالبصرة ! فقال ابن عباس : أفلا آتى طلحة ؟ قال : لا ؛  
إذا تجده عاقصاً قرنه في حزن ، يقول : هذا سهل .

قال : فأتيت الزبير ، فوجدته في بيت يتروح في يوم حارّ وعبد الله ابنه عنده ،  
فقال : مرحباً بك يا ابن لبابة ! أحنت زائراً أم سفيراً ؟ قلت : كلا ، إن ابن خالك يقرأ  
عليك السلام ، ويقول لك : يا أبا عبد الله ، كيف عرفتنا بالمدينة ، وأنكرتنا بالبصرة ! فقال :  
عَلَيْهِمْ أَنِي خُلِقْتُ عَصْبَةً قَتَادَةَ مَلَوِيَّةً بِنُشْبَةٍ <sup>(٢)</sup>

لن أدعهم حتى أولف بينهم ! قال : فأردت منه جواباً غير ذلك ، فقال لي ابنه  
عبد الله : قل له : بيننا وبينك دمٌ خليفة ووصية خليفة ، واجتماع اثنين ، وانفراد واحد ،  
وأم مبرورة ، ومشاورة العشرة . قال : فعلت أنه ليس وراء هذا الكلام إلا الحرب ؛  
فرجعت إلى علي عليه السلام فأخبرته .

(١) كتاب الموفقيات في الأخبار ؛ أنه الزبير بن بكار للموفق بالله ؛ وكان الزبير بن بكار علامة لسادة  
أخباراً ؛ وكتبه في الأنساب عليها الإهداء . تول سنة ٢٥٦ . مجلد الأدباء ١١ : ١٦١ .  
(٢) في السان : « وفي حديث الزبير بن العوام لما أقبل نحو البصرة وسئل عن وجهه فقال :

عَلَيْهِمْ أَنِي خُلِقْتُ عَصْبَةً قَتَادَةَ مَلَوِيَّةً بِنُشْبَةٍ

قال شعر : وبلى أن بعض العرب قال :

عَلَيْهِمْ أَنِي خُلِقْتُ عَصْبَةً قَتَادَةَ مَلَوِيَّةً بِنُشْبَةٍ

قال : والعصبة نبات يتنوى على الشجر ؛ وهو الملباب ، والنشبة من الرجال : التي إذا علق بهي لم  
يكذب غافقه . ويقال للرجل الشديد للراس : قتادة لوت بعصبه ، واللقى : خلفت عصبة لمصومي ، فوضع  
العصبة موضع اللقطة ، ثم عبه نفسه في فرط لطفه ولشبهته بهم بالقتادة إذا استظهرت في لطفها واستسكنت  
بنشبة ، أي شديد المشوب .

قال الزبير بن بكار : هذا الحديث كان يرويه عتي مصعب ، ثم تركه ، وقال :  
إني رأيت جدي أبا عبد الله الزبير بن العوام في المنام ، وهو يستنذر من يوم الجمل ،  
قلت له : كيف تستنذرك منه ، وأنت القاتل :

عَلَيْتُهُمْ أَنِّي خَلَيْتُ عَصْبَةَ قَادَةَ تَمَلَّتْ بِنَشْبَةِ

لَنْ أَدْعِيَهُمْ حَتَّى أَوْفَى بِهِمْ ! قَالَ : لَمْ أَقُلْ .

•••

### [ استطراد بلاغى فى الكلام على الاستدراج ]

واعلم أن فى علم البيان بابا يسمى باب المداع والاستدراج ، يناسب ما يذكره فيه  
علماء البيان قول أمير المؤمنين عليه السلام : ﴿ يقول لك ابن خالك : عرفتنى بالحجاز  
وانكرتنى بالعراق » ١

قلوا : ومن ذلك قول الله تعالى حكاه عن مؤمن آل فرعون : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ  
مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ  
بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكْذِبُوا فَعَلَبُوا كَذِبًا قُلِيهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكْذِبُوا فَعَلَبُوا كَذِبًا  
الَّذِي بِيَدِكُمْ إِنْ أَفْلَحَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (١) ، فإنه أخذ معهم فى  
الاحتجاج بطريق التضمين ، فقال : هذا الرجل إما أن يكون كاذبا فكذبته يعود عليه ولا  
يعمد له ، وإما أن يكون صادقا فيصيبكم بعض ما يمدكم به ، ولم يقل : « كل ما يمدكم  
به » مخافة لم وتلفظا ؛ واستأالة لقلوبهم كي لا ينفروا منه لو أغلظ فى القول ، وأظهر  
لم أنه يهضمه بعض حقه .

وكذلك تقديم قسم الكذب على قسم الصدق ، كأنه رشأم ذلك ، وجعله برطيلاً (٢)

لم ، ليطمئنا إلى نصحه .

(٢) البرطيل هنا : الرشوة .

(١) سورة طه ٧٨ .

ومن ذلك قول إبراهيم على ما حكاه تعالى عنه في قوله : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَيُّهُ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا • يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا • يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا • يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ <sup>(١)</sup> ، فطلب منه في مبدأ الأمر السبب في عبادة الصتم والملة ذلك ، ونبته على أن عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفعه شيا قبيحة ، ثم لم يقل له : إني قد تبهرت في العلوم ، بل قال له : قد حصل عندي نوع من العلم لم يحصل عندك . وهذا من باب الأدب في الخطاب ، ثم نبته على أن الشيطان عاصي لله ، فلا يجوز اتبعه ، ثم خوفه من عذاب الله إن اتبع الشيطان ، وخاطبه في جميع ذلك بقوله : ﴿ يَا أَبَتِ ﴾ ؛ استطافا واستدراجا ، كقول علي عليه السلام : « يقول لك إن خالك » ، فلم يحبه أبوه إلى ما أراد ، ولا قال له : « يا بني » بل قال : ﴿ أَرَاغِبُ أَنْتَ مِنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ ، فخاطبه بالاسم ، وأتاه بهمة الاستفهام للتصنعة للإنكار ، ثم توقعه فقال : ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُحَكَ وَأُخْبِرْنِي مَلِيًّا ﴾ .

قالوا : ومن هذا الباب ما روى أن الحسين بن علي عليهما السلام كلم معاوية في أمر ابنه يزيد ، ونهاه عن أن يسهذ إليه ، فأبى عليه معاوية حتى أفضب كل واحد منهما صاحبه ، فقال الحسين عليه السلام في غضون كلامه : أبي خير من أبيه وأمي خير من أمه ، فقال معاوية : يا بن أخي ! أتا أمك خير من أمه ، وكيف تقاس امرأة من كلب بامرأة رسول الله <sup>(٢)</sup> صلى الله عليه ! وأما أبوه فحاكم أباك إلى الله تعالى ، فحكم لأبيه على أيك .

(١) سورة مريم ٤٢ - ٤٥ .

(٢) في اللؤلؤ السائر : « وبنت رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من امرأة من كلب » .



قالوا : وهذا من باب الاستدراج اللطيف ، لأن معاوية أعلم أنه إن أجابه بجواب  
يضمن المدحوى لكونه خيراً من حلّ عليه السلام لم يُلجِئتْ أحدٌ إليه ، ولم يكن له  
كلام يعلّق به ، لأن آثارَ حلّ عليه السلام في الإسلام ، وشرقه وفضيلته تجعل أن يُقاس  
بها أحدٌ ، فدلّ عن ذكر ذلك إلى الصلح بما تعلق به ، فكان الفالج له .  
ذكر هذا الخبر نصرُ الله بن الأثير في كتابه للسمي بـ " ، للثلث السائر " في باب  
الاستدراج <sup>(١)</sup> .

وعندي أن هذا خارج عن باب الاستدراج ، وأنه من باب الجوابات الإقناعية التي  
تُسبِّها الحكماء الجدليّات والخطابيّات ، وهي أجوبة إذا بحث عنها لم يكن وراءها  
تحقيق ، وكانت يهادي النظر مُسَكِّنةً للحُجْم ، صالحة لمصادمته في مقام المجادلة .

ومثل ذلك قولُ معاوية لأهل الشام حيث التحق به عقيل بن أبي طالب : يا أهل  
الشام ، ما ظنكم برجل لم يصلح لأخيه !

وقوله لأهل الشام : إن أبا لهب للذموم في القرآن باسمه عمّ حلّ بن أبي طالب .  
فارتاع أهل الشام قلبك ، وشتوا عليه وأمنوه .

ومن ذلك قول عمر يوم السقيفة : أَيْتُكُمْ يَطِيبُ نَفْسًا أَنْ يَتَقَدَّمَ قَدَمَيْنِ قَدَمَهَا  
رَسُولُ اللَّهِ ، لِي اللَّهُ عَلَيْهِ صَلَاةٌ !

ومن ذلك قول حلّ عليه السلام مجيباً لمن سأله : كم بين السماء والأرض؟ قال :  
دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ .

وجوابه أيضاً لمن قال له : كم بين الشرق والغرب ؟ فقال : مسيرة يوم للشمس .  
ومن ذلك قول أبي بكر - وقد قال له عمر : أقيّد خالداً بمالك بن نويرة - سيف الله  
فلا أخذه .

وكقوله - وقد أشير عليه أيضاً بأن يُقيد من بعض أمرائه - : أنا أقيّد من وزعة<sup>(١)</sup> الله !  
ذكر ذلك صاحب " الصحاح " في باب « وزع »<sup>(٢)</sup> .  
والجوابات الإقناعية كثيرة ، ولعلها جمهور ما جداوله الناس ، وسُكِتُ به  
بعضهم بعضاً .

---

(١) الوزعة : جم وزع ، وهو الذي يخدم الصف فيمنحه ، ويقدم ويؤخر .

(٢) الصحاح ١٢٩٧ .

(٣٢)

ومن خطبة له عليه السلام :

الأصل :

أيها الناس ، إنا قد أصبحنا في دهر عتود ، وذمن شديد<sup>(١)</sup> ، بُدِّ فيه السُّعِينُ  
مُسِينًا ، وَرَزْدَادُ الظَّالِمِ فِيهِ عَتُوءًا ، لَا تَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا ، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا ، وَلَا  
نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا . وَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ :

مِنْهُمْ مَنْ لَا يَخْتَنِي الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةً نَفْسِهِ وَكَثْلَةً حَدِّهِ ،  
وَنَضِيبًا وَفَرِهِ .

وَمِنْهُمْ الْمُتَعَلِّقُ بِسَوْفِهِ ، وَالْمُعِينُ بِشَرِّهِ ، وَالْمُجِلِبُ بِخَوَلِهِ وَرَجُلِهِ ؛ قَدْ أَشْرَطَ  
نَفْسَهُ ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ ؛ لِحُطَامِ بَنَازِلِهِ ، أَوْ يَنْقَسِبُ بِقُودِهِ ، أَوْ يَنْبِرُ بِفَرْعِهِ ، وَلَيْسَ  
الْمُتَجَبِّرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا ، وَمَا لَكَ مِنْهُ إِذْ هُوَ خَاضَا

وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِمَمْلِ الْآخِرَةِ ، وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِمَمْلِ الدُّنْيَا ، قَدْ  
طَلَمَ مِنْ شَخْصِهِ ، وَفَارَبَ مِنْ حَطْوِهِ ، وَشَرَّ مِنْ قُوْدِهِ ، وَزَخَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ  
لِلْأَمَانَةِ ، وَأَخَذَ سِتْرَ أَفْرِ ذَرِيعةً إِلَى الْمَقْصِيَةِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ أَبَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمَلِكِ ضُتُولَةَ نَفْسِهِ ، وَأَخْطَأَ سَبِيلَهُ ، فَقَصَرَتْهُ  
الْأَحْالُ عَلَى حَالِهِ ؛ فَتَحَلَّى بِأَهْمِ الْقَنَاعَةِ ، وَتَزَيَّنَ بِبِلَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ ، وَلَيْسَ مِنْ  
ذَلِكَ فِي مَرَايِحٍ وَلَا مَغْدَى .

وَجِي رِجَالٌ فَضُّ أَبْصَارُهُمْ ذِكْرُ التَّرْجِيعِ ، وَأَرَأَيْتُمْ خَوْفُ الْمَعْشَرِ ؛  
فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ ، وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ ، وَسَاكِتٍ مَكْمُومٍ ، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ ،  
وَتَسْكَانٍ مُوجِعٍ ، قَدْ اخْتَلَتْهُمْ النَّفِثَةُ ، وَشَتَّتَهُمُ الْقَذَّةُ ، فَهُمْ فِي بَحْرِ أَجَاجٍ ،  
أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحةٌ ، قَدْ وَمَقَلُوا حَتَّى مَلُّوا ، وَفُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا ، وَقُتِلُوا  
حَتَّى قَلُّوا .

فَلْتَسْكُنِ الدُّنْيَا فِي أَحْيَانِكُمْ أَصْحَابَ مِنْ شِثَالَةِ الْقَرِظِ ، وَقَرِاضَةِ الْجَلَمِ . وَأَنْتِظُوا  
مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ ، وَارْفُضُوا ذَمِيمَةً ، كَلِمَتُهَا  
قَدْ رَفَضْتَ مَنْ كَانَ أَشْفَقَ بِهَا مِنْكُمْ .



قال الرضى رحمه الله :

وهذه الخطبة رُبَّمَا نَسَبَهَا مَنْ لَا حِلَّ لَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ ؛ وَجِي مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي لَا يُشْكُّ فِيهِ . وَأَيْنَ الذَّهَبُ مِنَ الرَّقَامِ أَوْ أَيْنَ الْمَذْبُ مِنَ الْأَجَاجِ أَوْ قَدْ  
دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الدَّلِيلُ الْخُرُوبُوتُ ، وَهَذِهِ الْفَائِدَةُ الْبَصِيرَةُ ، تَحْرُوبُ بْنُ بَحْرِ الْجَاوِظِ ، فَإِنَّهُ  
ذَكَرَ هَذِهِ الْخُطْبَةَ فِي كِتَابِ "الْبَيَانِ وَالْتَبْيِينِ" (١) وَذَكَرَ مِنْ نَسَبِهَا إِلَى مُعَاوِيَةَ . ثُمَّ  
تَسَلَّمَ مِنْ بَعْدِهَا بِكَلَامٍ فِي مَعْنَاهَا ، جَعَلَهُ أَنَّهُ قَالَ : وَهَذَا الْكَلَامُ بِكَلَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) البَيَانُ وَالتَّبْيِينُ ٢ : ٥٩ - ٦١ ؛ عَنْ عَبْدِ بْنِ مَفْلُوحٍ ؛ وَهَلْ : « وَزَادَ فِيهَا الْبَطْرِيُّ وَفِيهِ » ،  
وَهَلْ : « لَا حُضِرَتْ مُعَاوِيَةُ الرَّفِعةُ قُلُوبُ لَوْ : « مِنْ بِالنَّابِ » ؛ قَالَ : قَرَأَ مِنْ قُرْآنٍ يَتَنَاسَرُونَ بِمَوْتِكَ ،  
قَالَ : وَمَنْكِ أَوْلَمَ ؟ قَالَ : لَا أُدْرِي ؛ قَالَ : فَوَاقَةُ مَلِكِهِمْ بِمَدِينَةِ الْإِسْلَامِ بِسُوَيْدٍ ؛ وَأَذِنَ قَتَادَةُ لِمَنْ خَلَا .  
ثُمَّ أَوْرَدَ الْخُطْبَةَ بِرَوَاتِهِ ؛ وَهَلْ فِي آخِرِهَا : « وَفِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ : - أَبْنَاءُ اللَّهِ - ضُرُوبٌ مِنَ الْحَبِّ ؛ مِنْهَا أَنْ  
الْكَلَامَ لَا يَحِبُّ الْحَبِّ الْقَتْلُ مِنْ أَجْلِهِمْ دَعَاءُ مُعَاوِيَةَ ، وَسَيَأْتِي أَنَّ هَذَا لِلْحَبِّ فِي تَصْلِيحِ النَّاسِ ، وَفِي  
الْإِخْبَارِ عَمَّا مِمَّ عَلَيْهِ مِنَ الْفُجْرِ وَالْإِذْلَالِ ، وَمِنْ الْخُفْيَةِ وَالْخُفْرِ أَشْبَهَ بِكَلَامِ عَلِيِّ رَسَائِقَ عَنْهُ وَمِثَالَهُ وَهَلْ  
مِنْهُ بِحَالِ مُعَاوِيَةَ ، وَمِنْهَا أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ مُعَاوِيَةَ فِي حَالٍ مِنَ الْحَالَاتِ يَسْلُكُ فِي كَلَامِهِ سُلُوكَ الرَّعَادِ ، وَلَا يَنْحَبِ  
مَذَاهِبَ الْبِدَاعِ ؛ وَنَحْنُ نَكْتَبُ لَكُمْ وَخَبْرَ مَا سَمِعْنَا ؛ وَاقْعِدْ أَعْلَمَ بِأَسْطَبِ الْأَخْبَارِ ، وَبِكَيْفِ مِنْهُمْ » .

أشبهه وبمذهبه في تصنيف الناس وفي الإخبار عنهم، عليه من القهر والإذلال، ومن التقيّة والخوف أليق. قال: ومتى وجدنا معنوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد، ومذاهب العباد!

• • •

### البَيْتُ:

وهو عنود: جائر، عند عن الطريق؛ عند بالضم، أى عدل وجار. ويمكن أن يكون من عند يعنى بالكسر، أى حالف ورد الحق وهو يعرف؛ إلا أن اسم الفاعل المشهور في ذلك هاند وعبيد؛ وأما عنود فهو اسم فاعل؛ من عند يعنى بالضم.

قوله: «وزمن شديد»، أى يخيل، بومته قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾،<sup>(١)</sup> أى وإنه ليخيل لأجل حب الخير، والخير: المال. وقد روى: «وزمن كنود» وهو الكفور، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾<sup>(٢)</sup>

والقارعة: الخطب الذى يجرع، أى يصيب.

قوله: «ونضيم وفرة»، أى قلة ماله، وكان الأصل «ونصاعة وفرة» ليكون المصدر في مقابلة المصدر الأول، وهو «كلاة حده»؛ لكننا حرجه على باب إضافة الصفة إلى الموصوف، كقولهم: عليه سحق عمامة، وجرد قطيعة، وأخلاق ثياب.

قوله: «والجلب بمنه ورجله»، الجلب: اسم فاعل من أجلب عليهم، أى أمان عليهم.

والرجل: جمع راجل، كثر كلب جمع راكب، والشرب جمع شارب؛ وهذا من ألفاظ الكتاب العزيز: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْبِكَ وَرَجِلِكَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة المائدة ٨.

(٢) سورة المائدة ٦.

(٣) سورة الإسراء ٦٤ وقراءة حسن بكسر الجيم في «رجلك»، وباقي القراءات يسكون الجيم. (تحف فضلاء العصر ٢٨٠).

وأشراط نفسه ؛ أى هياها وأعدّها للفساد فى الأرض .  
 وأبقى دينه : أهلكه . والحطام . للال ؛ وأصله ما تكثرت من اليبس .  
 ينهزه : يخلسه .  
 والمقنب : خيل مابين الثلاثين إلى الأربعين .  
 ويفرعه : يملوه . وطامن من شخصه ، أى خفى . وقارب من خطوه : لم يسرع  
 ومشى رويدا .  
 وشتر من ثوبه : قصره . وزخرف من حسه : حسن وتمق ورين ، والزخرف :  
 الذهب فى الأصل .  
 وضئولة نفسه : حقارتها . والناد : المفرد . والكعوم ، من كعمت البعير ، إذا  
 شددت فيه . والأجاج : الملح .

وأفواهم ضامرة ، بالزاي ؛ أى سائمة . قتل لشتر من أبى خازم :  
 لَقَدْ ضَمَرْتُ بِحِرَّتِهَا سُدَيْمٌ . تَخَافَتَا كَمَا ضَمَرَ الْحِمَارُ (١)  
 والقرط : ورق السلم ، يدنع به ، وخثالته : ما يسقط منه .  
 والجلم : المقص تجزأ به أوبار الإبل ، وقراصته : ما جمع من قرصه وقطعه .  
 فإن قيل : بيّنوا لنا تفصيل هذه الأقسام الأربعة .  
 قيل : القسم الأول من يقعد به عن طلب الإمرة قلة ماله وحقارته فى نفسه .  
 والقسم الثانى : من يشتر ويطلب الإمارة ويُفسد فى الأرض ويكاشف .  
 والقسم الثالث : من يظهر ناموس الدين ويطلب به الدنيا .  
 والقسم الرابع : من لا مال له أصلا ، ولا يكاشف ، ويطلب الملك ولا يطلب الدنيا

(١) ديوانه ٧٠ ، واللسان ( ٧ : ٢٣٧ ) ، وسه لى ابن قفل : وقال فى شرحه : « معناه قد  
 خضمت وذلك كما ضم الحمار ؛ لأن الحمار لا يجر ؛ وإنما قد - ضمر بجرتها على حمة الل ، أى سكتوا  
 فلا يصركون ولا يتفقون » .

الرياء والناموس ، بل تنقطع أسبابه كلها فيخلد إلى القناعة ، ويصلى بحلية الرهادة و  
الذات الدنيوية ، لا طلباً للدنيا بل محذراً عن الحركة فيها ، وليس بزاهد على الحقيقة .

فإن قيل : فهاهنا قسم خامس ، قد ذكره عليه السلام ؛ وهم الأبرار الأتقياء الذين  
أراق دموعهم خوفاً الآخرة .

قيل : إنه عليه السلام إنما قال : « إن الناس على أربعة أصناف » ، وعلى بهم من هذا  
اللتفين ؛ ولهذا قال لما انقضى التقسيم : « وبقى رجال غصص أنصارهم ذكر المرجع » ، فأبان  
بذلك عن أن هؤلاء خارجون عن الأقسام الأربعة .

• • •

### [ فصل في ذكر الآيات والأخبار الواردة في ذم الرياء والشبهة ]

واعلم أن هذه الخطبة تتضمن التهم لكثير من يدعي الآخرة من أهل زماننا ، وهم  
أهل الرياء والتفاق ، ولا بسو الصوف والتهلب المرقوعة لمير وجه الله .

وقد ورد في ذم الرياء شيء كثير ، وقد ذكرنا بعض ذلك فيما تقدم .

ومن الآيات الواردة في ذلك قوله تعالى : ﴿ يُرَادُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ  
إِلَّا قَلِيلًا ﴾ <sup>(١)</sup> .

ومنها قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ  
بِبَيْكَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ <sup>(٢)</sup> .

(١) سورة النساء ١٤٢ .

(٢) سورة السكف ١١٠ .

ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً ﴾ <sup>(١)</sup> .

ومنها قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ • الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَتَمَتَّعُونَ بِالْمَأْكُونِ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

ومن الأخبار النبوية قوله صلى الله عليه وآله ، وقد سأله رجل : يا رسول الله ، فيم البعجة ؟ فقال : « ألا تعمل بطاعة الله وتريد بها الناس » .

وفي الحديث : « مَنْ رَأَى رَأَى اللَّهَ بِهِ ، وَمَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهَ بِهِ » .

وفي الحديث : « إِنْ أَلْفَ تَمَالَى بِقَوْلِ الْفَلَّاحَةِ : إِنْ هَذَا الصِّلَ لَمْ يَرُدْ صَاحِبُهُ بِهِ وَحَمِي ، فَاجْلُوهُ فِي سَجَتَيْنِ » <sup>(٣)</sup> .

وقال صلى الله عليه وآله : « إِنْ [حَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكَ الشَّرْكَ الْأَصْفَرُ] ، قَالُوا : وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْفَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « الْفَرِيضَةُ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا جَازَى الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ : اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تَرَاءَوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، فَاطْلُبُوا جَزَاءَكُمْ مِنْهُمْ » .

وفي حديث شداد بن أوس : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْكِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا يَبْكِيكَ ؟ قَالَ : « إِنِّي تَخَوُّتُ عَلَى أُمَّتِي الشَّرْكَ ، أَمَّا إِنَّهُمْ لَا يَعْبُدُونَ صُنَا وَلَا شِمَا وَلَا قُرَا ، وَالْكَفَّهِمْ يَرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ » .

ورأى عمرُ رجلاً يتخشم ، وبَطَّأَ رَقَبَتَهُ فِي مَشْيِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا صَاحِبَ الرِّقَبَةِ ، ارْفَعْ رَقَبَتَكَ ، لَيْسَ الْخُشُوعُ فِي الرِّقَبِ .

ورأى أبو أمامة رجلاً في السعد يبكي في سجوده ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتِ أُمْتُ لَوْ كَانَ هَذَا

فِي يَدَيْكَ !

(١) سورة الإنسان ٩ .

(٢) سورة الماعون ٥ - ٧ .

(٣) صحيح : وادى بهم .



وقال علي عليه السلام : للعراف أربعة علامات : يكسل إذا كان وحده ، ويفشط إذا كان في الناس ، ويزيد في العمل إذا أتى عليه ، وينقص منه إذا لم يثن عليه .

وقال رجل لعبادة بن الصامت : أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد به وجهه ومحمدة الناس ، قال : لا شيء لك ، فسأله ثلاث مرات ، كل ذلك يقول : لا شيء لك ! ثم قال في الثالثة : يقول الله تعالى : أنا أغنى الأغنياء عن الشرك . . . الحديث .

وخرب عمر رجلاً بالدرية ، ثم ظهر له أنه لم يأت جرماً ، فقال له : اقصص مني ، فقال : بل أدعها لله وقت ، قال : ما صنعت شيئاً ! إما أن تدعها لي فأعرف ذلك لك ، أو تدعها لله وحده .

وقال الحسن : لقد صحبت أئمة ، إن كان أحدهم لتمرّض له الكلمة لو نطق بها لنفعته ونعت أصحابه ، ما يمنعه منها إلا غفلة الشهرة ، وإن كان أحدهم ليمر فيرى الأذى على الطريق فما يمنعه أن ينحني إلا غفلة الشهرة .

وقال الفضيل : كانوا يرامون بما يعملون ، وصاروا اليوم يرامون بما لا يعملون .

وقال مسكرمة : إن الله تعالى يسلي العبد على يتيه ما لا يعطيه على عمله ؛ لأن العبد لا يرباه فيها .

وقال الحسن : للرافي يريد أن يعلب قدير الله تعالى ، هو رجل سوء ، يريد أن يقول الناس : هذا صالح ؛ وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأرداء<sup>(١)</sup> ، فلا بد لقلوب المؤمنين أن تعرفه .

وقال قتادة : إذا رآني العبد ، قال الله تعالى لللائكة : انظروا إلى عبدي يستهزئ بي .

وقال الفضيل : من أراد أن ينظر مرآة فليظفر إلى .

(١) أرداء : جمع ردى .

وقال محمد بن المبارك الصوري: أظهِرَ السُّنْتَ<sup>(١)</sup> بِالْقَلِيلِ ، فَإِنَّهُ أَشْرَفُ مِنْ مَحْتِكِ النَّهَارِ ؛  
فَإِنَّ سَمْتَ النَّهَارِ لِلْمَطْوِقِينَ ، وَسَمْتَ الْقَلِيلِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ .

وقال إبراهيم بن أدهم : مَا صَدَقَ اللَّهُ مِنْ أَحَبِّ أَنْ يَشْتَهَرَ .

وَمِنَ الْكَلَامِ الْمَرْقُوعِ إِلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ  
فَلْيَذْهَبْ رَأْسَهُ وَلِحْيَتَهُ ، وَلْيَمْسَحْ شَفَتَيْهِ ، لئَلَّا يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ صَائِمٌ . وَإِذَا أَعْطَى يَمِينَهُ ،  
فَلْيُخَفِّفْ عَنْ شِمَالِهِ ، وَإِذَا صَلَّى فَلْيَمْزِجْ سِتْرَ بَابِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْسِمُ الثَّناءَ كَمَا يَقْسِمُ الرِّزْقَ .  
وَمِنَ الْكَلَامِ بَعْضُ الصَّالِحِينَ : آخِرُ مَا يَخْرُجُ مِنْ رُءُوسِ الصَّادِقِينَ حُبُّ الرِّيَاسَةِ .

وَرَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ : « بِحَسَبِ الْمَرْءِ مِنَ الشَّرِّ -  
إِلَّا مَنْ عَصَاهُ اللَّهُ مِنَ السُّوءِ - أَنْ يُشِيرَ النَّاسُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ؛ إِنْ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ  
إِلَى صُورِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ » .  
وَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : تَبَذَّلْ لِإِشْتِهَارٍ ، وَلَا تَرْفَعْ شَخْصَتَكَ لِتُذَكَّرَ بِعَمَلٍ ، وَاسْكُتْ  
وَاصْبِرْ تَسْلِمًا ، تَسْرُ الْأَبْرَارَ ، وَتَهَيِّظُ الْمَعَارَ .

وَكَانَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ إِذَا كَثُرَتْ حَافَتُهُ قَامَ بِمَحَامِدِ الشَّهْرَةِ .

وَرَأَى طَلْحَةَ بْنَ مَرْثَدٍ قَوْمًا يَمْشُونَ مَعَهُ عَشْرَةَ ، فَقَالَ : فَرَّاشُ نَارٍ ،  
وَذِي بَنٍ طَمَعٍ .

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ حَنْظَلَةَ : بَيْنَا عَيْنُ حَوَالِي أَبِي نِ كَمْبِ عَيْنِي ، إِذْ رَأَى عُرْفَ هَمْلَاءَ  
بِالدُّرَةِ ، وَقَالَ لَهُ : انْظُرْ مَنْ حَوْلَكَ ! إِنَّ الَّذِي أَسْتَ فِيهِ ذِلَّةٌ لِلتَّابِعِ ، فَهَنَةٌ لِلْمَتَّبِعِ .

وَحَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ مِنْ مَنْزِلِهِ ، فَاتَّبَعَهُ قَوْمٌ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ : عَلَامَ تَتَّبِعُونِي ؟  
فَوَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَعْنَى مَا أُغْلِقُ عَلَيْهِ بَابِي لَمَا تَبِعْتُمْنِي مِنْكُمْ أَثْنَانِ .

وَقَالَ الْحَسَنُ : خَفَقَ التَّعَالِ حَوْلَ الرِّجَالِ مَا يُخَبِّتُ عَلَيْهِمْ قُلُوبَ الْحَقِيقِ .

وروى أن رجلاً صعبَ الحسن في طريق ، فلما فارقه قال : أوصني رَحِمَكَ اللهُ !  
قال : إن استطعتَ أنْ تُعرِفَ ولا تُعرَفَ ، وتُمِشَّ ولا يُمَشَّ بِكَ ، وتَسْأَلَ  
ولا تُسْأَلَ ، فافعل .

وخرج أيوب السُّخْتِيَانِي فِي سَعَرٍ ، فَشِيعَهُ قَوْمٌ ، فَقَالَ : لَوْلَا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مِنْ  
قَلْبِي أَنِّي لَهَذَا كَارِهِ ، تَخَشَّيْتُ الْمَقْتَ مِنَ اللَّهِ .

وعوتب أيوب على تطويل قِيَصِهِ ، فَقَالَ : إِنَّ الشَّهْرَةَ كَانَتْ فِيَا مَعْنَى فِي طَوْلِهِ ، وَهِيَ  
الْيَوْمَ فِي قِصَرِهِ .

وقال بعضهم : كُنْتُ مَعَ أَبِي قُلَابَةَ ، إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَيْهِ كِسَاءً ، فَقَالَ : إِنِّي كَمْ وَهَذَا  
الْحَارِ النَّاهِقُ - بِشِعْرِ بِهِ إِلَى طَالِبِ شَهْرَةٍ .

وقال رجل لبشر بن الحارث : أوصني . قال : أَتُخَلِّ ذِكْرَكَ ، وَطَيْبَ مَطْعِكَ  
وَكَانَ حَوْشَبٌ يَبْكِي وَيَقُولُ : بَلِّغْ اسْمِي لِلْمَسْجِدِ الْجَامِعِ .

وقال بشر : مَا أَعْرِفُ رَجُلًا أَحَبَّ أَنْ يَعْرِفَ إِلَّا ذَهَبَ دِينُهُ وَانْقَصَحَ .

وقال أيضاً : لَا يَجِدُ حِلَاةَ الْأَحْرَةِ رَجُلٌ يَحِبُّ أَنْ يَعْرِفَهُ النَّاسُ .

فهذه الآثار قليل مما ورد عن الصالحين رحمهم الله في ذم الرياء وكون الشهرة طريقاً إلى الفتنة .



### [ فصل في مدح الخول والجنوح إلى العزلة ]

وقد صرح أمير المؤمنين عليه السلام في مدح الأبرار - وهم القسم الخامس - بمدح

الخول ، فقال : « قَدْ أَخْلَسَهُمُ التَّنْفِيَةُ » - بمعنى الخوف .

وقد ورد في الأخبار والآثار شيء كثير في مدح الخول .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « رَبِّ اشْفَعْ أَغْبِرْ ذِي طَمَرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ ،

لو أقسم على الله لأبره قسمة . وفي رواية ابن مسعود : « رب ذري طمحين لا يؤابيه له ، ولو سأل الجنة لأعطيها » .

وفي الحديث أيضاً عنه صلى الله عليه وسلم : « ألا أدلكم على أهل الجنة ؟ كل ضعيف مستضعف ، لو أقسم على الله لأبره ؛ ألا أدلكم على أهل النار ؟ كل متكبر جَوَاطِءٌ <sup>(١)</sup> . وعنه صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة الشعث العُبر ، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم ، وإذا خطبوا لم يُنكحوا ، وإذا قالوا لم ينصت لهم ؛ حواشي أحدهم تنلجج في صدره ، لو قسيم نورهم يوم القيامة على الناس لو سمعهم » .

وروى أن عمر دخل المسجد ، فإذا بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما بك ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن للبير من الرياء اثراثة ، وإن الله يحب الأتقياء الأحنفاء ، الذين إذا عابوا لم يفتقدوا ، وإذا حصروا لم يترقوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، يتنجون من كل عباء مظلمة » . وقال ابن مسعود : كونوا بياض العلم ، مصابيح الهدى ، أحلام البيوت . سُرُج الليل ، جدد القلوب ، حنقان الثياب ، تترقون عند أهل السماء ، وتحفون عند أهل الأرض .

وفي حديث أبي أمامة ، يرفعه . « قال الله تعالى : إن أغبط أوليائي أصدق مؤمن ، خفيف الحاذق <sup>(٢)</sup> ، ذو حظ من صلاة ، وقد أحسن عبادة ربه ، وأطاعه في السر ، وكان فاضلا في الناس ، لا يُشار إليه بالأصابع » .

وفي الحديث : « السعيد من حَمَلَ صيته ، وقلَّ قرانه ، وسهلت منيته ، وقلَّت بواكيه » .

(١) الجَوَاطِءُ : الخروع الوح

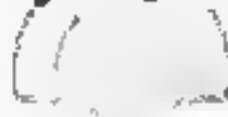
(٢) الحاذق والحال واحد ، وأصل الحاذق طريقه الق ، وهو ما جمع عليه اليد من ظهر الفرس ؛ أي خفيف الظهر من العيال . نهاية ابن الأثير .

وقال الفضيل : رُوي لي أن الله تعالى يقول في بعض ما يمن به على عبده : ألم أنم عليك ! ألم أسترك ! ألم أنخل ذكرك !

وكان الخليل بن أحمد يقول في دعائه : اللهم اجعلني عندك من أرفع خَلْقِكَ ، واجعلني عند نفسي من أَوْضَحِ خَلْقِكَ ، واجعلني عند الناس من أَوْسَطِ خَلْقِكَ .

وقال إبراهيم بن أدهم : ما قرئت عيني ليلة قط في الدنيا إلا مرة ، بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام ، وكان لي علة البطون ، فعزني المؤذن يرجلي حتى أخرجني من المسجد .

وقال الفضيل : إن قَدَرْتَ على ألا تُعرف ، فأفضل ، وما عليك ألا تعرف ! وما عليك ألا بُنِيَ عليك ! وما عليك أن تكون مدموما عند الناس ! إذا كنت محمواً عند الله تعالى !



فإن قيل : فاقولك في شهرة الأنبياء والأئمة عليهم السلام ، وأكابر الفقهاء المجتهدين ؟  
 قيل : إن الذموم طلب الشهرة ؛ فأما وجودها من الله تعالى من غير تكلف من العبد ولا طلب فليس بـذموم ؛ بل لا بد من وجود إنسان يشتهر أمره ؛ فإن بطريقه يتصلح العالم ؛ ومثال ذلك العرق الذين بيدهم غريق ضعیف ، الأولى به ألا يعرفه أحد منهم ، لئلا يتعلق به فيهلك ويهلكوا معه ؛ فإن كان بينهم سائح قوي مشهور بالقوة ، فالأولى ألا يكون مجهولاً ، بل ينبى أن يعرف ليتعلقوا به ، فينحو هو ويتخلصوا من الفرق بطريقه .

( ٣٣ )

ومن خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة :

الأصل :

قال عبد الله بن العباس : دخلت على أمير المؤمنين بذى قار وهو يخصف نعله ، فقال لي : ما قيمة هذا العمل ؟ قلت : لا قيمة لها ، فقال : والله ليهي أحب إلي من إمرئكم ؛ إلا أن أقيم حقاً ، أو أُدفعَ باطلاً ، ثم خرج فخطب الناس فقال :  
 إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا وَلَا يَدْعِي نُبُوَّةً ؛ فَسَاقَ النَّاسَ حَقَّ تَوَاهُمُ مَحَلَّتْهُمْ ، وَبَلَّغَهُمْ مَتَجَانَّهُمْ ، فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ ، وَأَطَاعَتْ صَفَاتُهُمْ .

أما والله إن كنتُ لفي ساقِها ، حتى ولتُ بِمَحْدَافِيرِها ؛ ما ضفت ولا جِبتُ ، وإنْ مَسِيرِي هَذَا لِيَمِثِلِها ؛ فَلَا تُقْبَلُ الْبَاطِلَ حَقٌّ بِمُخْرَجِ الْحَقِّ مِنْ جَنْبِهِ .

مَا لِي وَلِقُرَيْشٍ أَوْ أَهْلِهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ ، وَلَأَقَاتِلُهُمْ مَفْتُونِينَ ؛ وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ . وَاللَّهِ مَا تَنْفَعُ مِنَّا قُرَيْشٌ إِلَّا أَنْ اللَّهَ اخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ ، فَأَدْخَلَنَاهُمْ فِي حَبْرِنَا ، فَكَانُوا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

أَدْنَتْ لِعَمْرِي شُرْبَكَ الْمَحْضَ صَاحِبًا      وَأَكَلَتْ بِرَبْدٍ لُقْشَرَةَ الْبُجْرِ<sup>(١)</sup>  
 وَنَحْنُ وَهَيْئَكَ الْعَلَاءَ وَلَمْ تَكُنْ عَلِيًّا ، وَحُطْنَا حَوْلَكَ الْجُرْدَ وَالشُّرَا

## البَرْج :

ذوقار : موضع قريب من البصرة ، وهو المكان الذي كانت فيه الحرب بين العرب والفرس ، ونصرت العرب على الفرس قبل الإسلام .  
ويخفيف نعله ، أى يخرزها .

ويؤام محلتهم : أسكنهم مزلما ، أى ضرب الناس بسيفه على الإسلام حتى أوصلهم إليه ، ومثله « وبلغهم منعائهم » إلا أن فى هذه الفاصلة ذكر النجاة مصترحا به .

فاستقامت قنائهم : استقاموا على الإسلام ، أى كانت قنائهم معوجة فاستقامت .  
واطمأت صفائهم : كانت متقلبة متولدة ثم فاطمأت واستقرت .  
وهذه كلها استعارات

نم أقسم أنه كان فى ساقها حتى تولت عداويرها ؛ الأصل فى « ساقها » أن يكون جمع سائق كعائض وحاض ، وحائك وحاقة ، ثم استعملت لفظة « الساق » للأخير ، لأن السائق إنما يكون فى آخر الزكب أو الجيش .

وشبه عليه السلام أمر الجاهلية ؛ إما سحاحة ثائرة ، أو بكيفية مقبلة للحرب ، فقال : إني طردتها فولت بين بدى ، ولم أزل فى ساقها أما أطردوها وهى تنطرد أمانى ؛ حتى تولت بأمرها ولم يبق معها شيء ، ما هجرت عنها ، ولا جئنت منها .

ثم قال : وإن مسيرى هذا ليثيا ، فلا تقين الباطل ؛ كأنه جعل الباطل كشيء قد اشتمل على الحق ، واحتوى عليه ، وصار الحق فى طية ، كالشيء الكامن المستتر فيه ، فأنقسم ليقين ذلك الباطل إلى أن يخرج الحق من جنبه .

وهذا من باب الاستعارة أيضا .

ثم قال : « لقد قاتلت فريشا كافرين ، ولأقاتلهم مفتوبين » ؛ لأن الباغي على الإمام مفتون فاسق .

وهذا الكلام يؤكد قول أصحابنا : إن أصحاب صفين والجل ليسوا بكفار ؛ خلافا للإمامية ، فإنهم يزعمون أنهم كفار .

\*\*\*

### [ خبر يوم ذى قار ]

روى أبو مخنف عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ريد بن علي ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلنا مع علي عليه السلام ذا قار ، قلت : يا أمير المؤمنين ، ما أقل من يأتيك من أهل الكوفة فيما أظن ؟ قال : ( والله ليأتيني ) منهم ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلا ؛ لا يزيدون ولا ينقصون .

قال ابن عباس : فدخلني والله من ذلك شك شديد في قوله ، وقلت في نفسي : والله إن قدموا لأعدتهم .

قال أبو مخنف : حدث ابن إسحاق ، عن محمد بن عبد الرحمن بن يسار ، قال : فرأى علي عليه السلام إلى ذى قار من الكوفة في البحر والبر ستة آلاف وخمسمائة وسبعون رجلا ؛ أقام علي بن ذى قار خمسة عشر يوما ، حتى سمع صهيل الخيل وشعيج البغال حوله . قال : فلما سار بهم ، نقله <sup>(١)</sup> ، قال ابن عباس : والله لأعدتهم ، فإن كانوا كما قال ، وإلا أتمتهم من غيرهم ؛ فإن الناس قد كانوا سمعوا قوله . قال : فمرضتهم هو الله ما وجدتهم يزيدون رجلا ، ولا ينقصون رجلا ، فقلت : الله أكبر ! صدق الله ورسوله ! ثم سرنا . قال أبو مخنف : ولما بلغ حديفة بن اليمان أن عيا قد قدم ذا قار ، واستنقروا للناس ، دعا

(١) للفظ : مرحلة السفر .



أصحابه فوعظهم وذكرهم الله وزهدهم في الدنيا ، ورغبهم في الآخرة ، وقال لهم : الحقوا  
بأمر المؤمنين ووصي سيد المرسلين ، فإن من الحق أن تنصروه ؛ وهذا الحسن ابنه وعمار  
قد قدما الكوفة يستنفران الناس ، فانيروا .

قال : فنفر أصحاب حذيفة إلى أمير المؤمنين ، ومكث حذيفة بعد ذلك خمس عشرة  
ليلة ، وتوفي رحمه الله تعالى .

قال أبو مخنف : وقال هاشم بن عتبة الميراث ، يذكر نفورهم إلى علي عليه السلام :

وَسِرْنَا إِلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا      عَلَى عَلَيْنَا أَنَا إِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ  
نُوقِرُهُ فِي فَضْلِهِ وَنُحِبُّهُ      وَفِي اللَّهِ مَا تَرْجُو وَمَا تَتَوَقَّعُ  
وَنُخَصِّفُ أَصْفَافَ الْحَقِّ عَلَى الْوَجَا      وَفِي اللَّهِ مَا تَرْجُو وَفِي اللَّهِ نُوَضِّعُ  
دَلَفْنَا بِجَمْعِ آثَرُوا الْحَقَّ وَاللَّهْدَى      إِلَى كَيْ تَقَى فِي نَصْرِهِ نَتَسَرَّعُ  
نُكَافِحُ عَنْهُ وَالشُّيُوبُ شَهِيرَةٌ      تَصَافِحُ أَهْلَ الرِّجَالِ فَتَقْطَعُ

قال أبو مخنف : فلما قدم أهل الكوفة على علي عليه السلام ، سلموا عليه ، وقالوا :  
الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي احتصنا بموارثتك ، وأكرمنا بنصرتك ؛ قد أجبناك  
طائعين غير مكرهين ، فمرنا بأمرك .

قال : فقام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله وقال :

مرحباً بأهل الكوفة ، بيوتات العرب ووجوها ، وأهل الفضل وفراسها ، وأشد  
العرب مودة لرسول الله صلى الله عليه ولأهل بيته ؛ ولذلك بعثت إليكم واستنصرتكم  
عند قمى طلحة والزبير بنيتي ، عن غير جورٍ مني ولا حديث ؛ وأمرى لو لم تنصروني  
بأهل الكوفة ؛ رجوت أن يكفيني الله غوغاء الناس ، وطعام أهل النصرة ، مع أن عامة  
من بها ووجوها وأهل الفضل والدين قد اعتزلوها ، ورغبوا عنها .

فقام رموس القبائل فخطبوا وبنلوا له النصر ، فأمرهم بالرحيل إلى البصرة .

( ٣٤ )

ومن خطبة له عليه السلام في استنفار الناس إلى أهل الشام :

الأصل :

أَعْلَمُكُمْ ! أَقْدَرُكُمْ ! أَرْصَبُكُمْ ! بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ عَوَصًا ،  
وَبِالْقُلُوبِ مِنَ الْبَرِّ خَلْفًا ! إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادٍ عَدُوَّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ ؛ كَأَنَّكُمْ  
مِنَ الْمَوْتِ فِي عَمْرٍو ، وَمِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ .

يُرْتَجِعُ عَلَيْكُمْ حِوَارِي فَتَمْتَهُونَ ؛ فَكُنَّا قُلُوبَكُمْ مَا لَوْسَةً ، فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ .  
مَا أَنْتُمْ لِي بِشَقِيحٍ سَجِيسٍ الْقَهَالِي ، وَمَا أَنْتُمْ بِرَأْسِي بِمَا لَكُمْ ، وَلَا زَوَافِرٍ عِزٍّ  
بِفَتْحِ لَيْسِكُمْ . مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَالْبِلِّ صُلِّ رُءُوسُهَا ؛ فَكُلَّمَا بُجِعَتْ مِنْ حَاوِيٍّ انْفَشَرَتْ مِنْ آخَرَةٍ .

لَيْسَ لَعَنُوا اللَّهَ سَعْرًا نَارًا لُحْرَبِ أَنْتُمْ ! انْكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ ، وَتَنْتَقِمُ أَطْرَافُكُمْ  
فَلَا تَمْتَمِضُونَ ؛ لَا بُنَامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَدَاةٍ سَاهُونَ . غَلَبَ وَاللَّهِ التَّخَاذِلُونَ !

وَأَيْتُمُ اللَّهَ ؛ إِيَّيْ لَا ظُنُّكُمْ أَنْ لَوْ جِئْتُمُ الْوَعْدَ ، وَأَسْتَحَرَّ لِلْمَوْتِ ؛ قَدْ أَنْفَرَجْتُمْ عَنْ  
أَبْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنْفِرَاجَ الرَّاسِ .

وَاللَّهِ إِنْ أَمْرًا يُمَسْكَنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ ؛ يَفْرُقُ لَحْمَهُ ، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ ، وَيَفْرِي جِلْدَهُ ،  
لَعَلَّيْمْ تَجْزُهُ ، ضَعِيفٌ مَا ضَعُتْ عَلَيْهِ جَوَائِمُ صَدْرِهِ .

أَنْتَ فَسَكَنَ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ ؛ فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالشَّرْقِيَّةِ  
تَعْلِيْقُ مِنْهُ فَرَّاشُ الْهَامِ ، وَتَطْيِيجُ السَّوَادِ وَالْأَفْدَامِ ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ .  
أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالْصِّبْحَةُ

لَكُمْ ، وَتَوْفِيرُ قَتِيلِكُمْ عَلَيْكُمْ ، وَتَمْنِيُكُمْ كَيْلًا تَجْمَعُوا ، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمًا تَعْلَمُوا .  
وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَأَلَوْفَاءُ بِالْبَيْعَةِ ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الشَّهَادَةِ وَالْعَيْشِ ، وَالْإِحَابَةُ حِينَ  
أَدْعُوكُمْ ، وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ .

\*\*\*

### الْبَرْخُ :

أَفِي لَكُمْ : كلمة استقذار ومهانة ؛ وفيها لغات . وبرنج : يملق . والحوار : المحاورة  
والمخاطبة . وَتَمْنِيُونَ : من التمه وهو التعير والتردد ، الماضي منه بالكسر .

وقوله : « دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ » من قوله تعالى : ﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَفَرًا تَمَشُّوا عَلَيْهِ مِنْ  
اللَّوْنِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ومن قوله : ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَبُ عَلَيْهِ مِنَ اللَّوْنِ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وقلوبكم مألوسة ، من الألسن والمكسكون قلام . وهو الجنون واختلاط العقل .

قوله : « مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي » كلمة تعال للأمد ، تقول : لا أفعله سَجِيسَ  
اللَّيَالِي ، وسَجِيسَ مُجْمِيسَ ، وسَجِيسَ الْأَوْجَسِ ، معنى ذلك كله الدهر ، والزمان ، وأبدا .

قوله : « مَا أَنْتُمْ مَرَكَنُ يُبَانُ بَكُمْ » ، أى لستم بركن يستند إليكم ، ويُبال على العدو  
بمَرْكَمٍ وقوتيك .

قوله : « وَلَا زَوَافِرِيزَ » ، جمع رافرة ، وزافرة الرجل : أنصاره وعشيرته ؛ ويجوز أن يكون  
زَوَافِرِيزَ ، أى حوامل غير ، رفرت الجمل أزفراه زفرا ، أى حملته .

قوله : « سَعَرُ نَارِ الْحَرْبِ » جمع ساعر ، كقولك : قوم كظم للغيظ ، جمع كاظم ،

(١) سورة محمد ٢٠ .

(٢) سورة الأحزاب ١٩ .

وتمنعون : تأخون وتفضبون . وحس الوغى ؛ اشتد ، وأصل الوغى الصوت والجلبة ، ثم سميت الحرب نفسها وعى ، لما فيها من الأصوات والجلبة . واستعرت اللوت ، أى اشتد .

وقوله : « اعرجم انفراج الرأس » ، أى كما ينفلق الرأس فيذهب نصفه يمنة ونصفه شامة . والمشرقية : السيوف المنسوبة إلى مشارف ، وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف ، ولا يقال : مشارف ، كما لا يقال : جمافرى ، لمن ينسب إلى جمافر .

وعراش الهام - المعظام الخفيفة تلى النصف

وقال الزاويدي في تفسير قوله « انفراج الرأس » أراد به انفرجتم حتى رأسا ، أى قطعاً ، وعرفته بالألف واللام ، وهذا غير صحيح لأن « رأسا » لا يرف . قال : وله تفسير آخر ؛ أن يكون المعنى انفراج رأس بن أذن رأسه إلى غيره ، ثم حرف رأسه عنه .

وهذا أيضاً غير صحيح ، لأنه لا اختصاصية للرأس فن ذلك ، فإن اليد والرجل إذا أديتهما من شخص ، ثم حرفتهما عنه فقد انفرج ما بين ذلك العضو وبينه ، فأى معنى لتخصيص الرأس بالذكور ؟

فأما قوله : « أنت فكن ذاك » فإنه إما مخاطب من يمكن عدوه من نفسه كأنه من كان ؛ غير معين ولا مخصص ؛ ولكن الرواية وردت بأنه خاطب بذلك الأشعث بن قيس ، فإنه روى أنه قال له عليه السلام وهو يخطب ويلوم الناس على تبليطهم وتقاعدهم : هَلَا فَعَلْتَ فَعَلَ ابْنُ عَفَّانٍ ؟ فقال له : « إن فعل ابن عفان خفراً على من لا دين له ، ولا وثيقة معه ، إن أمراً أمكن عدوه من نفسه يهشم عظمه ، ويغري جلده ، لضعيف رأيه مأفون عقله . أنت فكن ذاك إن أحببت ، فأما ما قدون أن أعطى ذاك ضرباً بالمشرقية . . . الفصل .

ويمكن أن تكون الرواية صحيحة ، والخطاب عام لكل من أمكن من نفسه ، فلا منافاة بينهما .

وقد نظمت أنا هذه الألفاظ في أبيات كتبتها إلى صاحب لي في ضمن مكتوب اقتضاها ، وهي :

إِنَّ أَمْرًا أُمُكِّنَ مِنْ نَفْسِي	عَسَدُوهَ يَجْدَعُ آرَابَهُ <sup>(١)</sup>
لَا يَدْفَعُ الضَّيْمَ وَلَا يَفْكُرُ اللَّهَ	لَا وَلَا يُنْجِيهِنَّ جِلْبَابَهُ
لَقَائِلُ الرَّأْيِ ضَعِيفُ الْقُوَى	قَدْ صَرَمَ الْخِذْلَانُ أَشْبَابَهُ
أَنْتَ فَكُنْ ذَلِكَ فَإِنِّي أَسْرُو	لَا يَرْهَبُ الْخَطْبَ إِذَا نَابَهُ
إِنْ قَالَ دَهْرٌ لَمْ يُطِيعْ أَوْ شَجَا	هَلْ قَمَّ أَذْرَدَ أَثْيَابَهُ <sup>(٢)</sup>
أَوْ سَامَتْهُ الْخُفَاتَى وَانْصَى	لَا وَنَ مَرَامِ الْخُفِّ قِرْصَابَهُ <sup>(٣)</sup>
أَخْزَرُ غَضَّانُ شَدِيدِ السُّطَا	يَهْدِرُ أَنْ يَسْتَرْكَ مَرَابَهُ

خطب أمير المؤمنين عليه السلام هذه الخطبة ، بعد قراءته من أمر الخوارج ، وقد كان قام بالتهروان ، فحيد الله وأثنى عليه ، وقال :

أما بعد ، فإن الله قد أحسن نصركم ، فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم من أهل الشام .

فقاموا إليه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، نيفت ربنا ، وكنت سيوفنا ، وانصلت<sup>(٤)</sup> أسنة رماحنا ، وعلدا كثيرا قصدا<sup>(٥)</sup> . ارجع بنا إلى مصرنا ، نستمد بأحسن عدتنا ؛ وأهل أمير المؤمنين يزيد في عددنا مثل من هلك منا ، فإنه أقوى لنا على عدونا .

(١) آرابه : جمع إرب ؛ وهو العدو .

(٢) شجابه : فتحه . والفرد : سقوط الأساس .

(٣) القرصاة : السيف .

(٤) انصلت : انهدمت .

(٥) قصدا : جمع قصدة ؛ وهي القطعة من الثبالة أو الرمح .

فكان جوابه عليه السلام : ( يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ  
لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا حَاسِرِينَ )<sup>(١)</sup> .  
فلسكنوا عليه ، وقالوا إن البرد شديد .

قال : إنهم يجحدون البرد كما تجدون فلكثروا وأبوا ، قال : أفليس لكم الإنهاضة  
جرت ، ثم تلا قوله تعالى : ( قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنُذْخِلُكَ أَهْلَ  
يَمْرِجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ )<sup>(٢)</sup> .

فقام منهم ناس فقالوا : يا أمير المؤمنين ، الجراح<sup>(٣)</sup> فاشية في الناس سوكان أهل الهرعان  
قد أكثروا الجراح في عسكر أمير المؤمنين عليه السلام - فارجع إلى الكوفة ، فأقم بها  
أياماً ثم اخرج ، خاف الله لك

فرجع إلى الكوفة عن غير رضا .

[ أمر الناس بعد وقعة الهرعان ]

وروى نصر بن مراحم ، عن عمر بن سعد ، عن أمير بن وعلجة ، عن أبي وذك ، قال :  
لما كره القوم السير إلى الشام عقيب واقعة الهرعان ، أقبل بهم أمير المؤمنين ، فأرزم  
السخيلة ، وأمر الناس أن يلزموا معسكرهم ، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم ، وأن يقلوا  
زيارة النساء وبائسهم ؛ حتى يسير بهم إلى عذوم ؛ وكان ذلك هو الرأي لو فعلوه ؛ لكنهم  
لم يفعلوا ، وأقبلوا ينسللون ويدخلون الكوفة فتركوه عليه السلام ومعه من الناس إلا  
رجالاً من وجوههم قليل ، وبقي العسكر حالياً ، فلا من دخل الكوفة خرج إليه ، ولا  
من أقام معه صبر . فلما رأى ذلك دخل الكوفة .

(٢) - سورة المائدة ٢٢

(١) - سورة المائدة ٢١

(٣) الجراح : جمع جراحة

قال نصر بن مزاحم : نخطب الناس بالكوفة ، وهي أول خطبة خطبها مدقوده من حرب الخوارج ، قال :

أيها الناس ؛ استمذّبوا لقتال عدوّ في جهادهم القرّة إلى الله عزّ وجلّ ، ودرك الوسيّة عنده ؛ قوم جباري عن الحقّ لا يبصرونه ، موزعين<sup>(١)</sup> بالخوّر والظلم لابسدون به ، جفأة عن الكتاب ، نكّب عن الدين ، يعمّهون في الطفياض ، ويتسكّمون في غمرة الضلال ، فأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ، وتوكلوا على الله ، وكفى بالله وكيلا .

قال : فلم ينفروا ولم ينشروا<sup>(٢)</sup> ، فتركهم أباها ، ثم خطبهم ، فقال : أفبكم لكم القدر شئت عنّاكم . أرسيتم بالحياة الدنيا من الآخرة حوضا . الفصل الذي شرحناه آنفا إلى آخره . وزاد فيه : « أنتم أسود الثرى في المرعّة ، وتعال روضة حين البأس . إن أخوا الحرب اليقظان ؛ ألا إن الملوب مقهور وسلوب » .



وروى الأعمش عن الحكم بن عتيبة ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : سمعت عليا عليه السلام على منبر الكوفة ، وهو يقول :

يا أبناء المهاجرين ؛ انفروا إلى أئمة الكفر ، وبقية الأعراب ، وأولياء الشيطان . انفروا إلى من يقاتل على دم تحال الخطايا ، فوقه الذي قتل الحبة ، وبرا النّمة ؛ إنه ليحتمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزانهم شيئا .

قلت : هذا قيس بن أبي حازم ؛ وهو قد روى حديث : « إنكم لترون ربكم يوم القيامة ، كما ترون القمر ليلة البدر لأنضامون في رؤيته » . وقد طعن مشايخنا المتكلمون فيه ، وقالوا : إنه طاسق ، ولا تحل روايته ؛ لأنهم قالوا : إن سمعت عليا يحطّ على منبر الكوفة ،

(١) يقال : أوزعه الناس ، إذا أعراه .

(٢) لم ينشروا : أي لم ينفروا .

ويقول : انظروا إلى بقية الأحراب ؛ فأبعضه ، ودخل بُنصه في قلبي ، ومن يُبغض عليا عليه السلام لا تقبل روايته .

فإن قيل : فما يقول مشايخكم في قوله عليه السلام : « انظروا إلى مَنْ يُقاتل على دَمِ حَمَالِ الخطايا » ؟ أليس هذا طعنًا منه عليه السلام في عثمان ؟

قيل : الأشهرُ الأكثرُ في الرواية صدر الحديث ، وأما مجز الحديث فليس بمشهور تلك الشهرة ، وإن صحَّ حملناه على أنه أراد به معاوية ؛ وسعى ناصريه مقاتلين على دمه ، لأنهم يُحامون عن دمه ، ومن حامي عن دَمِ إنسان فقد قاتل عليه .

وروى أبو نُعَيْمُ الحافظ ، قال : حدثنا أبو عاصم الثقفى ، قال . جاءت امرأة من بني عتبى إلى علي عليه السلام ، وهو يحطب بهذه الخطبة على منبر الكوفة ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، ثلاثٌ يذهبُنَّ القلوبَ عليك ، قال : وما هنَّ لو بحك ! قالت : رِضاكَ بالقضية ، وأخذُكَ بالدينية ، وجزاك عند السبئية . فقال : إنما أنتِ امرأة ، فاذهي فاحلسي على ذبلك ، فقالت : لا والله ما من جلوس إلا تحت ظلال السيوف .

وروى عمرو بن شمر الجعفى ، عن جابر ، عن رُفَيْعِ بْنِ فَرَقْدِ البَحَلِّ ، قال : سمعتُ عليا عليه السلام ، يقول :

يا أهل الكوفة ، لقد ضربتُكم بالدرّة التي أعطى بها السفهاء فما أراكم تنهون أو لقد ضربتُكم بالسياط التي أقيم بها الحدود ، فما أراكم ترهقون فلم يبق إلا أن أضربكم بسيفي ؛ وإنى لأعلم ما يقوّمكم ؛ ولكنى لأحب أن إلى ذلك منكم . واجبا لكم ولأهل الشام ! أميرهم ينصي الله وهم بطيعونه ، وأميركم يطيع الله وأنتم تعصونه والله لو ضربتُ خيشومَ المؤمن بسيفي هذا على أن ينصي ما أنصني ؛ ولو شئتُ الدنيا محذوفة إلى الكافر لما أحسنى ؛ وذلك أنه قضى ما قضى على لسان النبي الأُمّى أنه لا ينصني



مؤمن ، ولا يُجَنَّبِيْ كَافِرٌ ؛ وقد خَابَ مَنْ حَمَلَ غَائِبًا . واللهُ لَتَصْبِرُنَّ بِأَهْلِ الْكَوْفَةِ عَلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ قَوْمًا أَنْتُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْهُمْ فَلْيَعِزُّبْنَكُمْ أَفِينٌ قِتْلَهُ بِالسَّيْفِ تَحْمِلُونَ إِلَى مَوْتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ أَوْ اللهُ لَمَوْتُهُ عَلَى الْفِرَاشِ أَشَدُّ مِنْ ضَرْبَةِ أَلْفِ صَيْفٍ .

قلت : ما أحسن قول أبي العيَّان ، وقد قال له المتوكل : إلى متى تمدح الناس وتهجوهم ؟ فقال : ما أحسنوا وأساءوا . وهذا أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو سيِّدُ البشر بمدرسه رسول الله صلى الله عليه وآله ، يمدح الكوفة وأهلها عقيب الانتصار على أصحاب الجبل ، بما قد ذكرنا بعضه وسنذكر باقيه ، مدحاً ليس باليسير ولا بالمستصغر ، ويقول للكوفة عند نظره إليها : أهلاً بكم وأهلِك ! ما أراذك جَهَارَ بَكِيٍّ إِلَّا قَسَمَهُ اللهُ . وَيُنْبِئُ عَلَيْهَا وَعَلَى أَهْلِهَا حَسَبَ دَعَايَ النَّصْرَةِ وَصِيهِ لَهَا وَدَعَايَ عَلَيْهَا عَلَى أَهْلِهَا ، فَلَمَّا اخَذَهُ أَهْلُ الْكَوْفَةِ يَوْمَ الْحَكِيمِ ، وَتَقَاعَدُوا عَنْ نَصْرِهِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ ، وَخَرَجَ مِنْهُمْ الْخَوَارِجُ ، وَفَرَّقَ مِنْهُمْ الْمُزْتَلِقَ ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَهُمْ مَعْدُ طَمَّ بِغَيْرِهِمْ ، وَاسْتَغْفَرَ خَمَمَ فُلْمُ بَصْرٍ خَوَا<sup>(١)</sup> ، وَرَأَى مِنْهُمْ دَلَائِلَ الْوَهْنِ وَأَمَارَاتِ الْمَشْلِ ، انْتَابَ ذَلِكَ السَّدْحَ ذَمًّا ؛ وَذَلِكَ الثَّنَاءُ اسْتِزَادَةً وَتَقَرُّبًا وَتَهْنِئَةً .

وهذا أمرٌ مركوز في طبيعة البشر ، وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كذلك ، والقرآن العزيز أيضاً كذلك ، انتهى على الأنصار لما هَـصُّوا ، وَذَمَّهُمْ لِمَا قَعَدُوا فِي غِرَاةِ تَبُوكَ ، فَقَالَ : ﴿ فَرِحَ الْمَخْلُقُونَ بِعَقْدِهِمْ جِلَافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ... ﴾<sup>(٢)</sup> لَا بَاتَ ، إِلَى أَنْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، فَقَالَ : ﴿ وَقَتْلَى

(١) لم يصرخوا : لم يمشوا .

(٢) سورة التوبة ٨٩ .

الثَلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا) أى عن رسول الله (حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ رِيسًا رَحَبَتْ... )<sup>(١)</sup> الآية .

\*\*\*

[ مناقب على وذكر طُرْف من أخباره فى عدله وزهده ]

روى على بن محمد بن أبى سيف<sup>(٢)</sup> المدائنى عن فضيل بن الجند، قال : آكد الأسباب فى تقاعد العرب عن أمير المؤمنين عليه السلام أمر المال ، فإنه لم يكن بفصل شريفاً على مشروف ، ولا عريباً على عَجَسٍ ، ولا بُصانع الرؤساء وأمراء القبائل كما يصنع الملوك ، ولا يستميل أحداً إلى نفسه . وكان معاوية بخلاف ذلك ، فترك الناس عليها والتحقوا بمعاوية ؛ فشكا على عليه السلام إلى الأشتر تخاذل أصحابه ، وكره أن يرضى بهم إلى معاوية ، فقال الأشتر : يا أمير المؤمنين ! إنا قاتلنا أهل البصرة بأهل البصرة وأهل الكوفة ، ورأى الناس واحد ، وقد اختلفوا بعد ، وتمادوا وخسفت النية ، وقل العدد ، وأنت تأخذهم بالعدل ، وتعمل فيهم بالحق ، وتُتَصِفُ الوضع من الشريف ؛ فليس للشريف عندك فضل منزله على الوضع ، فضجت طائفة ممن معك من الحق إذ هُمُوا به ، واختموا من العدل إذ صاروا فيه ، ورأوا صنائع معاوية عند أهل المناء والشرف ، فتأقت أنفس الناس إلى الدنيا ، وقل من ليس للدنيا بصاحب ، وأكثروا يجتوى الحق ويشترى الباطل ، ويؤثر الدنيا ، فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين بمثل إليك أعناق الرجال ، وتصف نصيحتهم لك ، وتستغليص وُدَّهم ، صنع الله لك يا أمير المؤمنين ! وكبت أعدائك ، وفض جمعهم ، وأوهن كيدهم ، وشقت أمورهم ، إنه بما يعملون خير .

فقال على عليه السلام :

(١) سورة التوبة ١١٨ .

(٢) ب : ديوسد : والصواب ما أنبته من فهرس ابن النديم ١٠٠ ، وانظر ص ٢٠٣ من هذا الجزء

أما ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل ؛ فإن الله عز وجل يقول : ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا قَلِيلًا فَلْيَنْتَظِرْ وَمَنْ آسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَمَكُ بِظُلَامٍ لَعَمِيْدٍ﴾<sup>(١)</sup> ؛ وأما من أن أكون مقصراً فيما ذكرت أخوف .

وأما ما ذكرت من أن الحق ثقل عليهم ففارقوا لذلك ، فقد علم الله أنهم لم يفارقونا من جور ، ولا لجئوا إذ فارقونا إلى عدل ، ولم يخلصوا إلا دينا زائلة عنهم كان قد فارقوها ؛ وَلَيْسَ أَلَنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَلَلَدُنْيَا أَرَادُوا أَمْ فَهُ عَمَلُوا ؟

وأما ما ذكرت من بطل الأموال واصطناع الرجال ، فإنه لا يسعنا أن نؤتي أمراً من النبي ما كثر من حقه ، وقد قال الله سبحانه وتعالى وقوله الحق : ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup> وقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وحنه ، فكثرت بعد الحق ، وأعز فتنة بعد الذللة ، وإن يرد الله أن يولي لنا هذا الأمر ، نذل لنا صعبه ، ويسهل لنا حزنه ، وأما قائل من رأيك ما كان لله عز وجل رضا ، وأنت من آمن الناس عندي ، وأصحهم لي ، وأوثقهم في نفسي إن شاء الله .

• • •

وذكر الشعبي ، قال : دخلت الرحبة بالكوفة — وأما علام — في غلمان ؛ فإذا أنا بعلي عليه السلام قائماً على صبرتين<sup>(٣)</sup> من ذهب وفضة ، ومعه محفظة ، وهو يطرد الناس بمخففته ثم يرجع إلى المال فيقسمه بين الناس ؛ حتى لم يبق منه شيء ، ثم انصرف ولم يحمل إلى بيته قليلاً ولا كثيراً . فرجعت إلى أبي قتلت له : لقد رأيت اليوم خير الناس أو أحق الناس ، قال : مَنْ هُوَ يَا بَنِي ، قلت : علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، رآه بصنع كذا ، فقصت عليه ، فيكفي ، وقال : يا بني ، بل رأيت خير الناس .

• • •

(٢) سورة القرة ٢٤٩ .

(١) سورة فصلت ٤٦ .

(٣) الصبرة ، بالضم : ما جمع من الطعام بلا كيل ولا وزن .

وروى محمد بن فضَّيل عن هارون بن عترة ، عن راذان ، قال : انطلقتُ مع قنبر غلام على عليه السلام ، فإداهو يقول : قم يا أمير المؤمنين ، فقد خَبَّأت لك حبيثاً ، قال : وما هو ويحك ! قال : قمْ معي ، فانطلق به إلى بيته ، وإذا سرَّارة مملوءة من جَامَاتٍ ذهباً وفضة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، رأيتُك لا تتركُ شيئاً إلا قَسَمْتَهُ ، فأدخرتُ لك هذا من بيت المال ، فقال على عليه السلام : ويحك يا قنبر ! لقد أحببتُ أن تُدْخِلَ بيتي ناراً عظيمة . ثم سلَّ سيفه وخر به ضربات كثيرة ، فانثرت من بين إناء مقطوع نصفه ، وآخر ثلثه ، ونحو ذلك ، ثم دعا بالناس ، فقال : اقسِموه بالخصص ، ثم قام إلى بيت المال ، فقسَّم ما وَجَدَ فيه ، ثم رأى في البيت إيراً ومَـسَـالَ ، فقال : وَلَتَقْسِمُوا هذا ، فقالوا : لا حاجة لنا فيه . وقد كان على عليه السلام يأخذُ من كلِّ عامل مما يَـقَـبَلُ - فضحك ، وقال : لِيُؤْخَذَنَّ شَرُّهُ مع حيرِهِ .



وروى عبد الرحمن بن عجلان ، قال : كان على عليه السلام يقسم بين الناس الأبرار والخرف<sup>(١)</sup> والسكئون ، وكذا وكذا .

وروى مجمع التميمي ، قال : كان على عليه السلام يكس بيت المال كلَّ بُحْعة ، ويصلي فيه ركعتين ، ويقول : ليشهد لي يوم القيامة

وروى بكر بن عيسى عن عاصم بن كليب الجرمي ، عن أبيه ، قال : شهدتُ علياً عليه السلام وقد جاءه مال من الجبل ، فقام وقفنا معه ، وجاء الناس يزدهون ، فأخذ حبالاً فوصلها بيده ، وعقد بعضها إلى بعض ، ثم أدارها حول المال ، وقال : لا أحِلَّ لأحدٍ أن يَـمَـارِزَ هذا الخبل ، قال : فقام الناس كلُّهم من وراء الخبل ، ودخل هو ، فقال : أين رعوسُ الأشباع ؟ وكانت الكوفة يومئذ أسباعاً - فحملوا يحملون هذه الجِـوَالِقَ إلى هذه الجِـوَالِقَ ، وهذا إلى هذا ، حتى استوت القسمة سبعة أجزاء ، ووُجِدَ مع المتاع

(١) الحرب ، بالهمز : المردل .

رغيف ، فقال : اكسروه سَبْعَ كِسْرٍ ، وضموا على كل جزء كِسْرَةً ، ثم قال :  
هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كَلَّ جَانِ يَدُهُ إِلَى فِيهِ<sup>(١)</sup>

ثم أقرع عليها ودفنها إلى دروس الأسباع ، فجعل كل رجل منهم يدهو قوته  
فيحملون الجواليق .

• • •

وروى مجمل ، عن أبي رجاء ، قال : أخرج علي عليه السلام سيفاً إلى السوق ، فقال :  
مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي هَذَا ؟ فواللهي نفسُ علي يده ، لو كان عندي ثمن إزار مابعتُهُ ، فقلت له :  
أنا أبيعك إزاراً وأنسُكُ نَمَّةً إلى طائرك ، فدفعت إليه إزاراً إلى عطائه ، فلما قبض  
عطائه دفع إلى ثمن الإزار .

وروى هارون بن سعيد ، قال : قال عبيد الله بن جعفر بن أبي طالب لعلي عليه  
السلام : يا أمير المؤمنين ، لو إيمرت لي بمونة أو نفقة ! فوالله مالي نفقة إلا أن أبيع  
دابتي ، فقال : لا والله ما أحْدُثَ ثَبْتُ إِلَّا أَنْ تَأْمُرَ حَمَكُ أَنْ يَسْرِقَ فِيمَطِيكَ

وروى بكر بن عيسى ، قال : كان علي عليه السلام يقول : يا أهل الكوفة ، إذا  
أنا خرجتُ من عندكم فغير راحتي ورحلي وغلالي فلان ؛ فأما خائن فكانت نفقته  
تأتيه من غلته بالمديسة ينبع ، وكان يُطعم للناس منها الخبز واللحم ، وبأكل هو  
الزبد بالزبد .

وروى أبو إسحاق الهمداني أن سراتين أتتا علياً عليه السلام : إحداهما من العرب  
والأخرى من اللواتي ، فسألناه ، فدفع إليهما دراهم وطعاماً بالسواء ، فقالت إحداهما :

(١) البيت أنشده عمرو بن عمرو بن عدي حين كان غلاماً ، وكان يخرج مع الخدم يجشون للملك ( جديعة بن  
الأبرش ) الكساء ؛ فكانوا إذا وجدوا كداء حاراً أكلوها وأبوا بالناس إلى الملك ، وكان عمرو  
لا يأكل منه ، ويأتي به كما هو وينشد البيت . ونشر الفاموس ٤ : ٢٥٩ - ٢٦٠ ؛ وحدثني عن ورد  
مفصلاً في حلية الأولياء ١ : ٨١

لأتى امرأة من العرب، وهذه من المعجم؛ قال: إني والله لا أجدرُ لبني إسماعيل في هذا الشيء فضلاءً بنى إسحاق .

وروى معاوية بن عمار عن جعفر بن محمد عليهما السلام، قال: ما اعتلج على علي عليه السلام أمران في ذات الله، إلا أخذ بأشدهما، ولقد علمت أنه كان يأكل - بأهل الكوفة - عندكم من ماله بالمدينة؛ وأن كان ليأخذ السويق فيجعله في جراب، ويختم عليه مخافة أن يزاد عليه من غيره؛ ومن كان أرهد في الدنيا من علي عليه السلام!

وروى النضر بن منصور، عن عتبة بن علقمة، قال: دخلتُ على علي عليه السلام، فإذا بين يديه ابن حامض، آذني حوضته، يوكسرها، فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا كلُّ مثل هذا! فقال لي: يا أبا الجنوب، كان رسول الله يأكل أبيض من هذا، ويلبس أخشن من هذا - وأشار إلى ثيابه - فإن أنا لم أخذ بما أخذ به خفت ألا ألقى به .



وروى عمران بن مسلمة، عن سويد بن غفصة، قال: دخلت على علي عليه السلام بالكوفة، فإذا بين يديه قصب لبن أجدر ريمه من شدة حوضته، وفي يده رغيف، ترى قشار الشعير على وجهه وهو يكسره، وبسطين أحياتا يرُكبتُه، وإذا جاريته فِضة قائمة على رأسه، فقلت: يا فضة، أما تتقون الله في هذا الشيخ إلا تختم دقيقه؟ قالت: إنا نكروه أن نؤاجر ويأتم، نحن قد أخذ علينا ألا ننخل له دقيقاً ماصحيناه - قال: وعلى عليه السلام لا يسمع ما تقول - فالتفت إليها فقال: ماتولين؟ قالت: سده، فقال لي: ما قلتَ لها؟ قال: قلتُ إني قلتُ لها: لو تختم دقيقه! فبكي، ثم قال: بأبي وأُمِّي مَنْ لَمْ يَشْبَعْ ثَلَاثًا مَتَوَالِيَةً [ مِنْ ] حَبْرٍ رَزَقَ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا، وَلَمْ يَنْخُلْ دَقِيقَهُ! قَالَ: يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

وروى يوسف بن يعقوب ، عن صالح بن عبيد بن الأكرية ، أن جدته تقيت علياً عليه السلام بالكوفة ، ومعه تمرٌ يحمله ، فسألت عليه ، وقالت له : اعطني يا أمير المؤمنين هذا التمر أحمله عنك إلى بيتك ، فقال : أبو العيال أحقُّ بحمله ، قالت : ثم قال لي : ألا تأكلين منه ؟ قلت : لا أريد ، قالت : فاسلق به إلى منزله ثم رجع مُرْتَدِّياً بتلك الشملة ، وفيها قشور التمر ؛ فصلى بالناس فيها الجمعة .

وروى محمد بن فضيل بن غزوان ، قال : قيل لعلي عليه السلام : كم تتصدق ! كم تخرج مالك ! الا تملك ! قال : إني والله لو أعلم أن الله تعالى قبل مِنِّي فرساً واحداً لأمسكت ؛ ولكني والله ما أدرى ؛ أقبل مِنِّي سبعاه شيئاً أم لا !

وروى عتبة العابد ، عن عبد الله بن الحسين بن الحسن ، قال : أعتق علي عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ألب مملوك مما حملت<sup>(١)</sup> بداه ، وعرق جبينه ؛ ولقد ولي الخلافة ، وأنته الأموال ، فما كان حُلواهُ إلا التمر ، ولا ثيابه إلا الكرايس .

وروى العوام بن حوشب ، عن أبي صادق ، قال : تزوج علي عليه السلام ليلي بنت مسعود النهشلية ، فعزبت له في داره حجة ، فجاء فتهتكها ، وقال : حسب أهل علي ما هم فيه !

وروى حاتم بن إسماعيل المدني ، عن جعفر بن محمد عليه السلام ، قال : ابتاع علي عليه السلام في خلافته قبيصاً تيملاً<sup>(٢)</sup> بأربعة دراهم ، ثم دعا الخياط ، فذكَّ كُم القميص ، وأمره بقطع ما جاوز الأصابع .

\*\*\*

ولما ذكرنا هذه الأخبار والروايات - وإن كانت خارجة عن مقصد الفصل - لأن الحال اقتضى ذكرها ، من حيث أردنا أن يبين أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن

(١) حملت بداه : حملت .

(٢) التيمل : الخلق من الثياب .

يذهب في خلافته مذهب الملوك الذين يُصايعون بالأموال ويصرفونها في مصالح ملوكهم  
وملاذ أنفسهم ، وأنه لم يكن من أهل الدنيا ، وإنما كان رجلاً مثالاً صاحب حق ،  
لا يريد بالله ورسوله بدلاً .

• • •

وروى علي بن محمد بن أبي يوسف اللدائني أن طائفة من أصحاب علي عليه السلام مشوا  
إليه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، أعط هذه الأموال وفصل هؤلاء الأشراف من العرب  
وقريش على الموالى والعجم ، واستمل من تخاف خلافة من الناس وفراره ، وإنما قالوا له  
ذلك لما كان معاوية يصنع في المال ، فقال لهم : أنا مروني أن أطلب النصر بالجور !  
لا والله لا أفعل ما طلعت شمس ، وما لاح في السماء نجم ، والله لو كان المال لي لو أسيت  
بينهم ، فكيف وإنما هي أموالهم ! ثم سكبت طويلاً واحماً ، ثم قال : الأمر أسرع  
من ذلك ؛ فالحا ثلاثاً .



( ٣٥ )

ومن خطبة له عليه السلام بعد التحكيم :

الأصل :

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ يَأْتِلُطِبِ الْفَادِحَ ، وَالْحَدَّثُ الْجَلِيلُ ؛ وَأَشْهَدُ  
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ ؛ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ  
وَرَسُولُهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ .

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ مَنَصِيَّةَ النَّاصِحِ الشَّافِقِ الْعَالِمِ لِلْجَوْرِ ، تُورِثُ الْخُسْرَةَ ،  
وَتُنْقِيبُ النَّدَامَةَ ، وَقَدْ كُنْتُ أَمْرُتُكُمْ فِي حَذَرِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي ، وَتَحَلَّتْ لَكُمْ  
تَحْزُونٌ رَأْيِي ؛ لَوْ كَانَ بَطَاحٌ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ مَسْأَلَتِيكُمْ عَلَى إِبَاءِ الْمُخَالَفِينَ الْجَمَاعَةِ ،  
وَالنَّابِذِينَ الْعُمَمَاءَ ، حَقٌّ أَرْتَابَ النَّاصِحِ بِمُضْجِهِ ، وَضَنْ أَرْثَدُ بِقَدْجِهِ ، فَكُنْتُ  
أَنَا وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِينَ :

أَمْرُتُكُمْ أَمْرِي عِنْتَرَجِ الْقَوَى فَلَمْ تَسْقِبِلُوا النَّصِيحَ إِلَّا ضَعَى الْمَدَى

•••

الْبَيْزُج :

الخطب الفادح : للتفيل . وتَحَلَّتْ لَكُمْ ، أى أخطئته ، من تَحَلَّتْ الدقيق بالمنخل .  
وقوله : «الحدَّثُ» وإن أتى الدهر ، أى أحده على كل حال من السراء والضراء .  
وقوله : «لو كان بطاح لقصير أمر» ، فهو قصير صاحب جذيمة ، وحديثه مع جذيمة  
ومع الزهاد مشهور ، ف ضرب المثل لكل ناصح يُصْغَى بِقَصِير .

وقوله : « حتى ارتاب الناصح بنصحه ، وضم الزند بقذحه » ، يشير إلى نفسه ؛ يقول : خالفتوني حتى ظننت أن النصيح الذي نصحتكم به غير نصيح ، لإطباقكم وإجماعكم على خلافي ؛ وهذا حق ؛ لأن ذا الرأي الصواب إذا كثر مخالفوه يشك في نفسه .

وأما ضم الزند بقذحه ، فمعناه أنه لم يقنع لي بمد ذلك رأي صالح ، لشدة ما لقيت منكم من الإباء والخلاف والعصيان ؛ وهذا أيضاً حق ، لأن للشير الناصح إذا أشبه واستغشيت عيني قلبه وفسد رأيه .

وأخوه هوازن صاحب الشعر هو دريد بن الصمة ، والأبيات المذكورة في الحماسة ، وأولها :

نصحت لعارض وأصحاب عارض	ورحط بني السوءاء والقوم شهدي <sup>(١)</sup>
قلت لم ظنوا بألني مدجج	مرأهم في الفارسي للسردي <sup>(٢)</sup>
أمرتهم أمري بمنرج القوي	فلم يستبينوا الطصح إلا ضعى الندي <sup>(٣)</sup>
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى	غوايتهم وأنى غسير متهدي
وما أنا إلا من غزبة إن حوت	غويت وإن ترشد غزبة أرشد <sup>(٤)</sup>

(١) ديوان الحماسة - بفتح اللزوي (٢ : ٨١٣) . وكان من خبر هذا الشعر أن عذافة - وهو اسم آخر لعارض وهو أخو دريد - كان أسود لحيته ، فزأ بهي جسم وبني نصر أبي معاوية بن بكر بن هوازن ؛ وفهم ، ألا عطفا بمنرج القوي ؛ فنه دريد من البيت ، وقال : إن عطفان ليست بنالقة عنا ؛ لحلف أنه لا يرم حق بقسم ، وأوفوا بصدائق وأصحابه ، وقتل عذافة ، وجعل دريد يذمه عنه وهو جريح . شرح التبريزي ( ٢ : ٣٠٤ ) .

(٢) ظنوا : قال اللزوي : يجوز أن يكون معناه : ظنوا كل ظن فيح بهم إذا غروكم في أرضكم وعمر دياركم . ويجوز أن يكون معنى ظنوا أبخوا ؛ لأن الظن يحصل في البهي ؛ على حد قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَفْتُنُونَ أَهْلَهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ . وللمدحج : التمام السلاح ؛ من الحججة ؛ وهي الظلمة .

وسراهم : خيارهم ؛ وعني بالفارسي للسرد ، الدروع

(٣) في الحماسة ذكر هذا البيت بعد تاليه .

(٤) في الحماسة : وهل أنا إلا من غزبة رهطه .

وهذه الألفاظ من خطبة خطب بها عليه السلام بعد خديعة ابن العاص لأبي موسى  
وافتراقهما ، وقيل وقمة النهر وان .

• • •

### [ قصة التحكيم ثم ظهور أمر الخوارج ]

ويجب أن نذكر في هذا الفصل أمر التحكيم ؛ كيف كان ، وما الذي دعا إليه ؛  
فنقول :

إن الذي دعا إليه طلب أهل الشام له ، واعتصامهم به من سيوف أهل العراق ؛  
فقد كانت أمارات القهر والعلبة لاحت ، ودلائل النصر والظفر وصحت ، فعدل أهل  
الشام عن القراع إلى الخلداع ؛ وكان ذلك برأي كهرو بن العاص .  
وهذه الحال وقعت حبيب لية الحرير<sup>(١)</sup> ، وهي الليلة العظيمة التي يضرب  
بها النمل .

ولم نذكر ما أورده نصر بن مرام و كتاب حيفين في هذا للمنى ، فهو ثقة  
ثبت ، صحيح النقل ، غير منسوب إلى هوى ولا إدغال ؛ وهو من رجال أصحاب الحديث .  
قال نصر :

حدثنا عمرو بن كيمر ، قال : حدثني أبو ضرار ، قال : حدثني حمار بن ربيعة ، قال :  
غلب على عليه السلام بالناس صلاة المدة يوم الثلاثاء ، عاشر شهر ربيع الأول ، سنة  
سبع وثلاثين . وقيل : عاشر شهر صفر . ثم زحف إلى أهل الشام بمسكر العراق ، والناس  
على راياتهم وأعلامهم ، وزحف إليهم أهل الشام ، وقد كانت الحربا كلفت الفريقين ؛ ولكنها

(١) من حرير الفرسان يصفهم على بص كانه الساع ؛ وهو صوت دون البجاع .

في أهل الشام أشد زكايه ، وأعظم وقفا ، فقد ملأوا الحرب ، وكرهوا القتال ، وتضعفت أركانهم .

قال : فخرج رجل من أهل العراق ، على فرس كميته ذنوب<sup>(١)</sup> ، عليه السلاح لا يرى منه إلا عيناه ؛ وبيده الرمح . فجعل يضرب رموس أهل العراق بالقناة ، ويقول : سووا صفوفكم رحمكم الله ! حتى إذا عدل الصفوف والرايات ، استقبلهم بوجهه ، وولى أهل الشام ظهره ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، وقال :

الحمد لله الذي جعل فينا ابن عم بيته ، أفدسهم هرة ، وأولهم إسلاما ، سيف من سيوف الله على أعدائه ، فانظروا إذا حمى الوطيس<sup>(٢)</sup> ، وثار القتام<sup>(٣)</sup> ، وتكسر المران<sup>(٤)</sup> ، وجلت الخيل بالأبطال ، فلا أسمع إلا عمة أو هممة ؛ فاتبوني وكونوا في أثرى .

ثم حل على أهل الشام فكسر فيهم رحمه ، ثم رجع فإذا هو الأشتر .

قال : وخرج رجل من أهل الشام ، هادي بين الصفيين : بأبا الحسن ، باعلى ، ابوز إلى . فخرج إليه على عليه السلام ، حتى اختلعت أعناق دابتيهما بين الصفيين ، فقال : إن لك يا على لقدما في الإسلام والمهرة<sup>(٥)</sup> ، فهل لك في أمر أعرضه عليك ، يكون فيه حقن هذه الدماء ، وتأخر<sup>(٦)</sup> هذه الحروب ؛ حتى ترى رأيك ؟ قال : وما هو ؟ قال : ترجع إلى

(١) الذنوب : الفرس الوافر الذب .

(٢) الوطيس في الأصل : الخور ، أو حفرة تحترق ويحترق فيها ويشوى . وقيل : الوطيس : شيء يتخذ مثل القنور يختبر به ؛ وقيل : هي قنور من حديد وله شبه حر الحرب . وحمى الوطيس : مثل يضرب للأمر إذا اشتد . اللسان ( ١٤٣ : ٨ ) .

(٣) القتام : الفار .

(٤) المران : جمع مرانة ؛ وهي الرماح الصلبة اللدنة .

(٥) وقعة صفيين : هجرة .

(٦) وقعة صفيين : تأخير .

عِرَافِكَ ، فَخُذْ بِيَدِكَ وَيْنِ الْعِرَاقِ ، وَنَرْجِعْ نَحْنُ إِلَى شَامِنَا فَخُذْ بِيَدَيْنَا وَيْنِ الشَّامِ<sup>(١)</sup> .  
 قَالَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : <sup>(٢)</sup> « قَدْ عَرَفْتُ مَا عَرَضَتْ ، إِنَّ هَذِهِ لِنَصِيحَةٍ وَشَفَقَةٍ » ، وَلَقَدْ  
 أَمَّنِي هَذَا الْأَمْرُ وَأَسَهَرَنِي ، وَضَرَبْتُ أَنْفَهُ وَعَيْنَهُ فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا الْقَتَالَ أَوْ الْكُفْرَ بِمَا أَرْزَلَ اللَّهُ  
 عَلَى مُحَمَّدٍ . إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ لَمْ يَرْضَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ أَنْ يُنْصَى فِي الْأَرْضِ وَمِنْ سَكُوتِ  
 مُذْمَنُونَ ؛ لَا بِأَسْرُونَ بِمَعْرُوفٍ ، وَلَا بِنَهْوٍ مِنْ مُنْكَرٍ ؛ فَوَجَدْتُ الْقَتَالَ أَهْرُونَ عَلَى مَنْ  
 مَخَالَجَةٌ فِي الْأَخْلَالِ فِي جَنِّهِمْ .

قَالَ : فَرَجَعَ الرَّجُلُ<sup>(٣)</sup> وَهُوَ يَسْتَرْجِعُ ، وَزَحَفَ النَّاسُ بِمَعْصِهِمْ إِلَى بَعْضِ قَارَتَمَوْا  
 بِالْثَّبَلِ وَالْحِجَابَةِ حَتَّى قَبِيتَ<sup>(٤)</sup> ، ثُمَّ تَطَاعَنُوا بِالرَّمَاكِ حَتَّى تَكَثَّرَتْ وَانْدَقَتْ . ثُمَّ مَشَى الْقَوْمُ  
 بِمَعْصِهِمْ إِلَى بَعْضِ السُّيُوفِ وَنَحْدِ الْحَدِيدِ ، فَلَمْ يَسْمَعْ السَّامِعُونَ إِلَّا وَقَعَ الْحَدِيدُ بَعْضُهُ عَلَى  
 بَعْضٍ ؛ لَمْ يَكُنْ هَوْلًا فِي صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ الْمَوَاقِعِ ، وَمِنْ جِبَالِ تِهَامَةٍ يَدُوكَ بِمَعْصِهَا  
 بِمَعْصِهَا ، وَانْكَسَفَتِ الشَّمْسُ بِالنَّفْعِ ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ وَالْقَتْلُ<sup>(٥)</sup> ، وَضَلَّتِ الْأَلُوبَةُ وَالرَّايَاتُ ، وَأَخَذَ  
 الْأَشْتَرُ يَسِيرَ فِيمَا بَيْنَ الْمَيْمَنَةِ وَالْيَسْرَةِ ، فَيَأْسُرُ كُلَّ قَبِيلَةٍ أَوْ كَتِيبَةٍ مِنَ الْقُرَاءِ بِالْإِفْدَامِ عَلَى النَّحْيِ  
 تَلِيهَا<sup>(٦)</sup> ؛ فَاجْتَلَدُوا بِالسُّيُوفِ وَنَحْدِ الْحَدِيدِ ؛ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مِنَ الْيَوْمِ لِلذِّكْرِ إِلَى نِصْفِ  
 اللَّيْلِ ، لَمْ يَصَلُوا اللَّهَ صَلَاةً . فَلَمْ يَزَلِ الْأَشْتَرُ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحَ وَالْمَرْكَهَةُ خَلْفَ ظَهْرِهِ ،  
 وَافْتَرَقُوا مِنْ سَبْعِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَتِلْكَ اللَّيْلَةُ وَهِيَ لَيْلَةُ الْحَرِيرِ الْمَشْهُورَةِ . وَكَانَ  
 الْأَشْتَرُ فِي مَيْمَنَةِ النَّاسِ وَابْنُ عَبَّاسٍ فِي الْيَسْرَةِ ، وَعَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْقَلْبِ ،  
 وَالنَّاسُ يَحْتَلُونَ .

ثُمَّ اسْتَعْرَ الْقَتْلُ مِنْ نِصْفِ الْفَيْلِ الثَّانِي إِلَى ارْتِفَاعِ الصُّبْحِ ، وَالْأَشْتَرُ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ :

(١) صَفِيح : « شَامِنَا » .

(٢ - ٣) صَفِيح : « لَقَدْ عَرَفْتُ » ، « نَحْنَا عَرَضَتْ هَذِهِ النَّصِيحَةُ شَفَقَةً » .

(٣) صَفِيح : « الشَّامِ » .

(٤) الْقَتْلُ : الْفَار . (٥) كَذَا فِي ج ، وَفِي ب : « بَيْنَهَا » .

وهو يزحف بهم نحو أهل الشام: ازحفوا قيد رعى هذا ، ويُلقى ربحه ، فإذا فعلوا ذلك ، قال : ازحفوا قاب هذا القوس<sup>(١)</sup> ، فإذا فعلوا ذلك<sup>(٢)</sup> سألهم مثل ذلك<sup>(٣)</sup> ، حتى ملأ أكثر الناس من الإقدام ، فلما رأى ذلك قال : أعيدكم بالله أن ترضعوا الغنم سائر اليوم . ثم دعا بفرسه ، وركز راحته وكانت مع حيّان بن هوذة النخعي - سوار بين الكتائب ، وهو يقول :  
الامن يشترى نفسه لله ويقاتل مع الأشتر ؛ حتى يظهر أو يُلحق بالله ! فلا يزال الرجل من الناس يخرج إليه فيقاتل معه<sup>(٤)</sup> .



قال نصر : وحدثني عمرو قال : حدثني أبو ضرار ، قال : حدثني عمار بن ربيعة ، قال : مرّ بي الأشتر ، فأقبلتُ معه حتى رجع إلى المسكان الذي كان به ، فقام في أصحابه ، فقال : شدُّوا - فبدأ لكم عَمَى وخَالِي - شدة ترضون بها الله ، وتمزّون بها الدين .<sup>(٥)</sup> إذا أنا حلت فاحلوا<sup>(٦)</sup> ثم نزل ، وضرب وجهه دابته ، وقال لصاحب راحته : أقدم فقتلهم<sup>(٧)</sup> بها ، ثم شدّ على القوم ، وشدّ معه أصحابه ، فضرب أهل الشام حتى انتهى بهم إلى معسكرهم ، فقاتلوا عند المعسكر قتالا شديداً ، وقُتل صاحب رايتهم ، وأخذ على عليه السلام - لما رأى الظفر قد جاء من قبله - يمدُّه بالرجال<sup>(٨)</sup>



وروى نصر بن رحالة ، قال : لما بلغ القوم إلى ما بلغوا إليه ، قام على عليه السلام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

(١) القاب : ما بين القنص والسنة ، والقوس : يذكر ويؤن

(٢ - ٣) ساقط من به ، وأبجه من أ ، ج .

(٤) وقمة صفين ٥٤٠ - ٥٤٤ .

(٥ - ٦) وقمة صفين : فإذا شدت مشدوا .

(٧) صفين : فأقدم بها .

(٨) وقمة صفين ٥٤٤ .

أيها الناس ، قد بلغ بكم الأمر وبعدوكم ما قد رأيتم ، ولم يبق منهم إلا آخر نفس ، وإن الأمور إذا أقبلت اعتُبر آخرها بأولها ، وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغنا منهم ما بلغنا ، وأنا غدير عليهم بالعدة أحاكمهم إلى الله .

قال : فبلغ ذلك معاوية ، فدعا عمرو بن العاص ، وقال : يا عمرو ؛ إنما هي القيلة ، حتى يمدو على علينا بالفيصل <sup>(١)</sup> ؛ فما ترى ؟

قال : إن رجالك لا يقومون لرجاله ، ولست مثله ، هو يقاتلك على أمر وأنت تقايله على غيره ، أنت تريد البقاء ، وهو يريد الفناء ، وأهل العراق يحافون منك إن ظفرت بهم ، وأهل الشام لا يحافون عبياً إن ظفرت بهم ؛ ولكن ألقي إلى القوم أسرا إن قلوبهم اختلفوا ، وإن ردوهم اختلفوا ، ادعهم إلى كتاب الله حكماً فيما بينك وبينهم ؛ فإنك مالمع به حاجتك في القوم ؛ وإن لم أزل أؤخر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه  
فصرف معاوية ذلك وقال : صدقت <sup>(٢)</sup>

• • •

قال نصر : وحدثنا عمرو بن كثر عن جابر بن عبد <sup>(٣)</sup> الأنصاري ، قال : قال : والله لكانني أسمع علياً يوم التهريب ، وذلك بعد ما طعنت راحاً مذحج ، فيما بينها وبين حكة ونلم وجذام والأشعرين بأمر عظيم نشب منه النواصي ، حتى <sup>(٤)</sup> استقلت الشمس ، وقام قائم الظهور <sup>(٥)</sup> ، وعلى عليه السلام يقول لأصحابه : حتى متى تحلّ بين هذين الحليين ؟ قد فنيّا وأنتم وقوف تنظرون أما تحبسون منّي الله ! ثم اختلف <sup>(٥)</sup> إلى القبلة ، ورفع

(١) ب : « الفصل » ، وما أتبعه من أ ، ج .

(٢) ولغة صعب ٥٤٥

(٣) في الأصول : « عمر » ، وصوابه من كتاب صعب .

(٤-٥) صعب : « من حين استقلت الشمس حتى قام قائم الظهيرة » واستقلت الشمس : ارتفعت .

(٥) ب : « استغل » ، والصواب ما أتبعه من أ ، ج .

يديه إلى الله عز وجل، ونادى : يا الله ، يا رحمن ، يا واحد ، يا أحد ، يا صمد ! يا الله ، يا إله محمد ! اللهم إليك تقيلت الأقدام ، وأصبحت القلوب ، ورُفِعت الأيدي ، ومُدت الأعناق، وشغصت الأبصار، وحلِبت الحوائج ! اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبيّنا، وكثرة عدوّننا ، وتشتت أهوائنا ، ﴿ رَبِّنا أفتَحْ بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنا مَلْحَقَ وأَتَ حَبِيبِ الْفَاتِحِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> سددوا على بركة الله .

ثم نادى : لا إله إلا الله والله أكبر ، كذا للتزوي .

قال : فلا والذي بمت محمدًا مالحقًا نبيًا ، ما سمعنا رئيس قوم منذُ حاق الله السموات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب ! إنه قتل - فيها ذكر العاقون - زيادة على خمسمائة من أعلام العرب ! يخرج سيفه شُجْعَانِيًا ، فيقول : معذرة إلى الله وإليكم من هذا . لقد سمعت أن ألقه <sup>(٢)</sup> ؛ ولكن يحجزني عنه أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله ، يقول : « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » . وأما أقاتل به دونه صلى الله عليه .

قال : فكنا مأخذه فتورمه ، ثم يتناوله من أيدينا فيقتحم به في عرض الصف ، فلا والله ما ليثٌ بأشدّ نكابة منه في عدوه ، عاياه السلام <sup>(٣)</sup> .



قال نصر : فحدثنا عمرو بن كحير ، عن جابر ، قال : سمعت تميم بن حذّيم ، يقول : لما أصبحنا من ليلة الحرير ، نظرنا فإذا أشباه الرايات ، أمام أهل الشام في وسط الفيلق ،

(١) سورة الأعراف ٨٩

(٢) صفي : « أضغله » .

(٣) كتاب صفي ٥٤٥ - ٥٤٦



حيال موقف على وسماوية ، فلما أسفرتنا إذا هي المصاحفة قد رُبطت في أطراف الرماح ، وهي عظام مصاحف العسكر ، وقد شدوا ثلاثة أرماع جديما ، وربطوا عليها مصحف للسجد الأعظم ، بمسكة عشرة رهط .

قال نصر : وقال أبو جعفر وأبو الطفيل : استقبلوا عليا بمائة مصحف ، ووضعوا في كل محبة<sup>(١)</sup> مائتي مصحف ، فكان بهما خمسمائة مصحف .

قال أبو جعفر : ثم قام الطفيل بن آدم حيال على عليه السلام ، وقام أبو شريح الجذامي حيال للبيعة ، وقام ورقاء بن المقر حيال لليسرة ، ثم نادوا : يا معشر العرب ، الله الله في النساء والبنات والأبناء من الروم والأترلك وأهل فارس غدا إذا فليس الله الله في دينكم ! هذا كتاب الله بيننا وبينكم

فقال علي عليه السلام : اللهم إنيك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون ، فاحكم بيننا وبينهم إنيك أنت الحكم الحق المبين ،

فاختلف أصعاب على عليه السلام في الرأي ؛ فطائفة قالت القتال ، وطائفة قالت المحاكمة إلى الكتاب ، ولا يحمل لنا الحرب ، وقد دُعيانا إلى حكم الكتاب ؛ فممن ذلك بطلت الحرب ووضعت أوزارها<sup>(٢)</sup>

• • •

قال نصر : وحدثنا عمرو بن نعيم ، عن جابر ، قال : حدثنا أبو جعفر محمد بن علي ابن الحسين ، قال : لما كان اليوم الأعظم ، قال أصعاب وسماوية : والله لا تَبْرَحُ اليوم المرصعة حتى نموت أو يفتح لنا ، وقال أصعاب على عليه السلام : لا تَبْرَحُ اليوم المرصعة حتى نموت أو يفتح لنا ، فبادروا القتال غدوة في يوم من أيام الثمري<sup>(٣)</sup> طويل شديد

(١) المحبة ، تكسر النون المتعددة : مينة الجيش وميسرة .

(٢) وقته صفر ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(٣) الثمري : كوكب نرى حاله في الرزم بطلع سد الحوزاء ، وطلوعه في عدة الحر ( المان ) .

الحرّة فتراموا حتى قنيت الثّبال ، وتطاعنوا حتى تقصفت لأرماع ، ثم نزل القوم عن  
خيولهم ، ومشى بعضهم إلى بعض بالسيوف حتى كثرت جفونها ، وقام القرطبان في  
الرّكّاب ، ثم اضطربوا بالسيوف وبمعدّ الحديد ، فلم يسمع السامعون إلا نغم القوم ،  
وصليل الحديد في الهام ، وتكادّم الأفواه وكسفت الشمس ، وثار القتّام ، وضلت  
الألوية والرايات ، ومرت موافيت أربع صلوات ، ما يتجدّفين له إلا تكبيراً ،  
ونادت الشيعة في تلك الفترات : يا معشر العرب ! الله الله في العرّمات من النساء  
والبنات !

قال جابر : فهى أبو جعفر وهو يحدثنا بهذا الحديث .

قال نصر : وأقبل الأشتر على فارس كميّتيّ تحذوف ، وقد وضع منفره على قرّوس  
الشرح ، وهو ينادى : اصبروا يا معشر المؤمنين ، فقدم على الوطيس ، ورجعت الشمس  
من الكسوف ، واشتدّ القتال ، وأحلت السباع بعضها بعضاً ، فهم كما قال الشاعر<sup>(١)</sup> :  
مَضَتْ واستأخَرَ القرعاءُ عَهاً وَحَلَّ بينهمُ إِلَّا الْوَرِيعُ<sup>(٢)</sup>

قال : يقول واحد لصاحبه في تلك الحال : أى رجل هذا لو كانت له نية أفيقول له  
صاحبه : وأى نية أعظم من هذه فكلفتك أمك وهيلتك ! إن رجلاً كان يرى قدسبح  
في الدّم ، وما أضجرت الحرب ، وقد غلت هام الكفاة من الحرّة ، وبلعت القلوب الحناجر ،  
وهو كما تراه جزءاً يقول هذه المقالة ! اللهم لا تبقينا بعد هذا !

قلت : فهام قامت عن الأشتر ! لو أن إسماً بقيم أن الله تعالى ما خلق في العرب

(١) هو عمرو بن معدى كرب ، من الأصمعية التي مطنها :

أَمِنْ رَغْمَانَةِ الدَّاعِي السَّيِّعِ يُوْرُقِنِي وَأَصْحَابِي هُجُومِ

وهي في الأسميات ١٩٨ - ٢٠٢ وخزانة الأدب ٣ : ١٦٢ - ١٦٣ .

(٢) القرعاء : جمع قرع ، وهو للثوب الهزوم . ول الخزانة والأسميات : « الأوغال » جمع وغل  
وهو الضيف ، والوريع : الضيف الذي لا غناء عنه .

ولاني العجم أشجع منه إلا أسفاه عليه السلام لما خشيبت عليه الإمام ا و لله در القائل،  
وقد سئل عن الأشتر : ما أقول في رجل هزمت حياته أهل الشام ، وهزمت موته  
أهل العراق !

وبحق مقال فيه أمير المؤمنين عليه السلام : كان الأشتر لي كما كنت لرسول الله  
صلى الله عليه (١) .



قال نصر : ورؤى الشعبي عن منقصة ، قال : وقد كان الأشعث بن قيس يدر منه  
قول ليله الحرير ، تله الناقلون إلى معاوية ، فاختمه وبنى عليه تديره ؛ وذلك أن الأشعث  
خطب أصحابه من كندة تلك الليلة فقال : الحمد لله ، أحمدوه واستعينه ، وأمين به  
واتوكل عليه ، واستنصره واستغفره ، واستجير به واستشيره واستشهديه ؛ فإن  
من هداه (٢) الله فلا مضل له ، ومن ضلله فلا هادي له ، واشهد أن لا إله إلا الله  
وحدّه لا شريك له ، واشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه .

ثم قال : قد رأيتم بامعشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي ، وما قد قني فيه  
من العرب ؛ فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ ، فارأيت مثل هذا اليوم  
قط . ألا فليتك الشاهد الغائب ؛ إنا نحن إن تواقفنا غداً ، إنه لقناء العرب وخيمة  
العرمات (٣) ؛ أما والله ما أقول هذه المقالة جزعاً من الحرب ، ولكني رجل مسن\*  
أخاف على النساء والقداري غداً إذا قفينا ، اللهم إني قد نظرت لقوى ولأهل  
ديني فلم آل ، وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أئيب ، والرأي يخطئ ويصيب ،

(١) وقته صفح ٥٤٧ - ٥٤٩ .

(٢) صفح : ٥ من يهد الله .

(٣) في ب : « لقيت العرب وصيت الحرمات » وما أئبه من كتاب صفح .

وإذا قَضَى اللهُ أَمْرًا أُنْصَاءَ عَلَى مَا أَحْبَبَ الْعِبَادُ أَوْ كَرَهُوا، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَاسْتَغْفِرُ اللهَ  
الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ !

قال الشعبي : قال صَنْعَةُ : فاطمَت عِمْرَنُ معاويةَ إليه بخطبة الأشعث ، فقال :  
أصابَ وربُّ الكعبة ! كُنْتُ عَنِ الصَّيْنَةِ عَدَا لَتَمِيلَنَّ عَلَى ذَرَارِيٍّ أَهْلُ الشَّامِ وَنَسَائِهِمْ ،  
وَلَتَمِيلَنَّ فَارِسٌ عَلَى ذَرَارِيٍّ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَنَسَائِهِمْ ؛ إِنَّمَا يَبْصُرُ هَذَا قَدُورُ الْأَحْلَامِ وَالشُّبُهَى ،  
ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : ارْبِطُوا الْمَصَاحِفَ عَلَى أَطْرَافِ الْقَنَاقِ .

فثار أهل الشام في سَوَادِ اللَّيْلِ ينادون عن قول معاوية وأمره : يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، مَنْ  
لِذَرَارِيٍّ إِنَّا نَقْلِبُكُمْ ؛ وَمَنْ لِدَرَارِيٍّ كُمْ إِذَا قَتَلْنَاكُمْ ؛ اللهُ أَقْنَى الْهَيْمَةِ أَوْ أَصْبَحُوا وَقَدَرَفُوا  
الْمَصَاحِفَ عَلَى رُءُوسِ الرَّمْلِ ، وَقَدْ قَلَدُواهَا الْخِلِيلَ [ وَالنَّاسُ عَلَى الرَّاياتِ قَدْ اشْتَبَهُوا  
مَادُّهُوا إِلَهَ ]<sup>(١)</sup> ، وَمَصْحَفُ دِمَشْقِ الْأَعْظَمِ بِحِمْلِهِ عَشْرَةُ رِجَالٍ عَلَى رُءُوسِ الرَّمْلِ ،  
وَمِنْ ينادون : كِتَابُ اللهِ يَبْنِي وَيُنْصِتُ .

واقبل أبو الأعور السُّلَمِيُّ عَلَى بَرْدُونٍ أَيْضًا ، وَقَدْ وَضَعَ الْمَصْحَفَ عَلَى رَأْسِهِ ،  
يَنَادِي : يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، كِتَابُ اللهِ يَبْنِي وَيُنْصِتُ .

قال : جَاءَ عَدِيَّ بنَ حَاتِمِ الطَّائِي ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ لَمْ يُصَبِّ مِنَّا عُصْبَةٌ  
إِلَّا وَقَدْ أُصِيبَ مِنْهُمْ مِثْلُهَا<sup>(٢)</sup> ، وَكُلُّ مَقْرُوحٍ ؛ وَلَكِنَّا امْتَلَأْنَا هَيْمَةً مِنْهُمْ ، وَقَدْ جَزَعَ  
الْقَوْمُ ، وَلَيْسَ بَعْدَ الْجَزَعِ إِلَّا مَانِحَةٌ ، فَجَازِمٌ<sup>(٣)</sup> .

وَقَامَ الْأَشْجَرُ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّ مَعَاوِيَةَ لَا خَلْفَ لَهُ مِنْ رِجَالِهِ ؛ وَلَكِنْ

(١) من كتاب صين .

(٢) كتاب صين : « إِنَّ كَانَ أَهْلُ الْأَمَلِ لَا يَفْرَمُونَ بِأَهْلِ الْحَقِّ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُصَبِّ ... »

(٣) في كتاب صين : « فَجَازِمُ الْقَوْمِ » ، وَالْمَاجِرَةُ فِي الْقِتَالِ : لِلْبَارِزَةِ وَالْقَاتِلَةِ ؛ وَهُوَ أَنْ يَتْبَارَزَ  
الْفَارِسَانِ فَيَتْلَسَا حَتَّى يَقْتُلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، أَوْ يَخْتَلِ أَحَدُهُمَا .

بمحمّد الله لك الخلفاء، ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا نصرك، فافزع الحديد بالحديد، واستعين بالله الحيد .

ثم قام عمرو بن الحيق، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنا والله ما أجبتناك ولا نصرناك على الباطل ، ولا أجبتنا إلا الله ، ولا طلّنا إلا الحق ، ولو دعانا غيرك إلى مادعوتنا إليه لاستشرى<sup>(١)</sup> فيه القجاج ، وطالت فيه النجوى ، وقد بلغ الحق مقطعه ، وليس لنا منك رأى .

فقام الأشعث بن قيس مضطرباً ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنا لك اليوم على ما كنا عليه أسرى ، وليس آخر أمرنا كأولنا ، وما من القوم أحد أحق على أهل العراق ولا أوتر لأهل الشام مني ! فأجيب القوم إلى كتاب الله عز وجل ، فإنك أحق بمنهم ، وقد أحب الناس البقاء ، وكرهوا القتال .  
فقال على عليه السلام : بهذا أمر ينظر فيه .  
فتنادى الناس من كل جانب : الواحدة .

فقال على عليه السلام : أيها الناس ، إني أحق من أجاب إلى كتاب الله ، ولكن معاوية وحمزة بن المصاح وبن أبي مبيط وابن أبي سرح وابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، إني أعترف بهم منكم ، محبتهم صفراء ورجالاً ، فكانوا شر صفراء ، وشر رجال . ويحكم إنهم كلمة حق يراد بها باطل ! إنهم مارقوها ! أنهم يعرفونها ويمسكون بها ، ولكنها الخديعة الوهن والمكيطة ! أعيدوني سواعدكم وبجائكم ساعة واحدة ، فقد بلغ الحق مقطعه ، ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا .  
فجاءه من أصحابه رهاء عشرين ألفاً مقنعين في الحديد ، شاكي السلاح ، سيوفهم على

(١) استشرى : اشتد .

عوانتهم ، وقد اسودت جباههم من السجود ، يضطربهم مستر بن فدكي وزيد بن حصين وعصابة من القرأء الذين صاروا خوارج من بعد ، فنادوه باسمه لا يأمركم المؤمنين : يا علي ، أجب القوم إلى كتاب الله إذ دُعيت إليه ، وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان ، فوالله لنفعلنّها إن لم نجهم !

فقال لهم : ونعمكم ! أنا أول من دعا إلى كتاب الله ، وأول من أجاب إليه ؛ وليس يحلّ لي ، ولا يستحقّ في ديني أن أدعى إلى كتاب الله فلا أقبله ، إني إنما قائلهم ليدخلوا بحكم القرآن ؛ فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم ، وعصوا هذه مروءة كتابه ، ولكني قد أعلقتكم أنهم قد كذبواكم ؛ وأنهم ليسوا المسلم بالقرآن يريدون . قالوا : فابث إلى الأشتر ليأينبك ، وقد كان الأشتر صبيحة ليلة الحرير أشرف على معسكر معاوية ليدخله .



قال نصر : فحدثني فضيل بن خديج [ من رجل من النخع ]<sup>(١)</sup> قال : سألت مصعب<sup>(٢)</sup> إبراهيم بن الأشتر عن الحال كيف كانت ؟ فقال : كنت عند علي عليه السلام حين بعث إلى الأشتر ليأتيه ، وقد كان الأشتر أشرف على معسكر معاوية ليدخله ، فأرسل إليه علي عليه السلام يزيد بن هاشم : أن اتقني ، فأتته فأبلغه<sup>(٣)</sup> ، فقال الأشتر : الله فقل له : ليس هذه بالساعة التي ينبغي لك أن تزيّلتني عن موقعي ؛

(١) من كتاب منين .

(٢ - ٣) ب : « سألت مصعب بن إبراهيم » ، وسواه من أ ، ج .

(٣) كتاب منين : « فبلغه » .

إني قد رجوت<sup>(١)</sup> الفتح فلا تُصِغِلْنِي . فرجع يزيد بن هاني إلى علي عليه السلام فأخبره ؛ فها هو إلا أن انتهى إلينا حتى ارتفع الزهيج ، وغلت الأصوات من قبل الأشر ، وظهرت دلائل الفتح والنصر لأهل العراق ، ودلائل الخذلان والإدبار على أهل الشام ، فقال القوم لعلي : والله ما نراك أمرته إلا بالقتال ! قال : أرايتيوني ساررت<sup>(٢)</sup> رسولاً إليه ! أليس إنما كلمته على رد وسكم عناية وأنتم تسمعون ! قالوا : فأنعت إليه فلهائك ؛ وإلا فوالله اضربناك ! فقال : ويحك يا يزيد اقل له : أقبل إلى ، فإن الفتنة قد وقعت . فأتاه فأخبره ، فقال الأشر : أبرقع<sup>(٣)</sup> هذه للمصاحف ؟ قال : نعم ، قال : أما والله لقد خلذت<sup>(٤)</sup> أنها حين رفعت ستوقع خلافا وفرقة ؛ إنها مشورة ابن القابضة<sup>(٥)</sup> ! ثم قال ليزيد بن هاني : ويحك ! ألا ترى إلى الفتح ! ألا ترى إلى ما يلقون ! ألا ترى إلى الذي يصنع الله لنا ؟ أينبني أن مدع هذا ونصره<sup>(٦)</sup> ! فقال له يزيد : أعجب أنك خلقت هاهنا وأن أمير المؤمنين عكاه الذي هو فيه يفرج عنه ، ويُسَلَّم إلى عدوه ! قال : سبحان الله ! لا والله لا أحب ذلك ، قال : فإنهم قد ظفروا به ، وحلقوا عليه ، لترسلن إلى الأشر فليأتينك ، أو لنقتلنك بأسيافنا كما قتلنا عثمان ، أو لنسلمنك إلى عدوك .

فأقبل الأشر حتى انتهى إليهم ، فصاح : يا أهل النبل والوهن ، أحيين علوتم القوم ، وظننوا أنكم لهم قاهرون رفقوا<sup>(٧)</sup> للمصاحف بدعوىكم إلى ما فيها ! وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها ، وتركوا سنة من أنزلت عليه ، فلا تجيبوهم ! أمهلوني فوالله<sup>(٨)</sup> فإني

(١) كتاب صفين : « إني قد رجوت الله أن يفتح لي » .

(٢) « شاورت » ، وصوابه من أ ، ج ، وكتاب صفين .

(٣) كتاب صفين : « أبرقع » .

(٤) كتاب صفين : « يسي عمرو بن العاص » .

(٥) كذا في الأصول وتاريخ الطبري ٦ : ٢٧ ، وفي كتاب صفين : « ورموا » .

(٦) التوقي : ما بين الحلفين ؛ يقال : انتظر تلك لوقا تالة .

قد أحسست بالفتح ، قالوا : لا نملك ، قال : فأهلوني مدوة الفرس ؛ فإن قد طعنت في النصر ، قالوا : إذن تدخل معك في حطيتك .

قال : خذثوني عنكم ، وقد قتل أمانلكم ، وبقى أراذلكم ؛ متى كنتم محققين ! أحين كنتم تقتلون أهل الشام أفانم الآن حين أسكنكم عن قهلم مبطون ! أم أنتم الآن في إساكنكم عن القتال محققون ! قتلًا كم إذن الذين لا تنكرون فضلهم ، ولأنهم خيرٌ منكم في الفار ، قالوا : دعنا منك يا أشر ، فالتلثم في الله وتدع قهلم في الله ؛ إنا لسنا نطيعك فاجتنبنا ، قال : خذثتم والله فامخذعتم ، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجيتم ؛ يا أصحاب الجباه السود ، كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله ؛ فلا أرى فراركم إلا إلى الديار من اللوت ؛ ألا فنبهوا يا أشباه النيب<sup>(١)</sup> الجلالة ، ما أنتم برائين بعدها جزاً أبداً ، فابعدوا كما يبعد القوم الظالمون

فسبوه وسبهم ، وضربوا بسياطهم وجه دابته ، وضرب بسوطه وجوه دوابهم ، وصاح بهم على عليه السلام ، فكفوا . وقال الأشر : يا أمير المؤمنين ، أحمل الصف على الصف تصرع القوم . فتصايحوا : إن أمير المؤمنين قد قبيل الحكومة ، ورضى بحكم القرآن . فقال الأشر : إن كان أمير المؤمنين قد قبيل ورضى ، فقد رضيت بما رضى به أمير المؤمنين ، فأقبل الناس يقولون : قد رضى أمير المؤمنين ، قد قبيل أمير المؤمنين ، وهو ساكت لا يبيح<sup>(٢)</sup> بكلمة ، مطرق إلى الأرض .

ثم قام فسكت الناس كلهم ، فقال : أيها الناس ، إن أمرى لم يزل معكم على ما أحب إلى أن أخذت منكم الحرب ، وقد وافق أخذت منكم وتركتم ، وأخذت من هدوكم فلم تترك ، ولأنها فيهم أنسى وأنتك ، ألا إلى كنت أسير أمير المؤمنين فأصبحت اليوم

(١) النيب . جمع ناب ؛ وهي الناقة للسه .

(٢) لا يبيح بكلمة : لا يهكم .



مأمورا وكنت ناهيا فأصبحت منيئا ، وقد أحييت البقاء ، وليس لي أن أحكم على ماتكروهن .  
ثم قصد .

قال نصر : ثم تكلم رؤساء الفخائل ، فكل قال ما يراه ويهواه ، إنا من الحرب  
أومن السلم ، فقام كردوس بن هاني البكري فقال : أيها الناس ؛ إنا والله ماتولينا معاوية  
منذ تبرأنا منه ، ولا تبرأنا من علي منذ تولينا ، وإن قتلنا لشهداء ، وإن أحياءنا لأبرار ؛  
وإن عليا لعل بينة من ربه ، وما أحدث إلا الإصناف ، فمن سلم له نجاة ، ومن خالفه هلاك .  
ثم قام شقيق بن نور البكري ، فقال : أيها الناس ، إنا دعونا أهل الشام إلى كتاب  
الله ، فردوه علينا ، فقاتلناهم عليه ؛ وإنهم قد دعونا اليوم إليه <sup>(١)</sup> ؛ فإن ردذناه عليهم  
حل لم منا ما حل لنا منهم ، ولست نخاف أن يخيف الله علينا ورسوله ، ألا إن عليا ليس  
براجع التاكس ، ولا الشك الواقف ؛ وهو اليوم على ما كان عليه أمس ؛ وقد أكلتنا  
هذه الحرب ، ولا نرى البقاء إلا في اللوادة <sup>(٢)</sup> .

• • •

قال نصر : ثم إن أهل الشام لما أبطأ عنهم حيل حال أهل العراق : هل أجابوا إلى  
اللوادة أم لا ؟ جزموا قتلوا ؛ يامعاوية ، ما نرى أهل العراق أجابوا إلى مادعونهم إليه ،  
فأخذها جذعة <sup>(٣)</sup> ، فإنك قد غمرت بدعائك القوم ، وأطمعتهم فيك .

فدعا معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص ، فأمره أن يكلم أهل العراق ، ويستعلم  
له ما عندهم ، فأقبل حتى إذا كان بين الصنين نادى : يا أهل العراق ، أنا عبد الله بن

(١) كتاب وفاة صفين : « إلى كتاب الله » .

(٢) كتاب صفين ٥٦١ - ٥٦٤ ، ثم ٥٥٣ - ٥٥٤ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٥٧ يسف من جسد  
الرحمن بن جندب عن أبيه .

(٣) أمعا جذعة ؛ أي ابداً يهازله أخرى . وفي الأصل : لا وإدخلك حرب بين قوم فقال بعضهم :  
« إن دعيت أعدائنا جذعة ، أي أول ما يخطأ منها » . وفي الأصول « جذعة » والصواب ما أتت من  
كتاب صفين .

هرو بن العاص ؛ إنه قد كانت بيننا وبينكم أمور للدين أو الدنيا<sup>(١)</sup> فإن تكن للدين فقد والله أخذنا وأعذرتم ، وإن تكن للدنيا فقد والله أسرفنا وأسرفتم ؛ وقد دعوناكم إلى أمر لو دعوتونا إليه لأجبتكم ، فإن يجمعنا وإياكم الرضا فذاك من الله . فاختصوا هذه القُرصة ، عسى أن يعيش فيها المحترِف<sup>(٢)</sup> ويُنسى فيها القَتيل ؛ فإن جاء للهلك بسد المالك قليل .

فأجابه سعد بن قيس المِزَنَانِي ، فقال : أما بعدُ يا أهل الشام ، إنه قد كانت بيننا وبينكم أمور حائنا فيها على الدين والدنيا ، وميتسوها غَدْرًا وسَرَفًا ، وقد دعوتونا اليوم إلى ما قاتلناكم عليه أمس ، ولم يكن ليرجع أهل العراق إلى عراقهم ، وأهل الشام إلى شامهم ، بأنير أجل من أن يحكم فيه بما أزل الله سبحانه ؛ [ فلأمرني أيدينا دونكم ؛ وإلا فنعن نحن وأنتم أنتم ]<sup>(٣)</sup> .

فقام الناس إلى على عليه السلام ، فقالوا له : <sup>(٤)</sup> « أجيب القوم إلى المحاكمة ، قال : ونادى إنسان من أهل الشام في جوف الليل بشير سمعه الناس ، وهو » :

رُمُوسَ الْعِرَاقِ أَجِيبُوا الدُّعَاءَ	قَدْ بَلَغَتْ غَايَةَ الشَّدَّةِ
وَقَدْ أَوْدَتِ الْحَرْبُ بِالْمَأْمِينِ	وَأَهْلُ الْخَنَائِظِ وَالنَّجْدَةِ
فَلَنَّا وَلَسْتُمْ مِنَ الْفُشْرِكِينَ	وَلَا الْمُجِيبِينَ عَلَى الرَّدَّةِ
وَلَكِنْ أَنْاسٌ أَتَوْا بِمِثْلِهِمْ	لَسَاعِدَةٌ وَلَكُمْ عِدَّةٌ <sup>(٥)</sup>

(١) كتاب وفاة صفين : « للدين والدنيا »

(٢) في ج : « المحترق » وفي حواشيها : « المزق ، محرقة : الدهش من الخوف » .

(٣) نسخة من كتاب صفين .

(٤-٥) في كتاب صفين : « أجيب القوم إلى ما دعوتكم إليه ؛ فإننا قد قلنا ، ونادى إنسان من أهل

الشام في سواد الليل بشير سمعه الناس ، وهو » .

(٥) كتاب وفاة صفين : « ولهم عِدَّة » .

[ قَاتِلْ كُلَّ ظَلِيٍّ وَجَنِيٍّ ] يُفَحِّمُهُ الْجِدُّ وَالْجِدَّةُ (١)  
 فَإِنْ تَقَبَّلُوهَا فَفِيهَا النِّجَاءُ وَأَمِنْ الْفَرِيقَيْنِ وَالْبَيْتَةُ  
 وَإِنْ تَذَفُّوهَا فَفِيهَا الْفَنَاءُ وَكُلُّ بَلَاءٍ إِلَى مُدَّةٍ  
 لِحَقِّ مَقَرٍّ تَحْضُرُ هَذَا النِّجَاءُ وَلَا بُدَّ أَنْ تَخْرُجَ الزُّبْدَةُ  
 ثَلَاثَةَ رَهْطٍ مِنْ أَهْلِهَا وَإِنْ يَنْسَكُوتُوا تَحْمِدِ الْوَقْدَةُ  
 سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ وَكَبْشُ الْعِرَاقِ وَذَلِكَ الْمَوَدُّ مِنْ كِفَّةِ

قال : فأما المود من كيفة ، وهو الأشعث ؛ فإنه لم يرض بالكوث ، بل كان  
 من أعظم الناس قولاً في إطفاء الحرب والركون إلى اللوادة . وأما كبش العراق ، وهو  
 الأشتر ، فلم يكن يرمى إلا الحرب ، ولكم حكت على مَعْصِي . وأما سعيد بن قيس ،  
 فكان تارة هكذا وتارة هكذا (٢) .

وذكر ابن ديزيل (٣) المندائي في كتاب " صفين " قال :

خرج عبدالرحمن بن خالد بن الوليد ومعلواء معاوية ، فارتجزا فخرج إليه جارية بن قدامة  
 السمدى ، فارتجز أيضاً مجيباً له ثم أطعنا (٤) فلم يصنعا شيئاً ، وانصرف كل واحد منهما عن  
 صاحبه ، فقال عمرو بن العاص لعبدالرحمن : أقسم يا ابن سيف الله ، فتقدم عبد الرحمن بلوائه ،  
 وتقدم أصحابه ، فأقبل على عليه السلام ظلي الأشتر ، فقال له : قد بلغ لواء معاوية حيث

(١) نسخة من كتاب صفين .

(٢) كتاب وفاة صفين : ٥٥١ - ٥٥٣ .

(٣) ابن ديزيل ، هو إبراهيم بن الحسن بن علي بن مهران بن ديزيل الكهاني المندائي ، أحد كبار  
 الحفاظ وشكليهم ؛ ذكره ابن جرير في لسان المبران ( ١ : ٤٩ ) ، وقال : « مات في آخر يوم من شعبان  
 سنة إحدى وثلاثين ومائتين » .

(٤) أطعنا : أي نطاعنا .

تري ، فدوتك القوم . فأخذ الأشر لواء . صلى عليه السلام ، وقال <sup>(١)</sup> :

إِنِّي أَنَا الْأَشْرُ مَعْرُوفُ الشَّرِّ <sup>(٢)</sup> إِنِّي أَنَا الْأَفْئَةُ الْعِرَاقِيُّ الَّذِي كَرَّ

لَسْتُ رَبِيعِيًّا وَلَسْتُ مِنْ مُضَرَ <sup>(٣)</sup> لِكِنِّي مِنْ مَذْحِجِ الشَّامِ الْمُرَزَّ

فصارب القوم حتى ردم ، فانتدب <sup>(٤)</sup> له هام بن قبيصة الطائي . وكان مع معاوية

فشد عليه في مَذْحِج ، فانصر عدو من حاتم الطائي للأشر ، فحمل عليه في طي ، فاشتد

القتال جدا ، فدعا صلى بيعة رسول الله صلى الله عليه وآله فركبها ، ثم نصب بعمامة

رسول الله ، ونادى : أيها الناس ، من بشرى نفسه في إن هذا يوم له ما بعده ، فانتدب

معه مابين عشرة آلاف إلى اثني عشر ألفا ؛ فتقدمهم صلى عليه السلام ، وقال :

ذُبُّوا دِيْبَ النَّلِّ لَا تَقُوتُوا وَأَصْبَحُوا أَمْرَكُمْ أَوْ يَتُّوا <sup>(٥)</sup>

• حَتَّى تَهْلُكُوا النَّارَ أَوْ تَمُوتُوا •

وحمل وحمل الناس كلهم حجة واحدة ، فلم يبق لأهل الشام صف إلا أزالوه ، حتى

أهصوا إلى معاوية ، فدعا معاوية بفرسه ليفرض عليه .

وكان معاوية بعد ذلك يحدث فيقول : لَمَّا وَضَعْتُ رَجُلِي فِي الرِّكَابِ ، ذَكَرْتُ قَوْلَ

صُهَيْرِ بْنِ الْإِطْنَابَةِ <sup>(٦)</sup> :

أَبَتْ لِي عَفِّي وَأَبَى بِلَائِي وَأَخَذِي الْخَنْدَ بِالْثَمَنِ الرَّيِّحِ

(١) الأبيات ذكرها نصر بن مراحم في وثقة ص ١٥١ ، وللسمودي في تاريخه ٢ : ٢٩٠ .

(٢) الشتر : انقلاب جنس العين من أهل وأسفل ونشبهه .

(٣) رواية السمودي :

• لَسْتُ مِنْ أَمْطَى رَبِيعٍ أَوْ مُضَرَ •

(٤) انتدب له : خلف له .

(٥) في وثقة ص ٥٩ للمعري : « وَأَصْبَحُوا بِحَرِّكُمْ » ، وفيها يأتي من شرح التهج (٢٨٦:٢) :

« وَأَصْبَحُوا فِي حَرِّكُمْ » .

(٦) الخبر والأبيات في الكامل (٢١٥ : ٨) . يشرح للرسي ، وأمالى القائل ( ٢٥٨ : ١ ) ، وعميون

الأخبار ( ١٢٦ : ١ ) ، والإطنابة : اسم أمه ؟ وهو صهرو بن طاهر من بني الحارث بن الخزرج .

وَلَقَدْ آتَى عَلَى الْمَكْرُوهِ غُصًى وَغَرَضِي هَامَةَ الْبَطَلِ الشَّيْخِ<sup>(١)</sup>  
وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ : مَكَانِكَ تَحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي<sup>(٢)</sup>  
فَأَخْرَجْتُ رَجُلًا مِنَ الرِّكَابِ وَأَقْبَتُ ، وَنَظَرْتُ إِلَى عَمْرٍو فَقُلْتُ لَهُ : الْيَوْمَ صَبَرْتُ وَغَدًا  
فَخَرْتُ ، فَقَالَ : صَدَقْتُ .

قال إبراهيم بن ديزيل : وروى عبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الرحمن بن حاطب ،  
عن معاوية ، قال : أَخَذْتُ بِمَعْرِفَةِ قَرَسِي ، وَرَضَعْتُ رَجُلًا فِي الرِّكَابِ لِلْهَرَبِ ، حَتَّى  
ذَكَرْتُ شِعْرَ ابْنِ الْإِطْبَابَةِ ، فَمَدَّتْ إِلَى مَقْعَدِي ، فَأَصَبْتُ خَيْرَ الْفُتَيَا ، وَإِنِّي لَرَاكِبٌ أَنْ  
أَصِيبَ خَيْرَ الْآخِرَةِ .

قال إبراهيم بن ديزيل : فَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْحَرِيرِ ، ثُمَّ رَفَعْتُ لِلصَّاحِفِ بَدَنَهُ .  
وروى إبراهيم ، عن ابن أبي عمير ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن ربيعة بن لقيط ،  
قال : شَهِدْنَا صِفِّينَ ، فَطَرَتِ السَّمَاءُ عَلَيْنَا دُمًا عَيْبِلًا .

وقال : وَفِي حَدِيثِ الْبَيْتِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ كَانُوا لَهَا خَنُونَهُ بِالصُّعَافِ وَالْأَنِيةِ . وَفِي  
حَدِيثِ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ : حَقٌّ إِنَّ الصُّعَافَ وَالْأَنِيةَ لَنُتِلَّ وَنُهْرِيْقُهَا .

قال إبراهيم : وَرَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَبَادٍ ، عَنْ الْبَيْتِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي  
حَبِيبٍ ، عَنْ حَدِيثِهِ مَنْ حَضَرَ صِفِّينَ أَتَاهُمْ مَطَرٌ دُمًا عَيْبِلًا ، فَتَلَقَّاهُ النَّاسُ بِالْقَصِصِ  
وَالْأَنِيةِ ، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْحَرِيرِ ، وَفَزَعَ أَهْلُ الشَّامِ وَهُمْ أُنْ بَضْرَتُوا ، فَحَامَ عَمْرٍو بْنُ  
الْعَاصِ فِيهِمْ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا هَذِهِ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ، فَأَصْلَحْ أَمْرًا مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
اللَّهِ ، ثُمَّ لَا عَلَيْهِ أَنْ يَنْتَطِعَ هَذَانِ الْجَبَلَانِ . فَأَخَذُوا فِي الْقِتَالِ .

(١) في الكامل : دَوَّاجَتَانِ عَلَى الْمَكْرُوهِ غُصًى ، وَالشَّيْخُ : الْعَمَلُ عَلَى عَدُوِّهِ ، لِلنَّاسِ لَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ .  
(٢) جَشَأَتْ وَجَاشَتْ ، أَيِ ارْتَفَعَتْ مِنَ الْفَرْحِ .

قال إبراهيم : وروى أبو عبد الله الكشي ، قال : حدثنا سفيان بن عامر بن كليب الحارثي عن أبيه ، قال : أخبرني ابن عباس قال : لقد حدثني معاوية أنه كان يومئذ قد قرب إليه فرساً له أنثى ، بعيدة البطن من الأرض ، ليهرب عليها ؛ حتى أنه آت من أهل العراق ، فقال له : إني تركت أصحاب علي في مثل ليلة الصدر<sup>(١)</sup> من مي ، فأتيت ، قال : قلنا له : فأخبرنا من هو ذلك الرجل ؟ فأبى وقال : لا أخبركم من هو .

• • •

قال نصر وإبراهيم أيضاً : وكتب معاوية إلى علي عليه السلام :  
أما بعد ، فإن هذا الأمر قد طال بيننا وبينك ، وكل واحد منا يرى أنه على الحق فيما يطلب من صاحبه ، ولن يعطى واحد منا الطاعة للآخر ، وقد قيل فيما بيننا شر كثير ، وأما أن نخوف أن يكون ما بيني أشد مما بيني ؛ وإنا سوف نسال من ذلك للوطن ، ولا يحاسب [ به ]<sup>(٢)</sup> غيري وغيرك ، وقد دعوتك إلى أمر لنا ولك فيه حياة وعذر ، وبراءة وصلاح للأمة ، وحقق إدماء ، وألفة للدين ، وذهاب للضمان والفتن ، أن نحكم بيني وبينكم حكمتين مرضيتين ، أحدهما من أصحابي ، والآخر من أصحابك ، فيحكان بيننا بما أنزل الله ، فهو خير لي ولك ، وأقطع لهذه الفتن : فأتق الله فيما دُعيت إليه ، وارض بحكم القرآن إن كنت من أهله ، والسلام .

فكتب إليه علي عليه السلام :

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان ، أما بعد ، فإن أفصل ما شغل به المرء نفسه اتباع ما حسن به<sup>(٣)</sup> فعله ، واستوجب فصله ، وسلم من عيبه<sup>(٤)</sup> ،

(١) الصدر : اليوم الرابع من أيام مي .

(٢) نكلة من وثقة صفيع للتفري .

(٣-٣) وثقة صفيع . « ما يحسن به فعله ، ويستوجب فصله ، وسلم من عيبه » .

وإن البغي والزور يُزريان بالمرء في دينه ودينه ، فاحذر الدنيا ، فإنه لا فرح في شيء وصلت إليه منها ؛ ولقد علمت أنك غير مدرك ما قضى قوائمه ، وقد رام قومٌ أمراً بنور الحق ، وتأولوه <sup>(١)</sup> على الله حلّ وحرّ ، فأكذبتهم ومنتهم قليلاً ، ثم اضطروهم إلى عذابٍ غليظ ، فاحذّر يوماً بمتشيط فيه من تجد عاقبة عمله ، ويندم فيه من أمكن الشيطان من قيادته [ ولم يحاذه ] <sup>(٢)</sup> ، وغرته الدنيا والطمأن إليها . ثم إنك قد دعوتني إلى حكم القرآن ، ولقد علمت أنك لست من أهل القرآن ولا حكمته تريد ؛ والله المستعان ، فقد أجبنا القرآن إلى حكمه ، ولشأن إياك أجابنا ؛ ومن لم يرض بحكم القرآن فقد ضلّ ضلالاً بعيداً <sup>(٣)</sup> .

فكتب معاوية إلى علي عليه السلام

أما بعد ؛ عافانا الله وإياك ولقد آن لك أن نجيب إلى ما فيه صلاحنا وألفة بيتنا ، وقد فعلت الذي فعلت وأنا أمر قدير حق ، وليكن أشعرت بالمفو صلاح الأمة ، ولم أكن فرحاً بشيء جاء ولا ذهب ؛ وإنما أودعني في هذا الأمر القيام بالحق فيما بين الباغي واللبغي عليه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ مدعوت إلى كتب الله فيما بيننا وبينك ؛ فإنه لا يحسننا وإياك إلا هو ، نحى ما أحيا القرآن ، ونحيت ما أمات القرآن ، والسلام <sup>(٤)</sup> .

\*\*\*

قال نصر : فكتب علي عليه السلام إلى عمرو بن العاص ، يعطه ويُرشده .

(١) وقعة صفين : « تأولوا على الله » .

(٢) تسكلة من وقعة صفين للمعري .

(٣) وقعة صفين للمعري ٥٦٥ - ٥٦٦ .

(٤) وقعة صفين للمعري ٥٧٠ .

أما بعد ؛ فإن الدنيا مشغلة عن غيرها ، ولن يصيب صاحبها منها شيئاً إلا فتحت له حرمها يزيد فيها رغبة ، ولن يستمتع صاحبها بما مال عما لم يبلغ <sup>(١)</sup> ، ومن وراء ذلك فراق ما جمع ، والسعيد من وعظ بغيره ؛ فلا تحيط أبا عبد الله أجرك ، ولا تجار معاوية في باطله ، والسلام .

فكتب إليه عمرو الجواب :

أما بعد أقول ، فالذي <sup>(٢)</sup> فيه صلاحنا والفتا الإجابة إلى الحق ، وقد جعلنا القرآن بيننا حكماً ، وأجبتنا إليه ، فصبر الرجل منا فته على ما حكم عليه القرآن ، وعذره الناس بعد المجازة ، والسلام .

فكتب إليه علي عليه السلام :

أما بعد ؛ فإن الذي أحبتك من الدنيا مما نازحك إليه نفسك ، ووقت به مهالك المنقلب عنك ، ومفارق لك ؛ فلا تطعن إلى الدنيا فإنها غرارة ، ولو اعتبرت بما مضى لحطمت ما بقى ، واستغفرت منها عما وعظت به . والسلام .

فأجابه عمرو :

أما بعد ، فقد أنصف من جعل القرآن إماماً ، ودعا الناس إلى أحكامه ، فاصبر أبا حسن ، فإنما غير منيليك إلا ما أملك القرآن ، والسلام <sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

قال نصر : وجاء الأشعث إلى علي عليه السلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ما أرى الناس إلا قد رضوا ، ومريم أنت يجهبوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن ؛

(١) وقعة صفين : « لم يبلغ » .

(٢) وقعة صفين : « فإن ما فيه صلاحنا » .

(٣) وقعة صفين للمعري ٥٧٠ - ٥٧١ .



فَإِنْ شِئْتَ أَنْتَ مُعَاوِيَةَ فَسَأَلَهُ مَا يَرِيدُ ، وَنَظَرْتُ مَا أَتَى بِسَأَلٍ : قَالَ : فَإِنَّهُ إِنْ شِئْتَ ؛ فَأَتَاهُ ، فَسَأَلَهُ : بِمُعَاوِيَةَ : لَأَيِّ شَيْءٍ رَفَضْتُمْ هَذِهِ لِلصَّاحِفِ ؟ قَالَ : لَنَرْجِعَ نَحْنُ وَأَنْتُمْ إِلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِيهَا <sup>(١)</sup> ، فَايْشُوا رِجَالًا مِنْكُمْ تَرْضَوْنَ بِهِ ، وَنَبِثْ مِنْ رِجَالٍ ، وَتَأْخُذْ عَلَيْهِمَا أَنْ يَسْتَلَا بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا يَمْدُوَانِهِ ، ثُمَّ نَلْبِغْ مَا اتَّفَقَا عَلَيْهِ . فَقَالَ الْأَشْعَثُ : هَذَا هُوَ الْحَقُّ .

وَانصَرَفَ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَخْبَرَهُ ، فَضَمَّ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قُرَاءَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَنَبِثَ مُعَاوِيَةَ قُرَاءَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَاجْتَمَعُوا بَيْنَ الصَّفَيْنِ ، وَمَعَهُمُ لِلصَّحْفِ ، فَنَظَرُوا فِيهِ وَتَدَارَسُوا <sup>(٢)</sup> وَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يُحْمِلُوا مَا أَحْبَبُوا مِنَ الْقُرْآنِ ، وَيُحْمِلُوا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ ، وَرَجَعَ كُلُّ فَرِيقٍ إِلَى صَاحِبِهِ ، فَقَاتَلَ أَهْلُ الشَّامِ : إِنَّا قَدْ رَضِينَا وَاخْتَرْنَا هَرُونَ بْنَ الْعَاصِ ، وَقَالَ الْأَشْعَثُ وَالْقُرَاءُ الَّذِينَ صَارُوا خُورُجَ قِيَامٍ : قَدْ رَضِينَا نَحْنُ وَاخْتَرْنَا أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ ، فَقَالَ لِمَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَإِنِّي لَا أَرْضَى بِأَبِي مُوسَى وَلَا أَرَى أَنْ أَوْلِيَهُ ، فَقَالَ الْأَشْعَثُ وَزَيْدُ بْنُ حَصِينٍ وَبِشْرُ بْنُ قَدِّحٍ فِي عَصَابَةِ مِنَ الْقُرَاءِ : إِنَّا لَا نَرْضَى إِلَّا بِهِ ، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ حَذَرْنَا مَا وَفَّقْنَا فِيهِ . فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَإِنَّهُ لَيْسَ لِي بَرَخًا ، وَقَدْ فَارَقَنِي وَخَذَلَ النَّاسَ حَتَّى ، وَهَرَبَ مِنْ حَتَّى أَمْتَقَهُ بَعْدَ أَشْهُرٍ ، وَلَكِنْ هَذَا ابْنُ عَبَّاسٍ أَوْلِيَهُ ذَلِكَ . قَالُوا : وَاللَّهِ مَا نُبَالِي ، أَكُنْتَ أَنْتَ أَوْ ابْنُ عَبَّاسٍ أَوْ لَا تُرِيدُ إِلَّا رِجَالًا هُوَ مِنْكَ وَمِنْ مُعَاوِيَةَ سِوَاهُ ، لَيْسَ إِلَيْنَا وَاحِدٌ مِنْكُمْ بِأَدْنَى مِنَ الْآخَرِ . قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَإِنِّي أُجِيزُ الْأَشْثَرَ ، فَقَالَ الْأَشْعَثُ : وَهَلْ سَرَّ الْأَرْضَ عَلَيْنَا إِلَّا الْأَشْثَرَ ؟ وَهَلْ مِنْ إِلَّا فِي حُكْمِ الْأَشْثَرَ ؟ قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَمَا حُكْمُهُ ؟ قَالَ : حُكْمُهُ أَنْ يَضْرِبَ بَعْضُنَا بَعْضًا بِالسِّيفِ حَتَّى يَكُونَ مَا أَرَدْتَ وَمَا أَرَادَ <sup>(٣)</sup> .



(٢) صَفَيْنَ : « وَتَدَارَسُوا » .

(١) وَقَعَةُ صَفَيْنَ : « فِي كِتَابِهِ » .

(٣) وَقَعَةُ صَفَيْنَ لِلْمَقَرِّ ٥٧٧ .

قال نصر : وحدثنا عمرو بن شعير ، عن جابر ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، قال : لما أراد الناس علياً أن يصنع الحكمين ، قال لهم : إن معاوية لم يكن ليضع لهذا الأمر أحداً هو أوثقُ برأيه ونظره من عمرو بن العاص ؛ وإنه لا يصلح للقرشي إلا مثله ، فعليكم بعبد الله بن العباس فارموا به ؛ فإن تمراً لا ينفق عقدة إلا حلها عبد الله ، ولا يحمل عقدة إلا عقدها ، ولا يُبرمُ أسراً إلا قصه ، ولا ينقصُ أسراً إلا أمره ، فقال الأشعث : لا والله ، لا يحكم فينا مُضَرِّبان حتى تقوم الساعة ، ولكن اجعل رجلاً من أهل اليمن إذ جعلوا رجلاً من مُضَرٍّ ، فقال علي عليه السلام : إني أخاف أن يُخدعَ بميثكم ، فإن تمراً ليس من الله في شيء إذا كان له في أمرٍ هوى . فقال الأشعث : والله لأن يحكما ببعض ماكره ، وأحدهما من أهل اليمن ، أحبُّ إلينا من أن يكون سمر ماعية في حكمهما وهما مُضَرِّبان .

قال : وذكر الشعبي أيضاً مثلاً ذلك<sup>(١)</sup> .

•••

قال نصر : فقال علي عليه السلام : قد أبدتُم إلاً أبا موسى ! قالوا : نعم ، قال : فاصنعوا ما شئتم ، فبمئذٍ إلى أبي موسى - وهو بأرضٍ من أرض الشام يقال لها عُرْض<sup>(٢)</sup> قد اعتزل القتال - فأتاه مولى له ، فقال : إن الناس قد اصطلحوا ، فقال : الحمد لله رب العالمين ، قال : وقد جعلوك حكماً ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون !  
فجاء أبو موسى حتى دخل عسكر علي عليه السلام ، وجاء الأشرع علياً ، فقال : يا أمير المؤمنين أُرِي<sup>(٣)</sup> بصرو بن العاص ، فوالذي لا إله غيره ، لئن ملأت عيني منه لأقتله .

(١) وقفة صعب لسفري ٥٧٣ .

(٢) عرمن : علة بين تدمير ورسافة الشام .

(٣) أُرِي به : أُرِيه إياه .

وجاء الأحنف بن قيس عليا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك قد رُميت بحجر<sup>(١)</sup> الأرض ؛ ومن حارب الله ورسوله أف<sup>(٢)</sup> الإسلام ، وإني قد عجتُ هذا الرجل - يعني أبا موسى - وحلبتُ أشطره ، فوجدته قليل الشفرة قريب القمر ؛ وإنه لا يصلح لمؤلاء القوم إلا رجلٌ يدنو منهم حتى يكون في أكنفهم ، ويتباعد منهم حتى يكون بمنزلة النجم منهم ،<sup>(٣)</sup> فإن شئت أن تجعلني حاكما فاجلني ، وإن شئت أن تجعلني ثانيا أو ثالثا<sup>(٤)</sup> ، فإن عمرا لا يقد عقد إلا حلقها ، ولا يحمل عقد إلا عقدت لك أشد منها .

فمرّض علي عليه السلام ذلك على الناس فأبوه ، وقالوا : لا يكون إلا أبا موسى<sup>(٥)</sup> .

• • •

قال نصر : مال الأحنف إلى علي عليه السلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إني خذرتك يوم الجمل أن أتيتك فيمن أطاعني ، أو أكف عنك بني سعد ، فقلت : كف قومك ، فكفني بكفك نصيرا ، فافقت بأمرك ، وإن عبد الله بن قيس<sup>(٦)</sup> رجل قد حلبت أشطره ، فوجدته قريب القمر ، قليل اللذبة ، وهو رجل يمازى وقومه مع معاوية ، وقد رُميت بحجر الأرض ، ومن حارب الله ورسوله ، وإن صاحب القوم من ينأى حتى يكون مع النجم ، ويدنو حتى يكون في أكنفهم ، فاستنى ، فوافقه لا يحمل عنك عقد إلا عقدت لك أشد منها ، فإن قلت : إني لست من أصحاب رسول الله ، فاست رجلًا من أصحاب رسول الله ، وابستني معه .

(١) في اللسان ٥ : ٢٣٧ : • ويقال : رمى فلان بحجر الأرض ؛ إذا رمى مداعبة من الرجال ؛ وفي حديث الأحنف بن قيس : أنه قال لعلي حين سمى معاوية أحد الحكمين عمرو بن العاص ؛ إنك قد رميت بحجر الأرض . . . .

(٢) أحب كل شيء : أوله ؛ يقال : سارني أف النهار ، أي أوله .

(٣-٢) وقلة صعب : • فإن تجعلني حاكما فاجلني ، وإن أبيت أن تجعلني ثانيا أو ثالثا • .

(٤) ولغة صعب ٥٧٤ .

(٥) عبد الله بن قيس هو أبو موسى الأشعري .

فقال عليّ عليه السلام : إنّ القوم أتوني بعد الله بن قيس مُبْزَنَسًا ، فقالوا : امث هذا ، رَضِينَا بِهِ وَاللَّهِ بَالِغُ أَمْرِهِ <sup>(١)</sup> .

• • •

قال نصر : وروى أنّ ابن الكوّاء ، قام إلى عليّ عليه السلام ، فقال : هذا عبد الله ابن قيس وافد أهل اليمن إلى رسول الله صلى عليه وصاحب مقاسم أبي بكر <sup>(٢)</sup> وعامل همر ، وقد رضى به القوم ، وعرضنا عليهم ابن عباس ، فزعموا أنه قريب القرابة منك ، فظنّون <sup>(٣)</sup> في أمرك .

فبلغ ذلك أهل الشام ، فبعث أيمن بن خزيم الأسدي ، وكان معتزلاً لماوية بهذه الأبيات ، وكان هواه أن يكون الأمر لأهل العراق :

لَوْ كَانَ لِلْقَوْمِ رَأْيٌ يُنْصَوْنَ بِهِ	مِنْ الضَّلَالِ رَمَوْكُمْ بِابْنِ عَبَّاسٍ
فَهُ دَرُّ أَيْمٍ أَيْمًا رَحُلٌ	مَا مِثْلَهُ لِفَصَالِ الْخُلُوبِ فِي النَّاسِ !
لَكِنْ رَمَوْكُمْ بِشَيْخٍ مِنْ ذَوِي يَمَنٍ	لَا يَهْتَدِي ضَرْبَ أَخْبَاسٍ لِأَسَدَاسٍ <sup>(٤)</sup>
إِنْ يَجُلُ حَمْرٍ بِهِ يَغْدِفُهُ وَ لُجَجُ	يَهْوِي بِهِ النِّجْمُ تَيْئًا بَيْنَ أُتْيَاسٍ
أُبْلِغَ لَدَيْكَ عَلِيًّا غَيْرَ عَاتِبِهِ <sup>(٥)</sup>	قَوْلَ امْرِئٍ لَا بَرَى بِالْحَقِّ مِنْ بَاسٍ
مَا الْأَشْمَرِيُّ عَامُونَ أَبَا حَسَنِ	فَاعْلَمْ هُدَيْتَ وَابِسَ الْعَمَرُ كَالرَّاسِ
فَأَصْدَرُ بِصَاحِبِكَ الْأَدَى زَعِيمَهُمْ	إِنَّ ابْنَ تَحَكَّ عَبَّاسٍ هُوَ الْأَسَى

فلما بلغ الناس هذا الشعر ، طارت أهواء قوم من أولياء عليّ عليه السلام وشيعته إلى ابن عباس ، وأبت القرّاء إلا أبا موسى <sup>(٦)</sup> .

(١) وقعة سجين ٥٧٥ .

(٢) صاحب المقاسم : الذي يتولى أمر قسمة الغنائم ونحوها .

(٣) الظنون : التهم ، كالتظن .

(٤) وقعة صفين والبعدي ٢ : ٤١٠ : « لم يدر ما ضرب أخباس »

(٥) صفين : « عاتبه » .

(٦) وقعة صفين : ٥٧٥ - ٥٧٦ .

قال نصر : وكان أيمن بن خزيمة رجلاً مابداً مجتهداً ، وقد كان معاوية جعل له فلسطين ، على أن يتأسسه وبشابهه على قتال علي عليه السلام ، فقال أيمن ، وبعث بها إليه :

وَلَسْتُ مُقَاتِلًا رَجُلًا يُصَلِّيَ      على سلطانٍ آخرٍ من قُرَيْشٍ  
له سلطانُهُ وَهَلَى إِيَّاهُ      محاذُ الله من سيفٍ وَطَيْشٍ  
أَقْتُلُ مُسْلِمًا فِي غَيْرِ جُرْمٍ      فَنَيْسَ بِنَافِعِي مَا هَشْتُ عَيْشِي أ

قال نصر : فلما رضى أهل الشام بعمره ، وأهل العراق بأبي موسى ، أخذوا في سطر كتاب المواقعة ، وكانت صورته :

« هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان » . فقال معاوية : بشى الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثم فقلت ! وقال عمرو : بل نكتب اسمه واسم أبيه ! إنما هو أميركم ، فأما أميرنا فلا . فلما أعيد إليه الكتاب أمر بمحوه ، فقال الأحنف : لا نصح اسم أمير المؤمنين عنك ؛ فإني أخوف إن محوتها ألا ترجع إليك أبداً ، فلا تمحوها . فقال علي عليه السلام : إن هذا اليوم كهوم الحديبية حين كتب الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سُهَيْل بن عمرو ، فقال سُهَيْل : لو أعلم أنك رسول الله لم أقاتيك ، ولم أحافئك ، إني إذا نظمت لك إن منعك أن تطوف بيت الله الحرام وأنت رسوله ؛ ولكن اكتب : « من محمد بن عبد الله » ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه : « يا علي ، إني لرسول الله ، وأنا محمد بن عبد الله ، ولن يمحو مني الرسالة كتابي لهم من محمد بن عبد الله ، فاكتمها وامح ما أراد محوه ، أما إن لك مثلاً شغلها وأنت مضطهد » .

قال نصر : وقد روى أن عمرو بن العاص عاد بالكتاب إلى علي عليه السلام ، فطلب منه أن يمحو اسمه من إمرة المؤمنين فقص عليه وعلى من حضر قصة صلح الحديبية ،

قال : إن ذلك الكتاب أنا كتبه بيننا وبين لشركين ، واليوم أكتبه إلى آبائهم ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبه إلى آبائهم شيئا<sup>(١)</sup> ومثلا ، فقال عمرو : سبحان الله ! أتشبهنا<sup>(٢)</sup> بالكفار ، ونحن مسلمون ! فقال عليّ عليه السلام : يا ابن الناسة ، ومق لم تكن للكافرين وليا وللمسلمين عدوا ! فقام عمرو ، وقال : والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد اليوم . فقال عليّ : أما والله إنى لأرحو أن يظهر الله عليك وعلى أصحابك .

وجاءت عصابة قد وصمت سيوفها على هوائقها ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، مرمما بما شئت ، فقال لهم سهل بن حبيب : أيها الناس ، أتسموا رأبكم ، فلقد شهدنا صلح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ، ولو نرى قتالا لقاتلنا<sup>(٣)</sup> .

وراد إبراهيم بن ديزيل : لقد رأيت يوم أبي جندل - يعنى الحديبية - ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لردته ، ثم لم تر في ذلك الصلح إلا حبرا .

قال نصر : وقد روى أبو إسحاق الشيباني ، قال : قرأت كتاب الصلح عند سعيد ابن أبي بريدة في صحيفة صمراء ، عليها خاتمان : خاتم من أسفلها وخاتم من أعلاها ، على خاتم عليّ عليه السلام : « محمد رسول الله » ، وعلى خاتم معاوية « محمد رسول الله » . وقيل لعليّ عليه السلام ، حين أراد أن يكتب الكتاب بينه وبين معاوية وأهل الشام : أتقر أنهم مؤمنون مسلمون ! فقال عليّ عليه السلام : ما أقر معاوية ولا لأصحابه أنهم مؤمنون ولا مسلمون ؛ ولكن يكتب معاوية ما شاء بما شاء ، وبقر بما شاء لنفسه ولأصحابه ، ويسمى نفسه بما شاء وأصحابه ، فكتبوا :

هذا ما تراضى عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضي عليّ بن أبي طالب

(١) ولعله صعب : « سنة ومثلا » .

(٢) صعب : « شبهنا بالكفار ونحن مؤمنون » .

(٣) كتاب صعب ٥٨٢ - ٥٨٣ .

على أهل العراق وَمَنْ كَانَ معه من شيعة من المؤمنين والمسلمين ، وقاضى معاوية بن أبي سفيان على أهل الشام وَمَنْ كَانَ معه من شيعة من المؤمنين والمسلمين ، إنا ننزل عند حُكْمِ الله تعالى وكتابه ، ولا يجمع بيننا إلا إياه . وإن كتب الله سبحانه وتعالى بيننا من فاتحته إلى خاتمته ، نحى ما أحيا القرآن ، ونميت ما أملت القرآن ، فإن وَجَدَ الحَكَمَانِ ذلك في كتاب الله اتبعاه ، وإن لم يجداه أَخَذَا بالسُّنة العادلة غير المفرقة . والحَكَمَانِ : عَهْدُ الله بن قيس وعمرو بن العاص . وقد أخذ الحَكَمَانِ مِنْ عَلى ومعاوية ومن الجنديين أَنَّهُمَا آمَنَانِ عَلَى أَنفُسِهِمَا وَأَمْوَالِهِمَا وَأَهْلِيهَا ، وَالْأُمَّةَ لَهَا أَنْصَارٌ ؛ وَعَلى الذى يقضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين عَهْدُ الله أَنْ يَسْلُوا بِمَا يَقْضِيَانِ عَلَيْهِ ؛ عَمَّا وافق الكتاب والسُّنة ، وَإِنْ الْأَمْنُ وَالْمَوَادعة ووضع السلاح متفق عليه بين الطائفتين ؛ إِلَى أَنْ يَقَعَ الْحُكْمُ ، وَعَلى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْحَكَمَيْنِ عَهْدُ الله ، لَيَحْكُمَنَّ بَيْنَ الْأُمَّةِ بِالْحَقِّ ، لَا بِالْهَوَى . وَأَجَلُ الْمَوَادعة سنة كاملة ؛ فَإِنْ أَحَبَّ الْحَكَمَانِ أَنْ يُعْجِلَا الْحُكْمَ مُعْجِلَاءَ ، وَإِنْ تَوَقَّعَ أَحَدُهُمَا فَلَا مُرَ شِيعَتِهِ أَنْ يَخْتَارَ مَكَانَهُ رَجُلًا ؛ لَا بِالْوِطْءِ وَالْعَدْلِ ، وَإِنْ تَوَقَّعَ أَحَدُ الْأُمِيرَيْنِ كَانَ نَصَبٌ غَيْرُهُ إِلَى أَصْعَابِهِ مِنْ يَرْضَوْنَ أَمْرَهُ ، وَيَحْمَدُونَ طَرِيقَتَهُ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَنْصِرُكَ عَلَى مَنْ تَرَكَ مَا فِي هَذِهِ الضَّعِيفَةِ ، وَأَرَادَ فِيهَا الْخَادَأَ وَظُلْمًا .

قال نصر : هذه رواية محمد بن عَلى بن الحسين والشمس ، وروى جابر عن زيد بن الحسن بن الحسن زبادات على هذه النسخة :

هذا ما تقاضى عليه ابن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وشيعةُهما فيما تراضيا به من الْحُكْمِ بكتاب الله وسنة رسوله ؛ قَضِيَتْ عَلَى عَلى أهل العراق وَمَنْ كَانَ مِنْ شِيعَتِهِ مِنْ شَاهِدٍ أَوْ غَائِبٍ ، وَقَضِيَتْ مَعَاوِيَةَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ وَمَنْ كَانَ مِنْ شِيعَتِهِ مِنْ شَاهِدٍ أَوْ غَائِبٍ ؛ إِنَّا رَضِينَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَ حُكْمِ الْقُرْآنِ فِيمَا حُكِمَ ، وَأَنْ تَقِفَ عِنْدَ أَمْرِهِ فِيمَا أَمَرَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجْمَعُ بَيْنَنَا إِلَّا ذَلِكَ ، وَإِنَّا جِئْنَا كِتَابَ اللَّهِ سَبْعَانَهُ حَكَمًا يَتَنَافَا فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ ، مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى

خاتمته ، نحى ما أحيا القرآن ، ونميت ما أمانه ؛ على ذلك تقاضينا ، وبه تراضينا . وإن  
عليها وشيعته رضوا أن يعمتوا عبد الله بن قيس ناظرا ومحاسنا ؛ ورضى معاوية وشيعته أن  
يعمتوا عمرو بن العاص ناظرا ومحاسنا ؛ على أنهم أخذوا عليها عهد الله وميثاقه ، وأعظم  
ما أخذ الله على أحد من خلقه كبتخذي الكتاب إماما فيما بئنا إليه ، لا يبدؤا به إلى غيره  
ما وجداه فيه مسطورا ، وما لم يجداه مسمى في الكتاب رداه إلى سنة رسول الله صلى الله  
عليه الجماعة ، لا يمتدان لها خلافا ، ولا يتبعان هوى ، ولا يدخلان في شبهة ؛ وقد أخذ  
عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على علي ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضا بما حكما به  
من كتاب الله وسنة نبيه ، وليس لها أن يتقصا ذلك ولا يخالعا إلى غيره ؛ وأنها آمانان في  
حكمهما على دمايتهما وأموالهما وأهلها ، ما لم يبدؤا الحق ؛ رضى بذلك راض أو أنكره  
مُكر . وإن الأمة أفسار لها على ما قصي به من العدل ، فإن توفى أحد الحكمين قبل  
انقضاء الحكومة فأمير شيعته وأصحابه يختارون مكانه رجلا ، لا يألون من أهل القعدة  
والإقسط على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق والحكم بكتاب الله وسنة رسوله ،  
وله مثل شرط صاحبه ، وإن مات أحد الأمرين قبل انقضاء ، فليشيعته أن يولوا مكانه  
رجلا يرضون عدله . وقد وقعت هذه القضية ، ومعها الأمن والتفاوض ، ووضع السلاح  
والسلام والوادة ، وعلى الحكمين عهد الله وميثاقه ألا يألوا اجتهادا ، ولا يمتداجورا ،  
ولا يدخلوا في شبهة ، ولا يبدؤا حكم الكتاب ، فإن لم يقبلوا برئت الأمة من حكمهما ،  
ولا عهد لها ولا ذمة ، وقد وجبت القضية على ما قد سُمي في هذا الكتاب من مواقع  
الشروط على الحكمين والأميرين والفرقيين ، والله أقرب شهيذا ، وأدنى حفيظا . والناس  
آمنون على أنفسهم وأهلهم وأموالهم إلى انقضاء مدة الأجل ، والسلاح موضوع ،  
والسبل محلاة ، والشاهد والنائب من الفريقين سواء في الأمن ، وللعلمين أن ينزلا  
منزلا عدلا بين أهل المراقب والشام ، لا يمحصرهما فيه إلا من أحببنا عن ملائمتها ونراض ،



وإن المسلمين قد أجتوا هذين القاضيين إلى انسلاخ شهر رمضان ، فإن رأيا تسجيل الحكومة فيها وجهها تجلها ، وإن أرلدا تأخيرها بعد شهر رمضان إلى اقضاء الموسم فذلك إليهما ، وإن هما لم يحكما بكتاب الله وسنة نبيه إلى اقضاء الموسم فالسلطان على أمرهم الأول في الحرب ، ولا شرط بين الفريقين ، وعلى الأمة عهد الله وميثاقه على القيام والوفاء بما في هذا الكتاب ، وهم يد على من أراد فيه إلحادا وظلما ؛ أو حاول له نقضا . وشهد فيه من أصحاب علي عشرة ، ومن أصحاب معاوية عشرة ؛ وتاريخ كتابته ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

قال نصر : وحدثنا عمرو بن سعيد ، قال : حدثني أبو جناب ، عن ربيعة الجزمي ، قال : لما كتبت الصحيفة دُعي لها الأشتر ، يشهد مع الشهود عليه ، فقال : لا أصعبني يميني ولا نفي بعد ما التمس إن كُتب لي في هذه الصحيفة اسم على صلح أو موادة ، أو لست على بينة من أمري وبقين من خلافة عدوي ؛ أو لستم قد رأيتم الظفر إن لم تجمعو على الظهور ؛ فقال له رجل [ من الناس ]<sup>(٢)</sup> : والله ما رأيت ظفرا ولا خورا ، لم فأشهد على نفسك ، وأقرر بما كُتب في هذه الصحيفة ، فإنه لا رغبة لك من الناس . قال : بلى والله ، إن لي لرغبة منك في الدنيا للدنيا ، وفي الآخرة للآخرة ؛ ولقد سفك الله بسيفي هذا دماء رجال ما أنت عندي بحور منهم ، ولا أحرم دما .

قال نصر بن مزاحم : الرجل هو الأشعث بن قيس ؛ قال : فكأنما قصص<sup>(٣)</sup> على أنه الحميم ثم قال : ولكنني قد رضيت بما يرضي به أمير المؤمنين ؛ ودخلت فيها دخل فيه ، وخرجت مما خرج منه ، فإنه لا يدخل إلا في الهدى والصواب .

(١) وثقة طين ٥٧٨ - ٥٨٦

(٢) من صفين .

(٣) القصص : الملك والضرب . وفي صفين : الحمم .

قال نصر : فخذنا عمر بن سعد عن أبي جناب الكلبي عن إسماعيل بن شفيح<sup>(١)</sup> عن سفيان بن سلمة<sup>(٢)</sup> ، قال : فلما تم الكتاب وشهدت فيه الشهود ، وتراضى الناس خرج الأشعث ، ومعه ناس بسخة الكتاب يقرؤها على الناس ، ويمرُّ بها عليهم ، فمرَّ به على صفوف من أهل الشام ، وهم على راياتهم ، فاستمعهم إياه ، فمروا به ، ثم مرَّ به على صفوف من أهل العراق ، وهم على راياتهم ، فاستمعهم إياه ، فمروا به ، حتى مرَّ رايات عزة ، وكان مع علي عليه السلام من عزة بصفين أربعة آلاف مخنف<sup>(٣)</sup> ، فلما مرَّ بهم الأشعث يقرؤه عليهم ، قال فتیان منهم : لا حكم إلا لله ، ثم حلا على أهل الشام سيوفهما ، فقاتلا حتى قُتلا على باب رواق معاوية - فهما أول من حكم . واسماهما جعد ومقدان - ثم مرَّ بهما على مراد ، فقال صالح بن شقيق ، وكان من رعوسهم :

ما املئ في الدماء قدَّ حَكَمَ لوقائل الأحزاب يوماً ما ظلم

لا حكم إلا لله ، ولو كره المشركون . ثم مرَّ على رايات بني راسب ، فقرأها عليهم ، فقال رجل منهم : لا حُكَمُ إلا لله ، لا نرضى ولا نَحْكُمُ الرجال في دين الله . ثم مرَّ على رايات تميم ، فقرأها عليهم ، فقال رجل منهم : لا حُكَمُ إلا لله ، يفضي بالحق وهو خير الفاصلين . فقال رجل منهم لآخر : أمّا هذا فقد طعن طعنة نافذة . وخرج عروة بن أذينة ، أخو مرداس بن أذينة التميمي ، فقال : آمحْكُمُون الرجال في أمر الله لا حُكَمُ إلا لله فإن قتلنا يا أشعث أتم شدَّ سيفه ليضرب به الأشعث ، فأخطأه ، وضرب عجز دابته ضربة خفيفة ؛ فصاح به الناس : أن امك<sup>(٤)</sup> يذك ، فكفَّ ورجع الأشعث إلى قومه ، فشى الأحف إليه ومثقل بن قيس ومثعر بن فديك ، ورجال من بني تميم ، فتنصّلوا واعتذروا ، فقبل منهم ذلك وانطلق إلى علي عليه السلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن

(١) كتاب سفيان . « هب » بالتصغير .

(٢) كتاب سفيان : « عن شقيق بن سلمة » .

(٣) المخنف : لابس التجفاف ، وأسله ما يجمل به الفرس من سلاح وآلة .

(٤) سفين : « أن أمك » .

هرضت الحكومة على صفوف أهل الشام ، وأهل العراق ، فقالوا جميعاً : رضينا ، حتى مررت برأيات بنى راس ، ونبتذ<sup>(١)</sup> من الناس سواهم ، فقالوا : لا نرضى ، لا حكم إلا لله قيل<sup>(٢)</sup> بأهل العراق وأهل الشام عليهم حتى قتلهم . فقال علي عليه السلام : هل هي غير راية أو رايين ونبتذ من الناس ؟ قل : لا ، قال : فدعهم .

قال نصر : فطن علي عليه السلام أنهم قليلون لا يعبا بهم ، فباراهه إلا نداه الناس من كل جهة ومن كل ناحية : لا حكم إلا لله ! الحكم لله يا علي ! لا نرضى بأن يحكم الرجال في دين الله . إن الله قد أمضى حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا تحت حكمنا عليهم<sup>(٣)</sup> ، وقد كنا رلقنا وأعطانا حين رضينا بالحكمين ، وقد بان لنا زلقنا وخطونا فرجعنا إلى الله وتبنا ، فارجع أنت يا علي كما رجعنا ، ونسب إلى الله كما نسبنا ، وإلا يريتنا منك . فقال علي عليه السلام : ونحكم أئمة الرضا واليتق والمهد نرجع أليس الله تعالى قد قال : ﴿ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقال : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بِمَا تَوْفَّقَهَا وَقَدْ جَمَلْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾<sup>(٥)</sup> ، فإني على أن يرجع ، وأبى الخوارج إلا تضليل التعكيم والظن فيه ، فبرئت من علي عليه السلام وبري علي عليه السلام منهم<sup>(٦)</sup> .

قال نصر : وقام إلى علي عليه السلام محمد بن جريش<sup>(٧)</sup> فقال : يا أمير المؤمنين ، أما إلى الرجوع عن هذا الكتاب سبيل ! فوالله إني لأخاف أن يورث ذلاً ، فقال علي عليه

(١) نبتذ من الناس ، أى عدد قليل منهم .

(٢) صفين : « فأنصل » .

(٣) صفين : « أو يدخلوا في حكمنا عليهم » .

(٤) سورة المائدة ١ .

(٥) سورة النحل ٩١ .

(٦) وقعة صفين ٥٨٩ - ٥٩٠ .

(٧) كتاب صفين : « محمد بن جريش » ؛ وقال : « وكان عمر بن يزيد مخلصاً ، وذلك أنه أخذ عزة بصفين ؛ وأخذ منه أداة من ماء ؛ فأبى وجد رجلاً من أصحاب علي جريحا سقاء من اللبن ، وإذا وجد رجلاً من أصحاب معاوية خفضه بالصرعة حتى يقتله » .

السلام : أبعد أن كتبناه ننقصه ! إن هذا لا يحل (١) .

• • •

قال نصر : وحدثني عمر بن عير بن وعلّة ، عن أبي الودّك ، قال : لما ندأعي الناس إلى المصاحف ، وكُتِبَتْ صحيفة الصالح والتحكيم ، قال عليّ عليه السلام : إنما فعلت ما فعلت لي بدّافيك من الخور والفشل عن الحرب (٢) ؛ فجاءت إليه ممدان كأنها ركن حصير (٣) فيهم سعيد بن قيس وابنة عبد الرحمن ؛ غلام له ذؤابة فقال سعيد : هاأنا وقومي ، لا ردّ أمرك (٤) فقال ما شئت سله ؛ فقال : أما لو كان هذا قبل سطر الصحيفة (٥) لأرثتهم عن مسكرهم ، أو تنفرد سائقى (٦) [قبل ذلك] (٧) ، ولكن انصرفوا راشدين ، فلعمرى ما كنت لأعرض قبيلة واحدة للناس (٨) .

( • • • )

قال نصر : وروى الشعبي أن علياً عليه السلام ، قال يوم صفين حين أقرّ الناس بالصالح : إن هؤلاء القوم لم يكونوا ليبيوا إلى الحق ، ولا ليجيبوا (٩) إلى كلمة سواء حتى يرمّوا بالناسر (١٠) تتبعها الساكر ؛ وحتى يرمّجوا بالكتاب تفقوها الجلاب (١١) ،

(١) كتاب صفين ٥٩٦ .

(٢) صفين : « لما بدّافيك الخور والفشل » عما الصحف .

(٣) وفي صفين : « جمع سعيد بن قيس لونه » ثم جاء في رجاجة من ممدان كأنها ركن حصير بين جبلا باليمن .

(٤) صفين : « لا ترادك ولا ترد عليك » .

(٥) صفين : « أما لو كان هذا قبل رقع المصاحف » .

(٦) الساقية : صفحة السلق ؛ وفي حديث الحديبية : « لأقتلهم على أمرى حتى تنفرد سائقى » ، قال في اللسان : كن باغراهما عن الموت ؛ لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بالموت .

(٧) من كتاب صفين .

(٨) كتاب صفين ٥٩٦ ، ٥٩٧ .

(٩) صفين : « ليقبوا » .

(١٠) الناسر : جمع منسر ، بكسر الميم ؛ وهو القطعة من الجيش تفر فدام الجيش الكبير .

(١١) السكتية : القطعة الطيبة من الجيش .

وحتى يجرّ يبلادهم الخيس<sup>(١)</sup> يخلوه الخيس<sup>(٢)</sup>؛ وحتى يدعوا الخيول في نواحي أرضهم،  
وبأحشاء مساربهم ومسارحهم؛ وحتى تشن عليهم الغارات من كل فجّ؛ وحتى يلقاهم قوم  
صدّق صبر<sup>(٣)</sup>، لا يزيدكم هلاك من هلك من قتالهم وموتهم في حبيب الله إلا جدّاً  
في طاعة الله، وحرصاً على لقاء الله؛ ولقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه، فقتل آباءنا  
وأبناءنا وإخواننا وأحوالنا وأعمالنا، لا يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً، ومضيّاً على أمّ  
الألم، ووجدّاً على جهاد العدو، والاستقلال بمبارزة الأقران، ولقد كان الرجل منا والآخر  
من عدوّنا يتصاولان تصاول الصّالحين، يتعلمان أنفسهما أيهما يسقى صاحبه كأس للتون،  
فرة لنا من عدوّنا، ومرة لعدوّنا منا، فلما رأنا الله صدقاً صبراً أنزل بدوّنا الكبت،  
 وأنزل علينا النصر؛ وامرئ لو كنّا نأني مثل الذي أنبتم مقام الدّين ولا عز الإسلام<sup>(٤)</sup>،  
[وايم الله لتعلّيتها دماً، فاحفظوها ما أقول لكم]<sup>(٥)</sup>.



وروى بصر عن عمرو بن شعيب بن عاصم بن حذير، قال: قيل لعليّ عليه السلام  
لما كتبت الصحيفة: إن الأشر لم يرض بما في الصحيفة، ولا يرى إلا قتال القوم؛ فقال  
عليّ عليه السلام: بلى إن الأشر لم يرض إذا رضيت، وقد رضيت ورضيت، ولا يصلح  
الرجوع بعد الرضا، ولا التبدّل بعد الإقرار؛ إلا أن يمضى الله أو يعمدني ماني كتابه.  
وأما الذي ذكرتم من تركه أمرى وما أنا عليه، فليس من أوامرك ولا أعرفه<sup>(٦)</sup> على ذلك،  
وليت فيكم مثله اثنين، بل ليت فيكم مثله واحداً، يرى في عدوّي مثل رأيه، إذا تخفّت  
مؤتكم عليّ، ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم<sup>(٧)</sup>.



(١) الخيس: الجيش الجرار؛ سمي بذلك لأنه غس فرق: القسمة والقلب واللبنة واللبسة والساق.

(٢) كتابه صفي ٥٩٧، ٥٩٨.

(٣) نسخة من كتابه صفي.

(٤) كتابه صفي: «وليس أخوته».

(٥) كتابه صفي ٥٩٨.

قال نصر : وروى أبو عبد الله زيد الأودي أن رجلاً منهم يقال له عمرو بن أوس ، قاتل مع علي عليه السلام يوم صفين ، فأسره معاوية في أسرى كثيرة ، فقال له عمرو بن العاص : اتخلهم ، فقال له عمرو بن أوس : لا تقتلني بمعاوية ، فإنك خالي ، فقامت إليه بنو أود<sup>(١)</sup> فاستوهبوه ، فقال : دعوه ، فلم يرد أن كان صادقاً فيما ادّعى من خنولتي إتياء يستعين عن شفاعتكم ؛ وإلا فشفاعتكم من ورائه ؛ ثم استدناه ، فقال : من أين أنا خالك ؟ فوالله ما بين بني عبد شمس وبين أود من مصاهرة ! قال : فإن أخبرتك فمرفت فهو أمان عندك ؟ قال : نعم ، قال : أليست أم حبيبة<sup>(٢)</sup> أحتك أم المؤمنين ؟ فأما أبها وأنت أخوها ، فأت إدأ خالي . فقال معاوية : لله أبوه ! أما كان في هؤلاء الأسرى من يفعل إلى هذا غيره ! ثم حلى سبيله<sup>(٣)</sup> .

وروى إبراهيم بن الحسين بن علي الكسائي المعروف بابن ديزيل الهمداني : في «كتاب صفين» ، قال : حدثنا عبد الله بن عمر ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، قال : دعا معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص ، ليعتقه حكماً ، فحماه وهو متحرّم ، عليه ثيابه وسيفه ، وحوله أخوه وبس من فريش ، فقال له معاوية : يا عمرو ! إن أهل الكوفة أكرهوا علياً على أبي موسى وهو لا يريد ، ونحن بك راضون ، وقد ضم إليك رجل طويل اللسان ، كليل اللدنية ، وله بدع خط من دين ؛ فإذا قال قد ضمه يقل : ثم قل : فأوجز ، واقطع الفصيل ، ولا تلقه بكل رأيك ، واعلم أن ثقب<sup>(٤)</sup> الرأي زيادة في العقل ، فإن خوفك بأهل العراق نخوفه بأهل الشام ، وإن خوفك علي نخوفه بمعاوية ، وإن

(١) أود : بنان في قبس ميلان .

(٢) أم حبيبة : هي رمة بنت أبي سفيان .

(٣) كتاب صفين ٥٩٤ ، ٥٩٥ .

(٤) الثقب : ما خفي وغاب من الشيء ، وق ج : حجب ، وحجبها سواه .

خَوَّفَكَ بِمَصْرِ نَفْسِهِ بِالْيَمِينِ ، وَإِنْ أَتَاكَ بِالتَّفْصِيلِ فَأَنْتَ بِالْجُلِّ . فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : يَا مَعَاوِيَةَ ،  
أَمْتُ وَعَلَى رَجُلًا قَرِيشً ، وَلَمْ تَنْلُ فِي حَرْبِكَ مَارْحُوتَ ، وَلَمْ تَأْمِنْ مَا خَفْتُ ، ذَكَرْتُ أَنَّ  
لِعَبْدِ اللَّهِ دِينًا ، وَصَاحِبُ الدِّينِ مَنْصُورٌ ، وَإِيَّاهُ اللَّهُ لَا تُفْنِينَ [عَلَيْهِ] <sup>(١)</sup> عِلَّاهُ ، وَلَا تُسْتَغْرَجُ عَنْ  
سَمَاءِ <sup>(٢)</sup> ، وَلَكِنْ إِذَا جَاءَنِي بِالْإِيمَانِ وَالْمَعْرَةِ وَمَنَاقِبِ عَلِيٍّ ، مَا عَسَيْتُ أَنْ أَقُولَ : قَالَ :  
قَالَ مَا تَرَى ، فَقَالَ عَمْرُو : وَهَلْ تَدْعُنِي وَمَا أَرَى ! وَخَرَجَ مُعْصَاكَ كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يُؤْمَرَ  
بِقَتْلِهِ بِنَفْسِهِ ؛ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ حِينَ خَرَجَ : إِنَّمَا أَرَادَ مَعَاوِيَةُ أَنْ يُصَغِّرَ أَمْرَ أَبِي مُوسَى ، لِأَنَّهُ عَلِمَ  
أَنِّي خَادِعُهُ غَدًا ، فَأَحْبَبَ أَنْ يَقُولَ : إِنْ تَعَمَّرْتُ لَمْ يَخْدَعْ أَرِييَا ، فَقَدْ كَذَبْتُهُ بِالْخِلَافِ عَلَيْهِ .  
وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

بَشَعْنِي مَعَاوِيَةُ مِنْ حَرْبٍ كَأَنِّي لِلْعَوَادِثِ مُسْتَكِينُ  
وَأَنِّي عَنْ مَعَاوِيَةَ غَفِي <sup>(٣)</sup> مُحَمَّدٌ اللَّهُ وَاللَّهُ لِلْمَعِينُ  
وَهَوَّنَ أَمْرَ عَبْدِ اللَّهِ تَهْدًا وَقَالَ لَهُ عَلَى مَا كَانَ دِينُ  
فَقُلْتُ لَهُ وَلَمْ أَرُدُّ عَنِّيهِ مَقَالَتُهُ وَلَاشَ كَيْ أَرِينُ  
تَرَى أَهْلَ الْمِرَاقِ يَدْبُ سَهْمُ وَعَنْ جِيرَانِهِمْ رَجُلٌ مَيِّهِنُ !  
فَتَوَّ جِهْلُوهُ لَمْ يَحْمَلْ عَلَى وَغَتْ الْقَوْلِ بِحِمْلِهِ السَّمِينُ  
وَلَكِنْ حَطَبُهُ فِيهِمْ عَظِيمُ وَقَصَلُ الْمَرْءِ فِيهِمْ مُسْتَدِينُ  
فَإِنْ أَخْفَرَ فَلَمْ أَخْفَرَ بِوَعْدِي وَإِنْ بَطَلَ فَتَقَطَعَ الْوَتِينُ

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَاوِيَةَ شَعْرَهُ ، غَضِبَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ : لَوْلَا مَسِيرُهُ لَسَكَانَ لِي فِيهِ رَأْيُ !  
فَقَالَ لَهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ أُمِّ الْحَكَمِ : أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ أَمَثَالَهُ فِي قَرِيشٍ لَكَثِيرٌ ؛ وَلَكِنَّكَ أَلَزِمْتَ  
نَفْسَكَ الْحَاجَةَ إِلَيْهِ ، فَأَلْزَمَهَا النَّعَاءَ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : فَأَجِبْهُ عَنْ شَعْرِهِ ، فَقَالَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
يَمُورُهُ بِغَرَارِهِ مِنْ عَلِيٍّ يَوْمَ صِفِّينَ :

أَلَا يَعْرِوْا عَمْرُو قَبِيلِ سَهْمٍ      أَمِنْ طَبِّ أَصَابِكَ ذَا الْجُنُونِ !  
 دَعِ الْبَعَى الَّذِي أَصْبَحَتْ فِيهِ      فَإِنَّ اللَّعْنَ صَاحِبَهُ لَمِيمٌ  
 أَلَمْ تَهْرُبْ بِنَفْسِكَ مِنْ عَلِيٍّ      نَصْمِينَ وَأَتَيْتَ بِهَا صَبِيئُ  
 جَذَارًا أَنْ تَلَايِكَ الْمَلَايَا      وَكَلَّ فَنَى سَيْدِرَكَ الْمُنُونُ  
 وَلَسْنَا عَائِبِينَ عَلَيْكَ إِلَّا      لَقَوْلِكَ إِنِّي لَا أَسْتَكِينُ

• • •

قال نصر : ثم إن الناس أقبلوا على قتالهم فدفنوه ، قال : وقد كان عمر بن الخطاب دعاني خلفه حاس بن سعد الطائي ، فقال له : إني أريد أن أولئك قضاء يخص ، فكيف أت صانع ؟ قال : أجهد رأيي وأجشهر جلسائي ، قل : فاطلقني إليها فلم يش<sup>(١)</sup> إلا يسيرا حتى رجع ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إني رأيت رؤيا أحببت أن أفصها عليك ، قال : هاتها ، قال : رأيت كأن الشمس أقبلت من المشرق ، ومعهما تجمع عظيم ، وكان القمر قد أقبل من المغرب ومعه جمع عظيم ، فقال له عمر : مع أيهما كنت ؟ قال : كنت مع القمر ، قال : كنت مع الآفة الممحوثة ، اذهب فلا والله لا تلي لي عملا ، وردة . فشهد مع معاوية صنفين ، وكانت راية طي معي ، فقتل يومئذ ، فرث به عدي بن حاتم ، ومعه ابنه زيد ، فرآه قليلا ، فقال له : يا أبت<sup>(٢)</sup> هذا والله حالي ، قال : نعم ، لمن الله خالك ! فيئس والله المصروع مصرعه ! فوقف زيد وقال : من قتل هذا الرجل ؟ مرارا ، فخرج إليه رجل من بكر بن وائل ، طوال مخضب ، فقال : أما قتله ، فقال له : كيف صنعت به ؟ فجعل يخبره ، فطمعنه زيد بالرمح فقتله ، وذلك بعد أن وضعت الحرب أوزارها ؛ فحمل عليه عدي أبوه يسئويشيم<sup>(٣)</sup> أمه ، ويقول : يا ابن المائقة ، لست على دين محمد إن لم أدفعك إليهم ، فضرب

(٢) صنفين : • • • ياب • •

(١) صنفين : • • • قلم يمس •

(٣) صنفين : • • • وبسب أمه • •



زيد فرسه فاحيق مماوية ، فأكرمه وحمله وأدى مجلته ، فرفع حدى<sup>(١)</sup> يديه فدعا عليه ، وقال : اللهم إن زيدا قد فارق المسلمين ، ولحق بالمسلمين<sup>(٢)</sup> ، اللهم فارمه بسهم من سهامك لا يشوي<sup>(٣)</sup> - [ أو قال لا يهمل - ] فإن رميتك لا تشي<sup>(٤)</sup> ، والله لا أكلمه من رأسى كلمة أبدا ، ولا يظننى وإياه سقف أبدا . وقال زيد فى قتل البكرى :

مَنْ مَبْلَغُ أَبْنَاءِ طَيِّرٍ بَاتِي	ثَارَتْ مَحَالِي ثَمِّ لَمْ أَتَأْتُمْ
تَرَكْتُ أَخَا بَكْرِ يَنْوُو بِصَدْرِهِ	اصْفَيْنَ مَحْصُوبَ الْحَبِينِ مِنَ الدَّمِ <sup>(٥)</sup>
وَذَكَّرَنِي ثَارِي غَدَاةَ رَأَيْتُهُ	فَأَوْجَرَتْهُ رُحْيٌ فَخَرَتْ عَلَى الْعَمِّ
لَقَدْ عَادَتْ أَرْمَاحُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ	قَتِيلًا عَنِ الْأَهْوَالِ لَيْسَ بِمُحْجَمٍ
قَتِيلًا بَظَلَّ الْحَيُّ يُنْتَوْنَ بَعْدَهُ	عَلَيْهِ نَائِدٌ مِنْ نَدَاءِ وَأَنْتُمْ
لَقَدْ صُجِّمَتْ طَيِّرٌ بِحِلْمٍ لَا يَأْتِلُ	وَصَاحِبَ عَارَاتٍ وَهَبَ مُقْتَمٍ
لَقَدْ كَانَ خَالِي لَيْسَ حَالُ كُنْهِهِ	لِيُطَاعَا لِيَصْنَمٍ وَاحْتِمَالًا لِحَرَمٍ <sup>(٥)</sup>

قال نصر : وروى الشعبي ، عن زيد بن النضر أن عليا عليه السلام بعث أربعمائة عليهم شريح بن هاني الحارثي بمومعه عبدالله بن عباس يقاتل بهم ، [ وقيل أمورهم ]<sup>(٦)</sup> ، ومعهم أبو موسى الأشعري ، وبعث معاوية عمرو بن العاص فى أربعمائة<sup>(٧)</sup> ، ثم إنهم

(١) صين : « الخيل »

(٢) أخوى : رعى فأصاب القوى - وهى الأطراف - ولم يصيب القلب .

(٣) تكله من كتاب صين . ويطلق : أئى الصبد ، إذا رمه فأصابه ، ثم ذهب عنه فأت

(٤) صين . « مخضوب الجيوب »

(٥) صين ٩٩ - ٦٠٠ ، وللرم : الغيرة .

(٦) من كتاب صين .

(٧) فى كتاب صين بعد هذه الكلمة : « قال : فكان إذا كتب على بلى أتاه أهل الكوفة فقالوا : ما الذى كتب به إليك أمير المؤمنين ؟ فيكتبهم ، فيقولون له : كتبنا ما كتب به إليك ، إنما كتب فى كذا وكذا . ثم يجىء رسول معاوية إلى عمرو بن العاص فلا يدري فى أى شيء جاء ، ولا فى أى شيء ذهب ، ولا يسمعون حول صاحبهم لظنا . فأبى ابن عباس أهل الكوفة بذلك وقال : إذا جاء رسول قلم أى شيء جاء ؟ فإن كتبكم قلم : لم يكتبنا ؟ جاء نكذا وكذا ، فلا ترالون توقفون وتتقاربون حتى تصيبوا ، فليس لكم سر ! »

حلوا بين الحكمين، فكان رأى عبدالله بن قيس [أبو موسى (١)] في عبدالله بن عمر بن الخطاب، وكان يقول : والله إن استطعت لأخيين سنة عمر (٢) .

• • •

قال نصر : وفي حديث محمد بن عبدالله ؛ عن الجرجاني قال : لما أراد أبو موسى السير قام إليه شريح بن هانئ ، فأخذ يده ، وقال : يا أبا موسى ، إنك قد نصبت لأمر عظيم لا يُجبر صدقه ، ولا نستقال فضته (٣) ، وسهما نقل من شيء عليك أو لك ، ينبت حقه وتر صحته وإن كان باطلا ، وإنه لا بقاء لأهل العراق إن ملكهم معاوية ، ولا بأس على أهل الشام إن ملكهم علي ، وقد كانت منك تضيطة أيام الكوفة والجل ، فإن تشغما بمثلها يكن الظن بك يقينا ، والرجاء منك يأسا ، ثم قال له شريح في ذلك :

أبا موسى رُميت بِشَرِّ خَصَمٍ	فلا تُضَيِّرَ العِراقَ فِدَتَكَ تَقِي
وأعطِ الحقَّ شَأْمَهُمْ وَخُذْهُ	فإنَّ اليومَ في مَوَالِيكَ كَأَمْسٍ
وإنَّ هَذَا يَحْيَى بِمَا عَمَلُهُ	كذلك الدهر من سَعْدٍ وَنَحْسٍ (٤)
ولا يَخْدَعُكَ عَمْرٌو إنَّ عَمْرَأَ	عَدُوَّ اللَّهِ مَطْلَعُ كُلِّ شَمْسٍ
لَهُ خُذَعٌ يَحَارُ العقلَ بَيْنَهَا	مُؤَمَّسَةٌ مِرْخَرَقَةٌ بِلَبْسٍ
فلا تَجْمَلُ مُعَاوِيَةَ بنَ حَرْبٍ	كشَيْخٍ في المَوَادِثِ غَيْرِ نِكْسٍ
هَدَاهُ اللَّهُ للإِسْلامِ قَرْدًا	سوى حِرْسِ النَّبِيِّ هَوَاىَ حِرْسٍ (٥)

فقال أبو موسى : ما ينبغي لقوم اتهموني أن يرسلوني لأدفع عنهم باطلا ، أو أجز إليهم حقا .

• • •

(١) من كتاب صفين .

(٢) كتاب صفين ٦١٤ .

(٣) كتاب صفين : « ولا نستقال فضته » .

(٤) في بعض : « يدور الأمر » .

(٥) كتاب صفين . « سوى بنت النبي » .

وروى اللدائقي<sup>(١)</sup> في "كتاب صفين" قال : لما أجمع أهل العراق على طلب أبي موسى ، وأحضروه ففتحهم على كثر من على عليه السلام ، أتاه عبد الله بن العباس ، وعنده وجوه الناس وأشرفهم ، فقال له : يا أبا موسى ، إن الناس لم يرضوا بك ، ولم يجتمعوا عليك لتفضل لا تشارك فيه ، وما أكثر أشباهك من المهاجرين والأنصار والمقدمين قبلك ؛ ولكن أهل العراق أموا إلا أن يكون الحكم بمايأ ، ورأوا أن<sup>(٢)</sup> معظم أهل الشام يمان ، وإبهم الله ، إني لأظن ذلك شرًّا لك ولنا ؛ فإنه قد صمَّ إليك داهية العرب ، وليس في معاوية خلة يستحق بها الخلافة ، فإن تقدر بحقك على باطله تدرك حاجتك منه ، وإن يطمع باطله في حقك يدرك حاجته منك . واعلم يا أبا موسى أن معاوية طليق الإسلام ، وأن أباه رأس الأحزاب ، وأنه يدعى الخلافة من غير مشورة ولا بيعة ، فإن رجم لك أن عمر وعثمان استملا فلقد صدق<sup>(٣)</sup> ؛ استعملوه وهو الوالي عليه ، بمرة الطيب بحميه ما يشتهي ، وبوجره ما يكره ؛ ثم استعمله عثمان رأى عمر ، وما أكثر من استملا ممن لم يدع الخلافة واعلم أن لصبري مع كل شيء يسرُّك حينئذ يسوءك ؛ ومما سبت فلا تنس أن عليا بايسه القوم الذين بايسوا أبا بكر وعمر وعثمان ، وأما بيعة هدى ، وأنه لم يقاتل إلا الماصين والناكثين .

فقال أبو موسى : رحمتك الله ! والله مالي إمام غير على ، وإني لو اقف عندما رأي ، وإن حق الله أحب إلي من رضا معاوية وأهل الشام ، وما أنت وأنا إلا بالله

\*\*\*

وروى البلاذري<sup>(٤)</sup> في كتاب "أسباب الأشراف" ، قال : قيل لعبد الله بن عباس :

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن عداة بن أبي سبب اللدائقي ؛ صاحب التصانيف الكثيرة في السيرة وأخبار القائل والملف ، والفنوح والماري وغيرها ؛ توفي سنة ٢٦٥ الفهرست لأين النديم ١٠٠-١٠٤

(٢) كذا في ب ، ح ، و ؛ أ : الآن .

(٣) هو أبو جعفر أحمد بن يحيى بن جابر اللادري ؛ صاحب كتاب اللدان ، وأسباب الأشراف ، توفي

سنة ٢٧٩ . الفهرست ٩١٣ ، ومعجم الأدباء ٩ : ٨٥

مامنع علياً أن يبعثك مع عمرو يوم التحكيم ؟ فقال : منعه حاجزُ القدر ، ونجدةُ الاعتلاء ، وقصرُ المدة ؛ أما والله لو كنت ، قصدت على مدارج أنفاسه ، ناقضا ما أبرم ، ومبرما ما قصص ، أطير إذا أسف ، وأسف<sup>(١)</sup> إذا طار ؛ ولكن قد سبق قدر ، وبقي أسف ، ومع اليوم غد ، والآخره خير لأمر المؤمنين .

\*\*\*

وذكر البلاذري أيضاً ، قال : قام عمرو بن العاص بالوسم ، فأطرمى معاوية وبني أمية ، وتناول بني هاشم ، وذكر مشاهدته بصيفين ويوم أبي موسى ، فقام إليه ابن عباس ، فقال : يا عمرو ، إنك بست دينك من معاوية ، فأعطيته ماني يدك ، ومناك ماني يد غيره ؛ فكان الذي أخذه منك فوق الذي أعطاك ، وكان الذي أخذت منه دون ما أعطيته ، وكل راضي بما أخذ وأعطى ؛ فلما صارت مصر في يدك ، تنبعت بالنقض عليك والتعقب لأمرك ، ثم بالمرزل لك ؛ حتى لو أن نفسك في يدك لأرسلتها . وذكرت يومك مع أبي موسى ، فلا أراك فخرت إلا بالندر ، ولا منيت إلا بالقصور والعيش . وذكرت مشاهدك بصيفين ؛ فوالله ما ثقلت علينا وطأتك ، ولا نكأت فينا جرائك ؛ ولقد كنت فيها طوبل اللسان ، قصير البنان ، آخر الحرب إذا أقبلت ، وأولها إذا أدبرت . لك يدان : يد لاتبضعها من شر ، ويد لا تبسطها إلى خير ، ووجه مؤنس ، ووجه مؤحش ؛ ولعمري إن من باع دينه بدنيا غيره لحري حزنه على ما باع واشترى . أما إن لك بياناً ولكن فيك خلل ، وإن لك رأياً ولكن فيك فشل ؛ وإن أصغر عيب فيك لأعظم عيب في غيرك .

\*\*\*

قال نصر : وكان النجاشي الشاعر صديقاً لأبي موسى ، فكتب إليه يملؤه من عمرو بن العاص :

يؤملُ أهلُ الشامِ عمراً وإسِي      لأملُ عبدَ الله عندَ الحقائقِ

(١) أسف الطائر : دنا من الأرض .

وإن أبا موسى يُبدرِك حَقْنَا إذا مارى قَمَرَا بِأَحَدِي الْبَوَائِقِ (١)  
 فَهُ مَابُرَّتِي الْعِرَاقُ وَأَهْلُهُ بِهِ مِنْهُ إِنْ لَمْ يَرْتِهِ بِالصَّوَائِقِ (٢)  
 فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو مُوسَى : إِنْ لَأَرْجُو أَنْ يَنْجَلِيَ هَذَا الْأَمْرُ ، وَأَنَا فِيهِ عَلَى رِضَا  
 اللَّهِ صَبْحَانَهُ .

قال نصر : ثم (٣) إن شريح بن هانٍ جَهَّزَ أبا موسى جهازاً حسناً ، وعَظَّمَ أَمْرَهُ فِي النَّاسِ  
 لِيُشْرِفَ فِي قَوْمِهِ ، فَهَالِ الْأُمُورِ الشُّئُ فِي ذَلِكَ بِخَاطِبِ شُرَيْحَا :

زَفَقْتَ ابْنَ قَيْسٍ زِفَافَ الْعُرُوسِ شُرَيْحُ إِلَى دَوْمَةَ الْجُنْدَلِ  
 وَفِي زَفَقِ الْأَشْعَرِيِّ الْهَلَاةِ وَمَا بُغِضَ مِنْ حَادِثٍ يَنْزِلُ  
 وَمَا الْأَشْعَرِيُّ بَنَى لِذِيهِ وَلَا صَاحِبَ الْخَطَّةِ الْفَيْضِ (٤)  
 وَلَا آخِذًا حَظَّ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَلَوْ قِيلَ مَا خُذَهُ لَمْ يَفْعَلْ  
 بِمَحَاوِلٍ تَحْسِرُ رُؤُوسَ الْوَلَدِ حَدَّائِعُ بَانِي بَهَامِ عَلَى (٥)  
 فَإِنْ يَحْكُمَا بِالْهَدْيِ بُنِيْعًا وَإِنْ يَحْكُمَا بِالْمَسْوِي الْأَمِيلِ  
 يَكُونَا كَتَيْبَتَيْنِ فِي قَعْرِ أَكَلَى حَبِيبٍ مِنَ الْخَطَلِ (٦)  
 قَالَ شَرِيحٌ : وَاللَّهِ لَقَدْ تَصَجَّلْتُ رَجُلًا تَسَاءَلْنَا فِي أَبِي مُوسَى ، وَطَعَنُوا عَلَيْهِ بِأَسْوَأِ (٧)  
 الطَّنَنِ ، وَطَعَنُوا فِيهِ مَا اللَّهُ عَصَمَهُ (٨) عَنْهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) كتاب صبي : ٦١٥ : « الصوامن » ، وسنده به :

وَحَقَّقَهُ حَقَّقِي بَذِرٌ وَرِيدٌ وَنَحْنُ عَلَى ذَاكُمُ كَأَحَقِّ حَاقِقِ  
 عَلَى أَنْ عَمْرًا لَا يُشَقُّ غُبَارُهُ إِذَا مَا جَرَى بِأَتْلَهْدِ أَهْلُ السَّوَائِقِ

(٢) صبي : ٦١٦

(٣) صبي : « البوائق » .

(٤) صبي : « صاحب الخطبة » . (٥) من طي ، ياء ساكنة « لفة » و « هل » .

(٦) الخطل للنفوس : الذي يكسر ليجترج حه .

(٧) كتاب صبي : « سوء الطن » .

(٨) صبي : « عاصمه » .

قال : وسار مع عمرو بن العاص شُرَحْبِيل بن السَّمْط في خَيْل عَظِيمَةٍ ؛ حتى إِذَا أَمِنَ عليه خَيْل أَهْلِ الْعِرَاقِ وَدَّعَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا عَمْرُو ؛ إِنَّكَ رَجُلٌ قَرِيشٌ ؛ وَلَئِنْ مَعَاوِيَةَ لَمْ يَهْمَنَّكَ إِلَّا لَعَلَّهُ أَنَّكَ لَا تَوْتِي مِنْ مَجْزُولا مَكِيدَةٍ ، وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّي وَمَلَأْتُ هَذَا الْأَمْرَ لَكَ وَلِصَاحِبِكَ ؛ فَكُنْ عِنْدَ غَلِيِّ بِكَ . ثُمَّ انْصَرَفَ وَانْصَرَفَ شُرَيْحُ بْنُ هَانِيٍّ سَوِيحَ أَمِنَ خَيْلَ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى أَبِي مُوسَى ، وَوَدَّعَهُ .

وَكَانَ آخِرَ مَنْ وَدَّعَ أَبَا مُوسَى الْأَحْنَفُ بْنُ قَبِيصٍ ، أَخَذَ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا أَبَا مُوسَى ، اعْرِفْ خَطْبَ هَذَا الْأَمْرِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ لَهُ مَا بَعْدَهُ ، وَأَنَّكَ إِنِ اخْتَصَمْتَ الْعِرَاقَ فَلَا عِرَاقَ ؛ اتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّهَا تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ ، وَإِذَا لَقِيتَ غَدَاً عَمِراً فَلَا تَبْدَأْهُ بِالسَّلَامِ ، فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ سُنَّةً إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا ، وَلَا تَعْطِهِ بِذَلِكَ فَإِنَّهَا أَمَانَةٌ ؛ وَإِيَّاكَ أَنْ يَجْعَلَكَ عَلَى صَدْرِ الْفَرَاشِ فَإِنَّهَا خُدْعَةٌ ، وَلَا تَلْقَهُ إِلَّا وَحْدَهُ . وَاحْذَرْ أَنْ يَكَلِّمَكَ فِي بَيْتٍ فِيهِ (١) مَخْذَعٌ مُجْبِئٌ لَكَ فِيهِ الرِّجَالُ وَالشُّهُودُ . ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَنْتَوِرَ (٢) مَا فِي غُصْنِهِ لَيْلًا ، فَقَالَ لَهُ : فَإِنْ لَمْ يَسْتَقِمْ لَكَ عَمْرُو عَلَى الرِّضَا بِمَلِيٍّ ، فَلْيَخْتَرْ أَهْلُ الْعِرَاقِ مِنْ قَرِيشِ الشَّامِ مَنْ شَاءُوا ، أَوْ فَلْيَخْتَرْ أَهْلُ الشَّامِ مِنْ قَرِيشِ الْعِرَاقِ مَنْ شَاءُوا .

فَقَالَ أَبُو مُوسَى : قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ ، وَلَمْ يَنْكُرْ مَا قَالَهُ مِنْ زَوَالِ الْأَمْرِ مِنْ عَنِّي . فَرَجَعَ الْأَحْنَفُ إِلَى عَنِّي عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ لَهُ : أَخْرَجَ أَبُو مُوسَى وَاللَّهُ زُبْدَةً يِقَاتُهُ فِي أَوَّلِ نَحْوِهِ ؛ لَا أَرَانَا إِلَّا بِسِتْنَا رَجُلًا لَا يَنْكُرُ خَلْمَكَ . فَقَالَ عَنِّي : اللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ (٣) .

\*\*\*

قَالَ بَصْرٌ : وَشَاعَ وَقَشَا أَمْرُ الْأَحْنَفِ وَأَبِي مُوسَى فِي النَّاسِ ، فَبِمَثِ الصَّلَتَانِ الْعَبْدِ وَهُوَ بِالْكُوفَةِ إِلَى دُومَةِ الْجَنْدَلِ بِهَذِهِ الْآيَاتِ :

(١) ج ٤ : ٤٤٠ .

(٢) ينتور : « يختبر » ، وفي « أ » ، ب : « يبلو » ، وفي « ص » : « يبور » وكله يمي .

(٣) كتاب « ص » ٦٩٦ ، ٦٩٧ .

لعمرك لا أني مدي الدهر خالفاً      علياً بقول الأشعرى ولا عمرو  
فإن يحكما بالحق قبله مهما      وإلا أثرتها كراغية السكر<sup>(١)</sup>  
ولنا نقول الدهر ذاك إليهما      وفي ذاك لو قلناه قاصية الظاهر  
ولكن قول: الأمر والنهي كله      إليه ، وفي كفته عاقبة الأمر  
وما اليوم إلا مثل أمس وإنا      لنرى وشل الصخضاح أو لجة البحر<sup>(٢)</sup>

قال : فلما سمع الناس قول الصلتان شحذهم ذلك على أبي موسى ، واستبطاء القوم  
وظنوا به الظنون ، ومسكت الرجلان بدومة الجندل لا يقولان شيئاً . وكان سعد  
ابن أبي وقاص قد اعتزل علياً ومعاوية ، ونزل على ماء لبنى سلمى بأرض البادية ،  
ينشرف<sup>(٣)</sup> الأخبار . وكان رجلاً له ناس ورأي ومكان في قريش ، ولم يكن له هوى  
في حل ولا في معاوية . فأقبل راجعاً<sup>(٤)</sup> من بريد ، فإذا هو ابنه عمر ، فقال له  
أبوه : ميم<sup>(٥)</sup> ؟ فقال : التقى الناس بصيفين ، فمكنا بينهم ما قد بلمك حق تفانوا .  
ثم حكموا عند الله بن قيس وعمرو بن العاص ؛ وقد حضر ناس من قريش عندهما ،  
وأنت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه ومن أهل الثوري ، ومن قال له النبي صلى الله  
عليه : « اتقوا دعوته » ، ولم تدخل في شيء مما تكروه الأمة ، فاحضر دومة الجندل ،  
فإنك صاحبها غذا . فقال : مهلاً يا عمر ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول : « تكون  
بعدي فتنة ، خير الناس فيها التقى » ، وهذا أمر لم أشهد أوله ، فلا أشهد آخره ،

(١) الراغية : الرضاء ، والبكر : ولد الناقة ، وفي أخبار الخلفاء في المصنف والمصنف من ٣٥٢ :  
« راغية السكر ، من أمثال العرب ، وهو أبي عمرو . فوله : كانت عليهم كراغية السكر ؟ أي استؤصلوا  
استئصالاً ، ينون رضاء بكر عمود حين مقر الناقة لدار » .

(٢) الوشل : القطار اليسير من الماء .

(٣) يتقوفا الأخبار ، أي يتطلع إليها .

(٤) يوصح في سببه : يسرع .

(٥) ميم ، أي ما وراءك وما حاله ؟ وهي كلمة استصهام بفتنة اليأس .

ولو كنت غامساً بدي في هذا الأمر لنسبها مع علي بن أبي طالب <sup>(١)</sup> ؛ وقد رأيت أباك كيف وهب حقه من الثوري ، وكره الدخول في الأمر . فارتحل عمر ، وقد استبان له أمر أبيه . (٢)



قال نصر : وقد كان الأجناد <sup>(٣)</sup> أبطأت على معاوية ، فبعث إلى رجال من قريش كانوا كرهوا أن يُعينوه في حربه : إن الحرب قد وضمت أوزارها ، والتقى هذان الرجلان في دومة الجندل ، فاقدموا علي .

فأتاه عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأبو الجهم بن حذيفة المدوني ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عديفوث الزهمري ، وعبد الله بن صفوان الجهمي . وأتاه النيرة ابن شعبة . وكان مقياً بالطائف لم يشهد الحرب . فقال له : يا نيرة ، ما ترى ؟ قال : يا معاوية ، لو وسمي أن أنصرك لنصرتك ، ولكن علي أن أتيتك بأمر الرجلين . فرحل حتى أتى دومة الجندل ، فدخل على أبي موسى كثرائر له ، فقال : يا أبا موسى ، ما تقول فيمن اعتزل هذا الأمر وكره السماء ؟ قال : أولئك خير <sup>(٤)</sup> الناس ، خفت ظهورهم من دماهم ، وتحت بطونهم من أموالهم . ثم أتى حمراً ، فقال : يا أبا عبد الله ، ما تقول فيمن اعتزل هذا الأمر ، وكره السماء ؟ قال : أولئك شرار الناس ؛ لم يعرفوا حقاً ، ولم يُسكروا باطلا . فرجع النيرة إلى معاوية ، فقال له : قد دقت الرجلين ، أما عبد الله

(١) في كتاب وقعة صفين بعد هذه الكلمة : « قد رأيت القوم جلوت على حد السيف فاخترته من النار ؟ فاقم عند أبيك ليترك هذه . فراجع حتى طلع لي الشيخ ، فلما حنه الليل رفع صوته لسمع الله ؟ فقال . . . » وذكر أياً ما طلبها :

دَعَوْتَ أَبَاكَ الْيَوْمَ وَإِنِّي إِلَيْهِ الْقَوْمُ وَالْأَمْرُ مُقْبِلٌ

(٢) صفين : ٦١٨ - ٦٢٠ .

(٣) وقعة صفين : « الأخبار » .

(٤) وقعة صفين : « خيار » .



ابن قيس نغالغ صاحته ، وجاعلها الرجل لم يشهد هذا الأمر ، وهواه [ في ]<sup>(١)</sup> عبد الله ابن عمرو ، وأما عمرو بن العاص فهو صاحبك الذي تعرف ، وقد ظن الناس أنه يرومها نفسه ، وأنه لا يرى أنك أحق بهذا الأمر منه<sup>(٢)</sup> .

• • •

قال نصر في حديث عمرو بن كئير ، قال : أقبل أبو موسى على عمرو ، فقال : يا عمرو ، هل لك في أمر هو للأمة صلاح ، ولصلحاء الناس رصاً ؟ نولي هذا الأمر عبد الله ابن عمرو بن الخطاب ، الذي لم يدخل في شيء من هذه الفتنة ، ولا هذه العروة . قال : وكان عبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير قريبين بسمان هذا الكلام ، فقال عمرو : فإني أنت وأبنا موسى عن معاوية<sup>(٣)</sup> فأبى عليه أبو موسى ، [ قال : وشهدهم عبد الله ابن هشام ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد بنو<sup>(٤)</sup> وأبو الجهم بن حذيفة المدوني والميرة ابن شعبة ]<sup>(٥)</sup> ، فقال عمرو : ألميت نعم أن عثمان قُتِلَ مظلوماً ؟ قال : بلى ، قال : أشهدوا<sup>(٦)</sup> ، ثم قال : فما بمنك من معاوية وهو ولي عثمان ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوِائِهِ سُلْطَاناً ﴾<sup>(٧)</sup> ؟ ثم إن بيت معاوية من قريش ما قد علمت ، فإن خشيت أن يقول الناس : ولي معاوية وليست له سابقة ؛ فإن لك حجة ؛ أن تقول : وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم ، والطالب بدمه ، الحسن السياسة ، الحسن التدبير ؛ وهو أخو أم حبيبة أم المؤمنين ، وروج النبي صلى الله عليه ، وقد صحبه ، وهو أحد الصعابة . ثم عرض له بالسلطان ، فقال له : إن هو ولي الأمر أكرمك كرامة لم يكرمك أحد قط مثلاً ؛ فقال أبو موسى : اتق الله يا عمرو ! أما ما ذكرت من شرف معاوية ، فإن هذا

(١) من كتاب صيف .

(٢) وثقة صيف ٦٢٠ ، ٦٢١ .

(٣) س : أشهد .

(٤) سورة الإسراء ٨٤ .

الأمر ليس على الشرف يؤلاه أهله ؛ لو كان على الشرف كان أحق الناس بهذا الأمر  
أبرهة بن الصبح ؛ إنما هو لأهل الدين والفضل ؛ مع أنى لو كنت أعطيه أفضل قريش  
شرفاً لأعطيته على بن أبي طالب . وأما قولك : إن معاوية ولي عهده فوله هذا الأمر ؛  
فإن لم أكن أوليّه إياه تسبته من عهده ، وأدع للهاجرين الأولين ، وأما تبرئتك لي  
بالإمرة والسلطان ؛ فوالله لو خرج لي من سلطانته ما وليته ، وما كنت أرتشي في الله ،  
ولسكنك إن شئت أحيينا سنة عمر بن الخطاب <sup>(١)</sup> .

قال نصر : وحدثني عمر بن سعد عن أبي جناب أن أبا موسى قال غير مرة : والله  
إن استطعت لأخيين اسم عمر بن الخطاب ، قال : فقال عمرو بن العاص : إن كنت  
إعما تريد أن تباع ابن عمر لهبته ، فما يملكك من ابني عبد الله ، وأنت تعرف فضله  
وصلاحه فقال : إن ابنك لرجل صدق ، ولكذك قد غمت في هذه الفتنة <sup>(٢)</sup> .



قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، عن نافع ، قال : قال  
أبو موسى لعمر : يا عمرو ، إن شئت ولتينا هذا الأمر الطيب ابن الطيب ، عبد الله  
ابن عمر ، فقال له عمرو : يا أبا موسى ، إن هذا الأمر لا يصلح له إلا رجل له ضمير  
ياكل ويظلم ، وإن عبد الله ليس هناك .

قال نصر : وقد كان في أبي موسى غفلة <sup>(٣)</sup> ، فقال ابن الزبير لابن عمر : اذهب إلى عمرو  
ابن العاص فارشه ، فقال ابن عمر : لا والله لأأرشو عليها بشيء أبدا ما عشت ، ولكنه  
قال له : إن العرب قد أسندت إليك أمرها بعدما تقاترت بالسيوف ، وتطاعت بالرمح ،  
فلا تردم في فتنة ؛ واتق الله <sup>(٤)</sup> .

(١) وقعة منى ٦٢٢ - ٦٢٣ . (٢) وقعة منى ٦٢٢ .

(٣) وكذا في منى ، وفي الطبري : « ابن عمر » . (٤) وقعة منى ٦٢٣ .

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، عن أزهر العيسى عن النضر بن صالح ، قال : كنت مع شريح بن هاني في غزوة سيجستان ، فحدثني أن علياً عليه السلام أوصاه بكلمات إلى عمرو بن العاص ، وقال له : قل لعمرو إذا بقيته : إن علياً يقول لك : إن أفضل الخلق عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه وإن قصه ، وإن أمد الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحب إليه وإن رآه ؛ والله يا عمرو إنك لتعلم أين موضع الحق ، فلم تتجاهل ؟ أيا أن أوتيت طمعاً يسيراً صرت لله ولأليائه عدواً ! فكان والله ما قد أوتيت قد زال عنك ، فلا تكن قحطاً حصباً ، ولا لظالمين ظهيراً . أما إنني أعلم أن يومك الذي أنت فيه نادم هو يوم وفانك ، وسوف تنقأ أنك لم تظهر لي <sup>(١)</sup> عداوة ، ولم تأخذ على حكم الله رشوة . قال شريح : فأبىته ذلك يوم بقيته ، فتمتر وجهه <sup>(٢)</sup> وقال : متى كنت قابلاً مشورة على أبيي ، أو معتداً بأمره ؟ ! فقلت : وما بينك وبين النابغة أن تقبل من مولاك وصيد المسلمين بعد نبيهم مشورتاً ! لقد كان من هو خير منك أبو بكر وعمر يستشيرانه وبملائ برأيه : فقال : إن مثلي لا يكلم منك ، فقلت : يا أي أهلك ترعب عن كلامي يا أيك الوسيط <sup>(٣)</sup> أم بأمك النابغة ! فقام من مكانه وقت <sup>(٤)</sup> .

\*\*\*

قال نصر : وروى أبو جندب الكلبي أن عمراً وأبا موسى لما التقيا بدومة الجندل ، أخذ عمرو يقدم أبا موسى في الكلام ، ويقول : إنك صليت رسول الله صلى الله عليه قبلي ، وأنت أكبر مني سيداً ، فحكمت أنت ، ثم اتكلم أنا ، فجعل ذلك سنة وعادة بينهما

(١) صفي : « لم » .

(٢) وثمة صفي : « فتمتر وجهه » . ونصر : « فتمتر وجهه » .

(٣ - ٢) وثمة صفي : « متى كنت أقبل مشورة على أبيي أو أيبك أمره وأعتد برأيه » .

(٤) الوسيط : الخيس والتابع .

(٥) وثمة صفي ٦٩٤

وإنما كان مكرًا وخديعة واغترارًا له أن يقدمه ، فيبدأ بخلع على ثم يرى رأيه .

\*\*\*

وقال ابن دبريل في " كتاب صفين " : أعطاه عمرو صدر المجلس ، وكان لا يتكلم قبله ، وأعطاه التقدم في الصلاة وفي الطعام ، لا يأكل حتى يأكل ، وإذا خاطبه فإنما يحاطبه بأجلّ الأسماء ، ويقول له : يا صاحب رسول الله ! حتى اطمأن إليه ، وظن أنه لا ينشئ .

\*\*\*

قال نصر : فلما انخفضت الزبدة بينهما ، قال له عمرو : أخبرني ما رأيك يا أبا موسى ؟ قال : أرى أن أنخلع هذين الرجلين ، ونحمل الأمر شورى بين المسلمين ، يختارون من شاموا ، فقال عمرو : الرأي والله ما رأيت . فاقبل إلى الناس وهم مجتمعون ، فتكلم أبو موسى ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن رأيي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به شأن هذه الأمة ؛ فقال عمرو : صدق ، ثم قال له : تخدم يا أبا موسى ؟ فتكلم ، فقام ليتكلم ، فدعاه ابن عباس ، فقال له : ويحك ! والله إني لأظنه خذمك ! إن كنتما قد اتفقتما على أمر فتقدمه قبلك ليتكلم به ثم تكلم أنت بعده ؛ فإنه رجل خدار ، ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه ؛ فإذا قت به في الناس خالفك وكان أبو موسى رجلاً مَعْقُلاً . فقال : أيها عنك إنا قد اتفقنا !

فتقدم أبو موسى ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ؛ إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة ، فلم نر شيئاً هو أصلح لأمرها ولا ألم لشمها من ألا تتباين أمورها ، وقد أجمع رأيي ورأي صاحبي على خلع على ومعاوية ، وأن يُستقبل هذا الأمر ، فيكون شورى بين المسلمين ، يولون أمورهم من أحبوا ، وإني قد خلعتُ عليا ومعاوية ؛ فاستقبلوا

أمورك ، وولوا من رأيتوه لهذا الأمر أهلاً . ثم نعى .

فقام عمرو بن العاص في مقامه : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن هذا قد قل ما سمعتم ، وخلق صاحب ، وأنا أخلق صاحب كما خلقه ، وأثبت صاحب معاوية في الخلافة ، فإنه ولي عمان ، والطلب بدمه ، وأحق الناس بمقامه .

فقال له أبو موسى : مالك لا وثقتك الله قد غدرت وفجرت ! إنما مثلك **( كمثل السكبر إن تمثيل عليه يلهث أو تركه يلهث )** <sup>(١)</sup> . فقال له عمرو : إنما مثلك **( كمثل الخمار تميل أسفاً )** <sup>(٢)</sup> .

وحمل شريح بن هانئ على عمرو فقتله بالسوط ، وحمل ابن عمرو على شريح فقتله بالسوط ، وقام الناس فصبروا بينهما ، فكان شريح يقول بعد ذلك : ما ندمت على شيء ندامتي ألا أكون ضربت **عمرًا بالهيف بدل السوط** ، أتى الدهر بما أتى به !

والتمس أصحاب على عليه السلام أبا موسى فركب ناقه ، ولحق بمكة . وكان ابن عباس يقول : قبح الله أبا موسى ! لقد حذرت هديته إلى الرأي فاعقل . وكان أبو موسى يقول : لقد حذرت ابن عباس غدره الفاسق ، ولكني اطمأنت إليه ، وظننت أنه لا يؤثر شيئاً على نصيحة الأمة <sup>(٣)</sup> .

•••

قال نصر : <sup>(٤)</sup> ورجع عمرو إلى منزله من دومة الجندل ، فكتب إلى معاوية :

أَتَتَكَ الْخِلَافَةُ مَرْفُوعَةً هَنِيئًا مَرِيئًا تُقَرُّ الْعُيُونُ

(١) سورة الأعراف ١٧٦

(٢) سورة الجمعة ٥

(٣) كتاب شعب ٦٢٧ - ٦٢٩ مع نصر .

(٤) ( ١ - ١ ) العبارة كما وردت في كتاب شعب ٦٢٠ : « ولما صل عمرو ما فعل ، واختلط الناس ، ورجع إلى منزله ، فجهزوا كتاباً إلى معاوية بجملة الأمر من أوله إلى آخره ، وكتب في كتاب على حده » .

تَرْفُءُ إِلَيْكَ زِقَافَ الْعُرُوسِ<sup>(١)</sup>      بِأَهْوَنَ مِنْ طَعْنِكَ الْهَارِجِينَ  
وَمَا الْأَشْعَرِيُّ بِصَلْبِهِ الرَّنَادِ      وَلَا خَامِلُ الدُّكْرِ فِي الْأَشْعَرِيْنَا  
وَلَكِنْ أَمِيعَتْ لَهُ حَيَّةٌ      يَطْلُ الشُّجَاعُ لَهَا مُنْتَكِبِينَ  
فَقَالُوا وَقَلْتُ وَكَذْتُ أَمْرًا      أَجْمَعُهُ بِالنَّخْصِ حَتَّى يَلِينَا<sup>(٢)</sup>  
فَتُخْذَهَا أَنْ هِنْدٍ عَلَى بُدْهَا<sup>(٣)</sup>      قَدْ دَافَعَ اللَّهُ مَا تَحْمِلُونَا  
وَقَدْ صَرَفَ اللَّهُ عَنْ شَايِكُمْ      عَدُوًّا مِينًا وَحَرَبًا زُبُونًا<sup>(٤)</sup>

قال نصر : قدام سعد بن قيس الهذلي ، وقال : والله لو اجتمعنا على الهدى ما ردتنا على ما نحن الآن عليه ، وما ضلنا كما بلارم لنا ، وما رجعتنا إلا بما بدأى به ، وإنا اليوم لعل ما كنا عليه أمس .

وقام كردوس بن هاشم مصعباً ، فقال<sup>(٥)</sup> :  
أَلَا لَيْتَ مَنْ يَرْمِي مِنَ النَّاسِ كُتُبَهُمْ      بِمَعْرِو وَعَبْدِ اللَّهِ فِي ثُلُوسِ الْبَحْرِ  
رَضِينَا بِحُكْمِ اللَّهِ لَأَحْكَمَ غَبْرَةٍ      وَبِاللهِ رَبِّنا وَالنَّسْبِ وَالدُّكْرِ  
وَبِالْأَضْلَعِ الْمُهَلْدِي قَلْبِي إِمَامِنَا      رَحِيمِنَا بِدَاكِ الشَّيْخِ فِي الْعُسْرِ وَالْبُسْرِ  
رَضِينَا بِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وَإِنَّهُ      إِمَامٌ هَدَى فِي الْحُكْمِ وَالنَّهْيِ وَالْأَمْرِ  
فَمَنْ قَالَ لَا قُلْنَا بَلَى إِنْ أَمَرَهُ      لِأَقْصَى مَا نَعْتَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ  
وَمَا لَابْنُ هِنْدٍ بَيِّعَةٌ فِي رِقَابِنَا      وَمَا يَمِينُنَا غَيْرُ الْمُتَّقَةِ الشُّمْرِ

(١) كتاب صعين ، كرف العروس .

(٢) أجمعه : قال الجوهري : « جمعت السبع ، صحت به ليكن » .

(٣) كتاب صعين : « على بأسها » .

(٤) كتاب صعين : « عدوا شيئا » . وحرب ربون : تزين الناس ، أي تصدقهم وتدفعهم .

(٥) كتاب صعين ١٣٠ والمارة هناك . وتكلم الناس غير الأشعث بن قيس ، وسكلم كردوس بن

هاتم ، فقال : أما والله إن لأظنك أول راس بهذا الأمر بالأسفة ، مصعب كردوس فقال : «

( ١٧ - نهج - ٢ )

وَمَرْبٍ يُزِيلُ الْهَمَّ عَنْ مُتَقَرِّهِ . وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الرِّضَا آخِرُ الدَّهْرِ !  
 أَيْتَ لِي أَشْيَاخُ الْأَرَامِ سُبَّةً . أَسْبُ بِهَا حَتَّى أُغَيَّبَ فِي الْقَبْرِ <sup>(١)</sup>  
 وَتَسْلَمُ يَزِيدُ بْنُ أَسَدٍ الْقَسْرَى - وَهُوَ مِنْ قَوَاتِدِ مَعَاوِيَةَ - فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ،  
 اتَّقُوا اللَّهَ ! فَإِنَّ أَهْلَكُمْ مَا تَرُدُّونَا وَإِلَّا كُمْ إِلَيْهِ الْحَرْبُ مَا كُنَّا عَلَيْهِ بِالْأَمْسِ ! وَهُوَ الْفَنَاءُ ؛  
 وَفَدَّ شَخْصَتِ الْأَبْصَارِ إِلَى الصَّلَاحِ ، وَأَشْرَفَتِ الْأَنْفُسُ عَلَى الْفَنَاءِ ، وَأَصْبَحَ كُلُّ امْرِئٍ  
 يَسْكِي عَلَى قَتِيلٍ ؛ مَا لَكُمْ رَضِيْتُمْ بِأَوَّلِ أَمْرِ صَاحِبِكُمْ وَكَرِهْتُمْ آخِرَهُ إِنْهُ لَيْسَ لَكُمْ  
 وَحْدَكُمْ الرِّضَا .

قال : وقال بعض الأشعرين لأبي موسى <sup>(٢)</sup> :

أَبَا مُوسَى خُدِغْتَ وَكُنْتَ حَبِيبًا . قَرِيبَ الْقَمَرِ مَذْهُوشَ الْجَنَانِ  
 رَمَى عَمْرُو صَفَاتِكَ بِأَبْنٍ قَيْسٍ <sup>(٣)</sup> بِأَمْرِ لَا تَنْتَوِي بِهِ السِّدَانِ  
 وَقَدْ كُنَّا نَجْتَمِعُ عَنْ طَلُونٍ . فَعَمِرَتْ الطُّنُونُ مِنَ الْعِيَانِ  
 فَمَضَى الْكُفَّ مِنْ يَدَيْهِ وَمَادَا . يَرُدُّ عَلَيْكَ عَصَاكَ بِالْبَنَانِ !

قال : وَشَيْتَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَهْلِ الْعِرَاقِ . وَقَالَ كَعْبُ بْنُ جَعْفَلٍ شَاعِرُ مَعَاوِيَةَ :

كَانَ أَبَا مُوسَى عَشِيَّةً أَذْرَجٍ . يَطُوفُ بِلَقْمَانِ الْحَكِيمِ بُولَابِيَّةً <sup>(٤)</sup>  
 وَلَمَّا تَلَاقُوا فِي تَرَاتٍ مُحَمَّدٍ . تَمَّتْ بَابُنْ هِنْدٍ فِي قُرَيْشٍ مَنَاسِبِيَّةً <sup>(٥)</sup>  
 سَعَى بَابُنْ عَفَّانٍ لِيُذْرِكَ ثَارَهُ . وَأَوَّلَى عِيسَى إِذَا اللَّهُ بِالنَّارِ طَالِيَةً

(١) الْأَرَامُ : أَحْيَاءُ فِي تَعْلَبَ ، وَالْبَةِ : الْمَرْءُ .

(٢) فِي كِتَابِهِ صَفِيحٌ : « فَتَقَامَ عَمْرُو وَأَبُو مُوسَى مِنْ لَبَنَةٍ ، إِذَا أَيْنَ عَمَ لَأَبْنِ مُوسَى يَطُوفُ » .

(٣) كِتَابُ صَفِيحٍ ٦٣٠ وَمَجْمَعُ الْبَدَائِعِ ١ - ١٦٦ : وَأَذْرَجٌ : يَطُوفُ فِي أَطْرَافِ الشَّامِ مُجَاوِرَةً لِأَرْضِ  
 الْحِجَازِ ؛ وَكَانَ فِيهَا أَمْرُ الْحَكَمِيِّينَ وَاحِدُ الْقُرُولِيِّينَ ، وَتَأْنِيهِمَا فِي دَوْنِ الْجَنْدَلِ . وَهِيَ بَلْقَامُ الْحَكِيمِ  
 عَمْرُو بْنُ الْعَاسِ .

(٤) كِتَابُ صَفِيحٍ وَبِاقِيَتُهُ : « مُضَارِبَةٌ » .

وَقَدْ غَشِيَتْهَا فِي الرُّيُوسِ غَضَاضَةٌ      وَطَلَعَتْ إِذْ قَامَتْ عَلَيْهِ نَوَازِبُهُ  
 قَرَدٌ ابْنُ هِنْدٍ مُلْكُهُ فِي بَعَابِهِ      وَمَنْ غَالَبَ الْأَقْدَارَ فَاللهُ غَالِبُهُ  
 وَمَا لَابَنُ هِنْدٍ مِنْ لَوْيَ بْنِ غَالِبٍ      نَظِيرٌ وَإِنْ جَاشَتْ عَلَيْهِ أَفَارِبُهُ  
 فَهَذَاكَ مُلْكُ الشَّامِ وَافٍ سَنَامُهُ      وَهَذَاكَ مُلْكُ الْقَوْمِ قَدْ جُبَّ غَارِبُهُ  
 يُحَاوِلُ عَبْدُ اللهِ عَمْرًا وَائَهُ      لَيَضْرِبُ فِي بَحْرِ عَرِيضٍ مَذَاهِبُهُ  
 دَحَا دَحْوَةً فِي صَدْرِهِ فَهَوَتْ بِهِ      إِلَى أَسْفَلِ الْجَبِّ الظُّنُونُ كَوَازِبُهُ<sup>(١)</sup>

• • •

قال نصر : وكان على عليه السلام لما خدع عمرو أبا موسى بالكوفة ، كان قد دخلها  
 منتظراً ما يحكم به الحكمان ؛ فلما تم على أبي موسى ما تم من الحيلة ، غم ذلك علياً  
 وساء ، ووجم له ، وخطب الناس ، فقال ( )  
 « الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطيب العارح ، وأحدث الجليل ... » الخطبة التي ذكرها  
 الرضی رحمه الله تعالى ؛ وهي التي عمن في شرحها ، وزاد في آخرها بعد الاستشهاد بيت  
 دريد : « ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموها قد نبذا حكم الكتاب ، وأحيا  
 ما مات ، واتبع كل واحد منهما هواه ، وحكم سير حجة ولا بينة ولا سنة ماضية ، واختلفا  
 فيما حكما ، فكلاهما لم يؤيد الله . فاستعدوا للحداد ، وتأهبوا للسير ، وأصبحوا في  
 معسكرهم يوم كذا » .

(١) الظنون : البئر لا يدرى أليها ماء أم لا ، وفي كتاب منيب :

• إلى أسفل للهوى ظنون كواذبه •

فرد عليه رجل من أصحاب علي فقال :

غَدَرْتُمْ وَكَانَ الْغَدْرُ مِنْكُمْ سَجِيَّةً      فَمَا ضَرُّنَا غَدْرُ الْمُتِّيمِ وَصَاحِبِهِ  
 وَتَحْمِيَّتُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ مُؤْمِنًا      كَذَبْتُمْ فَشَرُّ النَّاسِ لِلنَّاسِ كَاذِبُهُ



قال نصر : فكان علي عليه السلام بعد الحكومة إذا صلى الفداة والمغرب ، وفرغ من الصلاة وسلم ، قال : اللهم العن معاوية ، وعمرا ، وأبا موسى ، وحبيب بن مسلمة ، وعبد الرحمن بن خالد ، والضحاك بن قيس ، والوليد بن عتبة ؛ فبلغ ذلك معاوية ، فكان إذا صلى لعن علياً ، وحسناً ، وحسيناً ، وابن عباس ، وقيس بن سعد بن عباد ، والأشتر . وزاد ابن ديزيل في أصحاب معاوية أبا الأعور السلمي .

• • •

وروى ابن ديزيل أيضاً أن أبا موسى كتب من مكة إلى علي عليه السلام : أما بعد ، فإني قد بلغتني أنك تلعنني في الصلوات يؤمن خنقك الجاهلون ، وإني أقول كما قال موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ يَا أَنَسْتَ عَلَىٰ قَتْنٍ أَكُونُ طَيْدًا لِلْفُجَرِيِّينَ ﴾ (١) .

وروى ابن ديزيل ، عن وكيع ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن عبد الرحمن ابن حبيب ، عن علي عليه السلام ، أنه قال : « يؤتى بي وبمعاوية يوم القيامة ، فنجىء ونختصم عند ذي العرش ، فأبنا قلعج قلعج أصحابه (٢) » .

وروى أيضاً عن عبد الرحمن بن نافع القاري ، عن أبيه ، قال : سئل علي عليه السلام عن قتل صفين ، فقال : إنما الحسب علي وعلى معاوية .

وروى أيضاً عن الأعمش ، عن موسى بن طريف ، عن عباية (٣) ، قال : سمعت علياً عليه السلام ، وهو يقول : أنا قسم النار ، هذا لي وهذا لك .

وروى أيضاً عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان ، ذنوبهما واحدة ، فبينما هم كذلك مرقت منهم مارقة ؛ يقتلهم أولى الطائفتين بالحق » .

(١) ملج ، أي علب .

(١) سورة القصص ١٧

(٣) عباية بن رفاع بن رافع بن خديج الأصمري .

قال إبراهيم بن ديزيل: وحدثنا سعيد بن كثير، عن عفيّر، قال: حدثنا ابن لهيعة، عن ابن هبيرة، عن حنش الصنعاني، قال: جئت إلى أبي سعيد الخدري، وقد قمى، قلت: أخبرني عن هذه الخوارج، فقال: تأتوننا فتخبركم، ثم ترفضون ذلك إلى معاوية، فيبعث إلينا بالكلام الشديد! قال: قلت: أما حنش، فقال: مرحبا بك يا حنش المصري، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول: « يخرج ناس يقرأون القرآن، لا يجاور تراقيهم، يمرقون من الله<sup>(١)</sup> كما يمرق السهم من الرمية، ينظر أحدهم في صاحبه، فلا يرى شيئا، فينظر في قدذه<sup>(٢)</sup> فلا يرى شيئا؛ سبق الثرث والهم، يعلى بقتالهم أولى الطائفتين بالله، فقال حنش: فإن عليا صلى بقتالهم، قال أبو سعيد: وما يمنع عليا أن يكون أولى الطائفتين بالله!



ودكر محمد بن القاسم بن بشار الأباري في أماليه، قال: قال عبد الرحمن بن خالد ابن الوليد: حصرت الحكومة، فلما كان يوم العسل جاء عبد الله بن عباس، فقدم إلى جانب أبي موسى وقد شر أدبته؛ حتى كاد أن ينطق بهما، فقلت: أن الأمر لا يتم لنا مادام هناك؛ وأنه سيفسد على عمرو حيلته، فأعمت الكيدة في أمره، فمضت حتى قدمت عنده، وقد شرع عمرو وأبو موسى في الكلام، فكلمت ابن عباس كلمة استطعته جواسها فلم يجب، فكلمته أخرى فلم يجب، فكلمته ثالثة، فقال: إني لفي شغل عن حوارك الآن، فجهته، وقلت: يا أبا هاشم، لا تتركون بأوكم<sup>(٣)</sup> وكبركم أبدا! أما والله لو لا مكان النبوة لكان لي ولك شأن. قال: لحبي وغضب، واضطرب فكره ورأيه، واسمعي كلاما يسوء سماعه، فأعرضت عنه، وقت فمضت إلى جانب عمرو بن العاص، قلت: قد كفيتك التقوى<sup>(٤)</sup>، إني قد شعلت بالله بما دار بيني وبينه، فأحكم أمت أمرك. قال:

(١) القعد جمع قدة، وهي: ريش السهم. (٢) البؤ: المتأخر.

(٣) التقوى: الكبر القول.

فذهل والله ابن عباس عن الكلام الدائر بين الرجلين، حتى قام أبو موسى، فنقل علياً.

\*\*\*

وروى الزبير بن بكار في "الموفقيات"، ورواه جميع الناس عن عبي بنقل الآثار والشيوخ، عن الحسن البصري [قال]: أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه إلا واحدة منها لكانت موبقة: انزلوه على هذه الأمة بالشفاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصعابة وذو الفضيلة، واستخلافه ببلد ابنه يزيد؛ سيكراً وخيراً؛ بلبس الحرير ويضرب بالطناير، وادعائه زياداً؛ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الولد أفرأش، والعمامر أخبجر»، وقتله حنظل بن عدى وأصحابه؛ فمأويله من حنظل وأصحاب حنظل!

وروى في "الموفقيات" أيضاً الخليل الذي رواه اللدائي، وقد ذكرناه آنفاً من كلام ابن عباس لأبي موسى، وقوله: إن الناس لم يرتضوك لفضل عندك لم تشارك فيه... وذكر في آخره: قال بعض شعراء قريش:

وَأَلْفَ مَا كَلَّمَ الْأَهْوَامَ مِنْ بَشَرٍ	بَعْدَ الْوَحْيِ عَلَى كَاهِنٍ عَبَّاسٍ
أَوْصَى ابْنَ قَيْسٍ بِأَمْرِ فِيهِ عَصَتْ	لَوْ كَانَ فِيهَا أَبُو مُوسَى مِنَ النَّاسِ
إِنْ أَخَافَ عَلَيْهِ مَكْرَ صَاحِبِهِ	أَرْجُو رَجَاءَ مَخُوفٍ شَيْبَ بِالْهَاسِ

\*\*\*

وذكر الزبير أيضاً في "الموفقيات" أن يزيد بن حنظلة التيمي، شهد الجمل وصفيين ونهروان مع علي عليه السلام، ثم ولّاه الرمي ودستى (١)، فسرق من أموالها، وخلق بمعاوية، وهما علياً وأصحابه، ومدح معاوية وأصحابه، فدعا عليه علي عليه السلام، ورفع أصحابه أيديهم فأمسوا، وكتب إليه رجل من بني عمه كتاباً يقبح إليه (١) دستي، بفتح أوله وسكون ثابته وفتح التاء، والهاء المقصورة: كورة كبيرة كانت مطرومة بين الرمي وهمدان. يائز.

ما صنع ، وكان الكتاب شعرا ، فكتب يزيد بن حُبَيْبة إليه : لو كنت أقول شعرا لأجبتك ، ولكن قد كان منكم خلال ثلاث ؛ لا ترون مسنن شيئا عما تحبون ؛ أما الأولى فإنكم سرتم إلى أهل الشام ؛ حتى إذا دخلتم بلادهم ، وطعنتموهم بالرماح ، وأذعنتموهم الجراح ، رفقوا بالصاحف فسيروا منكم ، وردوكم عنهم ؛ فوافقه ووافقه لا دخلتوها بمثل تلك الشوكة والشدّة أبدا . والثانية أن القوم سئوا حكما ، وبشتم حكما ؛ فأما حكمهم فأثبتهم ، وأما حكمكم فغلكم ، ورجع صاحبهم بذمى أمير المؤمنين ، ورجعتم متضاغين . والثالثة أن قراءكم وقهلاءكم وفرسانكم خالفوكم ، فعدوكم عابهم ، فقتلتموهم . ثم كتب في آخر الكتاب يهين لعنان بن شُرَحيب التميمي :

أحييت أهل الشام من بين الملأ وبكتم من أسف على عثمان  
أرضا مقدسة وقوما منهم أهل اليقين وتابوا الفرقان

وذكر أبو أحمد السكري<sup>(١)</sup> في كتاب "الأمالي" أن سعد بن أبي وقاص دخل على معاوية عام الجماعة ، فلم يسلّم عليه بإمرة المؤمنين ، فقال له معاوية : لو شئت أن تقول في سلامك غير هذا لقلت ، فقال سعد : نحن للؤمنون ولم نؤمرك ، كأنك قد جهبت<sup>(٢)</sup> بما أنت فيه يا معاوية ! والله ما يسرني ما أنت فيه وأنى هرقت<sup>(٣)</sup> للخصمة<sup>(٤)</sup> دم . قال : ولستى وابن عمك عليها يا أبا إسحاق قد هرقتنا أكثر من عجة ومجنتين ، فلم تاجلس مني على السرير ، فجلس معه ، فذكر له معاوية اهتزّاله الحرب ، بصائبه ، فقال سعد : إنما كان مثلي ومثل الناس كقوم أصابهم ظلمة ، فقال واحد منهم لبيبره إنخ ، فأناخ حتى أضاء له الطريق

(١) هو الحسن بن عرفة بن سعيد السكري أبو أحمد ؛ أحد أعلام اللغة والأدب ، أخذ من ابن جرير وطلحة ؛ وصاحب كتاب التصحيح توفي سنة ٣٨٠ : (إسناده الرواة ١ : ٣١٠) .  
(٢) بهج بالهمزة : مرجح به . (٣) الهجعة : لارورة الهجاء .

فَقَالَ معاوية بنو الله يا أبا إسحاق <sup>(١)</sup>، معاني كتاب الله «إنَّ» وإنما فيه : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ  
الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَجَاهِلُوا الَّتِي تَبْنِي  
حَقًّا تَنفِي إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ <sup>(٢)</sup>؛ فوالله ما فلتت الباعية ولا للبعي عليها . فأخذه .

وزاد ابن ديزيل في هذا الخبر زيادة ذكرها في "كتاب صفين" ، قال : فقال سعد :  
أنا مرنى أن أقاتل رجلاً قال له رسول الله صلى الله عليه : أنت متى بمنزلة هارون من موسى  
إلا أنه لا نبي بعدي . فقال معاوية : من سمع هذا معك ؟ قال : فلان وفلان وأُمّ سلمة ، فقال  
معاوية : لو كنت سمعتُ هذا لما قاتلته .



( ٣٦ )

ومن خطبة له عليه السلام في تخويف أهل التهرؤان :

الأصل :

فَأَنَا نَذِيرُ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرَعى بِأَثْنَاءِ هَذَا التَّهْرِ ، وَبِأَهْضَامِ هَذَا الْفَاطِي ، عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَلَا سَطَّارٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ ، قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمْ الدُّارُ ، وَاحْتَبَلَكُمْ الْقَدَارُ .

وَقَدْ كُنْتُ سَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ ؛ فَأَبَيْتُمْ عَلَى إِيَاءِ الْمَعَالِفِينَ لِلْمُتَابِذِينَ ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ . وَأَنْتُمْ مَعَاثِرُ أَنْفَاءِ الْهَامِ ؛ سَفَهَاءِ الْأَحْلَامِ ؛ وَلَمْ آتِ - لَا أَبَا لَكُمْ - بَجَرًا ، وَلَا أَرَدْتُ بِكُمْ صَرًا .

•••

الشرح :

الأهضام : جمع هَضَمَ ؛ وهو المَطْنُ من الوادى . والمعاط : ما سَقَلَ من الأرض .  
واحتَبَلَكُمْ القَدَارُ : أَوْقَعَكُمْ فِي الْخَبَالَةِ .

والبُجَرُ : الداهية والأمر العظيم . ويروى : «بُجَرَاء» . وهو المستبَح من القول . ويروى «عُرْ» . والعُرُ : قروح في مشامِر الإبل . ويستعار للداهية .

•••

[ أخبار الخوارج ]

قد تظافرت الأخبار حتى بلغت حد التواتر بما وعد الله تعالى قَاتِلِي الخوارج من الثواب . على لسان رسوله صلى الله عليه وآله . وفي الصَّحاح للتفقه عاينها أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> بينما هو يقسم قسما جاء رجل من بني تميم ، يدعى  
 ذا النطوينيرة ، فقال : اعدل يا محمد ، فقال عليه السلام : « قد عدلت » ، فقال له ثانية : اعدل  
 يا محمد ، فإنك لم تعدل ، فقال صلى الله عليه وسلم : « وبئك ! ومن يعدل إذا لم أعدل ! » ،  
 فقام عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله ، انذني أضرب عنقه ، فقال : « دعه ، فسيخرج  
 من ضيقه »<sup>(٢)</sup> هذا قوم يترقون<sup>(٣)</sup> من لذين كما يترق السهم من الرمية ، ينظر  
 أحدهم إلى نصيبه<sup>(٤)</sup> فلا يجد شيئا ، فينظر إلى نصيبه<sup>(٥)</sup> فلا يجد شيئا ، ثم ينظر إلى  
 القذذ<sup>(٦)</sup> فكذلك ؛ سبق القرث والدم<sup>(٧)</sup> ، يخرجون على حين فرقة من الفاس ، ثم تقتر  
 صلاتكم في جنب صلاتهم ، وصومكم عند صومهم ، يرفعون القرآن لا يحاوز تراقيهم .  
 آيتهم<sup>(٨)</sup> رجل أسود - أو قال : أذعج -<sup>(٩)</sup> يمدح<sup>(١٠)</sup> اليد ، إحدى يديه كأنها تلدى  
 امرأة ، أو نعمة تدردر<sup>(١١)</sup> .

وفي بعض الصحاح أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأبي بكر ، وقد غاب الرجل

(١) أنظر الكامل ٣ : ١٩٠

(٢) ضيق : هذا ، أي من جلس هذا ؛ يقال : فلان من ضيق صدق ، ومن عده صدق ، وفي مركب صدق .

(٣) قال اللبرد : « يقال : مرق السهم من الرمية ؛ إذا نفذ منها ، وأكثر ما يكون ذلك ألا يعلق  
 من صمها شيء » .

(٤) الفصل : حديد السهم واليحم .

(٥) النفس ، على « فصيل » : القذح ( بكسر فسكون ) ؛ وهو السهم قبل أن يتصل ويرش .

(٦) القذذ : جمع قذذ ؛ وهي رهشة السهم .

(٧) الضمير عائد على السهم ؛ والكلام على التشبيه والاستعارة التخييلية ؛ صر به صلى الله عليه وسلم  
 مثلا لخروجهم من الدين ، لم يعلق بطولهم منه شيء .

(٨) ذكروا أنه سرقوس بن زهير ؛ كان صحابيا أمد به عمر المسلمين الذين نزلوا الأهوار ، ثم كان مع  
 علي في صفين ؛ ثم صار خارجيا عليه ، قتل . تاج العروس ( ٤ : ٣٧٩ ) .

(٩) الذعج : خلة سواد العين مع الساعيا .

(١٠) يمدح اليد ، من أخذ به الله ؛ إذا لمس عصا منه .

(١١) تدردر ؛ قال ابن الأثير في النهاية ( ٢ : ١٩ ) : « تدردر ؛ أي تخرج ؛ نحي . وتذهب ، والأسل

تدردر ، لحذف إحدى التاءين تخفيفا » .

عن عثينة : قم إلى هذا فاقته ، فقام ثم عاد وقال : وجدته يصلي ، فقال لعمر مثل ذلك ، فعاد وقال : وجدته يصلي ، فقال لعلي عليه السلام مثل ذلك ، فعاد فقال : لم أجده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لو قُتِل هذا لكان أول فنة وآخرها ؛ أما إنه سيخرج من خيضي هذا قوم . . . » الحديث .

وفي بعض الصحاح : « يقتلهم أولى المربقين بالحق » .

وفي مسند أحمد بن حنبل ، عن مسروق ، قال : قالت لي عائشة : إنك من وهدي ومن أحبهم إلي ، فهل عندك علم من الخدج ؟ قلت : نعم ، قتله علي بن أبي طالب على نهر يقال لأعلاء تامر<sup>(١)</sup> ولأسفلته النهر وان ، بين تخاليف وطرقاء<sup>(٢)</sup> ، قالت : ابنني على ذلك بيعة ، فأقت رجالا شهدوا عندها بذلك ، قال : قتلت لما سألتك بمصاحب القبر ، ما الذي سمعت من رسول الله صلى الله عليه فيهم ؟ فقالت : نعم سمعته ، يقول : « إنهم شر الخلق والخلق ، يقتلهم خير الخلق والخلق » وأقربهم عند الله وسيلة .

• • •

وفي " كتاب صفين " للواقدي عن علي عليه السلام : لولا أن تبطروا فتدعوا العمل ، لحدثتكم بما سبق على لسان رسول الله صلى الله عليه لمن قتل هؤلاء . وفيه : قال علي عليه السلام : إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه فلأن أحبر من السماء أحب إلي من أن أكذب على رسول الله صلى الله عليه ، وإذا حدثتكم فيما بيننا من نفسي فإن الحرب خدعة ؛ وإنا أنا رجل محارب ؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول : « يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، قولهم من خير

(١) تامرا ؛ سبطه باقوت : « جتح اليم وتشديد الراء والقصر » ، وقال « نهر واسع يخرج من جبال شهرزور والجلال المجاورة لها »

(٢) لخافيق : جمع لخفوق ؛ وهو صيق في الأرض ، والمعارف : شجر من الجنس ، واحده طرقاء .



أقوال أهل البرية، صلاحهم أكثر من صلاحكم، وقراءتهم أكثر من قراءتكم، لا يجاوز إيمانهم تراقيهم - أو قال: حناجرهم - يرقون من الدين كما يرق النهم من الرمية، فاعلموا، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة » .

• • •

وفي "كتاب صفين" أيضا للدائقي من مسروق، أن عائشة قالت لما عرفت أن عليا عليه السلام قتل ذا النُدْبَةِ : لعن الله عمرو بن العاص فإنه كتب إلي يخبرني أنه قتل بالإسكندرية، ألا إنه ليس بمنفي ماني نفسي أن أقول ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه، يقول : « قتله خير أمي من بدي » .

• • •

وذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في "التاريخ" أن عليا عليه السلام لما دخل الكوفة دخلها معه كثير من الخوارج، ونحفت معهم بالثغينة وغير ما خلق كثير لم يدخلوها، فدخل حرقوص بن زهير السُدي، وزُرْعة بن البرزج الطائي - وهما من رؤس الخوارج - على علي عليه السلام، فقال له حرقوص : ثب من خطيتك، واخرج بنا إلى معاوية نجاهده، فقال له علي عليه السلام : إني كنت نهيتكم عن الحكومة فأيتتم، ثم الآن تجعلونها ذنبا ! أما إنها ليست بمصية، ولكنها عجز من الرأي، وضعف في التدبير، وقد نهيتكم عنه، فقال زُرْعة : أما والله لئن لم تقب من محكمك الرجال لأقتلك (١) أطلب بذلك وجه الله ورضوانه، فقال علي عليه السلام : يؤس لك ما أشقاك ! كآتي بك قبلا تشق عليك الرياح ! قال زُرْعة : وددت أنه كان ذلك (٢) .

قال : وخرج علي عليه السلام يخطب الناس فصاحوا به من جوانب المسجد :

(١) الطبري : « قاتلك » .

(٢) تاريخ الطبري : ٧٧ .

لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ، وَصَاحَ بِهِ رَجُلٌ [مِنْهُمْ وَضَعَ أَصْبَعَهُ فِي أُذُنِهِ ، فَقَالَ] <sup>(١)</sup> : ﴿ وَاقْدَأَوْجِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَذْرَكَ كُنْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فَقَالَ لَهُ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ فَصَبِّرْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَا يَسْتَعْجِلُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

وروى ابن ديزيل في كتاب " صفين " قال : كانت الخوارج في أول ما انصرفت عن رايات على عليه السلام تهدد للناس قتلا ، قال . فأتت طائفة منهم على النهري إلى جاب قرية ، فخرج منها رجل مذعورا أخذاً بشيائه ، فذكر كونه فقالوا له : رَعَبَاكَ ؟ قال : أجل ؛ فقالوا له : قد عرفناك ، أنت عبد الله بن خباب ، صاحب رسول الله صلى الله عليه ، قال : نعم ، قالوا . فما سمعت من أبيك يحدث عن رسول الله صلى الله عليه ؟

قال ابن ديزيل : فحدثهم أن رسول الله صلى الله عليه قال : « إِنْ فَتَنَ جَائِيَةٌ ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ . . . » الحديث .

وقال غيره : بل حدثهم : « إِنْ طَائِفَةٌ تَمَرَّقَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمَرَّقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، يَمْرُقُونَ الْقُرْآنَ ، صَلَاتَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ صَلَاتِكُمْ . . . » الحديث . فضربوا رأسه ، فسال دمه في النهر ، ما امدقر ، ( أي ما احتلط بالماء ) ، كَأَنَّهُ شِرَاكٌ ، ثُمَّ دَفَنُوا بِحَارِيَّةَ لَهُ حَبْلِي فَبَقَرُوا عَتَا فِي بَطْنِهَا .

\*\*\*

وروى ابن ديزيل ، قال : عَزَمَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى الْحَرُورِيَّةِ <sup>(٤)</sup> ، مَوْكَانَ فِي أَصْحَابِهِ مَنْعَجٌ فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَسِرْ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ،

(١) تذكاة من تلجح الطلبي .

(٢) سورة الزمر ٦٥ .

(٣) سورة الروم ٦٠ والخبر في الطلبي ٥ : ٧٣ .

(٤) الحرورية : نسبة إلى حروراء : قرية على مبلج من الكوفة ؛ كان اجتماع الخوارج فيها . فغلبوا إليها .

ويزر على ثلاث ساعات مضين من النهار : فإنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصحابك أذى وضرر شديد ، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها خلقت وظهرت ، وأصبت ما طلبت . فقال له صلى عليه السلام : أندري ما في بطن قرسي هذه ؟ أذكر هو أم أنتي ؟ قال : إن حسبت علفت ، فقال صلى عليه السلام : مَنْ صدّقت بهذا فقد كذب بالقرآن ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ... ﴾ <sup>(١)</sup> الآية ، ثم قال عليه السلام :

إن محمداً صلى الله عليه ما كان يدعى علم ما ادّعت علمه ؛ أترغم أنك تهدي إلى الساعة التي يصيب النفع مَنْ سار فيها ، وتصرف عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها ! فمن صدّقت بهذا فقد استمعى عن الاستعانة بالله حلّ ذكرك في صرف المكروه عنه . وينبغي للموقن بأمرك أن يوليكَ الحمد دون الله جلّ جلاله ، لأنك برحمتك هدّيته إلى الساعة التي يصيب النفع مَنْ سار فيها ، وتصرفته عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها ؛ فمن آمن بك في هذا لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ضدّاً ونِدّاً . اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا صر إلا صرّك ، ولا إله غيرك . ثم قال : نحالف ونسير في الساعة التي نهينّا عنها ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أيّها الناس ، إياكم والنعم للتجوم إلا ما يهتدى به في ظلمات البر والبحر ، إنما للنجم كالكاهن ، والكاهن كالكافر ، والكافر في النار . أما والله لئن بَلّغني أنك تعمل بالتجوم لأخلدنك السجن أبداً ما بقيت ، ولأحرمتك المطاء ما كان لي من سلطان .

ثم سار في الساعة التي ساء عنها للنجم ، فظفّر بأهل النهر وظهر عليهم ، ثم قال : لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها للنجم فقال الناس : سار في الساعة التي أمر بها للنجم فظفّر وظهر ، أما إنه ما كان لحمد صلى الله عليه منجم ، ولا لنا من بعده ؛ حتى فزع الله علينا بلاد كسرى وقيصرو . أيّها الناس ، توكّلوا على الله وثقوا به ، فإنه يكفي من سواه .

قال : فروى مسلم الضبي عن حبة العريني ، قال : لما اتينا إياهم رمونا ، فقلنا  
لعلي عليه السلام : يا أمير المؤمنين قد رمونا ، فقال لنا : كفوا ، ثم رمونا ، فقال لنا  
عليه السلام : كفوا ، ثم الثالثة ، فقال : الآن طاب القتال ، احموا عليهم .  
وروى أيضا عن قيس بن سعد بن عباد أن عليا عليه السلام لما انتهى إليهم ، قال  
لهم : أفيدوا بدم عهد الله بن خباب ، فقالوا : كُنَّا قتلَه ، فقال : احموا عليهم .



وذكر أبو هلال العسكري في كتاب " الأوائل " أن أول من قال : « لا حكم  
إلا لله » ، عروة بن حدير ، قالها بصيغتين ؛ وقيل : زيد بن حاصم الحارثي . قال : وكان  
أميرهم أول ما اعتزلوا ابن الكواء ، ثم تابعوا لعبد الله بن وهب الراسبي . وكان أحد  
الخطباء . فقال لهم عند بيعتهم إياه : <sup>(١)</sup> إنا لكم والرأي كقطير <sup>(٢)</sup> ، والكلام للضبيب <sup>(٣)</sup> ،  
دعوا لرأي يَمِب <sup>(٤)</sup> ، فإن غُوبه يكشف للفر من قُضته <sup>(٥)</sup> ، وازدحام الجواب مَضَّة  
للسواب ، وليس الرأي بالاربحال ، ولا الحزم بالاعتصاب ، فلا تدعوا لكم السلامة من خطأ  
مُوبق ، وغضبة تلتصوها من غير صواب إلى مساودته والتماس الرمح من جهته . إن الرأي  
ليس بنهني <sup>(٦)</sup> ، ولا هو ما أعطتك البديهة ، وإن خير الرأي خير من فطيره ؛ ورب  
شيء غايه خير من طريته ، وتأخير خير من تقديمه .



وذكر المدائني في كتاب " الخوارج " قال : لما خرج علي عليه السلام إلى أهل  
النهر أقبل رجل من أصحابه من كان على مقدمته يرأس ؛ حتى انتهى إلى علي عليه السلام ،

(١) الرأي القطير : الذي يبدو بديها من غير تروية ، خلاف الخبر .

(٢) الكلام الضبيب : الرثيل .

(٣) يَمِب ، أي يفضى عليه وقت .

(٤) القصة : العيب .

(٥) النهي : نسبة إلى النهه ، وهو الثوب الرقيق الناعم .

فقال : البشري يا أمير المؤمنين ! قال : ما بُشراك ؟ قال : إن القوم عَبَرُوا النهرَ لَمَّا بَلَغَهُمْ  
وَصَوْلُكَ ، فَأَبَشِيرٌ ؛ فَقَدْ مَنَحَكَ اللهُ أَسْمَاءَهُمْ ؛ فقال له : آفَهُ أَمْتُ رَأَيْتَهُمْ قَدْ عَبَرُوا !  
قال : نعم ، فَأَحْلَفَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فِي كُلِّهَا يَقُولُ : نعم ، فقال عليّ عليه السلام : والله  
مَا عَبَرُوهُ وَلَنْ يَسْبُرُوهُ ؛ وَإِنْ مَعَارِعَهُمْ لَدُونِ النُّطْفَةِ ؛ وَالَّذِي قَلَقَ الْحَنَةَ ، وَرَأَى التَّسْمَةَ ،  
لَنْ يَبْلُغُوا الْإِثْلَاثَ وَلَا قَصْرَ بَوَّارِنَ ، حَتَّى يَفْتَنَهُمُ اللهُ ، وَقَدْ حَاطَ مِنْ أَفْتَرَى . قال : ثم  
أَقْبَلَ فَارِسَ آخِرِ يَرْكُنِ ، فقال كَقَوْلِ الْأَوَّلِ ، فلمْ يَكْثُرْ عليّ عليه السلام بقوله ،  
وَجَازَمَتِ الْفَرَسَانِ تَرْكُضَ ، كُلُّمَا يَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ ؛ فَجَامَ عليّ عليه السلام فَجَالَ فِي مَتْنِ  
فَرَسِهِ . قال : فيقول شاب من الناس : والله لَا كُونَنَّ قَرِيبًا مِنْهُ ، فَإِنْ كَانُوا عَبَرُوا النهرَ  
لَأَجْلَنَ سِنَانُ هَذَا الرَّمْحِ فِي عَيْبِهِ ؛ أَبْدَعِي عَمَّ السَّيْبِ ! فَمَا أَتَى عليه السلام إِلَى النهرِ  
وَجَدَ الْقَوْمَ قَدْ كَثُرُوا جَفُونٌ سَيُوفُهُمْ ، وَهَرَقِيوُا حِمْلَهُمْ ، وَجَنُّوا عَلَى رُكَبِهِمْ ، وَحَكَمُوا  
تَحْكِيمَةً وَاحِدَةً بِصَوْتِ عَظِيمٍ لَهُ رَجُلٌ قَتَلَ ذَلِكَ الشَّابَّ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إِنْ  
كَانَتْ شَكَاكَ فِيكَ آفَاءٌ ، وَإِنْ تَأْتَى إِلَى اللهِ وَإِلَيْكَ ، فَاعْفُرْ لِي ، فقال عليّ عليه السلام :  
إِنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يَغْفِرُ الذُّنُوبَ ، فَاسْتَغْفِرْهُ .



وذكر أبو العباس محمد بن يزيد اللبدي " الكامل " قال : لما واقفهم عليّ عليه  
السلام بالنهر ، قال : لا تَبْدُؤُوا بِقِتَالِ حَتَّى يَدْعُوَكُمْ ، فَعَمِلَ مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَى صِفَةِ عليّ  
عليه السلام ، قَتَلَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةً ؛ ثُمَّ قَالَ :

أَقْتُلْتَهُمْ وَلَا أَرَى حَلِيلًا      وَنُوْ بَدَا أَوْجَرُهُ أَنْطَلِيًّا<sup>(١)</sup>

فخرج إليه عليّ عليه السلام فضربه ، قَتَلَهُ ، فَلَمَّا خَالَطَهُ سَيْفُهُ ، قَالَ : يَا حَبِذَا الرُّوحَةُ  
إِلَى الْجَنَّةِ ! فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهَبٍ : والله مَا أُدْرِي إِلَى الْجَنَّةِ أَمْ إِلَى النَّارِ ! فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ  
(١) أَوْجَرُهُ الْخَطِي : لَحْنُهُ بِالرَّمْعِ .

من بني سعد : إنما حضرتُ اغترارا بهذا الرجل - يعني عبد الله - وأراه قد شك واعتزل عن الحرب بجماعة من الناس ، ومال ألف منهم إلى جهة أبي أيوب الأنصاري ؛ وكان على مينة على عليه السلام ، فقال على عليه السلام لأصحابه : اقبلوا عليهم ؛ فوالله لا يقتل منكم عشرة ، ولا يسلم منهم عشرة <sup>(١)</sup> . ففعل عليهم فطعنهم طعنا ، قُتل من أصحابه عليه السلام تسعة ، وأفلت من الخوارج ثمانية <sup>(٢)</sup> .



وذكر أبو العباس - وذكر غيره أيضا - أن أمير المؤمنين عليه السلام لما وجه إليهم عبد الله بن عباس لينظرهم قال لهم : ما الذي تقسم على أمير المؤمنين ؟ قالوا له : قد كان للؤمنين أميرا ، فلما حكم في دين الله خرج من الإيمان ؛ فليتب بعد إقراره بالكفر ، فعد إليه <sup>(٣)</sup> ؛ قال ابن عباس : ما ينبغي لمؤمن لم يشب الإمام بشك أن يقر على نفيه بالكفر ، قالوا : إنه حكم ، قال : إن الله أمر بالتحكيم في قتل حبيد ، فقال : ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، فكيف في إمامة قد أشكلت على المسلمين ؟ فقالوا : إنه حكم عليه فلم يرض ، فقال : إن الحكومة كالإمامة ، ومضى فسق الإمام وحبب معصيته ؛ وكذلك الحكماء لما خالفا مذت أقاويلهما ، فقال بعضهم لبعض : اجعلوا احتجاج قريش حجة عليهم ؛ فإن هذا من الدين قال الله فيهم : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، وقال جل ثناؤه : ﴿ وَتَنْذِيرٌ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ <sup>(٦)</sup> .

قال أبو العباس : ويقال : إن أول من حكم عروة بن أدية - وأدية جدّة له جاهلية - وهو عروة بن حدير ، أحد بني ربيعة بن حنظلة . وقال قوم : أول من حكم رجل من بني

(١) في الكامل : « ولا مل »

(٢) الكامل ٣ : ١٨٧ .

(٣) ب : « تعد له » .

(٤) سورة المائدة ٩٥

(٥) سورة الزخرف ٥٨

(٦) سورة مريم ٩٧ ، والحد في الكامل ٣ : ١٦٥ .

محارب بن خصة بن قيس بن عيلان ، يقال له سميد . ولم يختلفوا في اجتماعهم <sup>(١)</sup> على هبة الله بن وهب الراسبي ، وأنه امتنع عليهم ، وأومأ إلى غيره فلم يفتعوا إلا به ، فكان إمام القوم ، وكان يوصف برأى . فأما أول سيف سُل من سيوف الخوارج فسيف عروة بن أدية ، وذلك أنه أقبل على الأشعث ، فقال له : ما هذه الدتية بأشعث ؟ وما هذا التحكيم ؟ أشرطت أوثق من شرط الله عز وجل ! ثم شبر عليه السيف ، والأشعث مولد ؛ فضرب به حجر بقلته .

قال أبو العباس : وعروة بن حدير هذا من النفر الذين تجمّوا من حرب النهروان ، فلم يزل باقياً مدة من أيام معاوية ، ثم أتى به زياد ومعه مولد له ، فسأله عن أبي بكر وعمر فقال : خيراً ، فقال له : فما تقول في أمير المؤمنين عثمان وفي أبي تراب ؟ فتولى عثمان ست سنين من خلافته ثم شهد عليه بالكفر ، وفعل في أمر علي عليه السلام مثل ذلك إلى أن حكم ثم شهد عليه بالكفر ، ثم سأله عن معاوية فسبّه سباً قبيحاً ، ثم سأله عن نفسه ؛ فقال له : أولئك ليزنية <sup>(٢)</sup> وآخرك ليدعوة ، وأنت بدع طعن ربك . فأمر به فصربت عنقه ، ثم دعا مولاه فقال له : صف لي أموره ، قال : الأطيب أم أخضر ؟ قال : بل أخضر ، قال : ما أتيت به طعاماً بنهار قط ، ولا فرشت له فراشا بليل قط <sup>(٣)</sup> !

قال أبو العباس : وسبب تسميتهم الخوارجية أن علياً عليه السلام لما ماظرهم بعد مناظرة ابن عباس لإمام ، كان فيما قال لهم : ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم : إن هذه مكيدة ووهم <sup>(٤)</sup> ، وأنهم لو قصدوا إلى حكم المصاحف لأنوني ، وسألوني التحكيم ! أف تعلمون أن أحداً كانا كره التحكيم مني ؟ قالوا : صدقت ، قال : فهل تعلمون أنكم اسعركموني على ذلك حتى أجبتكم إليه ، فاشتدّت أن حكمتها نافذ ما حكما

(١) الكامل : د : إجماعهم .

(٢) لونية ، يشير إلى ما كان من أبي سفيان و طعلبة من عشيانه أمه سمية .

(٣) الكامل ٣ : ١٧٩ - ١٨١

(٤) الكامل : د : ثم سألوني .

(٤) ب : د : مكيدة وهم .

بحكم الله ، فنتي خائفاء ، فأنا وأنتم من ذلك برآء ، وأنتم تطعون أن حُكِّمَ الله لا يبدؤني ؟  
 قالوا : اللهم نعم ، قال : وكان معهم في ذلك الوقت ابن الكواء<sup>(١)</sup> ، قال : وهذا من قبل  
 أن يذبحوا عبد الله بن خطاب ، وإنما ذبحوه في الفرقة الثانية بكسكر<sup>(٢)</sup> ، قالوا له :  
 حكمت في دين الله برأينا ونحن مقرون بأننا كنا كفرنا ، ولكننا الآن نأثرون  
 فأقر بما أقررنا به ، وتُبْ نهمن منك إلى الشام ، فقال : أما تعلمون أن الله تعالى قد أمر  
 بالتحكيم في شقاق بين الرجل وامراته ، فقال سبعمائة : ﴿ فَأَبْشُرُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ  
 وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ﴾ ، وفي صيد أصيب كأرب يساوي نصف درهم ، فقال : ﴿ يَحْكُمُ بِهِ  
 ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ ! قالوا له : فإن عثرا لما أبي عليك أن تقول في كتابك : « هذا  
 ما كتبه عند الله علي أمير المؤمنين » محوت اسمك من الخلافة ، وكتبت : « علي بن أبي  
 طالب » ، فقد حلقت نفسك ، قال : لي في رسول الله صلى الله عليه وآله حيف  
 أبي عليه سهيل بن عمرو أن يكتب : « هذا كتاب كتبه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وسهيل بن عمرو » ، وقال له : لو أقررت بأمرك رسول الله ما خالفتك ، ولكني أقدمك  
 لفضلك ! فاكاتب « محمد بن عبد الله » ، فقال لي : يا علي ، امع « رسول الله » ، فقلت : يا رسول  
 الله ، لا تشجمني نفسي<sup>(٣)</sup> علي محواسمك من النبوة ، قال : ففرض عليه ، فبعاه بيده ، ثم قال :  
 « اكتب محمد بن عبد الله » ، ثم تبسم إلي وقال : يا علي ، أما إنك سنسام مثلها فتعطى ،  
 فرجع معه منهم ألفان من حروراء وقد كانوا يجتمعوا بها ، فقال لهم علي : ما نسيكم ؟ ثم  
 قال : أنتم الحرورية ، لاجئنا عكم بحروراء<sup>(٤)</sup> .



وروي جميع أهل السير كافئان عليا عليه السلام لما طعن القوم طلب ذا الشذبة طلبا

(١) ابن الكواء ، هو عبد الله بن الكواء ؛ من بني يشكر بن بكر بن وائل .

(٢) كسكر : كورة بين الكوفة والبصرة .

(٣) الكامل : « لا تشجمني نفسي » . (٤) الكامل ٣ : ١٨١ ، ١٨٢ .



شديداً ، وقلب القتلى ظهراً لبطن ، فلم يقدر عليه ، فساء ذلك ، وجعل يقول : والله ما كذبت ولا كذبت ، اطلبوا الرجل ، وإني انقوم ؛ فلم يزل يتطلبه حتى وجدته ، وهو رجل مخدج اليد<sup>(١)</sup> ، كأنها ثدي في صدره .

• • •

وروى إبراهيم بن ديزيل في كتاب " صفين " عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، قال : لما شجرهم على علي عليه السلام بالرماح ، قال : اطلبوا ذا الثدي ، فطلبوه طلباً شديداً ، حتى وجدوه في وهدية من الأرض تحت ناس من القتلى ، فأثبته ، وإذا رجلاً على ثديه مثل سبلات<sup>(٢)</sup> التنور ، فكبر على علي عليه السلام ، وكبر الناس معه سروراً بذلك .

وروى أيضاً عن مسلم الصبي عن حبة المروزي ، قال : كان رجلاً أسود مثنى الرمح ، له ثدي كثندي المرأة ، إذا مدت كات بطول اليد الأخرى ، وإذا تركت اجتمعت وتقلصت ، وصارت كثندي المرأة ، عليها شعرات مثل شوارب المرأة ، فلما وجدوه قطعوا يده ، ونصبوها على رُمح . ثم جعل على علي عليه السلام يداي : صدق الله وبلغ رسوله ؛ لم يزل يقول ذلك هو وأصحابه بعد العصر إلى أن غربت الشمس أو كادت .

وروى ابن ديزيل أيضاً ، قال : لما عيل<sup>(٣)</sup> صبر على علي عليه السلام في طلب المخدج . قال : اتنوى ببيعة رسول الله صلى الله عليه ، فركبها واتبعه الناس ، فرأى القتلى ، ويقول : اقبلوا ، فيقبلون قتيلاً عن قتيل ، حتى استخرجوه ، فسجد على علي عليه السلام .

وروى كثير من الناس أنه لما دعا بالبيعة ليركبها ، قال : اتنوى بها فإنها هادية ، فوقفت به على المخدج ، فأخرجه من تحت قتل كثيرين .

وروى الموام بن حوشب عن أبيه ، عن جده يزيد بن رويم ، قال : قال علي عليه

(٢) السلة : ما على الشارب من العصر ، وجمعه سبلات .

(١) مخدج اليد . أي فالس اليد

(٣) عيل صبره : أعوزه الصبر

السلام : يُقْتَلُ اليوم أربعة آلاف من الخوارج ، بأحدهم ذو النُدَيَّة ، فلما طعن القوم ورام استخراج ذي النُدَيَّة فأتبعه ، أمرني أن أقطع له أربعة آلاف قَصَبَة ، وركب بشفة رسول الله صلى الله عليه ، وقال : اطرح على كل قِصْبٍ منهم قَصَبَة ، فلم أزل كذلك وأنا بين يديه ، وهو راكب خلق ، والناس يتبعونه حتى بَقِيت في يدي واحدة ، فنظرت إليه وإذا وجهه أُرْبَدَ ، وإذا هو يقول : والله ما كذبت ولا كذبت ، فإذا خرير ماء عند موضع دالية ، فقال : فَنَشْ هذا فَنَشْتُهُ ، فإذا قِصْبٌ قد صار في الماء ، وإذا رجله في يدي ، فجذبتها ، وقلت : هذه رجلُ إنسان ، ففزت عن البعثة مسرعا ، فجذب الرجل الأخرى ، وجردناه حتى صار قلبي للتراب ، فإذا هو المحدثج ، فكبر على عليه السلام بأعلى صوته ، ثم سعد ، فكبر الناس كلهم .

وقد روى كثير من المحدثين أن النبي صلى الله عليه وآله قال لأصحابه يوما : « إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن ، كما قاتلت على تنزيله » ، فقال أبو بكر : أنا يا رسول الله ؟ فقال : « لا » ، فقال عمر : أنا يا رسول الله ؟ فقال : « لا » ، بل خاف للنمل » ، وأشار إلى علي عليه السلام .



وقال أبو العباس في "الكامل" : يقال : إن أول من لفظ بالحكومة ولم يشد<sup>(١)</sup> بها رجل من بني سعد بن زيد مناة بن تميم بن مرّة ، من بني حريم ، يقال له الحجاج بن عبد الله ، ويعرف بالبرك ؛ وهو الذي ضرب آخر معاوية على أليته ، يقال : إنه لما سمع بذكر الحكمين ، قال : أيحكم أمير المؤمنين الرجال في دين الله ! لا حكم إلا لله ، فسمعه سامع ، فقال : طعن والله فأفند .

قال أبو العباس : وأول من حكم بين الصنفين رجل من بني يشكر بن بكر

(١) لم يشد ، من أحاط به ، إذا دبح صوته .

ابن وائل ، كان من أصحاب علي عليه السلام ، فجعل قلى رجل منهم قتله غيلة ، ثم مرق بين العتقين يحكم ، وجعل قلى أصحاب معاوية ، فكثروه ، فرجع إلى ناحية علي عليه السلام ، فخرج إليه رجل من قهذان قتله ، فقال شاعر قهذان :

وَمَا كَانَ أَغَى لِلشَّكْرِىِّ عَنِ النَّبِيِّ نَصَلٌ هَاجِراً مِنَ النَّارِ حَامِياً  
فَسَدَّاهُ بِنَادَى وَالرَّيْحُ تَنُوشُهُ خَلَّتْ عَلِيّاً بَادِئاً وَمَعْبِـاًوياً<sup>(١)</sup>

قال أبو العباس : وقد روى المحدثون<sup>(٢)</sup> أن رجلاً تلا بحضرة علي عليه السلام : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ خَلِّقْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾<sup>(٣)</sup> ، فقال علي عليه السلام : أهل حروراء منهم .

قال أبو العباس : ومن شعر أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا اختلاف فيه أنه قاله :  
سَوْكَانَ يَرْدُدُهُمْ أَنَّهُمْ لَا سَامُوهُ أَنَّهُ يُفَرِّقُ بِالْكَفْرِ وَخُوبٍ حَتَّى يَسِيرُوا مَعَهُ إِلَى النَّامِ ، فقال :  
أبعد محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفقه في الدين أرجع كافراً ! ثم قال :

يَا شَاهِدَ اللَّهِ عَلَى قَلْبِي فَاشْهَدِ أَنِّي عَلَى دِينِ النَّبِيِّ أَحْمَدِ

• مَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ فَإِنَّهُ مُتَهَدٍ<sup>(٤)</sup> •

وذكر أبو العباس أيضاً في " الكامل " أن علياً عليه السلام في أول خروج القوم عليه ، دعا حصصمة بن صوحان المبدى - وقد كان وجهه إليهم - وزيد بن النصر الطارقي ، مع عبد الله بن عباس ، فقال لحصصمة : بأي القوم رأيتمهم أشد إطفافاً<sup>(٥)</sup> ؟ قال : يزيد بن قيس الأرحبي ، فركب علي عليه السلام إلى حروراء ، فجعل يتخللهم حتى صار إلى مضرب يزيد بن قيس ، فصلّى فيه ركعتين ، ثم خرج فاتكأ على قومه ، وأقبل

(١) تنوشه : تناوله .

(٢) في الكامل : وجاء في الحديث .

(٣) سورة الشكف ١٠٤ .

(٤) الكامل ٣ : ١٨٧ - ١٨٨ .

(٥) إطفاف : مصدر أطفأ بالعنى : إذا أظلم به .

عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : هَذَا مَقَامٌ مَنْ قَلَجَ <sup>(١)</sup> فِيهِ فَجَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . ثُمَّ كَلَّمَهُمْ وَبَاشَدَهُمْ ، فَقَالُوا : إِنَّا أَذُنُنَا دَبَا عَظِيمًا بِالتَّحْكِيمِ ، وَقَدْ تَبَنَّا ، فَجَبَّ إِلَى اللَّهِ كَمَا تَبَنَّا نَعْدُ لَكَ . فَقَالَ عَلِيٌّ <sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ ، فَرَجَعُوا مَعَهُ وَهُمْ سِتَّةُ آلَافٍ ، فَلَمَّا اسْتَقَرُّوا بِالْكُوفَةِ أَشَاعُوا أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجَعَ عَنِ التَّحْكِيمِ ، وَرَأَاهُ ضَلَالًا ، وَقَالُوا : إِنَّمَا يَنْتَظِرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْتَنْ السُّكْرَاعَ <sup>(٣)</sup> وَتُجْبَى الْأَمْوَالُ ، ثُمَّ يَهْبِضُ بِنَا إِلَى الشَّامِ . فَأَتَى الْأَشْمَثُ هَابِيًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ تَحَدَّثُوا أَنَّكَ رَأَيْتَ الْحُكُومَةَ ضَلَالًا وَالْإِمَامَةَ عَلَيْهَا كُفْرًا ، فَقَامَ عَلِيٌّ <sup>(٤)</sup> عَلَيْهِ السَّلَامُ يَخْطُبُ ، فَقَالَ : مَنْ زَمَّ أَيْ رَجَعَتْ عَنِ الْحُكُومَةِ قَدْ كَذَّبَ ، وَمَنْ رَأَاهَا ضَلَالًا قَدْ ضَلَّ ؛ فَخَرَجَتْ حَيْفَةُ الْخَوَارِجِ مِنَ الْمَسْجِدِ غَلْغَلَتِ <sup>(٥)</sup>



قُلْتُ : كُلُّ فِسَادٍ كَانَ فِي خِلَافَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكُلُّ اضْطِرَابٍ حَدَّثَ فَاصِلُهُ الْأَشْمَثُ ، وَلَوْلَا عِمَاقَتُهُ <sup>(٦)</sup> أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَعْنُ الْحُكُومَةِ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ لَمْ تَكُنْ حَرْبُ النَّهْرَوَانِ ، وَلَكِنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَهْبِضُ بِهِمْ إِلَى مَعَاوِيَةَ ، وَيَمْلِكُ الشَّامَ ؛ فَإِنَّهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ حَاقِلٌ أَنْ يَسُكَّ مَعَهُمُ مَسَلَّتِ التَّمْرِ يَصُ وَاللَّوَارِبَةُ : وَفِي الْمَثَلِ النَّبِيُّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى قَائِلِهِ : « الْحَرْبُ حُدُودٌ » ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا : تَبَّ إِلَى اللَّهِ

(١) عبارة الكامل : « مَنْ مَلَجَ فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشَدُّكُمْ » ، أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْكُمْ كَانَ أَكْرَهَ لِلْحُكُومَةِ مِنْ : قَالُوا : اللَّهُ لَا ، قَالَ : أَعْلَمُكُمْ أَمَكُمْ أَكْرَهْتُمُونِي حَتَّى قَبَلْتُمَا : قَالُوا : اللَّهُ لَمْ ، قَالَ : فَلَمْ خَالِفْتُمُونِي وَتَابَعْتُمُونِي ؟ قَالُوا : إِنَّا أَتَيْنَا دَبَا عَظِيمًا ، فَجَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ ، وَاسْتَغْفِرُهُ نَعْدُ لَكَ ، فَقَالَ عَلِيٌّ . . . . . وَالْفَلَجُ : الظُّفْرُ وَالْإِنْتِصَارُ .

(٢) السُّكْرَاعُ : اسْمُ الْخَيْلِ

(٣) الكامل : « نَظَّطَ عَلَى النَّاسِ »

(٤) الكامل ٣ : ٢١٠ - ٢١٧ .

(٥) المحادثة : أَيْ يَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الطَّرِيقِ : « أَمَا أَحَقُّ » ؛ هَذَا أَسْلَبُ ، وَلِلرَّادِ الْحَاجَةُ وَاحِدَةً .

بما فعلت ، كما تبنا نهض معك إلى حرب أهل الشام ، فقال لم كلمة بحجة مُرسلة يقولها الأنبياء والمصومون ، وهي قوله : « استغفر الله من كل ذنب » ، فرضوا بها وعدوها إجابة لم إلى سؤلهم ، وصفت له عليه السلام نياتهم ، واستخلص بها ضمائرهم ، من غير أن تتضمن تلك الكلمة اعترافا بكفر أو ذنب ، فلم يتركه الأشعث ، وجاء إليه مستفسرا وكاشفا عن الحال ، وهاتكا سائر التورية والسكناية ، ومخرجا لها من ظلمة<sup>(١)</sup> الإجمال وستر الحيلة إلى تفسيرها بما يفيد التذير ، ويوعر الصدور ، ويميد الفتنة ؛ ولم يستفسره عليه السلام عنها إلا بمحذور من لا يمكنه أن يحملها معه هدية على دخن<sup>(٢)</sup> ، ولا ترفيقا عن صبح<sup>(٣)</sup> ، والجاء بتضييق الخناق عليه إلى أن يكشف ما في نفسه ، ولا يترك الكلمة على احتمالها ، ولا يطوبها على غرضها<sup>(٤)</sup> ، فخطب بما صدح به عن صورة ما عنده بجاهرة ، فانقصر ما دبروه ، وطادت الخوارج إلى شبهتها الأولى ، وراجعوا التصكيم والمروق ؛ وهكذا القول التي تظهر فيها أمارات الانقضاء والزوال ، يُفاح لها أمثال الأشعث من أولى الفساد في الأرض ، ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾<sup>(٥)</sup> .

• • •

قال أبو العباس : ثم مضى القوم إلى السهروان ، وقد كانوا أرادوا اللقي إلى المدائن ، فن طريق أخبارهم أنهم أصابوا في طريقهم مسلما ونصرانيا ، فقتلوا السلم لأنه عتدم كافر ؛ إذ كان على خلاف معتقدم ، واستوصوا بالنصراني ، وقالوا : احفظوا ذمة نبيكم<sup>(٦)</sup>

(١) ب : « مظلمة » ، أصحيف ، صوابه من ا ، ج .

(٢) هدية على دخن مثل ، والهدية في الأصل : البن والسكون ، ويطلق على الصالحة . والدخن : تغير الطعام . وانظر للبدياني ٢ : ٣٨٢ .

(٣) أصل المثل : « عن صبح ترفق » ، والصبح : ما يصرب صابا ، وترقيق الكلام تزيينه ، يصرب لمن كفى عن شيء ويريد غيره . وانظر للبدياني ٢ : ٢٩ .

(٤) أصل المثل : « طويت التوب على غرض » أي كسره .

(٥) سورة الأحزاب ٦٢ . (٦) السكامل : ٣٠ : ٢١٢ .

قال أبو العباس : ومحمد ذلك أن واصل بن عطاء رحمه الله تعالى أقبل في رُقعة فأحسوا بالخوارج ، فقال واصل لأهل الرُقعة : إن هذا ليس من شأنكم ، فاعتزلوا ودعوني وإياهم ، وكانوا قد أشرفوا على المطب ، قالوا : شأنك ، فخرج إليهم ، فقالوا : ما أنت وأصحابك ؟ فقال : قومٌ مشركون مستعبدون بكم ، ليسموا كلامَ الله ، ويفهموا حدوده ، قالوا : قد أجبرناكم ، قال : فاعلموا ، فصلوا بينهم أحكامهم ، ويقول واصل : قد قبلت أنا ومن معي ، قالوا : فامضوا مصاحبين ، فقد مرتم<sup>(١)</sup> إخواننا ، فقال : بل تبصرونا ما مننا ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾<sup>(٢)</sup> ، قال : فينظر<sup>(٣)</sup> بمصمهم إلى مصر ، ثم قالوا : ذاك لكم ، فاروا بهم بمصمهم حتى أبلغهم للأمن<sup>(٤)</sup> .



قال أبو العباس : ولقيهم عبد الله بن حبيب في عتقه مصصف ، على حمار ، ومعه امرأته وهي حامل ، فقالوا له : إن هذا الذي في عنقك ليأمرنا بقتلك ، فقال لهم : ما أحياء القرآن فأحيوه ، وما أماته فأميتوه ، فوثب رجل منهم على رُطبة سقطت من نخلة فوضها في فيه ، فصاحوا به ، فلمعظها تورعوا ، وعرض لرجل منهم حيزير<sup>(١)</sup> فضر به قتله ، فقالوا : هذا فساد في الأرض ، وأسكروا قتل الحيزير ، ثم قالوا لابن حبيب : حدثنا عن أبيك ، فقال : إني سمعتُ أبي يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول : « ستكون لدى فتنة

(١) الكامل : « فإنكم لإخواننا » .

(٢) سورة التوبة ٦ .

(٣) الكامل : « فنظر بمصمهم إلى مصر » .

(٤) الكامل ٣ : ١٦٤ ، ١٦٥ .

يموت فيها قلبُ الرجل كما يموت بدنه ، يمسى مؤمنا ويصبح كافرا ، فكن عبد الله  
للقول ، ولا تكن القاتل ، قالوا : فاقول في أبي بكر وعمر ؟ فأنى خيرا ، قالوا : فما  
تقول في علي ؟ قبل التحكيم ، وفي عثمان في السنين الست الأخيرة ؟ فأنى خيرا ، قالوا :  
فما تقول في علي بعد التحكيم والحكومة ؟ قال : إن عليا أعلم بالله وأشدُّ توقيفا على دينه ،  
وأشدُّ بصيرة ، قالوا : إنك لست تتبع الهدى ، إنما تتبع الرجال على أسمائهم ، ثم قربوه  
إلى شاطئ النهر ، فأضجموه فذبجوه <sup>(١)</sup> .

قال أبو العباس : وسأومئوا رجلا نصرانياً بنحلة له ، فقال : هي لكم ، قالوا :  
ما كنا لناخذها إلا بشئ ، فقال : واجيباه ! أقتلون مثل عبد الله بن خباب ، ولا تقبلون  
جنا نحلة إلا بشئ <sup>(٢)</sup> !



وروى أبو عبيدة مسر بن اللثقي ، قال : طعن واحدٌ من الخوارج يوم النهروان ،  
فشى في الرمح ، وهو شاهر سيفه ، إلى أن وصل إلى طاعنه فضر به قتله ، وهو يقرأ :  
( وَصَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبُّ لِرَضَى ) <sup>(٣)</sup> .

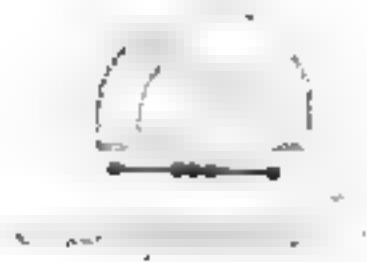
وروى أبو عبيدة أيضا ، قال : استنطقهم علي عليه السلام بقتل عبد الله بن خباب ،  
فاقرتوا به ، فقال : اقرموا كتاب لاسمع قولكم كتيبة كتيبة ، فكتبوا كتابا ،  
واقرت كل كتيبة بمثل ما اقرت به الأخرى ؛ من قتل ابن خباب ، وقالوا : ولتقتلك  
كأقتلاه ؛ فقال علي : والله لو اقر أهل الدنيا كلهم بقتله هكذا وأما أقدر على قتلهم به  
لقتلهم ؛ ثم انفتحت إلى أصحابه ، فقال لهم : شدوا عليهم ؛ فأنأ أول من شد عليهم . وحمل

(١) الكلل ٣ : ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٢) سورة طه ٨٤ .

بذى النصار حلةً مفكرةً ثلاث مرات ، كل حلة يضرب به حتى يسوج مقفه ، ثم يخرج  
فيسوي به بركبته ، ثم يحمل به حتى أفهام .

وروى محمد بن حبيب ، قال : خطب علي عليه السلام الخوارج يوم النهر ، فقال  
لم : نحن أهل بيت النبوة ، وموضع الرسالة ، ومختلف اللائكة ، وعنصر الرحمة ،  
ومعدن العلم والحكمة ، نحن أفق المجاز ، بنا يلحق البطيء ، وإلينا يرجع التائب ؛ أيها  
القوم ، إني نذير لكم أن تصبحوا صرعى بأفهام هذا الوادي ... إلى آخر الفصل .





(٣٧)

ومن كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطبة :

الأصل :

صُنْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا ، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا ، وَتَلَقَّيْتُ حِينَ تَمَتَّعُوا ،  
وَمَضَيْتُ بِبُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا . وَكُنْتُ أَحْفَصَهُمْ صَوْتًا ، وَأَعْلَاهُمْ قَوْتًا ، فَطَرْتُ  
بَيْنَاهُمْ ، وَأَسْتَبَدَّدْتُ بِرِهَايَاهُمْ .

كَالْجَبَلِ لَا نَحْمَرُّ كُهُ الْقَوَاصِفِ ، وَلَا تُزِيلُهُ آلَةُ وَاصِفٍ ؛ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِي  
مَهْمَزٍ ، وَلَا لِقَائِلٍ فِي مَسْمَرٍ ؛ أَفْزَلُ لَيْلٍ عِنْدِي كَرِيْرٌ حَتَّى آخِذَ الْخَلْقِ لَهُ ، وَالْقَوَى  
عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخِذَ الْخَلْقِ مِنْهُ .

رَضِينَا عَنْ اللَّهِ قَصَاءَهُ ، وَسَلَّمْنَا لَهُ أَمْرَهُ . أَنْزَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَأَفْزَلُ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ ، فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ .

فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي ؛ فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي ؛ وَإِذَا الْبَيْتَانِي فِي عُقَّتِي  
يَعْبُرِي .

\*\*\*

التيخرج :

هذه فصول أربعة ، لا يخرج بعضها ببعض ، وكل كلام منها ينحويه أمير المؤمنين عليه  
السلام محمداً غير ما ينحويه بالآخر ؛ وإنا الرضى رحمه الله تعالى التقطها من كلام أمير المؤمنين  
عليه السلام طویل منتشر ، قاله بعد وقعة النهروان ، ذكر فيه حاله منذ توفي رسول الله صلى الله

عليه وآله ، وإلى آخر وقت ؛ فجعل الرضى رحمه الله تعالى ما التقطه منه سرّاً ، وصار عند السامع كأنه يقصد به مقصداً واحداً .

• • •

الفصل الأول وهو من أول الكلام إلى قوله : « واستبددت برهانها » ؛ يذكر فيه مقاماته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيام أحداث عَمَّانَ ، وكَوْنُ المهاجرين كلهم لم يسكروا ولم يواجها عَمَّانَ بما كان يواجه به وينهاه عنه ؛ فهذا هو معنى قوله : « قمت بالأمر حين قتلوا » ، أى قمت بإسكار المنكر حين قتل أصحاب محمد صلى الله عليه وآله عنه . والفشل : الخوار والجنين

قال : « ونطقت حين نتموا » ، يقال : نطق فلان ، إذا تردد في كلامه من غير أن يحسم<sup>(١)</sup> . قوله : « ونطقت حين نتموا » ، أمرأٌ طُلعة قُصَّةٌ ، تطلع ثم تصبغ رأسها ، أى تدخلها كما يصبغ القنفذ ، يدخل برأسه في جلده ، وقد تصبغ الرجل ، أى اختبأ ، وضدّه تطلع . قوله : « وكنت أخفضهم صوتاً ، وأعلام قوتنا » يقول : علوتهم وقتهم وشأوتهم متبقاً ، وأنا مع ذلك خافض الصوت ، يشير إلى التواضع ونفى التكبر .

وقوله : « فطرت بئانها » ، واستبددت برهانها ، يقول : سبقهم ، وهذا الكلام استعارة من مسابقة خيل الخلبة . واستبددت بالرحان ، أى انفردت بالخطر<sup>(٢)</sup> الذى وقع التراهن عليه .

• • •

الفصل الثانى فيه ذكر حاله عليه السلام في الخلافة بعد عَمَّانَ ، يقول : كنت لما ولّيت الأمر كالجبل لا تحركه القواصف ، أى الرياح الشديدة ، ومثله القواصف . وللهيمز : موضع الهرز ؛ وهو الميب ، وكذلك للهمز .

(١) ج : « من غير وحصر » .

(٢) الخطر : السبب الذى يترامى عليه فى الرحان .

ثم قال : « الدليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له ، والقوى عندي ضيف حتى آخذ الحق منه » ؛ هذا آخر المصل الثاني ، يقول : الدليل المعلوم أقوم بإعزازة ونصره ، والقوى يده إلى أن آخذ الحق له ، ثم يمود بعد ذلك إلى الحالة التي كان عليها قبل أن أقوم بإعزازة ونصره ، والقوى الظالم استضيفه وأقهره وأذله إلى أن آخذ الحق منه ، ثم يمود إلى الحالة التي كان عليها قبل أن أعتضيه ، لاستيفاء الحق .

\*\*\*

الفصل الثالث من قوله : « رضينا عن الله قضاءه » ، إلى قوله : « فلا أكون أول من كذب عليه » ؛ هذا كلام فله عليه السلام لما تفرس في قوم من عسكره أنهم يتهمون فيه بما يحرم به من النهي صلى الله عليه وآله من أخبار الملاحم والغائبات ، وقد كان شك منهم جماعة في أقواله ؛ ومنهم من واجهه بالشك والهمة<sup>(١)</sup> .

[ الأخبار الواردة عن معرفة الإمام علي بالأمور الخفية ]

روى ابن هلال الثقفي في كتاب " العارات " من ذكرها بن يحيى السطار ، عن فضيل ، عن محمد بن علي ، قال : لما قال علي عليه السلام : ستوني قبل أن تفقدوني ، فوافقه لاتسألوني عن فئة نضل مائة ، وتهدي مائة إلا أنبانكم بنائضتها وسائضتها ، قام إليه رجل فقال : أخبرني بما في رأسي وليحقي من طاعة شر ، قال له علي عليه السلام : والله لقد حدثني خليلي أن علي كل طاعة شر من رأسك مأكلاً يملكك ، وأن علي كل طاعة شر من لحيتك شيطاناً يئوبك ؛ وأن في يهلك سحلاً يقتل ابن رسول الله صلى الله عليه - وكان ابنه قاتل الحسين عليه السلام يومئذ طفلاً يعبو - وهو سنان بن أنس النخعي .

وروى الحسن بن محبوب عن ثابت الثمالي ، عن سويد بن خنفة أن علياً عليه السلام ، خطب ذات يوم ، فقام رجل من تحت منبره ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إني مررت بوادي

القرى ، فوجدتُ خالد بن عُرْطُة قد مات ، فاستعفر له ، فقال عليه السلام : والله ما مات ولا يموت حتى يعود جيش ضلالة ، صاحب لوائه حبيب بن حجار . فقام رجل آخر من تحت المنبر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أما حبيب بن حجار ، وإني لك شيعة ومحِبٌّ ، فقال : أنت حبيب بن حجار ؟ قال : نعم ، فقال له ثانية : والله إنك لحبيب بن حجار ؟ فقال : إي والله ! قال : أما والله إنك لحاملها ولتعيها ، ولتدخلن بها من هذا الباب . وأشار إلى باب القليل بمسجد الكوفة .

قال ثابت : فوالله مايت حتى رأيتُ ابن زياد ، وقد بعث عمر بن سعد إلى الحسين ابن علي عليه السلام ، وجعل خالد بن عُرْطُة على مقدمته وحبيب بن حجار صاحب رايقه ، فدخل بها من باب القليل .

وروى محمد بن إسماعيل بن عمرو **(البيهقي)** ، قال : أخبرنا عمرو بن موسى الوجيبي ، عن النبال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : قال علي عليه السلام على المنبر : ما أحدى حرت عليه المراسي إلا وقد أزل الله فيه قرآنا ؛ فقام إليه رجل من مبعضيه فقال له : فما أزل الله تعالى فيك ؟ فقام الناس إليه يصربونه ؛ فقال : دعوه ، أتقرأ سورة هود ؟ قال : نعم ، قال : فقرأ عليه السلام : ﴿ أَمَّا كَانَ عَلَىٰ بَيْتِنَا مِنْ رَبِّهِ وَبَتْلُوهُ شَاهِدًا مِّنْهُ ﴾ <sup>(١)</sup> ثم قال : الذي كان على بيته من ربه محمد صلى الله عليه ، والشاهد الذي يتلوه أنا .

وروى عثمان بن سعيد ، عن عبد الله بن بكير ، عن حكيم بن جبير ، قال : خطب علي عليه السلام فقال في أثناء خطبته : « أنا عبدُ الله ، وأحو رسولُه ، لا يقولها أحدٌ قبلي ولا بعدى إلا كذب ؛ ورثتُ نبي الرحمة ، وسكَّفتُ سيدة ساء هذه الأمة ، وأنا خاتم الوصيين » .

قَالَ رَجُلٌ مِنْ عَبَسَ : [ و ] مَنْ لَا يَحْسِنُ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ هَذَا ! فَمَنْ يَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ حَقَّ جُنٍّ وَصَرِيحٍ ، فَسَأَلُوهُمَ : هَلْ رَأَيْتُمْ بِهِ عَرَضًا قَبْلَ هَذَا ؟ قَالُوا : مَا رَأَيْنَا بِهِ قَبْلَ هَذَا عَرَضًا .  
وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ جَبَّةٍ الْخَلِيطُ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ يَزِيدِ بْنِ الْأَحْمَسِيِّ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ جَالِسًا فِي مَجْدِ الْكُوفَةِ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ قَوْمٌ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ ؛ إِذَا أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ مُخْتَمِرَةٌ لَا تُعْرَفُ ، فَوَقَفَتْ فَقَالَتْ لِعَلِّي عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا مَنْ قَتَلَ الرِّجَالَ ، وَسَفَكَ الدِّمَاءَ ، وَأَيَّامَ الْعَبْيَانِ ، وَأَرْسَلَ النِّسَاءَ ! فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَإِنَّمَا لِي هَذِهِ السَّلَاقَةُ الْجَلِيلَةُ لِلْحَيَّةِ ، وَإِنَّمَا لِي هَذِهِ شَبِيهَةُ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ؛ لَقِيَ مَارَاتٍ دَمًا قَطْرًا ؛ قَالَ : فَوَلَّتْ هَارِبَةً مِنْكَسَّةً رَأْسَهَا ، فَتَبِعَهَا عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ ، فَظَنَّ صَارَتْ بِالرَّحْبَةِ ، قَالَ لَهَا : وَاللَّهِ لَقَدْ سَرَرْتُ بِمَا كَانَ مِنْكَ الْيَوْمَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ ، فَادْخُلِي مَنْزِلِي حَتَّى أَهْبَ لَكَ وَأَكُوكَ ، فَلَمَّا دَخَلَتْ مَنْزِلَهُ أَسْرَجَ جَوَارِيَهُ بِغَنَيشِهَا وَكَشَفَهَا وَتَرَعَ نَهَابَهَا لِيَنْظُرَ مَهْدَقَهُ فَيَا قَاهُ عَنْهَا ، فَهَكَتْ وَسَاءَتْهُ إِلَّا يَكْشِفُهَا ؛ وَقَالَتْ : أَنَا وَاللَّهِ كَمَا قَالَ بِلَى رَكِبَ النِّسَاءَ ، وَأَشْهَانِي كَأَنِّي الرِّجَالُ ؛ وَمَارَأَيْتِ دَمًا قَطْرًا . فَتَرَكَهَا وَأَخْرَجَهَا . ثُمَّ جَاءَ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : إِنَّ خَلِيلِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَخْبَرَنِي بِالْمُتَمَرِّدِينَ عَلَى مَنْ مِنَ الرِّجَالِ وَالْمُتَمَرِّدَاتِ مِنَ النِّسَاءِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ .

قُلْتُ : السَّلَاقَةُ : السَّلَاطَةُ ، وَأَصْلُهَا مِنَ السَّلَقِ وَهُوَ الذَّنْبُ ، وَالسَّلَاقَةُ : الذَّنْبُ . وَالْجَلِيلَةُ : الْبِذْيَةُ الْبِذْيَةُ . وَالرَّكَبَ : مَدَّ يَدَيْهَا .

وَرَوَى حُمَانُ بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ شَرِيكَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : لَمَّا بَلَغَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ النَّاسَ يَتَهَمُونَهُ فَيَا بَذَكَرَ مِنْ تَقْدِيمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتَقْضِيهِ [ إِيَّاهُ ] عَلَى النَّاسِ ، قَالَ : أُنْشِدُ اللَّهَ مَنْ بَقِيَ مَعِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبُهُ فِي يَوْمِ خَيْرٍ خَيْرٌ مِنْكُمْ (١) إِلَّا قَامَ

(١) خم : واد بين مكة والمدينة عند الجحفة ، به خبر معروف به .

فشهد بما سمع ، فقام ستة ممن عن يمينه ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وستة من على شماله من الصحابة أيضاً ، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك اليوم ، وهو رافع يدي على عليه السلام : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَبِذَا عَلَى مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادْ مَنْ عَادَاهُ ، وَانصُرْ مَنْ نَصَرَهُ ، وَاحْذُلْ مَنْ حَذَلَهُ ، وَأَحِبْ مَنْ أَحَبَّهُ ، وَأَبْغِضْ مَنْ أَبْغَضَهُ » <sup>(١)</sup> .

وروى عثمان بن سعيد عن يحيى التميمي ، عن الأعشى ، عن إسماعيل بن رجاء ، قال : قام أعشى همدان <sup>(٢)</sup> - وهو غلام يومئذٍ حدث - إلى علي عليه السلام ، وهو يحط ويدكر الملاحم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة ا فقال علي عليه السلام : إن كنت آتياً فيما قلت يا غلام ، حرماك الله بعلام ثقيف ؛ ثم سكت ، فقام رجال فقالوا : وَمَنْ غلام ثقيف يا أمير المؤمنين ؟ قال : غلام يملك بلدكم هذه لا يترك الله حرمة إلا انتهكها ، يضرب حق هذا الغلام سبعة ، قالوا : كم يملك يا أمير المؤمنين ؟ قال : عشرين إن بلغها ، قالوا : قَتَلْتُمْ قَتْلًا أَمْ يَمُوتُ مَوْتًا ؟ قال : بل يموت حتف أنفه بداء البطن ، ينقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه .

قال إسماعيل بن رجاء : فوافقه لقد رأيت نسيي أعشى باهلة ، وقد أحضر في حملة الأسرى الذين أسروا من جيش عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بين يدي الحاج ، فقرعه ووثقه ، واستنشد شمره الذي يمرض فيه عبد الرحمن على الحرب ، ثم ضرب عنقه في ذلك المجلس .

وروى محمد بن علي الصواف ، عن الحسين بن صفيان ، عن أبيه ، عن كميل بن زياد الأزدي ، قال : قال علي عليه السلام لعمر بن الحقيق الخزازي : أين نزلت يا عمرو ؟ قال :

(١) قوله الحب الطبري في الرياس الصرة ( ٢ : ١٦٩ ) . وحدث عن طريقه هناك .

(٢) أعشى همدان ، أسره الحاج ثم قتله ؛ واطر الأمان ٦ : ٥٥ - ٦٢ .

في قومي، قال: لا تنزلن فيهم، قال: فأنزل في بني كنانة جيراننا؟ قال: لا، قال: فأنزل في ثقيف؟ قال: فأتصنع بالعمرة والحجرة؟ قال: وماها؟ قال: حنقان من ثار، يخرجان من ظهر الكوفة، يأتي أحدهما على نعيم وبكر بن وائل؛ قلما يفلت منه أحد، ويأتي الملقى الآخر، فيأخذ على الجانب الآخر من الكوفة، قتل من يصيب منهم، إنما يدخل النار فيحرق البيت والبيتين. قال: فأين أنزل؟ قال: أنزل في بني عمرو بن عامر، من الأزد. قال: فقال قوم حضروا هذا الكلام: ما نراه إلا كاهنا يحدث بحديث الكهنة. قال: يا عمرو، إملك للقتول سدى؛ وإن رأيتك لمقتول؛ وهو أول رأس ينقل في الإسلام؛ والويل لقائتلك! أما إنك لا تنزل قوم إلا أسلوك برئتك<sup>(١)</sup>؛ إلا هذا الحى من بني عمرو بن عامر من الأزد، فإنهم لن يسلوك ولن يتخذوك؛ قال: فوالله ما مضت إلا أيام حتى تنقل عمرو بن الحقيق في خلافة معاوية في بعض أحياء العرب، خائفا مذعورا، حتى نزل في قومه من بني خزاعة، فأسلموه، قتل وحمل رأسه من العراق إلى معاوية بالشام؛ وهو أول رأس يحمل في الإسلام من بلد إلى بلد.



وروى إبراهيم بن ميمون الأزدي عن حبة العرفي، قال: كان جويرية بن مسهر العبدى صالحا، وكان لعل بن أبي طالب صديقا، وكان على محبة، ونظر يوما إليه وهو يسير، فناداه: يا جويرية، ألقني، فإني إذا رأيتك هويتك؛ قال إسماعيل بن أبان: فحدثني الصباح، عن مسلم عن حبة العرفي، قال: سرنا مع علي عليه السلام يوما فالتفت فلذا جويرية خلفه بهذا، فناداه: يا جويرية، ألقني لا أبالك! ألا تعلم أني أهواك وأحبك أقال؛ فرغض نحوه، فقال له: إني محدثك بأمر فاحفظها، ثم اشتركا في الحديث سرا، فقال له جويرية: يا أمير المؤمنين، إني رجل نسي<sup>(٢)</sup>، قال له: إني أعيد عليك

(١) أسلوك برئتك، أي أسلوك بجميع ما ملك.

(٢) النسي: الكثرة اللبث.

الحديث لتعظيمه ، ثم قال له في آخر ما حدثته إياه : يا جوريرة ، أحبيب حبيبتنا ما أحسننا ، فإذا أبغضنا فأبغضه ، وأبغض أبغضنا ما أبغضنا ، فإذا أحببنا فأحببه .

قال : فكان ناسٌ ممن يشك في أمر علي عليه السلام يقولون : أترأه جعل جوريرة وصية كما يدعي هو من وصية رسول الله صلى الله عليه ؟ قال : يقولون ذلك لشدة اختصاصه له ، حتى دخل علي علي عليه السلام يوماً ، وهو مضطجع ، وعنده قوم من أصحابه ، فتداه جوريرة : أيها النائم ، استيقظ ، فلتخبرني عن رأسك ضربة تحضب منها لحيتك ، قال : فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام ؛ قال : وأحدثتك يا جوريرة بأمرِك ؛ أما والذي نفسي بيده لثقتن<sup>(١)</sup> إلى القتل الزيم ، فليقطعن بذك ورجلك وليصلبنك تحت جذع كافر ، قال : فوالله ما مضت إلا أيتم على ذلك حتى أجد زياد جوريرة ، فقطع بذه ورجله وصلبه إلى جانب جذع ابن مكبر ، وكان حينئذ طويلاً ؛ فكتبه علي جذع قصير إلى جابه .

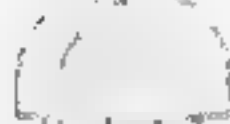
وروى إبراهيم في كتاب " العارات " ، عن أحمد بن الحسن الليثي ، قال : كان سيم التمار مولى علي بن أبي طالب عليه السلام عبداً لأمراء من بني أسد ، فاشتراه علي عليه السلام منها وأعتقه ، وقال له : ما اسمك ؟ فقال : سالم ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه أخبرني أن اسمك الذي سماك به أبوك في المعجم " ميسم " ، فقال : صدق الله ورسوله ، وصدقت يا أمير المؤمنين ، فهو والله اسمي ، قال : فارجع إلى اسمك ، ودع سالم ، فنحن نكنيك به ؛ فكناه أبا سالم . قال : وقد كان قد أطلعه علي عليه السلام على علم كثير ، وأسرار خفية من أسرار الوصية ، فكان ميسم يحدث ببعض ذلك ، فيشك فيه قوم من أهل الكوفة ، ويصبون عليه السلام في ذلك إلى المحرقة<sup>(٢)</sup> والإيهام والتدليس ؛ حتى قال له يوماً بمحض من خلق كثير من أصحابه ، وفيهم الشاك والخيلص : يا ميسم ،

(١) يقال : عتله عتلاً ؛ إذا أخذه بمجامعه وحرره جراً مبعداً .

(٢) المحرقة : أختلاق الكذب .



إِنَّكَ تُؤَاخِذُ بَعْدِي وَتُصَلِّبُ ، فَإِذَا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي ابْتَدَرَ مُنْفَرِّكُ وَفَلَكَ دَمًا ، حَتَّى  
تُخَضَّبَ لِحْيَتُكَ ، فَإِذَا كَانَ الْيَوْمُ الثَّلَاثُ طَلَمْتَ بِحَرْبَةٍ بِقَصِي عَلَيْكَ ، فَاتَّقِ ذَٰلِكَ .  
وَالْوَضْعُ الَّذِي تُصَلِّبُ فِيهِ عَلَى بَابِ دَارِ عَمْرِو بْنِ حَرْبٍ ؛ إِنَّكَ كَمَا يَشْرَعْنَ قَانَتْ أَقْصَرُهُمْ  
خَشَبَةً ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنَ اللَّطْفَةِ - بِعَنِ الْأَرْضِ - وَلَأَرْبَبُكَ النَّحْلَةُ الَّتِي تُصَلِّبُ عَلَى جِذْعِهَا ،  
ثُمَّ أَرَاهُ إِذَاهَا بِمَدِّ ذَٰلِكَ يَوْمَيْنِ ، وَكَانَ مَيْتٌ يَأْتِيهَا ، فَيَصِلُ عِنْدَهَا ، وَيَقُولُ : بَوْرَكَتِ مِنْ  
نَحْلَةٍ لَكَ خُفِّتُ ، وَلِي نَبْتُ ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَعَاهَدُهَا لَعَلَّ قَتْلَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَتَّى قَطَعَتْ ،  
فَكَانَ يَرْمِي جِذْعَهَا ، وَيَتَعَاهَدُ وَيَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ ، وَيَبْصُرُهُ ، وَكَانَ يَنْتَقِي عَمْرُو بْنُ حَرْبٍ ،  
فَيَقُولُ لَهُ : إِنِّي بِمَجَاوِرِكَ فَأَحْسِنْ جَوَارِي ، فَلَا يَظُنُّ عَمْرُو مَا يَرِيدُ ، فَيَقُولُ لَهُ : أَتَرِيدُ أَنْ  
تَشْتَرِيَ دَارَ ابْنِ مَسْعُودٍ ، أَمْ دَارَ ابْنِ حَكِيمٍ ؟



قَالَ : وَحَيْجٌ فِي السَّنَةِ الَّتِي قَتَلَ فِيهَا ، فَدَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَقَالَتْ لَهُ :  
مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : عِرَاقِي ، فَاسْتَسَجَبَتْ ، فَذَكَرَ لَهَا أَنَّهُ مَوْلَى عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَتْ :  
أَنْتَ هَيْمٌ ، قَالَ : بَلْ أَنَا مَيْمٌ <sup>(١)</sup> ، فَقَالَتْ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! وَاقِفْ لِرَبِّمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَكَّ عَلَيْهِ فِي جَوْفِ الْبَيْتِ ، فَسَأَلَهَا عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلَى ، فَقَالَتْ : هُوَ فِي  
حَالٍ <sup>(٢)</sup> ، قَالَ : أَخْبِرِيهِ أَنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ السَّلَامَ عَلَيْهِ ، وَنَحْنُ مَلْغُونُونَ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَلَا أَقْدِرُ الْيَوْمَ عَلَى قَتْلِهِ ، وَأُرِيدُ الرَّجُوعَ ، فَدَعَتْ بِطَلِيبٍ فَطَلَبَتْ  
لِحْيَتَهُ ، فَقَالَ لَهَا : أَمَّا إِذَا اسْتَخَضَبَ بَدَمٌ ، فَقَالَتْ : مَنْ أَبَاكَ هَذَا ؟ قَالَ : أَبَا بَنِي سَيْدِي ،  
فَهَكَتْ أُمُّ سَلَمَةَ ، وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّهُ لَيْسَ بِسَيِّدِكَ وَحَدَّكَ ؛ هُوَ سَيِّدِي وَسَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ ،  
ثُمَّ وَدَّعَتْهُ .

(١) مَيْمٌ ، خَطْبُهُ صَاحِبُ الْقَنَادُوسِ تَكْسِرُ الْمِيمِ .

(٢) الْحَالُ : الْهَيْطَانُ .

تقدم الكوفة ، فأخذ وأدجِل على عبيد الله بن زياد . وقيل له : هذا كان من أمر  
الناس عند أبي تراب ، قال : وَنَحْكُمُ اِهَذَا الْأَعْمَى ! قالوا : نعم ، فقال له عبيد الله :  
أين ربك ؟ قال : بالمرصاد ، قال : قد بلغت اختصاص أبي تراب لك ، قال : قد كان  
بعض ذلك ، فما تريد ؟ قال : وإياه ليقال إنه قد أخبرك بما سَيَقُولُكَ ، قال : نعم ؛ إنه  
أخبرني ، <sup>(١)</sup> قال : ما الذي أخبرك أي صانع بك ؟ قال : أخبرني أنك تصلبني عاشر عشرة  
وأنا أقصرهم خشبة ، وأفرهم من المطهرة ، قال : لأخالفته ، قل : ويحك ! كيف تخالفه ؟  
إعما أخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبر رسول الله عن جبرائيل ، وأخبر جبرائيل  
عن الله ، فكيف تخالف هؤلاء ! أما والله لقد عرفت للوضع الذي أصلب فيه أين هو  
من الكوفة ؟ وإني لأول خلق الله ألجم في الإسلام بلعاج كما يلجم الخيل . فحبسه  
وحبس منه المختار بن أبي عبيدة الثقفي <sup>(٢)</sup> فقال يمين للمختار . وما في حبس ابن زياد : إنك  
تَقِلْتُ وتخرج ثائرا بدم الحسين عليه السلام ، فقتل هذا الجبار الذي عن في سجنه <sup>(٣)</sup> ،  
وتطأ بقدمك هذه على سَنَتِهِ وَخَدَّيْهِ . فلما دعا عبيد الله بن زياد بالمختار ليقنله طلع البريد  
بكتاب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد ، بأمره بتولية سبيبه ؛ وذلك أن أخته كانت  
تحت عهد الله بن عمر بن الخطاب ، فسألت بعلها أن يشفع فيه إلى يزيد فشفع ، فأمضى  
شفاعته ، وكتب بتولية سبيل المختار على البريد ، فوافى البريد ، وقد أخرج ليضرب عنقه ،  
فأطلق . وأما يمين فأخرج بدمه ليصتب ؛ وقال عبيد الله : لَأَمْضِيَنَّ حَكْمَ أَبِي تراب فيه ،  
فلقيته رجل ، فقال له : ما كان أعناك عن هذا يمين ؟ فبسم ، وقال : لها حلفت ،  
ولي غديت ؛ فلما رُفِعَ على الخشبة اجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حريث ، فقال  
عمرو : لقد كان يقول لي : إني مجاورك ، فكان يأمر جاريته كل عشية أن تكثني تحت  
خشبته وترشه ، ونجمر بالجمر نعتيه ، فعمل يمين يحدث بفضائل بني هاشم ، وعلازى

(١ - ١) ساطع

(٢) كذا في : ج ، و ب : حبه .

بنى أمية ، وهو مصلوب على الخشبة ، فبيل لابن زياد : قد فضحك هذا العبد ، قتل :  
الجموه ، فالجيم ، فكان أول خلق الله أليم في الإسلام . فلما كان في اليوم الثاني قاضت  
مُخزاه وقمه دما ، فلما كان في اليوم الثالث طعن بحربة فمات .  
وكان قتلُ ميم قبل قدوم الحسين عليه السلام للمراق بشرة أيام .

قال إبراهيم : وحدثني إبراهيم بن العباس التهمذى ، حدثني بمبارك البجلي ، عن  
أبي بكر بن عباس ، قال : حدثني المجالد ، عن الثمعي ، عن زياد بن النضر الحارثي ، قال :  
كنتُ عند زياد ، وقد أتى برشيد المجرى . وكان من خواص أصحاب علي عليه السلام .  
فقال له زياد : ما قال خيلك لك إنا فاعلون بك ؟ قال : تقطعون يدي ورجلي ، وتصلبونني ،  
فقال زياد : أما والله لا كُذِّبَ حديثي ؛ فخطوا بيده ، فصار أراد أن يخرج قال : ردوه ، لا نجد  
شيئا أصح مما قال لك صاحبك ؛ إنك لا تزال تبي لنا سودا إن نبيت ؛ اقطعوا يديه  
ورجله ؛ فقطعوا يديه ورجليه ، وهو يحكم ، فقال : اصلبوه خنقا في حنقه ، فقال رشيد :  
قد بقي لي عنكم شيء ، ما أراكم فلتموه ، فقال زياد : اقطعوا لسانه ، فلما أخرجوا لسانه  
ليقطع قال : تقسوا على أنكم كلمة واحدة ، فنفسوا عنه ، فقال : هذا والله تصديق خبر  
أمير المؤمنين ، أخبرني قطع لسانى . فقطعوا لسانه وصلبوه .

وروى أبو داود الطيالسي ، عن سليمان بن رزيق ، عن عبد العزيز بن صهيب ، قال :  
حدثني أبو العالية ، قال : حدثني مزرع<sup>(١)</sup> صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال :  
لَيُقْبَلَنَّ جيشٌ حتى إذا كانوا بالبيداء ، حُيِّفَ بهم . قال أبو العالية : فقلت له : إنك  
لَتُحَدِّثُنِي بالغيب ! فقال : احفظ ما أقوله لك ، فإنا حدثني به الثقة علي بن أبي طالب .  
وحدثني أيضا شيئا آخر : لَيُؤْخَذَنَّ رجل طِفْقَانٍ وَلَيُصَلَّيَنَّ بين شُرْهَتَيْنِ من شُرَفِ المسجد ؛  
فقلت له : إنك لَتُحَدِّثُنِي بالغيب ! فقال : احفظ ما أقول لك ؛ قال أبو العالية : فوالله ما أتت

(١) مزرع ، ذكره صاحب نفع المقاتل ٢ : ٢١٠ ، ولم يرد على ما نقله من خبره هنا

عليها جُمة حتى أخذ مزرع ، قتل وصُلب بين شرفين من شُرف المسجد .

قلت : حديث الخُصَف بالجيش قد خرجه البخاري ومسلم في الصحيحين ، عن أم سلمة رضي الله عنها ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول : « يَمُودُ قَوْمٌ بِالْبَيْتِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ <sup>(١)</sup> خُفِ بِهِمْ » ، فقلت : يا رسول الله ، لعلَّ فيهم للسكر أو السكره ، فقال : « يُخَسَفُ بِهِمْ ، وَلَكِنْ يَحْشَرُونَ » ، أو قال : « يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَابِهِمْ <sup>(٢)</sup> يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

قال : فسئل أبو جعفر محمد بن علي : أي بقاء من الأرض ؟ فقال : كَلَّا والله إنها بقاء للدين . أخرج البخاري بمعه وأخرج مسلم الهاء <sup>(٣)</sup> .  
وروى محمد بن موسى التميمي ، قال : كان مالك بن خزيمة الرواسي من أصحاب علي عليه السلام ، ومن استوطن من جنته علماء كثيرًا ، وكان أيضًا قد صُلب أبا ذرٍّ ، فأخذ من علمه ، وكان يقول في أيام بني أمية : أَقْبَهُمْ لَا يَجْلِسُ أَشَقَّ الثَّلَاثَةِ ، فيقال له : وما الثلاثة ؟ فيقول : رجلٌ يرمى من فوق طيار <sup>(٤)</sup> ، ورجلٌ تُقَطَّعُ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ وَلِسَانُهُ وَيُصَلَّبُ ، ورجلٌ يموت على فراشه . فكان من الناس من يهزأ به ، ويقول : هذا من أكاذيب أبي تراب . قال : وكان الذي رمى به من طيار هاني بن عروة <sup>(٥)</sup> ، والذي قُطِّعَ وَصَلَّبَ رشيد الهجري ، ومات مالك على فراشه .



الفصل الرابع وهو من قوله : « فنظرت في أمري .. » إلى آخر الكلام ، هذه كلمات

(١) البقاء : كل أرض ملأها لاشئ . بها . (٢) لفظ مسلم : « ولكنه يبعث يوم القيامة على بيته » .

(٣) صحيح مسلم ٤ : ٢٢٠٩ . (٤) طيار ، كقطام : المكان المرتفع .

(٥) كذا في الأصول ، وفي معجم البلدان ٦ : ٨٨ أن الذي رمى به من طيار مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، أمر بإلقائه عبيد الله بن زياد ، وأُشْدِدَ .

فَإِنْ كُنْتِ مَاتِذَرِينَ مَالِلُوتٌ فَانْظُرِي إِلَى هَانِيٍّ فِي الشُّوقِ وَابْنِ عَقِيلٍ  
إِلَى نَظْلِ قَسَدِ عَمْرِو السَّيْفِ وَجَبِهِ وَآخِرَ بَهْوِيٍّ مِنْ طَسَارِ قَعِيلٍ

مقطوعة من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنه كان معهودا إليه ألا ينزع في الأمر ، ولا يثير فتنة ، بل يطلبه بالرفق ؛ فإن حصل له وإلا أمسك . هكذا كان يقول عليه السلام ، وقوله الحق ، وتأويل هذه الكلمات : فنظرت فإذا طامني رسول الله صلى الله عليه ، أي وجوب طاعتي ، فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه .

قد سبقت بيتمى لقوم ؛ أي وجوب طاعة رسول الله صلى الله عليه ، ووجوب امتثال أمره سابق على بيتمى لقوم ، فلا سبيل لي إلى الامتناع من البيعة ؛ لأنه صلى الله عليه وآله أمرني بها .

وإذا الميثاق في عني لعيرى ؛ أي رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ على الميثاق بترك الشقاق والمنازعة ، فلم يحمل لي أن أتعدى أمره ، أو أحالف بهبه .  
وإن قيل : فهذا تصريح بمذهب الإمامية .

قيل : ليس الأمر كذلك ؛ بل هذا تصريح بمذهب أصحابنا من البنداديين ؛ لأنهم يزعمون أنه الأفضل والأحق بالإمامة ، وأنه لولا ما بعثه الله ورسوله من أن الأصلح للمكلفين من تقديم الفضول عليه ، لكان من تقدم عليه هالكا ، فرسول الله صلى الله عليه وآله أحبره أن الإمامة حقه ، وأنه أولى بها من الناس أجمعين ، وأعلمه أن في تقديم غيره وصيره على التأخر عنها مصلحة للدين راجعة إلى المكلفين ، وأنه يجب عليه أن يمسك عن طلبها ، ويؤمضي عما لم هو دون مرتبته ، فامتثل ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولم يخرججه تقدم من تقدم عليه من كونه الأفضل والأولى والأحق . وقد صرح شيخنا أبو القاسم البلخي رحمه الله تعالى بهذا ، وصرح به تلامذته ، وقالوا : لو نازع عقيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصل سيفه لحكمنا بهلاك كل

من خالفه وتقدم عليه كما حكنا بهلاك مَنْ نازعه حين أظهر نفسه ، ولكنه مالك الأمر ،  
وصاحب الخلافة ؛ إذا طلبها وجب علينا القول بتضييق مَنْ ينزعه فيها ، وإذا أمسك  
عنها وجب علينا القول بعدالة مَنْ أغضى له عليها ، وحكمه في ذلك حكم رسول الله صلى  
الله عليه وآله ، لأنه قد ثبت عنه في الأخبار الصحيحة أنه قال : « على مع الحق ، والحق  
مع علي يدور حيثما دار » ، وقال له غير مرة : « حربك حربي وسيفك سيفي » .  
وهذا المذهب هو العدل للمذهب عدي ، وبه أقول .

(٣٨)

ومن خطبة له عليه السلام :

الأصل :

وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشَبِّهُ الْحَقَّ ، فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا  
الْيَقِينُ ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى . وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدَعَاؤُهُمْ فِيهَا <sup>(١)</sup> الضَّلَالُ ،  
وَدَلِيلُهُمُ الْمَسَى .

فَمَا يَنْجُو مِنَ اللَّوْثِ مَنْ خَافَهُ ، وَلَا يُعْقِلُ التَّقَاءُ مَنْ أَحَبَّهُ .



الشرح :

هذان فصلان ، أحدهما غير ملتزم مع الآخر ، بل متبوع منه ؛ وإنما الرضى رحمه الله تعالى كان يلتقط الكلام للتقاطا ، ومراده أن يأتي بفصيح كلامه عليه السلام ، وما يجري مجرى الخطابة والكتابة ، فلماذا يقع في الفصل الواحد الكلام الذى لا يناسب بعضه بعضا ؟ وقد قال الرضى ذلك في خطبة الكتاب <sup>(٢)</sup> .



أما الفصل الأول فهو الكلام في الشُّبْهَةِ ، ولماذا سُمِّيَتْ شُبْهَةً ، قال عليه السلام : « لَأَنَّهَا تُشَبِّهُ الْحَقَّ » ؛ وهذا هو محض ما يقوله المتكلمون ؛ ولهذا يستون ما يحتاج به أهل الحق دليلا ، ويسون ما يحتاج به أهل الباطل شُبهة .

قال : « فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِي حِلِّ الشُّبْهَةِ الْيَقِينُ ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى » ؛ وهذا حق لأن من اعتبر مقدمات الشُّبْهَةِ ، وراعى الأمور اليقينية ، وطلب المقدمات المعلومة قطعا ، انحلت الشُّبْهَةُ ، وظهر له فسادها من أين هو ؟ ثم قال : « وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدَعَاؤُهُمْ

الضلال ، ودليلهم العمى ، وهذا حق ؛ لأن المبطل ينظر في الشبهة ، لا نظر من راعى الأمور اليقينية ، ويحلل المقدمات إلى القضايا المعلومة ؛ بل يغلب عليه حب للذهب ، وعصبية أسلافه ، وإيثار نصره من قد ألزم بنصرته ، فذاك هو العمى والضلال ، الأذان أشار أمير المؤمنين إليهما ، فلا تنحل الشبهة له ، وتزداد عقيدته فسادا ، وقد ذكرنا في كتبنا الكلامية الكلام في توليد النظر للعلم ؛ وأنه لا يولد الجهل .

• • •

الفصل الثاني ، قوله : « فَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ » ، ولا يعطى البقاء من أحبه ؛ هذا كلام أجيب عما تقدم ، وهو مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي يُبُوْتِكُمْ لَعَزَّ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾<sup>(١)</sup> ، وقوله : ﴿ أَبَتْنَا نَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله : ﴿ فَإِذَا حَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) سورة آل عمران ١٥٤

(٢) سورة النساء ٧٨ .

(٣) سورة الأعراف ٣٤ .



( ٣٩ )

ومن خطبة له عليه السلام

الأصل :

مَيِّتٌ يَمُنُّ لَا يَطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ ، وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ ، لَا أَبَا لَكُمْ ، مَا تَنْتَظِرُونَ يَنْصَرِكُمْ رَبُّكُمْ ، أَمَّا دِينَ يَحْتَمُّكُمْ ، وَلَا حَيَّةَ تُحْيِيكُمْ ، أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخًا ، وَأَنَادِيكُمْ مُتَمَوِّثًا ، فَلَا تَسْتَعُونَ لِي قَوْلًا ، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا ، حَتَّى تَكْشِفَ الْأُمُورَ عَنْ حَوَاقِبِ الْمَاءِ ، فَمَا يَذْكُرُ بِكُمْ نَارٌ ، وَلَا يُبَلِّغُ بِكُمْ مَرَامٌ .  
دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَزَّ جَزْأُكُمْ ، جَزْأَ جَزْأَةِ الْجَلِيلِ الْأَسْرِ ، وَتَنَاقَلْتُمْ تَنَاقُلَ النَّصْرِ الْأَذْبَرِ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى يَتَمِّكُمْ جُنُودٌ مُتَدَايِبٌ ضَعِيفٌ ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ .

• • •

قال الرضى رحمه الله :

قوله عليه السلام : « مُتَدَايِبٌ » أى مُصْطَرِبٌ ؛ مِنْ قَوْلِهِ : تَذَاءَبَتِ الرِّيحُ ، أَيْ أَصْطَرَبَتْ هُبُوبُهَا ، وَمِنْهُ نَحْوُ الذُّبِّ ذَنْبًا لِأَصْطِرَابِ مِشْيَتِهِ .

■ ■ ■

الْبَزْخُ :

مَيِّتٌ ، أَيْ بُلِيَّتٌ . وَتُحْيِيكُمْ : تُعْصِبُكُمْ ، أَحْتَهُ أَيْ أَغْضَاهُ . وَالْمُسْتَصْرِخُ : الْمُسْتَعْرِضُ . وَالْمُتَمَوِّثُ : الْقَاتِلُ : وَافْهَوْنَاهُ !

وتجر جرة : صوت يردده البعير في حنجرتة ؛ وأكثُر ما يكون ذلك عند الإعياء والتعب . والجل الأسر : الذي يسكر كركته دبرة<sup>(١)</sup> . والنضو : البعير المهزول . والأذبرة : الذي به دبر ؛ وهو المقور من القتب وغيره .

هذا الكلام خطب به أمير المؤمنين عليه السلام في غارة النعمان بن بشير الأنصاري على عين التمر<sup>(٢)</sup> .

• • •

[أمر النعمان بن بشير مع علي ومالك بن كعب الأرحبي]

ذكر صاحب المارات أن النعمان بن بشير قدم هو وأبو هريرة على علي عليه السلام من عند معاوية ، بعد أبي مسلم الخولاني ، يسألان أن يدفع قتل عثمان إلى معاوية ليقيم عثمان ؛ لعل الحرب أن تطلقا ويصطليح الناس ؛ وإنما أراد معاوية أن يرجع مثل النعمان وأبي هريرة من عند علي عليه السلام إلى الناس ، وهم لمعاوية عاذرون ولعل لا يؤمن ؛ وقد علم معاوية أن عليا لا يدفع قتل عثمان إليه ، فأراد أن يكون هذان يشهدان له عند أهل الشام بذلك ، وأن يظهر عنده ، فقال لهما : اتنيا هليا فانشداه الله ، وسأله بالله لما دفع إلينا قتل عثمان ؛ فإنه قد آوأم ومنعهم ؛ ثم لا حرب بيننا وبينه ، فإن أبي فكونوا شهداء الله عليه .

وأقبل علي الناس فأعلمهم ذلك ، فأتيا إلى علي عليه السلام ، فدخلا عليه ، فقال له أبو هريرة : يا أبا حسن ، إن الله قد جعل لك في الإسلام فضلا وشرفا ؛ أنت ابن عم محمد رسول الله صلى الله عليه ؛ وقد بعثنا إليك أن تهتك معاوية ، بسألك أمرا تسكن به هذه

(١) الكركرة ، بالكسر : زور العير . والدبرة : قرحة الدابة

(٢) عين التمر : بقعة في طرف البادية ؛ على طرف القرات .

الحرب ، ويصلح الله تعالى ذاتَ البين ؛ أن تدفع إليه قطةً شأن ابن عمه ، فيقتلهم به ، ويجمع الله تعالى أمرك وأمره ، ويصلح بينكم ، وتسلم هذه الأمة من الفتنة والفرقة . ثم تكلم النعمانُ بنحو من ذلك <sup>(١)</sup> .

فقال لها : دَعَا الكلام في هذا ؛ حدثني عنك بالنعمان ، أنت أهدى قوميك سبيلا ؛ يعني الأنصار ، قال : لا ، قال : فكل قوميك قد اتبعتني إِلَّا شُدَّاذًا ؛ منهم ثلاثة أو أربعة ؛ أفهكون أنت من الشُدَّاذ ! فقال النعمان : أصلتك الله ، إنما جئتُ لأكون معك وأزمتك ؛ وقد كان معاويةُ سألني أن أؤدِّيَ هذا الكلام ، ورجوتُ أن يكون لي موقف أجتنب فيه معك ، وطعمتُ أن يُخزِيَّ اللهُ تعالى بينكما صلحا ؛ فإذا كان غير ذلك رأيك ، فأما مُلازمتك وكائن معك .

فأما أبو هريرةَ فليحق بالشام ، وأقام النعمانُ عندهم على عليه السلام ، فأخبر أبو هريرة معاويةَ بالخبر ، فأمره أن يُسلم الناس ، ففعل ، وأقام النعمانُ بعده شهرًا ، ثم خرج فارًا من على عليه السلام ، حتى إذا مرَّ بين التُّمُرِ أخذ مالكُ بن كعب الأرحبي - وكان عامل على عليه السلام عليها - فأراد حبسه ، وقال له : مامر بك بيننا <sup>(٢)</sup> . فقال : إنما أنا رسولُ بلغتُ رسالةً صاحبي ، ثم انصرفت ، فحبسه وقال : كَأَنْتَ ؛ حتى أكتبَ إلى على فيك . ففأشده ، وعظَّم عليه أن يكتبَ إلى على فيه ، فأرسل النعمانُ إلى قَرْظَةَ بن كعب الأنصاري - وهو كاتب عَيْن التُّمُرِ يجري خراجها على عليه السلام - فجاءه مسرعًا ، فقال لمالك بن كعب : خل سبيل ابن عمي ؛ يرحك الله ! فقال : يا قَرْظَةَ ؛ اتق الله ولا تتكلم في هذا ، فإنه لو كان من عبَاد الأنصار ونُساكهم لم يهرُب من أمير المؤمنين إلى أمير الناقين .

فلم يزل به يحسب عليه حتى خلى سبيله ، وقال له : يا هذا ، لك الأمان اليوم واليوم .

(١) ب : د هنا .

(٢) ب : د هاهنا .

وغدا ، والله إن أدركتك بعدها لأضربن عنقك ، فخرج مسرعا لا يلوي على شيء ،  
 وذهبت به راحلته ، فلم يدرك ابن بنسكع من الأرض ثلاثة أيام ، لا يعلم أين هو ، فكان  
 النعمان يحدث بعد ذلك ، بقول : والله ما علمت أين أنا ، حتى سمعت قول قاتلة تقول  
 وهي تطلحن :

شَرِبْتُ مع الجوزاء كأساً رَوِيَّةً <sup>(١)</sup> وَأُخْرَى مع الشَّمْرِى إِذَا مَا اسْتَقَلَّتِ  
 مُنَمَّقَةً كَانَتْ قَرِيشٌ تَصُونُهَا فَلَمَّا اسْتَعْلَوْا قَتَلَ عَمَانٌ حَلَّتِ

فعلت أنى عند حى من أصحاب معاوية ، وإذا الماء لبني القين ، فعلت أنه قد انتهت  
 إلى الماء <sup>(٢)</sup> .

ثم قدم على معاوية فخبره بما كفى ، ولم يزل معه مصاحبا ؛ لم يجاهد حليا ، ويتبع قتلة  
 عثمان ؛ حتى غزا الصعاليك بن قيس أرض العراق ؛ ثم انصرف إلى معاوية ؛ وقد كان معاوية  
 قال قبل ذلك بشهرين أو ثلاثة : أما من رجل أبى به <sup>(٣)</sup> بحريضة خيل ؛ حتى يُغير على  
 شاطئ الفرات ، فإن الله يرعب بها أهل العراق ؛ فقال له النعمان : فابعتنى ؛ فإن لى فى  
 قتالهم نية وهوى . وكان النعمان عثمانيا . قال : فالتدب على اسم الله ، فالتدب وتدب معه  
 أثنى رجل ، وأوصاه أن يشجبت المدن والجماعات ، وآلا يُغير إلا على مشاة ، وأن  
 يسجل الرجوع .

فأقبل النعمان بن بشير ؛ حتى دنا من عين التمر ، وجها مالك بن كعب الأرحمى  
 الذى جرى له معه ماجرى <sup>(٤)</sup> ، ومع مالك ألف رجل ؛ وقد أذن لهم ، فرجعوا إلى الكوفة ،  
 فلم يبق معه إلا مائة أو نحوها ، فكتب مالك إلى على عليه السلام : أما بعد ؛ فإن النعمان  
 ابن بشير ، قد نزل بى فى جمع كئيف ، قر رأيتك ، صدك الله تعالى وثبتك . والسلام .  
 فوصل الكتاب إلى على عليه السلام ؛ فصعد للنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

(١) ب : « ردية » ، وصوابه من ج . (٢) كذا فى الأصول ، ويرى السيد حاسم أنها « الأمان » .

(٣) ب : « معه » .

(٤) ب : « ما ذكرناه » .

أخرجوا هداكم الله إلى مالك بن كعب أخيكم ، فإن النعمان بن بشير قد نزل به في جمع من أهل الشام ؛ ليس بالكثير ؛ فاهضوا إلى إخوانكم ، لعل الله يقطع بكم من الكافرين طرفا . ثم نزل .

فلم يخرجوا ، فأرسل إلى وجوههم وكبرائهم ، فأمرهم أن ينهضوا ويحثوا الناس على السير ، فلم يصنعوا شيئا ، واجتمع منهم فر يسير نحو ثلثمائة فارس أو دونهما ، فقام عليه السلام ، فقال : ألا إني مُنبت بمن لا بطيح . . . الفصل الذي شرحناه إلى آخره ، ثم نزل .

فدخل منزله ، فقام عدى بن حاتم ، فقال : هذا والله الخذلان ؛ على هذا بايعتنا أمير المؤمنين ! ثم دخل إليه فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن مني من طمئى ألف رجل لا بصوتى ؛ فإن لشت أن أسير بهم سرت . قال : ما كنت لأعرض قبيلة واحدة من قبائل العرب للناس ولكن إخرج إلى النخبة فيسكن بهم . وفرض على عليه السلام لكل رجل سبعمائة ؛ فاجتمع إليه ألف فارس ، هذا طمئنا أصحاب عدى بن حاتم .  
وورد على عليه السلام الخبير بهزيمة النعمان بن بشير ونصرة مالك بن كعب ؛ فقرأ الكتاب على أهل الكوفة ، وحيد الله وأثنى عليه ، ثم نظر إليهم وقال : هذا بمحمد الله وذم أكثركم .

\*\*\*

فأما خبر مالك بن كعب مع النعمان بن بشير ؛ قال عبد الله بن حوزة الأزدي : قال : كنت مع مالك بن كعب حين نزل بنا النعمان بن بشير ، وهو في ألفين ؛ وما نحن إلا مائة فقال لنا : قاتلوم في القرية ، واجعلوا الجدر في ظهوركم ، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ؛ واعلموا أن الله تعالى ينصر العشرة على المائة ، والمائة على الألف ، والقليل على الكثير . ثم قال : إن أقرب من هاهنا إلينا من شعبة أمير المؤمنين وأنصاره وعماله قرظة بن كعب

وَحُخْتَفُ بْنُ سُلَيْمٍ ؛ فَارْكُضُ إِلَيْهِمَا ، فَأَعْلَمَهُمَا حَالَنَا ، وَقَالَ لَهَا : فَلْيَنْصُرَانَا مَا اسْتَطَاعَا <sup>(١)</sup> ،  
فَأَقْبَلْتُ أَرْكُضُ ؛ وَقَدْ تَرَكْتُهُ وَأَصْحَابَهُ يَرْمُونَ أَصْحَابَ ابْنِ بَشِيرٍ بِالنَّبْلِ ، فَمَرَرْتُ بِحَرَفَةٍ  
فَاسْتَصْرَخْتُ ، قَالَ : إِنَّمَا أَنَا صَاحِبُ خَرَجٍ ؛ وَلَيْسَ عِنْدِي مِنْ أَعْيُنِهِ بِهِ . فَضَيْتُ إِلَى  
حُخْتَفِ بْنِ سُلَيْمٍ ، فَأَخْبَرْتُهُ أَخْبَرَ ، فَسَرَّحَ مَعِيَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنُ حُخْتَفٍ فِي خَمْسِينَ رَجُلًا ،  
وَقَاتَلَ مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ النُّعْمَانَ وَأَصْحَابَهُ إِلَى الْمَصْرِ ، فَأَتَيْنَاهُ وَقَدْ كَسَّرَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ جَفُونَ  
سَيُوفَهُمْ ، وَاسْتَقْبَلُوا الْمَوْتَ <sup>(٢)</sup> ، فَلَوْ أَبْطَأْنَا عَنْهُمْ هَلَكُوا ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْنَا أَهْلَ الشَّامِ ، وَقَدْ  
أَقْبَلْنَا عَلَيْهِمْ ؛ فَأَخَذُوا بِسُكُوفِهِمْ وَبِرُفْعِهِمْ ، وَرَأَيْنَا مَالِكُ وَأَصْحَابَهُ ، فَشَدُّوا  
عَلَيْهِمْ حَتَّى دَفَعُوهُمْ مِنَ الْقَرْيَةِ ، فَاسْتَصْرَخْنَا ، فَصَرَحْنَا مِنْهُمْ رَجَالًا ثَلَاثَةً ، وَارْتَفَعَ الْقَوْمُ  
عَنَّا ، وَظَنُّوا أَنْ وِرَاءَنَا مَدَدًا ؛ وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّهُ لَيْسَ غَيْرُ مَا لَأَقْبَلُوا عَلَيْنَا وَلَأَهْلَكُونَا ، وَحَالَ  
الَلَّيْلُ يَبْتَأُ وَيَسْهُمُ ، فَانْصَرَفُوا إِلَى أَرْجُلِهِمْ . وَكَتَبَ مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :  
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ نَزَلَ بَنُو النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ فِي جَمْعٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، كَالظَّاهِرِ عَلَيْنَا ، وَكَانَ  
عُظْمُ <sup>(٣)</sup> أَصْحَابِي مُتَفَرِّقِينَ ، وَكُنَّا الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ آمِنِينَ ؛ فَخَرَجْنَا إِلَيْهِمْ رَجَالًا مَصِيحِينَ <sup>(٤)</sup> ،  
فَقَاتَلْنَاهُمْ حَتَّى الْمَسَاءِ ، وَاسْتَصْرَخْنَا حُخْتَفُ بْنُ سُلَيْمٍ ، فَبَعَثَ إِلَيْنَا رَجَالًا مِنْ شُعْبَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
وَوَلَدَهُ ؛ فَتَمَّ الْفَتْحُ وَسَمِ الْأَنْصَارُ كَانُوا ؛ فَحَمَلْنَا عَلَى عَدُوِّنَا وَشَدَّدْنَا عَلَيْهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا  
نَصْرَهُ ، وَهَزَمَ عَدُوَّهُ ، وَأَعَزَّ حَنْدَهُ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالسَّلَامُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ .

■ ■ ■

(١) كُنَّا فِي أ ، ج ، وَلِ ب : « مَا اسْتَطَاعَا » .

(٢) ب : « وَاسْتَقْبَلُوا الْمَوْتَ » .

(٣) عَظْمُ الْقِي : « أَيُّ مَضْلَةٍ » .

(٤) يُقَالُ : أَصَلْتُ الرَّجُلَ السَّبَبَ ؛ إِذَا جَرَدَهُ مِنْ عَمَدِهِ .

وروى محمد بن فرات الجزيني ، عن زيد بن علي عليه السلام ، قال : قال علي عليه السلام في هذه الخطبة : أيها الناس ، إني دعوتكم إلى الحق فتوليتُم عني ، وضربتكم بالهزيمة فأعيتُموني ؛ أما إنه سبيلكم بمسدى رلاية لا يرضون عنكم بذلك حتى يذهبواكم بالسياط والحديد ، فأما أما فلا أعذبكم هما ؛ إنه من عذب الناس في الدنيا عذبه الله في الآخرة ؛ وآية ذلك أن يأتيكم صاحبُ اليمن ، حتى يحمل بين أظهركم ؛ فيأخذ العمال وعمال العمال <sup>(١)</sup> ؛ رجل يقال له يوسف بن عمرو ؛ ويقوم عند ذلك رجل منا أهل البيت ، فاصبروه فإنه داع إلى الحق .

قال : وكان الناس يتعجبون أن ذلك الرجل هو زيد عليه السلام .



(٤٠)

ومن كلام له عليه السلام للخوارج لما سمع قولهم : « لا حكم إلا لله » قال :

الأصل :

كَلِمَةُ حَقٍّ بِرَأْسِهَا بَاطِلٌ ؛ نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ مَوْلَاكَ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ :  
لَا أَمْرَةَ<sup>(١)</sup> . وَإِنَّهُ لَا يُلْزَمُ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ ، يَتَمَثَّلُ فِي أَمْرِهِ الْمُؤْمِنُ ،  
وَيَسْتَنْبِغُ فِيهَا الْكَافِرُ ، وَيُبْلَغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ ، وَيُجْمَعُ بِهِ النَّاسُ ، وَيُقَاتَلُ بِهِ  
الْعَدُوُّ ، وَتَأْتَمُّ بِهِ السُّبُلُ ، وَبِوَأْخِذِهِ يُلَاصِقُ مِنَ الْقَوَى ؛ حَقٌّ بِسَرِيحٍ بَرٌّ ،  
وَبُسْتَرَاخٍ مِنْ فَاجِرٍ .

وفي رواية أخرى أنه عليه السلام لما سمع لمحكيهم قال :  
حُكْمَ اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ .

وقال :

أَمَّا الْأَمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَتَمَثَّلُ فِيهَا التَّقِيُّ ، وَأَمَّا الْأَمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَتَمَثَّلُ فِيهَا<sup>(٢)</sup> الشَّقِيُّ ؛  
إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ ، وَتُذَرِّكَ مَبِيتُهُ .

• • •

[ اختلاف الرأي في القول بوجوب الإمامة ]

الشرح :

هذا نص صريح منه عليه السلام ؛ بأن الإمامة واجبة ؛ وقد اختلف الناس في هذه

(١) ب : « لا إمرة إلا لله » وما أثبتته ص ١٠ ج وخطوطة التهج .

(٢) ١ : « بها » .



المسألة قتال المتكلمون كافة : الإمامة واجبة ؛ إلا ما يحكى عن أبي بكر الأصبهاني من قدماء أصحابنا أنها غير واجبة ؛ إذا تناصفت الأمة ؛ ولم تنظالم .

وقال المتأخرون من أصحابنا : إن هذا القول منه غير مخالف لما عليه الأمة ؛ لأنه إذا كان لا يجوز في العادة أن تستقيم أمور الناس من دون رئيس يحكم بينهم ؛ فقد قال بوجوب الرئاسة على كل حال ؛ اللهم إلا أن يقول : إنه يجوز أن تستقيم أمور الناس من دون رئيس ؛ وهذا بسيد أن يقوله ؛ فأما طريق وجوب الإمامة ماله ؛ فإن مشايخنا البصريين رحمهم الله يقولون : طريق وجوبها الشرع ، وليس في العقل ما يدل على وجوبها .

وقال البخداداديون وأبو عثمان الجاحظ من البصريين وشيخنا أبو الحسين رحمه الله تعالى : إن العقل يدل على وجوب الرئاسة ؛ وهو قول الإمامية ، إلا أن الوجه الذي منه يوجب أصحابنا الرئاسة غير الوجه الذي توسل الإمامية منه الرئاسة ، وذلك أن أصحابنا يوجبون الرئاسة على المكلفين من حيث كان في الرئاسة مصالح دنيوية ، ودفع مضار دنيوية . والإمامية يوجبون الرئاسة على الله تعالى ، من حيث كانت في الرئاسة لطف وبعد للمكلفين عن مواضع القباح العقلية .

والظاهر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام يطابق ما يقوله أصحابنا ، ألا تراه كيف علق قوله : « لا بد للناس من أمير » ، فقال في تعليقه : « يُجْتَمَع به الفناء ، ويقاتل به العدو وتؤمن به السبل ، ويؤخذ للضعيف من القوى » ؛ وهذه كلها من مصالح الدنيا .

فإن قيل : ذكرتم أن الناس كافة قتلوا بوجوب الإمام ، فكيف يقول أمير المؤمنين عليه السلام عن الخوارج إنهم يقولون : « لا إمام » ؟

قيل : إنهم كانوا في بدء أمرهم يقولون ذلك ، وينصبون إلى أنه لا حاجة إلى الإمام ، ثم رجسوا عن ذلك القول لما أمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي .

فإن قيل : فسروا لنا ألقاظ أمير المؤمنين عليه السلام .

قيل : إن الألقاظ كلها ترجع إلى إمرة العاقر .

قال : يعمل فيها المؤمن ، أى ليست جماعة للمؤمن من العتل ، لأنه يمكنه أن يصل

ويصوم ويتصدق ؛ وإن كان الأمير فاجراً في نفسه

ثم قال : « ويستمتع فيها الكافر » أى يستمتع بدمته ، كما قال سبحانه للكافرين :

﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيراً كُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ <sup>(١)</sup> .

ويبلغ الله فيها الأجل ، لأن إمارة الفاجر كإمارة البرّ ، في أن المدة المصروفة فيها تنتهى

إلى الأجل الموقت للإنسان .

ثم قال : « ونجتم به النى » ، ويقاتل به المصوم نأمن به السبل ، ويؤخذ به الضعيف

من القوى ، وهذا كله يمكن حصوله في إمارة الفاجر القوي في نفسه ، وقد قال رسول

الله صلى الله عليه وآله : « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » ، وقد انفتحت المعركة

على أن أمراء بني أمية كانوا فجاراً عدا عثمان وعمر بن عبد العزيز وزيد بن الوليد .

وكان النى : يجمع بهم ، والبلاد تفتح في أيامهم ، والفتور الإسلامية محصنة تحوطة ،

والشبل آمنة ، والضعيف منصور على القوى الطالم ؛ وما ضرت فجورهم شيئاً في هذه الأمور .

ثم قال عليه السلام : فتكون هذه الأمور حاصلة إلى أن يستريح برّ بموته ، أو يستراح من

فاجر بموته أو عزله .

فأما الرواية الثانية ، فبأنه قد جعل التقى يعمل فيها للإمرة البرّة خاصة <sup>(٢)</sup> .

وباقى الكلام غنى عن الشرح

• • •

(١) سورة إبراهيم ٣٠ .

(٢) كذا في ج ، وهو الوجه ، و في ب : « يعمل فيها الإمرة خاصة » .

## [ من أخبار الخوارج أيضاً ]

وروى إبراهيم بن الحسن بن ديزيل المحدث في كتاب " صيفين " ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن خالد بن حميد المصري ، عن عمر مولى غفرة ، قال : لما رجع عليّ عليه السلام من صيفين إلى الكوفة ، أقام الخوارج حتى جهّوا<sup>(١)</sup> ، ثم خرجوا إلى صحراء الكوفة نسي حروراء ، فتأدّوا : لا حكم إلا لله ولو كره للشركون ؛ إلا إن علياً ومعاوية أشركا في حكم الله .

فأرسل عليّ عليه السلام إليهم عبد الله بن عباس ، فخطب في أمرهم وكلمهم ، ثم رجع إلى عليّ عليه السلام ، فقال له : لم رأيت ؟ قال ابن عباس : والله ما أدرى ما هم ! فقال له عليّ عليه السلام : رأيتهم منافقين ؟ قال : والله ما سيأثم بسيا للناقين ؛ إن بين أعينهم لآثر السجود ، وهم يتأولون<sup>(٢)</sup> القرآن . فقال عليّ عليه السلام : دعوهم فلم يسيكروا دماً ، أو ينصبوا مالا ، وأرسل إليهم : ما هذا الذي أحدثتم ؟ وما تريدون ؟ قالوا : نريد أن نخرج نحن وأنت ومن كان معنا بصيفين ثلاث ليال ، ونهوب إلى الله من أمر الحكّمين ، ثم نسير إلى معاوية ، فنقاتله حتى يحكم الله بيننا وبينه . فقال عليّ عليه السلام : فهلا قتلتم هذا حين<sup>(٣)</sup> بمثنا الحكّمين ، وأخذنا منهم العهد ، وأعطيناهم<sup>(٤)</sup> ! ألا قتلتم هذا حينئذ اقلوا : كنا قد طالت الحرب علينا ، واشتدّ البأس ، وكثُر الجراح ، وخلا الكراع والصلاح ، فقال لهم : ألحين اشتدّ البأس عليكم ، عاهدتم ، قلنا وجدتم الجاهل قتلتم : فنقض العهد ! إن رسول الله كان يبي للشركين ، أفأمرؤتي بنقضه ! فسكرتوا مكانهم لا يزال الواحد منهم يرجع إلى عليّ عليه السلام ، ولا يزال الآخر

(١) : ١ : ٢ : ويتأولون .

(٢) الجاهل ، بالفتح : الراحة .

(٣) كذا في ١ ، ج ، و ، ب : ٢ : حيث .

يخرج من عند علي عليه السلام ، فدخل واحد منهم علي علي عليه السلام بالسجدة ،  
والناس حوله ، فصاح : لا حكم إلا لله ولو كرهه للشركون ، فخلعت الناس ، فنادى :  
لا حكم إلا لله ولو كرهه المتلفتون ، فرفع <sup>(١)</sup> علي عليه السلام رأسه إليه ، فقال :  
لا حكم إلا لله ولو كرهه أبو حسن . فقال علي عليه السلام : إن أبا الحسن <sup>(٢)</sup> لا يكره  
أن يكون الحكم لله <sup>(٣)</sup> ، ثم قال : حكم الله أنتظر فيكم ، فقال له الناس : هلا ميت  
يا أمير المؤمنين علي هؤلاء فانبيهم فقال : إنهم لا يغنون ، إنهم لنى أصلاب الرجال  
وأرحام النساء إلى يوم القيامة .

وروى أنس بن عياض للذني ، قال : حدثني جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ،  
عن أبيه عن جده ، أن علياً عليه السلام كان يوماً يؤم الناس ، وهو يحمر بالقراءة ،  
فجهر ابن الكواء من خلفه : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ  
أُشْرَكَتْ أَيْعَبَطْنَ هَؤُلَاءِ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فلما جهر ابن الكواء  
وهو خلفه بها سكت علي ، فلما أنهاها ابن الكواء عاد علي عليه السلام ، فأنتم قراءته ،  
فلما شرع علي عليه السلام في القراءة أعاد ابن الكواء الجهر بكلمة الآية ، فسكت علي ،  
فلم يزل كذلك يسكت هذا ، ويقرأ ذلك مراراً ، حتى قرأ علي عليه السلام : ﴿ فَاصْبِرْ  
إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فسكت ابن الكواء ، وعاد  
عليه السلام إلى قراءته .

(١) ب : فرجع ، وما أتجه عن ا ، ج .

(٢ - ٢) ب : لا يكره أن يكون الحكم إلا لله .

(٣) سورة الزمر ٦٥ .

(٤) سورة الروم ٦٠ .

(٤١)

ومن خطبة له عليه السلام :

الأصل :

إنَّ (١) الْوَفَاءَ تَوْفَهُمُ الصَّدَقِ ، وَلَا أَعْلَمُ حُتَّةً أَوْقَى مِنْهُ ، وَمَا (٢) يَنْفِرُ مَنْ عِلْمٍ  
كَيْفَ الْمَرْجِعُ .

وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ انْكَرَأَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْعَدْرَ كَيْفًا ، وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ  
فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِمْلَةِ .

مَا لَهُمْ فَأَتَلَهُمْ أَفْهًا ! قَدْ بَرَى الْخَوَلُ الْقُلُوبَ وَجَنَ الْحِمْلَةَ وَدَوَّهَا مَا يَمُحُّ مِنْ أَمْرِ  
أَفْهِ وَتَبِيهِ ، فَيَدْعُهَا رَأَى هَيْنَ يَمْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا ، وَيَنْفِرُ فِرَاصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيحَةَ  
لَهُ فِي الْهَيْنِ .

• • •

الشرح :

يقال : هذا توفهم هذا ، وهذه توفمته ، وهما توفمان ؛ وإنما جعل الوفاء توفهم  
الصدق ؛ لأنَّ الوفاء صدق في الحقيقة ؛ ألا ترى أنه قد عاهد على أمرٍ وصدق فيه ولم  
يُخْلِفْ ؛ وكأشبههما أعم وأخص ، وكل وفاء صدق وليس كل صدق وفاء ، فإن امتنع من  
حيث الاصطلاح نسبة الوفاء صدقاً فلا أمر آخر ؛ وهو أن الوفاء قد يكون بالفعل دون  
القول ، ولا يكون الصدق إلا في القول ؛ لأنه نوع من أنواع الخبر ، والخبر قول .

(١) قبلها في مخطوطة التهج : « أيها الناس » .

(٢) ب « ولا » .

ثم قال : « ولا أعلم جنة » أى درعا . أوفى منه ، أى أشد وقابة وحفظا ، لأنّ الوفاء محفوظ من الله ، مشكور بين الناس .

ثم قال : « وما يندر من علم كيف المرجع » ، أى من علم الآخرة وطوى عليها عقيدته ، منعه ذلك أن يندّر ؛ لأنّ العندر يحيط بالإيمان .

ثم ذكر أنّ الناس فى هذا الزمان ينسبون أصحاب العندر إلى الكيس ، وهو النفيضة والذكاء ، فيقولون لمن يخدع ويمدّر ، ولأرهاب الجريرة والسكر : هؤلاء أذكىء أكياس ؛ كما كانوا يقولون فى عمرو بن العاص والمعيرة بن شعبة ، وينسبون لأرباب ذلك إلى حبين الحيلة وصحة التدبير .

ثم قال : « ما لم قائلهم الله » ادعاء عليهم .  
ثم قال : قد برى الحول القلب وجه الحيلة ، ويمنع عنها نهى الله تعالى عنها ، وتحريمه بعد أن قدر عليها ، وأمكنه . والحول القلب : الذى قد تحول وتقلب فى الأمور وجرب ، وحسنه الخلوب والحوادث .

ثم قال : « ويتهز فرصتها » ، أى يبادر إلى افتراضها وبغتنمها . من لا حريجة له فى الدين ، أى ليس بذى حرج ، والتعرج : التأثم والحريجة : التقوى ؛ وهذه كانت سجيته عليه السلام وشيمته ، ملك أهل الشام الماء عليه ، والشرية بصفين ، وأرادوا قتله وقتل أهل العراق عطشا ؛ فصارتهم على الشربة حتى ملكها عليهم ، وطردم عنها ، فقال له أهل العراق : اقتلهم بسيوف العطش ، وامنعهم الماء ، وخنم قبضا بالأيدى ؛ فقال : إن فى حدة السيف لنفى عن ذلك ، وإنى لأستعمل منهم الماء . فأفرج لهم عن الماء فوردوه ، ثم قاسمهم الشربة شطرين بينهم وبينه . وكان الأشتر يستأذنه أن يبيت<sup>(١)</sup> معاوية ، فيقول :

(١) يقال : بيت السوء ، أى قصد فى الليل من غير أن يعلم فيؤخذ بقتله ، وهو اليات .

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ نَهَى أَنْ يُبَيِّتَ الْمُشْرِكُونَ ، وَتَوَارِثَ بَنُوهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا  
الْمُلْكُ الْأَبْنَى .

أَرَادَ الْمَضَاءُ أَنْ يُبَيِّتَ عَيْسَى بْنَ مُوسَى فَتَمَعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ<sup>(١)</sup>  
وَأُرْسِلَ لِمَا ظَهَرَ بِالْبَصْرَةِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ قُحْطَبَةَ مَوْلَى بَاهِلَةَ وَكَانَ قَدْ وُلِّيَ لِأَبِي حُمْرٍ  
الْمَنْصُورِ بَعْضَ أَعْمَالِ بَفَارِسَ ، فَقَالَ لَهُ : هَلْ عِنْدَكَ مَالٌ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : آتَهُ ؟ قَالَ : آتَهُ .  
قَالَ : خَلُّوا سَبِيلَهُ ، فَخَرَجَ ابْنُ قُحْطَبَةَ ، وَهُوَ يَقُولُ بِالْفَارِسَةِ : لَيْسَ هَذَا مِنْ رِجَالِ أَبِي جَعْفَرٍ .  
وَقَالَ لِمُعِدِّ الْحَيْدِ بْنِ لَاحِقٍ : بَلِّغْنِي أَنَّ عِنْدَكَ مَالًا لِقَطْلَةِ ، بِمَنْى آلِ أَبِي أَيُّوبَ الْكُورِيَانِيَّ  
كَاتِبَ الْمَنْصُورِ ، فَقَالَ : مَا لَمْ عِنْدِي مَالٌ . قَالَ : تَقْسِمُ بِاللَّهِ ! قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ : إِنْ ظَهَرَ لَمْ  
عِنْدَكَ مَالٌ لِأَعْدَتِكَ كَذَابًا<sup>(٢)</sup> .

وَأُرْسِلَ إِلَى طَلْحَةَ الطُّرَيْ - وَكَانَ الْمَنْصُورُ عِنْدَهُ مَالٌ - : طَعْنَا : أَنْ عِنْدَكَ مَالًا فَأَتَانَا  
بِهِ ، فَقَالَ : أَجَلٌ ، إِنْ عِنْدِي مَالٌ وَإِنْ أَخَذْتَهُ مِنِّي أَغْرَمْتَنِيهِ أَبُو جَعْفَرٍ ، فَأَضْرَبْ عَنَّهُ .  
وَكَانَ لِمُعِدِّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ آلِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ هَذَا النُّوعِ أَجْبَارٌ كَثِيرَةٌ ، وَكَانَ  
الْقَوْمُ أَصْحَابَ دِينَ لَيْسُوا مِنَ الدُّنْيَا بِسَبِيلٍ ، وَإِنَّمَا يَطْلُبُونَهَا نِقَبًا لِمَا عَمِدُوا الدِّينَ بِالْإِمْرَةِ فِيهَا ،  
فَلَمْ يَسْتَقِمْ لَهُمْ ، وَالدُّنْيَا إِلَى أَهْلِهَا أَمِيلٌ .

• • •

(١) هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَمَّادَةَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ؟ دَخَلَ الْبَصْرَةَ عَلَى عَهْدِ أَبِي حُمْرٍ  
الْمَنْصُورِ وَهَذَا النَّاسُ إِلَى أَخِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَتَمَعَ كَثِيرُونَ مِنْ أَهْلِيهِ ثُمَّ اسْتَوْلَى عَلَى الْأَهْوَازِ وَوَسَاطَهُ ،  
وَلَمْ يَزَلْ يَبْهَاجُ أَتَمَّ نَمَى أَخِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ سَنَةَ ١٤٥ بِثَلَاثَةِ أَهَامَ ، فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ فَاتَمَعَ عَيْسَى بْنُ  
مُوسَى ، فَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ لِلْمَلَايِكَةِ ، وَالتَّقِيَا عِنْدَ بَاخْرَى وَكَانَتْ الْعَاقِبَةُ لِعَيْسَى ، وَقَتْلَ إِبْرَاهِيمَ خَمْسَ لَيَالٍ بَعْدَ  
مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ١٤٥ ، وَالْمَضَاءُ أَحَدَ رِجَالِهِ . مَقَاتِلُ الطَّالِبِينَ ٣١٥ وَمَا بَعْدَهَا . وَتَارِيخُ الطُّرَيْ  
( حَوَادِثُ سَنَةِ ١٤٥ ) .

(٢) مَقَاتِلُ الطَّالِبِينَ ٣٣٣ .

## [ الأخبار والأحاديث والآيات الواردة في مدح الوفاء وذم الغدر ]

ومن الأخبار النبوية المرفوعة في ذم الغدر : « ذمة المسلمين واحدة ، فإن جارت عليهم أمة منهم ، فلا تحفروا جوارها ، فإن لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة » <sup>(١)</sup> .  
وروى أبو هريرة ، قال : مر رسول الله صلى الله عليه وآله برجل يبيع طعاما فسأله : كيف تبيع ؟ فأخبره ، فأمر أبا هريرة أن يدخل فيه يده ، فأدخلها فإذا هو مهلول ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ليس منا من غش » .

قال بعض الملوك لرسول ورد إليه من ملك آخر : أطلني على مير صاحبك ، قال : أيها الملك ، إنا لا نستحسن العذر ، وإنه لو تحول ثواب الوفاء إليه لما كان فيه عوض من قبضه ، ولما كان سماحة اسمه وبشاعة ذكره <sup>(٢)</sup> .

مالك بن دينار : كفى بالمرء حياء أن يكون أميناً للخونة .

وقع جعفر بن يحيى على ظهر كتاب كتبه على بن عيسى بن مازان إلى الرشيد ، يسمى <sup>(٣)</sup> فيه بالبرامكة ، فدفعه الرشيد إلى جعفر ، يمن به عليه ، وقال : أحبه عنه ، فكتب في ظاهره : حبيب الله إليك الوفاء يا أخى فقد أبنضته ، وبمضى إليك العذر فقد أحبيته ، إنى نظرت إلى الأشياء حتى أجد لك فيها مشبها فلم أجده ، فرجعت إليك ، فشبهتك بك ؛ ولقد بلغ من حسن ظنك بالأيام أن أملت السلامة مع البى ، وليس هذا من عادتها . والسلام .

كان المهدي في عيسى بن موسى بن محمد بن منصور بكتابه كتبه السفاح ، فطالعات أيام المنصور ، ساء له أن يخلع نفسه من المهدي ، ويقدم محمداً للمهدي عليه ، فكتب إليه عيسى :  
بَدَتْ لِي أَمَارَاتُ مِنَ الْعَذْرِ شَمَّتْهَا      أَرَى مَا يَلْدَا مِنْهَا سَيُّطَرُكُمْ دَمًا

(١) نقله السيوطي في الجامع الصغير ٢ : ٣٠ عن الحاكم ، مع اختلاف في الرواية .

(٢) الحى هنا : الرشابة .



وَمَا يَسْلَمُ الْمَالِي مَتَى هِبْطَانَهُ وَإِنْ سَارَ فِي رِيحِ الْقُرُورِ مُسَلِّماً  
أَبُو هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَيَنْسَ الضَّجِيعَ ، وَأَعُوذُ بِكَ  
مِنَ الْخِيَانَةِ فَيَنْسَتِ الْهَيَّانَةَ ! » .

وعنه مرفوعاً : « الْمَكْرُ وَالْخُدَيْعَةُ وَالْخِيَانَةُ فِي النَّارِ » .

قال مروان بن محمد لعبد الحميد الكاتب ، عند زوال أمره : أرى أن نصير إلى هؤلاء ،  
فلعلك أن تنقني في مخلي ، فقال : وكيف لي بعلم الناس جميعاً أن هذا عن رأيك ! إنهم  
ليقولون كلمهم : إني عذرتُ بك ، ثم أشد :

وَعَذْرِي ظَاهِرٌ لَأَشْكُ فِيهِ لِمَبْصَرِهِ وَعَذْرِي بِالْهَيْبِ

فلما ظنر به عبد الله بن علي ، قطع يديه ورجليه ، ثم ضرب عنقه .

كان يقال : لا يصدّر عذر إلا نصراً لحمته من الوفاء ، وأنصاع قدره من احتال المكاره  
في جنب نيل المكارم .

من كلام أمير المؤمنين عليه السلام : الوفاء لأهل العذر عذر ، والعذر بأهل المدروءة  
عند الله تعالى .

قلت : هذا إما يريد به إذا كان بينهما عهد ومُشارطة ، فنذر أحد الفريقين ، أو خاس  
بشرطه ، فإن للآخر أن يصدّر بشرطه أيضاً ولا يفي به .  
ومن شعر الحماسة ، واسم الشاعر العارق الطائي<sup>(١)</sup> :

(١) واسمه أيضاً قيس بن جريرة الطائي ؛ والأبيات في ديوان الحماسة بدمرج المروزي ٣ : ١٤٦٦ ،  
١٤٦٧ . قال الشارح : « كان عمرو بن هند غزا البصرة فأحق ورجع منتظاً ، فربطه - وكانوا في  
دمته - بكتاب عهد اكتنبه لهم ، وعصاً حكه معهم ، فقال زبارة بن عديس له : أبيت الحسن ! أصب من  
هذا الحى شيئاً . قال : ويحك ! إن لم عقدت لا يجوز لنا تخبطه . فأخذ زبارة يهون أمر العهد عليه ،  
ويحسن الإيقاع بهم ، فلم يزل يخلل له في القدوة والنارب معه لقي ، كان في نفسه على طيء ، حتى أصابه  
أعداء ونساء ، فهجا عارق عمرو بن هند بأبيات يصبب بها رأسه فيها بالفسد الذي كان منه ، فوقعت  
الأبيات إلى عمرو بن هند ، فتوعد عارلاً وحلب أنه يثقله ، فأنصت مقالته بعارق ، فقال هذه الأبيات » .

مَنْ مَبْلَغُ تَعْمَرُو بْنِ هِنْدٍ رِسَالَةً إِذَا اسْتَحَقَّ بِهَا الْعَيْسُ جَاءَتْ مِنْ الْبُعْدِ<sup>(١)</sup>  
 أَبُو عَدْنٍ وَالرَّحْمَلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيْنٌ رُوِيْدَا مَا أَمَانَةٌ مِنْ هِنْدٍ<sup>(٢)</sup>  
 وَمِنْ أَجَا حَوْلِي رِيْهَانٌ كَأَنَّهَا قَارِيْلُ خَيْلٍ مِنْ كَمَيْتٍ وَمِنْ وَرْدٍ<sup>(٣)</sup>  
 غَدَرْتُ بِأَمْرِ كُنْتُ أَنْتَ اجْتَرَمْتَنِيَّ إِلَيْهِ وَنَسِ الثِّمَةَ الْمَدْرُ بِالْمَهْدِ<sup>(٤)</sup>

قال أبو بكر الصديق : ثلاثٌ مَنْ كُنَّ مَعَهُ كُنَّ عَلَيْهِ : البني والنكث والسكر ؛  
 قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا نَعْبُدُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ﴾<sup>(٥)</sup> . وقال : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ  
 فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾<sup>(٦)</sup> ، وقال : ﴿ وَلَا يَحْمِقُ الْكُفْرُ الشَّيْءَ إِلَّا بِأَخِيهِ ﴾<sup>(٧)</sup>



(١) استعطفها : حلتها في الخلق .

(٢) أبو عدن ، الاستعظام على طريق التبريع واستنظام الأمر .

(٣) أجأ : أحد حبل طيء ، وثانيهما سلس . والرهان : جمع رهس ؛ وهو ألق يتقدم من الجسل .  
 والقنابل جماعات الخيل ، قال التبريزي : « جعلها مختلفة الألوان لاختلاف ألوان الجبال » .

(٤) في حاشية الرزوقي « اخذنا » . وفي التبريزي : « دعوتنا » .

(٥) سورة يونس ٢٣

(٦) سورة الفتح ١٠ .

(٧) سورة طه ٤٣ .

( ٤٢ )

ومن خطبة له عليه السلام :

الأصل :

أيها الناس ، إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان : اتباع الهوى وطول الأمل ؛  
فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فيفسي الآخرة .  
ألا وإن الله نياقد ولت حذاء ؛ فلم يبق منها إلا صباة كصباة الإماء ، أصطبتها  
صائباً . ألا وإن الآخرة قد أقبلت ؛ وليكل بينهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة  
ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن كل ولد يهلك يوم القيامة ، وإن اليوم  
مثل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل .

• • •

قال الرضى رحمه الله :

أقول : الخذاء : السريعة ، ومن الناس من يزويه : « جذاء » بالجم والذال ،  
أى انقطع درها وخيرها .

• • •

البنج :

الصباة : حبة الماء في الإماء . واصطبتها صائباً ، مثل قولك : أبقاها مبقياً أو تركها  
تاركها ؛ ونحو ذلك ، يقول : أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل ، أما اتباع  
الهوى فيصد عن الحق ؛ وهذا صحيح لا ريب فيه ، لأن الهوى يسمى البصرة ، وقد قيل :

حُبِّكَ الشَّيْءُ يُبْعَثُ وَيُعَمَّرُ ، ولهذا قال بعض الصالحين : رَحِمَ اللهُ اسْراً أَعْدَى إِلَى عِيُونِي ؛  
وذلك لأنَّ الإنسان يحبُّ نفسه ، ومن أحبَّ شيئاً عَمِيََ عن عيوبه ، فلا يكاد الإنسان  
يلمح عيبَ نفسه ، وقد قيل :

أَرَى كُلَّ إِنْسَانٍ يَرَى حَيْبَ غَيْرِهِ وَبَنَى عَنِ الْمَيْبِ الَّذِي هُوَ فِيهِ

فلهذا استعان الصالحون على معرفة هبوسهم بأقوال غيرهم ، علماً منهم أن هوى النفس  
لذاتها يُمسِيها عن أن تُدْرِكَ عيوبها ، وما زال الهوى مُرَوِّباً قَتَّالاً ، ولهذا قال سبحانه :  
( وَنَسَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ) (١) ، وقال صلى الله عليه وآله : « ثلاث مُهلكات :  
شُحٌّ مُطَاعٌ ، وهوى متَّبِعٌ ، وإعجاب المرء بنفسه » (٢) .

وأنت إذا تأملت هلاك مَنْ هلك من المتكلمين كالجيرة والرجلة ، مع ذكائهم وفطنتهم  
واشغالهم بالعلوم ، عرفت أنه لا سبب لفلانهم إلا هوى الأنفس ، وحبهم الانتصار للمذهب  
الذي قد اتفقوا ، وقد رأوا بطريقه ، وصارت لهم الأنباغ والتلازمة ، وأقبلت الدنيا عليهم ،  
وعندهم السلاطين علماء ورؤساء ، فيكبرون تحض ذلك كله وإبطاله ، ويحبون الانتصار  
لذاتهم للمذاهب والآراء التي نشروا عليها ، وعرفوا بها ، ووصلوا إلى ما وصلوا إليه بطريقها ،  
ويخافون عار الانتقال عن المذهب ، وأن يشتق بهم الخصوم ويقرعهم الأعداء ؛ ومن  
أنصف يعلم أن الذي ذكرناه حق . وأما طول الأمل فينبى الآخرة ؛ وهذا حق ، لأنَّ الحق  
إذا انصرف إلى الأمل ، ومدَّ الإنسان في مداه ، فإنه لا يذكر الآخرة ، بل يصير مستغرق  
الوقت بأحوال الدنيا ، وما يرجو حصوله منها في مستقبل الزمان .

(١) سورة النازعات ٤٠ .

(٢) كذا أورد الحديث مختصراً ، وقوله السيوطي في الجامع الصغير ( ١ : ٢٣٦ ) بهذه الرواية :  
« ثلاث مهلكات ، وثلاث منجيات ، وثلاث كمارات ؛ وثلاث درجات ؛ فأما المهلكات شح مطاع ،  
وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه ، وأما المنجيات . . . » إلى آخر الحديث .

ومن كلام مسنن كدام : كم من مُستقبل يوما ليس يستقبله ، ومتنظر غدا  
ليس من أجله ! ولورأيتم الأجل ومسيره أنفسم الأمل وغروره .  
وكان يقال : تسويف الأمل عرار ، وتسويل الحال ضرار .  
ومن الشعر المنسوب إلى علي عليه السلام :

غَرَّ جَهُولًا أَمَلُهُ      يموتُ مَنْ جَا أَجَلُهُ  
وَمَنْ دَنَا مِنْ حَتْفِهِ      لَمْ تَنْفِرْ عَنْهُ حِيلُهُ  
وَمَا بَقَاءُ آخِرِ      قَدْ غَابَ عَنْهُ أَوَّلُهُ  
وَالْمَرَّةُ لَا بِصَعَةٍ      فِي الْقَبْرِ إِلَّا عَمَلُهُ

وقال أبو التتاهية :

لا تأمن الموت في الخطر ولا نفس في الموت فاصدق  
واعلم بأن سهام الموت فاصدق  
ما بال دينك ترمى أن تدنس  
وتؤوب أميك معول من الدنس !  
ترجو النجاة ولم تنك ما ليكها      إن العينة لا تخزي على اليبس  
ومن الحديث الرفوع : « أيها الناس إن الأعمال تطوى ، والأعمار تنفى ، والأبدان  
تبدل في الزنى ، وإن الليل والنهار يتراكمان تراكم كس الفرقدين ، يهرمان كل بيد ،  
ويحلقان كل جديد ؛ وفي ذلك ما ألهم من الأمل ، وأذكرك بحلول الأجل » .  
وقال بعض الصالحين : جاؤك إلى فناء ، وفناؤك إلى بقاء ، فخذ من غنائك الذي  
لا يبقى ، لبقائك الذي لا يفنى .

وقال بعضهم : اغنم نفسك الأجل ، وإمكان العمل ، واقطع ذكرك للمعاذير والعلل ؛  
ودع تسويف الأمان والأمل ؛ فإنك في نفس معدود ، وعمر معدود ، ليس بمعدود .  
وقال بعضهم : اعمل عمل للرحيل ، فإن حادى الموت يحذوك ليوم لا يعدوك .

ثم قال عليه السلام : « ألا إن الدنيا قد أدبرت حذاء » بالحذاء والقدال المعجمة ؛ وهي السريعة ، وقطاة حذاء : خفت ريش ذنبها ، ورجل أخذ ، أى خفيف اليد ، وقد روى ، « قد أدبرت حذاء » بالجيم ؛ أى قد انقطع خيرها وذرّها .

ثم قال : إن كل واحد سيأتى بآته يوم القيامة ، فكونوا من أبناء الآخرة لتلحقوا بها وتفوزوا ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا فتلحقوا بها وتحسروا .

ثم قال : « اليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل » ، وهذا من باب المقابلة فى علم البيان <sup>(١)</sup> .



---

(١) ها آخر الجزء الثانى فى نسخة ١ ، وبها بعد هذه الكلمة : « تم الجزء الثانى من شرح نهج البلاغة »  
( ٢١ - نهج - ٢ )

(٤٣)

ومن كلام له عليه السلام ، وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام ، بعد إرساله إلى معاوية بجزير بن عبد الله البجلي :

الأصل :

إِنْ اسْتَعْدَّادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَزِيرَ عِنْدَهُمْ إِبْغْلَاقُ شَامٍ ، وَمَرْفُ لِي أَهْلِي  
مَنْ خَيْرٌ إِنْ أَرَادُوهُ ، وَلَكِنْ قَدْ وَقْتُ لِي جَزِيرٍ وَقْتًا لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا تَخْدُوعًا أَوْ عَاصِيَةً  
وَأَرَأَيْتُمْ مَعَ الْأُنَاةِ قَارِضُونَ ، وَلَا أُكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَادَ .  
وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَخَيْتُهُ ، وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ ، فَلَمْ أَرَ فِيهِ<sup>(١)</sup>  
إِلَّا الْقِتَالَ أَوْ الْكُفْرَ<sup>(٢)</sup> بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup> .  
إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى الْأُمَّةِ وَالْأَحْدَاثِ ، وَأَوْجَدَ النَّاسَ<sup>(٤)</sup> مَقَالًا فَقَالُوا ، نَمْ  
نَقْمُوا فَتَبَيَّرُوا .

\*\*\*

الشرح :

أرؤدوا ، أي ارتفعوا ، أرؤد في السير إروادا ، أي صار يرفق ، والأناة : التثبوت والتأني .  
وسببه لم عن الاستعداد ، وقوله بعد : « ولا أكره لكم الإعداد » غير متناقض ، لأنه  
كره منهم إظهار الاستعداد والجهز به ، ولم يكره الإعداد في السر ، وعلى وجه الخفاء .

(١) كذا في ب ، وفي أ : « فلم أر إلا القتال » ، وفي ج : « فلم أرل إلا القتال » .

(٢ - ٢) كذا في ب ، وهو ساقط من أ ، ج .

(٣) مخطوطة التهج . « قلنا » .

والكتمان ؛ ويمكن أن يقال إنه كره استمداد نفسه ، ولم يكره إعداد أصعابه ؛ وهذان متضاران . وهذا الوجه اختاره القطب الراوندى .

ولقائل أن يقول : التعليل الذى حثل به عليه السلام يقتضى كراهية الأمرين معا ، وهو أن يتصل بأهل الشام الاستمداد فيرجعوا عن السلم إلى الحرب ؛ بل ينبغي أن تكون كراهته لإعداد جيشه وصكره خمولهم وآلات حربهم أولى ؛ لأن شياع ذلك أعظم من شياع استمداده وحده ، لأنه وحده يمكن أن يكتم استمداده ، وأما استمداد المعسكر العظيمة ، فلا يمكن أن يكتم ، فيكون اتصاله وانتقاله إلى أهل الشام أسرع ، فيكون إغلاق الشام عن باب خير إن أرادوه أقرب ؛ والوجه في الجمع بين التعليلين ما قدمناه .

وأما قوله عليه السلام : « ضربت أنف هذا الأمر وعينه » ، فتل قوله العرب إذا أرادت الاستقصاء في البحث والتأمل والفكر ؛ وإنما خصت الأنف والعين ، لأنها صورة الوجه ، والذي يتأمل من الإنسان إنما هو وجهه .

وأما قوله : « ليس إلا القتال أو الكفر » فلأن الهوى عن للسكر واجب على الإمام ، ولا يجوز له الإقرار عليه ، فإن تركه فسق ، ووجب عزله عن الإمامة .

وقوله : « أو الكفر » من باب اللبابة ؛ وإنما هو القتال أو الفسق ، فسق الفسق كفرا تظاهرا وتشديدا في الزجر عنه .

وقوله عليه السلام : « أوجد الناس مقالا » ، أى جعلهم واجدين له <sup>(١)</sup> .

وقال الراوندى : أوجد ما هنا بمعنى « أغضب » . وهذا غير صحيح ، لأنه لا شيء ينصب به « مقالا » إذا كان بمعنى « أغضب » . والوالى للشار إليه عثمان .

(١) عبارة ابن ميثم : « أى جعل لهم تلك الأحكام طريقا إلى القول عليه ظاهرا » .



[ ذكر ما أورده القاضي عبد الجبار من دفع ما تعلق به الناس

على عثمان من الأحداث ]

يجب أن نذكر هاهنا أحداثه ، وما يقوله أصحابنا في تأويلاتها ، وما تكلم به

المرتضى في كتاب " الشافى " في هذا المعنى ، فنقول :

إن قاضي<sup>(١)</sup> القضاة رحمه الله تعالى ، قال في " المعنى " قبل الكلام في تفصيل هذه الأحداث كلاماً مجملاً ، معناه أن كل مَنْ ثبت عدالته ووجوب توليه إماماً على القطع وإماماً على الظاهر فخير جائز أن يُمدَّل فيه عن هذه الطريقة إلا بأمر متيقن يقتضى المدول عنها ، يبين ذلك أن مَنْ شاهدناه على ما يوجب الظاهر توليته وتعليقه يجب أن يبقى فيه على هذه الطريقة ، وإن غاب عنا . وقد عرفنا أنه مع النية يجوز أن يكون مستمرّاً على حاله ، ويجوز أن يكون متغيّراً ، ولم يقدح هذا التجويز في وجوب ما ذكرناه .

ثم قال : فالحدث الذي يُوجب الانتقال من العظيم والتولي إذا كان من باب محتمل لم يميز الانتقال لأجله . والأحوال المتغيرة في النفوس بالمادات والأحوال المعروفة فيمن تتولاه أقوى في باب الإمارة من الأمور المتجددة ؛ فإن مثل فرقد السبخي<sup>(٢)</sup> ، ومالك ابن دينار<sup>(٣)</sup> لو شوهدا في دار فيها منكر لقوى في الظن حضورهما للتنفير والإنكار ؛

(١) هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الميماني ، صاحب كتاب " النور " في الجدل ؛ وإمام أهل الفترة في زمانه ، تولى سنة ٤١٥ . طبقات القاضي ٣ : ٢١٩ .

(٢) السبخي ، بفتح السين وإبقاء اللوحنة ، وفي آخر حياته سبعة : منسوب إلى البصرة ، موضع بالبصرة ، وهو أبو يعقوب فرقد بن يعقوب السبخي ، من زهاد البصرة ، ومات سنة ١٣١ هـ . معجم البلدان ٥ : ٢٧٧ .

(٣) هو أبو يحيى مالك بن دينار ، ؛ وكان من كبار الزهاد والروايات ؛ روى عن أنس بن مالك وعن جماعة من كبار التابعين كالحسن وابن سيرين ، تولى سنة ١٣٠ هـ . صفة الصفوة ٣ : ١٩٧ .

أو على وجه الإكراه أو المِلَط ؛ ولو كان الحاضر هناك مَنْ عُلِمَ من حاله الاختلاط بالنكر لجوز حضوره للفساد ؛ بل كان ذلك هو الطاهر من حاله .

ثم قال : واعلم أن الكلامَ فيما يُدعى من الحَدَث والتغيّر فيمن ثبت توليه ؛ قد يكون من وجهين :

أحدهما : هل علم بذلك أم لا ؟

والثاني : أنه مع يقين حصوله : هل هو حَدَث يؤثر في المدالة أم لا ؟ ولا فرق بين عموز ألا يكون حدث أصلا ، وبين أن يلم حدوثه ويجوز ألا يكون حدثا .

ثم قال : كلّ محتمل لو أخبر التعلّل أنه صلّى على أحد الوجهين ، وكان يلبّ على الظن صدقه لوجب تصديقه ، فإذا عرفت من حاله المتحرّرة في النفوس ما يوافق ذلك جرى مجرى الإفراز ؛ بل ربما كان أقوى ؛ ومتى لم تسلك هذه الطريقة في الأمور المشبهة لم يصحّ في أكثر من تولّاه ونظمه أن نسلم حاله عندما ، فإنّ لو رأينا من يُظنّ به الخير بكلم امرأة حسناء في الطريق لكان ذلك من باب المحتمل ؛ فإذا كان لو أخبر أنها أخيه أو امرأته لوجب ألا يحول من توليه ، فكذلك إذا كان قد تقدّم في النفوس ستره وصلاحه ؛ فالواجب أن نحمله على هذا الوجه .

ثم قال : وقول الإمام له مزيّة في هذا الباب ؛ لأنه آكد من غيره ، وأما ما ينقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه وإن لم يكن مقطوعا به يؤثر في هذا الباب ، ويكون أقوى مما تقدّم .

ثم قال : وقد طعن الطاعنون فيه بأمور متنوعة مختلفة ؛ ونحن ههنا على تلك الطاعن كلاما مجملا ؛ يبين بطلانها على الجملة ، ثم نسكّم عن تفصيلها .

قال : وذلك أن شيعنا أبا علي<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى قد قال : لو كانت هذه الأحداث مما توجب طعنا على الحقيقة ، لوجب من الوقت الذي ظهر ذلك من حاله أن يطلب المسلمون رجلا ينصب للإمامة ، وأن يكون ظهور ذلك من عثمان كوته ؛ فإنه لا خلاف أنه متى ظهر من الإمام ما يوجب خلعه ، أن الواجب على المسلمين إقامة إمام سواء ، فلما علمنا أن طلبهم لإقامة إمام إنما كان ممد قته ، ولم يكن من قبل والتمسكن قائم ، علمنا بطلان ما أضيف إليه من الأحداث .

قال : وليس لأحد أن يقول : إنهم لم يتمكنوا من ذلك ؛ لأن المتعالم من حالهم أنهم حصروه ومنعوه من التمسكن من نفسه ، ومن التصرف في سلطانه ؛ خصوصا والخصوم يدعون أن الجميع كانوا على قول واحد في خلعه والبراءة منه .

قال : ومعلوم من حال هذه الأحداث أنها لم تحصل أجمع في الأيام التي حوصر فيها وقتل ، بل كانت تحصل من قبل خلافاً مدحاً ، فلو كان ذلك يوجب الخلع والبراءة لما تأخر من المسلمين الإنكار عليه ؛ ولما كان كبار الصحابة المقيسون بالمدينة أولى بذلك من الواردين من البلاد ؛ لأن أهل العلم والنصل بإنكار ذلك أحق من غيرهم .

قال : فقد كان يجب على طريقهم أن تحصل البراءة والخلع من أول الوقت الذي حصل منه ما أوجب ذلك ، وألا ينتظر حصول غيره من الأحداث ، لأنه لو وجب انتظار ذلك لم ينته إلى حد إلا ومنتظر غيره .

ثم ذكر أن إمساكهم عن ذلك إذا تيقنوا الأحداث منه يوجب نسبة الجميع إلى الخطأ والضلال . ولا يمكنهم أن يقولوا : إن عليهم بذلك إنما حصل في الوقت الذي حوصر ومُنِع ؛ لأن من جملة الأحداث التي بذكرونها ما تقدم عن هذه الحال ؛ بل كلها أو جلها تقدم هذا الوقت ؛ وإنما يمكنهم أن يتعلقوا فيما حدث في هذا الوقت بما يذكرونه من

(١) هو محمد بن عبد الوهاب البجلي ، شيع المثرة . نزل سنة ٣٠٣ . شذرات الذهب ٢ : ٢٤١ .

حديث الكتاب النافذ إلى ابن أبي سريح بالقتل ، وما أوجب كون ذلك حدثا يوجب كون غيره حدثا ، فكان يجب أن يفعلوا ذلك من قبل ؛ واحتمال التقدم للتأويل كاحتمال التأخر .

ثم قال : وبعد ؛ فليس يخفى من أن يدعوا أن طلب الخلع وقع من كل الأمة أو من بعضهم ؛ فإن ادعوا ذلك في بعض الأمة ، فقد علمنا أن الإمامة إذا ثبت بالإجماع لم يجز إبطالها بلا خلاف ، لأن الخطأ جائز على بعض الأمة ، وإن ادعوا في ذلك الإجماع لم يصح ؛ لأن من جملة أهل الإجماع عثمان ومن كان بنصره ، ولا يمكن إخراجهم من الإجماع ، بأن يقال : إنه كان على باطل ؛ لأن الإجماع يتوصل إلى ذلك ، ولم يثبت .

ثم قال : على أن الظاهر من حال الصحابة أنها كانت بين فريقين ؛ أتامن نصره ، فقد روى عن زيد بن ثابت أنه قال لعثمان ومن معه من الأنصار : ائذن لنا بنصرك . وروى مثل ذلك عن ابن عمر وأبي هريرة والمنيرة بن شعبة ، والباقيون محتشون انتظاراً لروال العارض ؛ إلا إنه لو ضيق عليهم الأمر في الدفع ما قصدوا ، بل التمسوا من حالم ذلك . ثم ذكر ما روى من إفاذ أمير المؤمنين عليه السلام الحسن والحسين عليهما السلام إليه ، وأنه لما قُتل لأمهما عليه السلام على وصول القوم إليه ، ظننا منه أنها قصرا . وذكر أن أصحاب الحديث يروون عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « ستكون فتنة واختلاف ، وإن عثمان وأصحابه يومئذ على الهدى » . وما روى عن عائشة من قولها : « قُتل والله مظلوما » .

قال : ولا يمنع أن يتعلق بأخبار الأحاديث في ذلك ؛ لأنه ليس هناك أمر ظاهر يدفعه ؛ نحو دعواهم أن جميع الصحابة كانوا عليه ؛ لأن ذلك دعوى منهم ، وإن كان فيه رواية من جهة الأحاد ؛ وإذا تعارضت الروايات سقطت ، ووجب الرجوع إلى ما ثبت من أحواله السليمة ، ووجب توليه .

قال : ولا يجوز أن يعدل عن نظميه وصحة إمامته بأمر محتملة ؛ فلا شيء مما ذكره .  
إلا ويحتمل الوجه الصحيح .

ثم ذكر أن للإمام أن يجتهد برأيه في الأمور النورية به ، ويعمل فيها على غالب ظنه ؛  
وقد يكون مصيبا ، وإن أفضت إلى عاقبة مذمومة .

فهذه جملة ما ذكره قاضي القضاة رحمه الله تعالى في "اللمع" من الكلام إجمالا في  
دفع ما يتعلق به على عثمان من الأحداث <sup>(١)</sup> .

• • •

[ رد المرتضى على ما أورده القاضي عبد الجبار من الدفاع عن عثمان ]

واعترض المرتضى رحمه الله تعالى في "الشارح" <sup>(٢)</sup> ، فقال :

أما قوله : « مَنْ ثَبَّتْ عِدَالَتَهُ وَوَجِبَ تَوَلُّهُ إِمَامًا قَطْعًا أَوْ عَلَى الظَّاهِرِ ؛ فَمِيرَ جَائِزًا أَنْ  
يُعَدَّلَ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ إِلَّا بِأَمْرِ مُتَيَقِّنٍ » ؛ فَمِنْ حَسْمٍ لِأَنَّ مَنْ تَوَلَّى عَلَى الظَّاهِرِ ،  
وَتَبَيَّنَتْ عِدَالَتُهُ عِنْدَمَا مِنْ جِهَةِ غَالِبِ الظَّنِّ ، يَجِبُ أَنْ رَجَعَ عَنِ وِلَايَتِهِ عَمَّا يَقْتَضِي عَالِبُ  
الظَّنِّ دُونَ الْوَقِينِ ؛ وَلِهَذَا يُوَثِّرُ فِي جَرِّحِ الشُّهُودِ وَسُقُوطِ عِدَالَتِهِمْ أَقْوَالُ الْجَارِحِينَ ؛ وَإِنْ  
كَانَتْ مَظْنُونَةٌ غَيْرُ مَعْلُومَةٍ ، وَمَا يَظْهَرُ مِنْ أَحْسَمِهِمْ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي لَهَا ظَاهِرٌ يُظَنُّ مَعَهُ الْقَبِيحُ  
بِهِمْ حَتَّى تَرْجِعَ عَمَّا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ بِعِدَالَتِهِمْ ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كُلُّ ذَلِكَ مُتَيَقِّنًا ، وَإِنَّمَا  
يَصَحُّ مَا ذَكَرَهُ فَمِنْ ثَبَّتْ عِدَالَتَهُ عَلَى الْقَطْعِ وَوَجِبَ تَوَلُّهُ عَلَى الْبَاطِنِ ؛ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُوَثِّرَ  
فِي حَالِهِ مَا يَقْتَضِي الظَّنَّ ، لِأَنَّ الظَّنَّ لَا يَقَابِلُ الْعِلْمَ ، وَالِدَّلَالَةُ لَا تَقَابِلُ الْأَمَارَةَ .

فإن قال : لم أرِدْ بقولي إِلَّا بِأَمْرِ مُتَيَقِّنٍ أَنْ كُونَهُ حَدَّثًا مُتَيَقِّنًا ؛ وَإِنَّمَا أَرَدْتُ تَيَقُّنَ  
وَقَرَعَ الْفَعْلَ نَفْسِهِ .

قلنا : الأمران سواء في تأثير عِلْبَةِ الظَّنِّ فِيهِمَا ، وَلِهَذَا يُوَثِّرُ فِي عِدَالَةِ مَنْ تَقَدَّمتْ

(١) هذه لمرضى في الشارح ٢٦٣ ، ٢٦٤ مع تصرف في الصارفة .

(٢) كتاب الفاعل في الإمامة والرد على كتاب المصنف . طبع في البجعة سنة ١٣٠٩ .

عدائته عندنا على سبيل الظن أقوال من يخبرنا عنه بارتكاب القبائح<sup>(١)</sup> إذا كانوا عدولا، وإن كانت أقوالهم لا تقتضي اليقين، بل يحصل عندها غالب الظن. وكيف لا يرجع عن ولاية من توليها على الظاهر بوقوع أفعال منه يقتضي ظاهرها خلاف الولاية، ونحن إنما قلنا بمدالته في الأصل على سبيل الظاهر ! ومع التعويض لأن يكون ما وقع منه في الباطن قبيحا لا يستحق به التولي والتعظيم، ألا ترى أن من شاهدناه يلزم بحال العلم، ويكرر تلاوة القرآن، ويدمن الصلاة والصيام والحج، يجب أن نتولاه ونمظمه على الظاهر وإن جوزنا أن يكون جميع ما وقع منه مع خبث باطنه، وأن غرضه في فعله القبيح فلم نقوله إلا على الظاهر. ومع التعويض، فكيف لا يرجع عن ولايته بما يقابل هذه الطريقة ! فأما من غاب عنا وتقدمت له أحوال تقتضي الولاية، فيجب أن نستمر على ولايته؛ وإن جوزنا على السبب أن يكون متقيلا عن الأحوال الجميلة التي عهدناها منه؛ إلا أن هذا يجوز تخص الظاهر منه يقابل ما تقدم من الظاهر الجليل، وهو بخلاف ما ذكرناه من مقابلة الظاهر للظاهر، وإن كان في كل واحد من الأمرين يجوز.

قال: وقد أصاب في قوله: « إن ما يحصل لا ينقل<sup>(٢)</sup> » عن التعظيم والتولي، إن أراد بالاحتمال ما لا ظاهر له، وأما ما لا ظاهر ومع ذلك يجوز أن يكون الأمر فيه بخلاف ظاهره؛ فإنه لا يسمى محتملا. وقد يكون مؤثرا فيما ثبت من التولي على الظاهر على ما ذكرناه.

قال: فأما قوله: « إن الأحوال المتفرقة في النفوس بالمعادات فيمن تتولاه تؤثر ما لا يؤثر غيرها، وتقتضي تحمل أفعالها على الصحة والتأول له »؛ فلا شك أن ما ذكره مؤثر وطريق قوي إلى غلبة الظن، إلا أنه ليس يقتضي ما يتردد في نفوسنا لبعض من تتولاه على الظاهر أن تتأول كل ما يشاهد منه من الأفعال التي لها ظاهر قبيح، ونحيل الجميع على

(١) الثاني: « نبيح ».

(٢) الثاني: « لا يجوز أن يخل ».

أجل الوجوه ، وإن كان بخلاف الظاهر ، بل ربما تبين الأمرُ فيها يقع <sup>(١)</sup> منه من الأفعال التي ظاهرها القبيح إلى أن تؤثر في أحواله لضررة ، ونرجع بها عن ولايته ؛ ولهذا نجد كثيرا من أهل العدالة المضرة لم في النفوس ، يتسلخون منها حتى يلحقوا بمن لا تثبت له في وقت من الأوقات عدالة ، وإنما يكون ذلك بما يتوالى منهم ويشكر من الأفعال القبيحة الظاهرة .

قال : فأما ما استشهد به من أن مثل مالك بن دينار لو شاهدناه في دارٍ فيها منكر لقوى في الظن حضوره لأجل النفي والإسكار <sup>(٢)</sup> ، أو على وجه الإكراه والغلط وأن غيره يخالفه في هذا الباب ؛ فصحيح لا يخالف ما ذكرناه ؛ لأن مثل مالك بن دينار ممن تناصرت أمارات عدالته وشواهد نزاهته جالاً بدهال ، لا يجوز أن يقدح فيه فعل له ظاهر قبيح ، بل يجب لما تقدم من حاله أن تأول فعله ، ونخرجَه عن ظاهره إلى أجل وجوهه . وإنما وجب ذلك لأن الظنون للتقدمة أقوى وأولى بالترجيح والملبة ، فنجسها قاضية على الفعل والفعلين ، ولهذا متى تولت منه الأفعال القبيحة الظاهرة وتكررت ، قدحت في حاله ، وأثرت في ولايته ، كيف لا يكون كذلك وطريق ولايته في الأصل هو الظن والظاهر ، ولا بد من قدح الظاهر في الظاهر ، وتأثير الظن في الظن على بعض الوجوه .

قال : فأما قوله : « فإن كل محتمل لو أخبرنا عنه وهو مما يلب على الظن صدقه أنه فعله على أحد الوجوه ، وجب تصدقه ، فمتى عرف من حاله المضرة في النفوس ما يطابق ذلك ، جرى مجرى الإخبار <sup>(٣)</sup> » ؛ فأول ما فيه أن « المحتمل » هو ما لا ظاهر له من الأفعال ، والذي يكون جواز كونه قبيحا كجواز كونه حسنا ، ومثل هذا الفعل لا يقتضى ولاية

(١) الثاني : « فيما يرجع منه » .

(٢) الثالث : « التكبر » .

(٣) الثاني : « الإخبار » .

ولا عداوة ، وإنما يقتضى الولاية ماله من الأفعال ظاهر جهل ، ويقتضى العداوة ظاهر قبيح .

فإن قال : أردتُ بالمحتمل ماله ظاهر ، لكنه يجوز أن يكون الأمر بخلاف ظاهره .

قيل له : ما ذكرته لا يسى محتملاً ؛ فإن كنت عنيته فقد وضمت العبارة في غير موضعها ، ولا شك في أنه إذا كان ممن لو أخبرنا بأنه فعل الفعل على أحد الوجهين لوجب تصديقه ، وحمل الفعل على خلاف ظاهره ؛ فإن الواجب لما تقرر له في النفوس أن يتأول له ويمدل بفعله من الوجه القبيح إلى الوجه الجليل ، إلا أنه متى نوات منه الأفعال التي لها ظواهر قبيحة ، فلا بد أن تكون مؤثرة في تصديقه ، متى أخبرنا بأن غرضه في الفعل خلاف ظاهره ، كما تكون ماسة من الابتداء بالتأول .

وضربه للشل بأن من رآه يكلم امرأة حسنة في الطريق إذا أخبر أنها أخته أو امرأتى أن تصديقه واجب ، ولو لم يحبر بذلك لحلنا كلامه لما على أجل الوجوه ؛ لما تقدم له في النفوس - صحيح ، إلا أنه لا بد من مراعاة ما تقدم ذكره ، من أنه قد يقوى الأمر لقوة الأمارات والظواهر إلى حدٍّ لا يجوز معه تصديقه ولا التأول له ، ولولا أن الأمر قد ينتهى إلى ذلك لما صح أن يخرج أحد عندنا من الولاية إلى العداوة ، ولأن العداوة إلى خلافها ؛ لأنه لا شيء مما يفعله الفساق للبهتكون إلا ويجوز أن يكون له باطن بخلاف الظاهر ، ومع ذلك فلا يلتفت إلى هذا التجويز ؛ بين حجة ما ذكرناه أنا لو رأينا من يظن به الخير يكلم امرأة حسنة في الطريق ويداعبها وبضاحكها لظننا به الجليل مرة ومرات ، ثم ينتهى الأمر إلى ألا نظنه . وكذلك لو شاهدناه وبخضرتة للسكر ، لحلنا حضوره على الناطق أو الإكراه أو غير ذلك من الوجوه الجلية . ثم لا بد من انتهاء الأمر إلى أن نظن به القبيح ولا نصدقه في كلامه .



قال : ثم قول (١) : أخبرنا عن شاهدناه من بُعد وهو مفترش امرأة فلم أنها ليست له بمحرّم ، وأن لما في الحلال زوجاً غيره ، وهو ممن تقررت له في النفوس عدالة مقدّمة ، ماذا يجب أن نظن به ؟ وهل ترجع بهذا الفعل عن ولايته ، أم نحمله على أنه غلط ومتوهم أن المرأة زوجته ، أو على أنه مكروه على الفعل ، أو غير ذلك من الوجوه الجليّة ؟ فإن قال : ترجع عن الولاية ، اعترف بخلاف ما قصد في الكلام ، وقيل له : أيّ فرق بين هذا الفعل وبين جميع ما حدثناه من الأفعال وأدّعت أن الواجب أن نمدل من ظاهرها ؟ وما يجوز الجليل في ذلك إلا كجوار الجليل في هذا الفعل .

وإن قال : لا أرجع بهذا الفعل عن ولايته (٢) ، بل تؤوله على بعض الوجوه الجليّة . قيل له : أرأيت لو تكرّر هذا الفعل وتوالى هو وأمثاله حتى نشاهد حاضراً في دور القمار ومجالس اللهو واللعب وبراء بشر (المر ببيها) ، وكلّ هذا مما يجوز أن يكون عليه مكروهاً وفي ذاته التقيح بعينه غلطاً ، أكان يجب علينا الاستمرار على ولايته أم المدول عنها ؟ فإن قال : نستمرّ ونأول ، ارتكّب بالاشبهة في فساد ، والزم ما قد قدّمنا ذكره من أنه لا طريق إلى الرجوع عن ولاية أحد ، ولو شاهدناه منه أعظم للناكير . ووقف أيضاً على أن طريق الولاية للتضمة إذا كان الظنّ دون القطع ، فكيف لا ترجع عنها لمثل هذا الطريق ، فلا بدّ إذن من الرجوع إلى ما بيناه وفصلناه في هذا الباب .

قال : فأما قوله : « إن قول الإمام له مزية ؛ لأنه أكد من غيره » فلا معنى له ؛ لأن قول الإمام على مذهبه يجب أن يكون له مزية ، من حيث كان معصوماً مأموناً (٣) الباطن ، وعلى مذهبه إنما تثبت ولايته بالظاهر كما تثبت ولاية غيره من سائر المؤمنين ؛ فأى مزية له في هذا الباب ؟

(١) ب « ثم يقال » .

(٢) فقال : « الولاية » .

(٣) فقال : « معصوماً مأموناً بملك » .

وقوله : « <sup>(١)</sup> إن ما ينقل عن الرسول وإن لم يكن مقطوعاً عليه يؤثر في هذا الباب ، ويكون أقوى مما تقدم » غير صحيح على إطلاقه ؛ لأن تأثير ما ينقل إذا كان يقتضي غلبة الظن لا شبهة فيه ؛ فأما تقويته على غيره فلا وجه له ؛ وقد كان يجب أن يبين من أي الوجوه يمكن أقوى .

فهذه جملة ما اعترض به الرضى على الفصل الأول من كلام قاضي القضاة رحمه الله تعالى .

تم الجزء الثاني من شرح نهج البلاغة <sup>(٢)</sup>

مركز تحقيق مكتبة ميرزا محمد حسين

---

(١) الثاني من ٢٦٤ - ٢٦٦ .

(٢) هنا نهاية نسخة ب ، ج ، ولآخر نسخة ج : « تم الجزء الثاني من شرح نهج البلاغة ، بحمد الله ومنه وسمي الله على محمد وآله » .

## فهرس الخطب وما يجرى مجراها \*

سنة

- ٢٦ - من خطبة له عليه السلام يذكر فيها العرب بما كانوا عليه قبل  
البعثة ، وشكواهم من انفرادهم بعدها ، وضعه لمن بايع بشرط  
٦٠ ، ٢٠ ، ١٩
- ٢٧ - من خطبة له في الحث على الجهاد ودم للتعادين  
٧٥ ، ٧٤
- ٢٨ - من خطبة له في إدار الدنيا وإقبال الآخرة والحث على التزود لها  
٩١
- ٢٩ - من خطبة له في دم للتعاذلين  
١١١
- ٣٠ - من خطبة له في معنى قتل عثمان رضي الله عنه  
١٢٦
- ٣١ - من كلام له لما ألقه عبد الله بن العباس إلى الزبير  
قبل وقوع الحرب يوم الجمل يستببه إلى طاعته  
١٦٢
- ٣٢ - من خطبة له في دم المهر وحال الناس فيه  
١٧٥ ، ١٧٤
- ٣٣ - من خطبة له عند مسيره لقتال أهل البصرة  
١٨٥
- ٣٤ - من خطبة له في استنصار الناس إلى أهل الشام  
١٩٠ ، ١٨٩
- ٣٥ - من خطبة له بعد التحكيم  
٢٠٤
- ٣٦ - من خطبة له في تخوف أهل الثروان  
٢٦٥
- ٣٧ - من كلام له يجرى مجرى الخطبة ، يذكر ثباته في الأمر  
بالمروء والتسبي عن النكر  
٢٨٤
- ٣٨ - من خطبة له في معنى الشبهة  
٢٩٨
- ٣٩ - من خطبة له في دم للتعادين عن القتال  
٣٠٠
- ٤٠ - من كلام له للخوارج لما سمع قولهم : « لا حكم إلا لله » .  
٣٠٧
- ٤١ - من خطبة له في مدح الوفاء ودم التدر  
٣١٢
- ٤٢ - من خطبة له يحذر الناس فيها من اتباع الهوى وطول الأمل  
٣١٨
- ٤٣ - من خطبة له وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام  
بعد إرساله إلى معاوية يحرر بن عبد الله الجبل  
٣٢٢

## فهرس الموضوعات \*

صفحة	
٣ - ١٨	بعث معاوية بسر بن أرطاة إلى الحجاز واليمن
٢١ - ٦١	حديث السقيلة
٦١ - ٧٣	أمر عمرو بن الناس
٨٠	استطراد بذكر كلام لابن نباته في الجهاد
٨٥ - ٩٠	غارة سليمان بن عوف القاسدي على الأنبار
٩٣ - ١٠٣	نبد من أقوال السالحين والحكماء
١٠٣ - ١١٠	استطراد بلاغي في الكلام على للقابة
١١٣ - ١٢٥	غارة الضحاك بن قيس وتنف من أخباره
١٢٩ - ١٦١	اضطراب الأمر على عثمان ثم أخبار مقتله
١٦٦ - ١٧٠	من أخبار الزبير وابنه عبد الله
١٧٠ - ١٧٣	استطراد بلاغي في الكلام على الاستدراج
	لمصل في ذكر الآيات والأخبار الواردة في ذم
١٧٨ - ١٨٢	الرياء والشبهة
١٨٢ - ١٨٤	فصل في مدح الملوك والجنوح إلى العزة
١٨٧ - ١٨٨	من أخبار يوم ذي قار
١٩٣ - ١٩٧	أمر الناس بعد وفاة التبروان
١٩٧ - ٢٠٣	مناقب على وذكر طرف من أخباره في عدة وزهده
٢٠٦ - ٢٦٠	قصة التحكيم ثم ظهور أمر الحوارج
٢٦٥ - ٢٨٣	أخبار الحوارج
٢٨٦ - ٢٩٥	الأخبار الواردة عن معرفة الإمام على بالأمور النبية

صفحة	
٣٠٥ - ٣٠١	أمر النعمان بن بشير مع علي ومالك بن كعب الأرحبي
٣٠٩ - ٣٠٧	اختلاف الرأي في القول بوجوب الإمامة
٣١٢ - ٣١٠	من أخبار الخوارج أيضا
٣١٧ - ٣١٤	الأخبار والأحاديث الواردة في مدح الوفاء ودم النذر
	ذكر ما أورده القاضي عبد الجبار من دفع ما تعلق به الناس على عثمان
٣٢٨ - ٣٢٤	من الأحداث
٣٣٣ - ٣٢٨	رد للرضى على ما أورده القاضي عبد الجبار من الدفاع عن عثمان .



مرکز تحقیق ونگارش و نشر اسلامی